

الإيضاح لما خفا

من الألفاظ على تعظيم صحابة المصطفى

تأليف

علامة اليمن ومؤرخها في القرن الحادي عشر الهجري

محمي بن الحسين بن الققيم بن محمد

رحمه الله

١٠٣٥ - ١١٠٠ هـ

تحقيق

عبد الرحمن عبد القادر العلمي

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة

رفع

عبد الرحمن بن الفخري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإيضاح لما خفا

من الانفا على تعظيم صحابة المصطفى

تأليف

علامة اليمن ومؤرخها في القرن الحادي عشر الهجري

بهي بن الحسين بن القاسم بن محمد

رحمه الله

١٠٣٥ - ١١٠٠ هـ

تحقيق

عبد الرحمن بن عبد القادر العاصمي

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة



رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسخ الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة .

ت : ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس : ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس .

ت : ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس : ٤٩٣٤٣٢٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

■ تصدير ■

قليل من العلماء من يعرف يحيى بن الحسين ابن الإمام المنصور القاسم ابن محمد، أحد فطاحل علماء اليمن الذي يعد بصدق أعلم علماء أسرته (آل القاسم) على كثرة من ظهر في هذه الأسرة الكبيرة من العلماء والمؤرخين، ومن الأئمة أيضاً على مدى أربعة قرون؛ وذلك لتجاهل مؤرخي عصره له، وإذا ترجم له أحد فعلى استحياء؛ إذ لا يذكر مكانته العلمية، ومناقبه الحميدة، ومؤلفاته الفريدة؛ نكايه به لعزوفه عن المذهب الهاديدي، وتحوله إلى ما كان عليه السلف الصالح من العمل بأحكام الكتاب، وصحيح السنة، والتصدي للدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ، وتعظيم شأنهم، ورفع مكانتهم؛ مما أغضب عليه كبار أسرته من أئمة، وولاة، وقادة وغيرهم، ممن أنكر عليهم ظلمهم، وسيئات أعمالهم، وقسوة أحكامهم لغير أهل مذهبهم؛ ذلك لأن هذا العالم الجليل كان لا يخشى في الله لومة لائم، ولهذا فإنه لم يقبل لهم ولاية، ولا تقلد منصباً، ولا بايع لهم إماماً، بل انقطع للعلم والعمل به حتى صار متميزاً عن علماء عصره بسعة معارفه، وتعدد فنونها، وأنواعها، وكثرة مؤلفاته في فنون شتى، ولا سيما ما يتعلق منها بتاريخ اليمن، وطبقات علماء الزيدية التي أفرغ فيها جهده بتحري قول الحق والإنصاف.

ومع هذا فقد انعكس جهل المتجاهلين له على مؤلفاته التي لم تنل من الاهتمام ما يليق بها، وذلك لنشرها والاستفادة منها، مع أن مختصر كتابه (أنباء الزمن) ليحيى ابن الحسين ابن المؤيد محمد ابن الإمام القاسم بن محمد الذي سماه (عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن) ثم سماه (غاية الأمان في أخبار القطر اليماني) وفيه ما فيه، قد طبع بتحقيق وتعليق: الأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مع أن الأجلد بالطبع هو (أنباء الزمن) السليم من كل شين ظهر في مختصره المذكور.

ومن المصادفات العجيبة أن الأخ الوزير القاضي العلامة محمد بن عبد الله ابن حسين العمري - رحمه الله - عهد إلى الأستاذ المحقق فؤاد سيد عمارة، أمين قسم المخطوطات في دار الكتب المصرية بتحقيق وطبع كتاب (طبقات فقهاء اليمن، فقهاء

الشافعية)، للمؤرخ عمر بن علي بن سمرة الجعدي المتوفى بعد ٥٨٦هـ، على نفقته، فقام بهذه المهمة على خير وجه تحت إشرافي ومساعدتي له في ضبط هذا الكتاب، وكان القاضي العمري عازماً أيضاً على نشر كتاب (المستطاب في طبقات علماء الزيدية الأقطاب) المعروف بـ (طبقات الزيدية)، للعلامة المؤرخ يحيى ابن الحسين بن الإمام القاسم على نخط الكتاب السابق، لولا أن منيته سبقت تحقيق هذه الرغبة بأن توفي -رحمه الله- في حادث سقوط طائرة روسية كانت تقله من القاهرة إلى موسكو في طريقه على رأس وفد يمانى إلى الصين، وذلك في يوم الأربعاء ٢٤ صفر سنة ١٣٨٠هـ، ١١/٨/١٩٦٠م.

هذا ومن المنتظر أن يظهر كتاب: (بهجة الزمن في حوادث اليمن) محققاً مطبوعاً باسمه الصحيح كاملاً غير منقوص، على يد الباحثة أم عبد الرحمن الأمير التي أنجزت تحقيق وتعليق الجزء الأول منه، ونالت به درجة الماجستير من جامعة صنعاء، وستقدم البقية من هذا الكتاب إلى المناقشة قريباً لتتال بها درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها.

وهذا ابننا الأستاذ عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي حفظه الله قد قام بتحقيق وتعليق كتاب: «الإيضاح لما خفى من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى ﷺ»، الذي يسعدني أن أقدم له بهذه الكلمة استجابة لرغبته، وحجاً لمؤلف هذا الكتاب -يرحمه الله- وقد بذل المحقق -جزاه الله خيراً- ونفع بعلمه -من الجهد وإتقان العمل ما سيعلمه القارئ من خلال مطالعته لهذا الكتاب النفيس، وكنت أتمنى أن أقرأه من بدايته إلى نهايته، لولا ما أعانيه من مشقة في القراءة والكتابة؛ لألم زائل بإذن الله في العينين.

وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم

وكتبه

القاضي إسماعيل بن علي الآكوع

صنعاء في ٢٧ شعبان سنة ١٤٢٣هـ،

٢٠٠٢/١١/٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

● تقديم ●

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .
أما بعد :

فقد كان اطلاعي على كتاب (الإيضاح لما خفا*) من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى (ﷺ)، للعلامة يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد -رحمه الله- وكذلك على التحقيق عليه الذي قام به الأستاذ الكريم الأخ عبد الرحمن ابن عبد القادر المعلمي -حفظه الله تعالى- وكانت لي ملحوظات يسيرة ذكرتها للأستاذ المحقق؛ ليأخذ بما يراه مناسباً منها.

ولقد وجدت الكتاب بحق متميزاً في بابه، ورأيت مؤلفه -رحمه الله- علماً بين أضرابه، وما كنت أتصور أن يوجد مثل هذا العالم الكبير المنصف الورع التقى ذي القلب الطيب، والصدر الواسع، المحب لسائر المسلمين دون أثرٍ لتمذهبٍ أو تعصب، وفي مقدمة المسلمين خيار أولياء الله وهم الصحابة، المدافع عنهم بشتى أساليب الدفاع أمام ضلالات الروافض الذين لا خلاق لهم، ولا يستندون في مواقفهم إلى إثارة من علم، بل ديدنهم الحقد والكبر والعنصرية والهوى، المحبّ لسنة رسول الله (ﷺ) المبينة للكتاب، والأصل الثاني في الخطاب، ويشهد لهذا العالم بهذه الأوصاف الكريمة وغيرها كتابه هذا الذي بين أيدينا، ولا نزكيه على الله.

ما كنت أتصور أن يوجد مثل هذا العالم العَلَم في وسط أسرة مالكة فيها تشيع، وفيها تمذهب، وفيها من يتعصب فيجعل أتباع بعض مذاهب أهل السنة كفار تأويل، ولكنها عناية الله بهذا الدين العظيم، أن يقيض له من يحمله بنقائه وصفائه من العدول والأخيار في مختلف البيئات؛ حتى تقوم حجة الله على الناس في مختلف الأماكن والأزمان ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

(*) خفا: مضارعه: يخفو بمعنى لمع، كما في «لسان العرب» وغيره.

لقد انبرى هذا العالم العلم؛ لبيان ما في الكتاب والسنة، وما عليه إجماع المسلمين من تعظيم الصحابة الذين هم حملة الدين للعالمين، ومن ذلك إجماع أهل بيت رسول الله ﷺ على ذلك، وإن كان أهل بيت رسول الله ﷺ منتشرين في جميع المذاهب - وليسوا في زاوية واحدة، كما يرى بعض أصحاب الأهواء أن يحصرهم - فهم كسائر إخوانهم المسلمين وأسلافهم من الأئمة المهتدين لا يفترون عن الحق، وهذا معنى اجتماع الكتاب الكريم والعتر المظهرة كما في الحديث الصحيح، وعدم افتراقهما، إن العتر قرئاً الكتاب تماماً كما أن السنة قرينة الكتاب، والعتر أو أهل البيت جمهورهم وغالبهم ومعظمهم في مذاهب أهل السنة، كالمذاهب الأربعة التي هي مذاهب أمة المليار، أمة الإسلام.

فالعتر أو أهل البيت إذن جلُّهم سُنَّة، فهم والسُنَّة شيء واحد، فيستوي حديث «كتاب الله وعترتي» مع حديث «كتاب الله وستي»، فالعتر والسنة وجهان لشيء واحد، وكلُّ منهما قرين الكتاب، والمنصفون من الزيدية ملتحقون بالسنة، فلم يبق إلا قلة شاذة لا قيمة لها ولا ثقل ولا وزن ممن انتسبوا للرفض أو الباطنية أو غيرهما من فرق الضلال، ولا يمكن أن يُعتبروا من العتر ولا من آل البيت؛ لأنهم شذُّوا كما شذ سلفُ لهم من قبل هو أبو لهب.

وكما ذكر المصنف - رحمه الله - للكتاب الذي نحن بصدد أن البلاء والداء وعدوى الرفض، كانت تهاجم بمن الإيمان والحكمة في عصره والعصور القريبة من عصره من بلاد العجم، فإنه ما أشبه الليلة بالبارحة!! إن المخططات والإمكانات والبعثات والنشرات والمجلات والكتب وأنواع الإغراءات؛ لنشر الرفض اليوم في اليمن، إنما تأتي من بلاد العجم، إضافة إلى وسائل إعلامهم الفاعلة ومشاريعهم المتنوعة، وأساليب التقية التي يستخدمونها في شتى المجالات، وتشجيع الصليبيين لهم واليهود - باعتبار الرفض أقلية - لينخروا في أمة المليار، ولذلك عملوا - أي اليهود والنصارى - ويعملون نكاية بأهل السنة، والمسلمون جلُّهم سنة، أي نكاية بأهل الإسلام.

بعبارة أخرى، عمل اليهود والنصارى على تمكين الروافض في لبنان، وفي أفغانستان، ويسعون لتمكينهم في العراق وفي الخليج وفي اليمن وغيرها من البلاد وسط جعجات وطققات يحسنها الروافض في وسائل الإعلام بسبب الشيطان الأكبر، وإدانة الاستكبار العالمي كما يقولون، وهم مع الاستكبار العالمي والشيطان الأكبر في خط واحد ضد أمة الإسلام، تمامًا كما كانوا في القرون الأولى حلفاء للصليبيين وللتتار ضد أمة الإسلام.

وكما حفظ الله الإسلام عبر القرون من خطر هؤلاء وأمثالهم، فسيظل الإسلام كذلك محفوظًا من هؤلاء وأمثالهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في سائر البلاد التي شرفها الله بالإسلام، ومن ذلك أرض اليمن المشهود لها من الرسول ﷺ بالحكمة والإيمان، وأنها ستكون من معاقل الإسلام في آخر الزمان، وذلك في نصوص نبوية عديدة صحيحة.

ولقد رزحت أرض الكنانة -مصر- ثلاثة قرون تحت كابوس العبيدين الروافض ثم زالوا عنها بفضل الله كما تزول الشعرة عن العجين، وعادت أرض الكنانة إلى حوزة أهل السنة كما كانت، ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، والمسلمون موعودون في آخر الزمان عند عودة الخلافة الراشدة بأنهم يغزون بلاد العجم، فيفتحها الله، وذلك كما في الحديث الذي رواه مسلم، فبلاد العجم -إن شاء الله- عائدة إلى أهل السنة كما عادت مصر من قبل.

وإني لأنصح الْمُغَرَّرَ بِهِمْ ولا سيما الشباب الذين خدعهم الإعلام الرافضي أن يتمتعوا في قراءة هذا الكتاب الذي ألفه أحد أعلام العترة في اليمن؛ ليعلموا من خلاله أين هو معسكر العترة الحقيقيين؟ وأتوجه إلى الله العليّ القدير أن يجزي مؤلف هذا الكتاب خير الجزاء، وأن يجزي كذلك الأخ الكريم الأستاذ عبد الرحمن العلمي الأجر المضاعف والثواب الجزيل، فهو الذي بذل الجهود المضنية وبحث ونقب، وسعى ودأب، حتى أخرج لنا هذا السُّفر المتميز، المهم النافع، وحلّاه

بالهوامش والتعليقات المفيدة الواسعة، ورَفَّده من بين يديه ومن خلفه بالمقدمات والفصول المهمات، والفهارس والترتيبات، وجاءنا بكتاب المصنف ومثله معه أو أكثر، بثوب قشيب وإخراج طيب، وأسلوب سهل قريب، ونقلنا إلى عصر المؤلف حتى كأننا نعيش فيه، وطاف بنا في بطون الكتب، فجاءنا بدُرر المعلومات، ونوادر الفوائد، فأثابه الله ونفع بجهوده وجهود المؤلف، ورزقنا جميعًا وسائر إخواننا رتبة الحب في الله، والبغض في الله، وموالات أولياء الله، ومعاداة أعداء الله، وجنبنا العصبيات الضيقات والحزبيات الماحقات، وأدخلنا برحمته في عباده الصالحين المنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، ولا جعلنا من المنافقين، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتبه

العبد الفقير الفاني:

محمد الصادق المفلس المراني

صنعاء في ١٧ رمضان المبارك سنة ١٤٢٣هـ، ٢٢/١١/٢٠٠٢م



■ مقدمة التحقيق ■

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وعلى التابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد هياً لهذه الأمة في كل عصر علماء عاملين أتقياء، يحمون دينه وشريعته، وينهجون هدي رسوله ﷺ، ويذبون عن حرماته وأوليائه، ويقمعون شوكة أعدائه الحاقدين على دينه ويكسرونها، بالدلائل والبراهين الدامغة، ومن بين هؤلاء البدور الساطعة من العلماء، عالم عاش في القرن الحادي عشر الهجري في اليمن، عاش منقطعاً للعلم تعلماً وتعليماً وتصنيفاً، وإفتاءً، وإنصافاً، ومؤرخاً، وزاهداً، ذلكم هو الإمام العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد -رحمه الله، وطيب ثراه، وجعل الجنة مأواه- وكانت بداية تعرفي على شخصية هذا العالم وسيرته وجهوده العلمية، ما قرأت عنه في بعض كتب التاريخ الحديثة في اليمن خصوصاً الموسوعة التي صدرت للقاضي إسماعيل بن علي الأكوح -حفظه الله- باسم (هجر العلم ومعاقله في اليمن)، وإطلاعي على ترجمته في كتاب (البدرة الطالع)، للإمام الشوكاني، ولمحت من خلال قراءتي للترجمة ذكر بعض تصانيفه؛ ومنها رسالة بعنوان (الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى ﷺ) دافع فيها عن الصحابة رضي الله عنهم، وخطر في بالي سؤال، هو:

كيف لو سألت عن هذه الرسالة في دار المخطوطات جوار الجامع الكبير بصنعاء، لعلك ستعثر عليها، فتقوم بتحقيقها؟ واستبعدت ما تضمنه هذا الخاطر البعيد؛ لأنني لست من أهل هذا الشأن، وتردد هذا الخاطر مراراً وتكراراً، فقوي العزم على البحث عن مخطوطة لهذه الرسالة، وذهبت إلى دار المخطوطات،

وتصفحت الفهرس، فوجدت اسم الرسالة فيه، فكدت أن أطير شوقاً إلى الحصول عليها بأي وسيلة كانت، وأقدمت على الطلب في استخراج المخطوطة بإلحاح على القائمين على الدار وتصويرها، وتمت الموافقة منهم على تصويرها في ميكروفيلم، وزاد انقذاح زناد العزم عندي اشتعلاً من خلال رؤيا منامية حدثت لي بعد مرور شهرين تقريباً؛ وذلك أنني رأيت في المنام كائني واقف في غرفة بجوار بيت وهي مبنية بناء على طراز البناء القديم من الحجارة والطين والأخشاب وفناؤها من الطين، ووقفت متلفتاً في فناء الغرفة الواسعة، وكأني تذكرت أن لي عهداً بهذه الغرفة منذ صباي وأنا في القرية، وهي لرجل اسمه (يحيى) وقد توفي سابقاً -رحمه الله- وخلال لفتاتي في جوانب الغرفة وقعت عيني على زاوية من زواياها، وفي الزاوية إنسان مضطجع ومتدثر بغطاء كما يتدثر النائم، ولم يظهر من جسمه شيء، فبادرت إلى مكان هذا النائم، وكشفت الدثار الذي عليه، فحاول النهوض من مضجعه، ولكنه لم يستطع لكبر سنه وضعف جسمه، فأمسكت به ورفعته من مكانه حتى استوى واقفاً، وإذا هو رجل عليه سيما العلماء، وعليه البهاء والوقار، وعليه ملابس بيضاء، قميص وعمامة كعلماء صنعاء وله لحية كثة بيضاء، وكأنه يشكرني، ويعترف بأنني قد صنعت له معروفاً.

فأجبتة بعبارة، هي: «هكذا ينبغي لنا أن نكرم علماءنا»، ثم استيقظت متنبهاً.

وفسرت الرؤيا أن هذا العالم هو العلامة يحيى بن الحسين -رحمه الله- ومساعدتي له على النهوض، هو ما سأقوم به من تحقيق هذه الرسالة، ولعل تحقيق هذه الرسالة سيكون بداية لظهور هذا العالم للناس وظهور شخصيته وسيرته العلمية التي لاتزال محجوبة عن الأنظار، ولعل الله تعالى يهيئ من الباحثين المنصفين من يتتبع مؤلفات هذا العالم المنسي، ويقوم بالتنقيب عنها وتحقيقها ونشرها.

وكانت بداية سيرتي في تحقيق هذه الرسالة كالذي يشعر بالخيال، وكنت أتساءل مع نفسي: هل سيتحقق هذا الخيال وهذا الحلم؟ ولقد يسر الله لي -فله كل حمد

وشكر- تصوير الأربع مخطوطات للرسالة، ونسخها إلى أوراق مصورة واضحة، وكلما كنت أجد صعوبات في سير التحقيق- حتى كادت هذه الصعوبات أحياناً أن توقفني- أجدّها فيما بعد تيسر لي، وكلما تابعت الصعوبات تيسر لي التغلب عليها، حتى وصلت -بحمد الله تعالى- إلى هذا الوقت الذي أضع فيه هذه اللمسات الأخيرة من تحرير هذه المقدمة، ووضع الفهارس؛ وقد مهدت لهذا التحقيق بستة فصول، هي:

- ١ - بدعة سب الصحابة ﷺ .
- ٢ - سيرة المصنف يحيى بن الحسين .
- ٣ - الحياة السياسية في عصره .
- ٤ - الحياة العلمية والأدبية .
- ٥ - الحياة الاجتماعية .
- ٦ - رسالة (الإيضاح لما خفا...).

تناولت في الفصل الأول: ذكر نشأة بدعة سب الصحابة، ونزاهة أهل البيت منها، وفي مقدمتهم الإمام علي ﷺ، وهجرة بعض علماء السنة أوطانهم بسبب انتشار سب الصحابة، وصوراً من جهل الرافضة وظهور دول ساعدت على انتشار سب الصحابة، وحاولت في هذا الفصل إيراد بعض أسباب تسرب مذهب الرافضة إلى اليمن، وانتشاره في عصر المصنف وابن الأمير والشوكاني، وذكر مساوئ من أصيب بداء الرافضة وسوء خاتمته، وختمت الفصل بذكر أشخاص كانوا في مذهب الرافضة ثم تابوا منه.

وتناولت في الفصل الثاني: سيرة المصنف يحيى بن الحسين، ومنها حياته وصفاته الخلقية، ومكانته العلمية، وتحصيله العلمي، ومذهبه وعقيدته وأسرته وشعره ووفاته، وعيشه، ونصحه لولاة الأمر، وثناء العلماء عليه، وإنصافه، ومشايخه، وتلامذته، وختمت هذا الفصل بذكر مؤلفاته.

واستعرضت في الفصل الثالث: الحياة السياسية في عصر المؤلف مبيناً الأئمة، وحكمهم، خصوصاً الذين عاصروا المصنف، ابتداءً من الإمام المؤيد في الدولة القاسمية، حتى حكم الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل، ومزايا كل حاكم منهم والعكس.

وفي الفصل الرابع: تناولت الحياة العلمية والأدبية وأهم أسباب ازدهارها، وعززت ذلك بشواهد علمية وأدبية.

وحاولت أن أتحدث عن الحياة الاجتماعية في الفصل الخامس، موضحاً العادات في تلك الفترة، ووسائل المعيشة، وغيرها، وما طرأ على العقائد من الشعوذة، والتنجيم، والأباطيل المستحدثة التي جرى عليها الناس.

والفصل السادس: أفردته للحديث عن رسالة: (الإيضاح لما خفا) وهي هذه الرسالة التي بين يديك، وقد جرى الحديث في هذا الفصل عن قيمتها، والتفاوت في عناوينها وأسبابه، وسبب تصنيف المصنف لها، وختمت الحديث بذكر وصف المخطوطات الأربع.

ثم بعد ذلك: عشت مسائراً ومرافقاً لفارس هذه الرسالة، ومؤلفها، العلامة يحيى بن الحسين -رحمه الله- في رحلته، ومنتقلاً معه بفكري من مشهد إلى مشهد، وهو يطوف بي النجود والأغوار، ويخوض بي الغمار، حاملاً سلاحه وعدته، تارة يدافع عن الفضلاء الأكابر من علماء الزيدية والهادوية، وأعلام أهل البيت، ينزههم في مواقفهم من الصحابة عن السب والشتم، وتارة يورد الأدلة والبراهين العقلية والعقلية التي تدمغ المتعصبين والرافضة، وتارة يدافع عن أعراض الصحابة عليهم السلام -وما أكثر ذلك- فهو يدافع من بداية الرسالة حتى نهايتها عن أعراض الصحابة عليهم السلام دفاع الأبطال؛ فلا يدع للحاقلدين مدخلاً أو مأخذاً أو شبهة من دليل، وحشت الخطأ بعد هذا الفارس، باذلاً ما استطعت في وضع تراجم لأعلام الرسالة، وشارحاً لمفردات لغوية تحتاج إلى حلٍّ ألفاظها، ومعقبات على بعض المسائل ما شاء الله

لي ذلك، ومخرجاً لأحاديث مبيّناً صحيحها من سقيمها، ولم أفارق هذا الفارس بعد إتمامي لتحقيق هذه الرسالة، فلا يزال ماثلاً في الفؤاد، أحبه في الله، وأحب كل عالم مسلم سلك سبيل الرشاد، ونبذ الباطل والعناد، وسلك طريق الإنصاف والساداد.

وإذا كان لي من شكر أذكره لأحد، فأخص بالشكر القاضي المؤرخ إسماعيل ابن علي الأكوع - حفظه الله - فقد أتحفني ببعض المراجع الهامة، وبآرائه الحسنة، ومن الذين أخصهم بالشكر الإخوة العاملين في دار المخطوطات جوار الجامع الكبير بصنعاء، وفي مقدمتهم الأستاذ/ عبد الملك المقحفي، على تعاونهم معي في استخراج المخطوطات الثلاث وتصويرها، ومن الذين أشكرهم الأستاذ/ عبد الله الوشلي، أمين المكتبة الغربية للجامع الذي تفضل بتصوير المخطوطة الرابعة، كما أشكر من أعانني على التحقيق برأي ومشورة، فإن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، كما جاء في حديث صحيح رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١).

ولا أنسى في ختام هذه المقدمة أن أدعو الباحثين من طلبة، وطلبة الجامعات أن يبذلوا جهودهم في البحث والتنقيب عن مؤلفات هذا العالم الجليل، الذي لاتزال مؤلفاته محجوبة مخطوطة، ولعل الله تعالى يهيئ لها من يقوم بتحقيقها ونشرها.

وأقول أخيراً مختتماً، ومتأسياً بإبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل، عليهما وعلى نبينا محمد وسائر المرسلين الصلاة والسلام: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

ويأبها الناظر إلى عملي في هذه الرسالة كن ناظراً فيها بعين الإنصاف وحسن الظن، ولعلك قرأت ما قاله أبو القاسم الحريري - رحمه الله -:

(١) رواه أحمد (٧٩٣٩، ١٩، ٨٠)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٥)، بلفظ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

وإن تجد عيباً فسد الخللا
فجّل من لا عيب فيه وعلا

والحمد لله كما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.

صنعاء، ضحوة الأربعاء ٢٥ من رجب ١٤٢٣هـ، ٢/١٠/٢٠٢٠م.

الفقير إلى ربه

عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي

■ كلمة لا بد منها ■

بعد تبييض هذه الرسالة وفراغي منها، وبعد عرض صورتها على بعض المشايخ الكرام، وأخص بالذكر والشكر منهم الأستاذ الكريم الشيخ محمد الصادق - حفظه الله وسدده - فإنه أتحفني بملاحظات كثيرة، وتبیهات مهمة: لغوية، وتعبيرية، وحديثية وغيرها- فجزاه الله خير الجزاء- ومن أهمها: التنبيه على تغيير وتعديل في عنوان الرسالة، من العنوان: «الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى»، إلى العنوان: «الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى»، وإبدال حرف واحد من حروف كلمة في العنوان، وهو حرف الياء في كلمة (خفي) إلى ألف، فتصير الكلمة هكذا: (خفا)، وقد فصل العلامة اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) مادة الفعل (خفي)، وذكر له ثلاثة تصاريف^(١)، فقال:

١ - خَفِيَ الشيء يَخْفَى، وَأَخْفَيْتَهُ، وهو في خِفْيَةٍ وَخَفَاءٍ، ويقولون: برح الخفاء: أي وضح الشر وبدا.

٢ - خَفَا البرقُ خَفَوْا إذا لمع.

٣ - ويقال: خفيت الشيء، إذا أظهرته بغير ألف، وخفا المطر الفأر من حجرتين: أخرجهن، قال امرؤ القيس:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ سَحَابٍ مُرَكَّبٍ

انتهى.

فأنت ترى التصاريف الثلاثة للفعل (خفي)، فالأول والثاني فعلان لازمان؛ الأول بمعنى (وضح) ولامه ياء، والثاني بمعنى (لمع) ولامه ألف، والثالث فعل متعد بمعنى (أظهر) ولامه ياء، وقد وقع اختيارنا على التصريف الثاني (خفا).

ولما فرغت من جمع هذه الرسالة وكتابتها عثرت على كتاب طبع حديثاً، هو:

(أئمة العلم المجتهدون في اليمن)، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوخ^(١)، ذكر خلال ترجمته للعلامة الحسن بن أحمد الجلال - رحمه الله - كلاماً منقولاً من كتاب (بهجة الزمن) للمصنف يحيى بن الحسين، فقال: «وكان متحاملاً أحياناً على الجلال»، وذكر أمثلة من هذا التحامل نلخصها فيما يلي:

— منها: قول الجلال: إن الإجماع ليس بحجة، وأنه لا يحتاج بالآحاد وإن صح الإسناد.

— ومنها: أنه لا يحتاج إلا بالتواتر، وما لم يجده فبالبراءة الأصلية، ومنها سب عثمان رضي الله عنه.

ومسائل أخرى، ثم نقل القاضي إسماعيل رداً على هذه المسائل المنسوبة إلى الجلال من ذلك ردّ للعلامة القاضي محمد بن أحمد الجرافي، يتضمن الرد نزاهة العلامة الجلال مما نسب إليه مما ذكر آنفاً، وأنها ليس لها أي ذكر أو أي إشارة في مصنفات الجلال، وتفتقر إلى نقل صحيح، ثم نقل القاضي إسماعيل نقلاً عن العلامة عبد الله بن علي الوزير التشكيك فيما نسب إلى الجلال.

وجوابنا عن هذا التحامل إن صحت نسبته إلى المصنف يحيى بن الحسين ما يلي:

١ - أن هذا التحامل إن سلمنا أنه تحامل من المصنف على الجلال؛ فإنه لا يؤثر في محاسنه وعلمه وفضله، وهي هفوات يسيرة لا تكدر بحر علمه ومحاسن فضله وإنصافه.

٢ - أن هذا التحامل إن كان تحاملاً يندرج تحت ما يسميه العلماء النقاد: ما يجري بين الأقران أحياناً من نقد أحدهما للآخر، أو تجريحه، وهذا مما ينبغي التوقف فيه.

٣ - يحتمل أن العلامة الجلال كان يرى هذه المسائل قبل أن يتحول إلى العمل بالدليل، وتلقى ذلك المتعصبون وعملوا على إشاعة هذه المسائل بين الناس، ووصلت عن طريقهم إلى المصنف - رحمه الله - فسبق قلمه في كتابتها بدون تمحيص وروية، رحم الله المصنف والجلال فقد أفضيا إلى ما قدما.

حرر ضحوة يوم السبت ٣ من شهر شوال سنة ١٤٢٣ هـ، ٧/١٢/٢٠٠٢ م

الفقير إلى ربه

عبد الرحمن بن عبد القادر المعلمي

* * *

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

[illegible]

ما لتسا ليني عن رجلا اعلم رجلا كان يحب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي رضي الله عنه وانا في رضى امره
 فانت اجد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امراته افرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وعنه عبد الله بن بريدة
 عن ابيها اكان يحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة ومن الرجال علي رضي الله عنه في رضى امره الحاكم في
 المسند ترك وقال صحيح الاسناد وعنه سليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الحسن والحسين ابني
 من احبهما احبني ومن احبني احبني الله ومن احبني الله ادخل الجنة ومن ابغضني ابغضني الله ومن ابغضني الله
 ابغضني الله ومن ابغضني الله ادخل النار وعنه عاصم بن النضر قال سمعت ابا عبد الله رضي الله عنه يقول اني سئلت ابا عبد الله رضي الله عنه
 احب الي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نسبه قالت فاطمة قبل من الرجال قلت زوجها ان كان ما كنت صورا ما
 اخرجه الحاكم في مسنده وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه والله اعلم

انتهى نقل هذا الكتاب الكليل رفيع القفا عن صلي الله عليه وسلم في رضى امره
 يوم الخميس من شهر ربيع الاول عام ست وتسعين واربعمائة
 شمس الحنفية المذنب محمد بن عبد الله بن عبد الله
 عمر السقاية بنقراه ونور مشكاة
 بصيرته بنور هدهد

الايضاح لما خفا من الاتفاق على تقطيع
 صحابه المصطفى صلى الله عليه
 واله وسلم جمع مولانا السيد العالم
 العلامة يحيى بن الحسين بن
 امير المؤمنين المنصور بالله التقي
 نعمت الله عليه
 امين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المكتبة في طرابلس
 المكتبة في طرابلس
 المكتبة في طرابلس

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي أكرم بهذه الأمانة الشريف وعظمها على سائر الأمم بالدين
 الحنيف والصلوة والسلام على سيدنا محمد أكرم الأنبياء المرسلين
 وأفضل من ينطق من الأولياء والصدوقين وعلى آله الطاهرين طهارة
 من الساعين والمقتصدين وبعد فإنما كثرة الاختلاف في ثلثان
 الصحابة وما زال في هذه العصور يتجدد من غير أصالة بل هو بيان ما
 عليه الزيد من الأئمة وسائر الأئمة إذا كان هذا الاختلاف فيهم من آثارهم
 ودوامهم على طريقهم وأما جهادهم فينا أقرهم في مشورهم وخطهم
 كالشقة على حسن الشاء على جهاد الصحابة الاتقاء وإن القليل يقال له أخذ
 فهم كالعدم لبعض إذا لم يكن في الأصل العالم من العلم إلا ما تفرد به للإمام
 أحمد بن حنبل في مقامه وسائر الزيدية كافر يرون خلافه في مقامه
 مع أنه لا ياتي ذكر تبريه جانباً منهم من غير من توقف كالأمر معلوم من
 ونصف ولقد ذكر بعض ما جاز من الصحابة في ذلك قوله تعالى لا تظلموا
 منكم عن أنفسكم وأخبرناهم فقال صلى الله عليه وسلم من أحب إليكم أن ياكل
 لم أخذ منكم هترة وقوله تعالى فماذا مشاء بنعيمها وما الاخوان كثير منها
 ما أخرجهم من محراب الحسين الحافظ في كتابه شريعة الاسلام خادع إلى
 جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا أخرج أحدكم
 الأمانة فليأخذها منه فإنه علمه فليأخذ العلم كاتم ما نزل الله عز وجل
 أخرجه من ذلك طريقاً من طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج من عساكر

فصحا

حب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاعلمه قبل من رجال
 كانت زوجها ان كان ما علمته صوماً قواماً اخرجته
 احكام في مستدركة وتاريخ حديث صحيح الاسناد ولم
 يخرجاه و الله علم انهم نقل هذا الكتاب اجليل
 رفع اخفا عن صحابه، مصطفى صلى الله عليه وسلم ليله ان رجا
 لسح عربيه خلت من ذي الحجة سنة ١٢٧٥ من الهجرة النبوية
 على صاحبها وعلى، فصل، سلم رسول الله عليه احمد واسم وسلم

قد علمت من هذا ما علمته فانه لا يكون
 ان ياخذ بنوا حينا في الحجة والبركة
 في علمه في علمه في علمه في علمه

۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱
 ۴۷۲
 ۴۷۳
 ۴۷۴
 ۴۷۵
 ۴۷۶
 ۴۷۷
 ۴۷۸

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

10/1/74

● الفصل الأول ●

بدعة سب الصحابة رضي الله عنهم

إن هذه الظاهرة الشنعاء لم تكن موجودة في خير القرون الذي شهد له بالخيرية رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عمران ابن حصين رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قال عمران بن حصين: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً - ثُمَّ إِنْ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»^(١).

إن الخير كل الخير فيما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وإن الدين كل الدين ما اتبعهم عليه صالحو التابعين، ثم مشى على آثارهم فيه التابعون لهم بإحسان، ومن أخط أكاذيب التاريخ زعم الزاعمين أن أصحاب رسول الله ﷺ كان يضمّر بعضهم العداوة لبعض؛ بل هم كما قال الله سبحانه عنهم: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^[الفتح: ٢٩]، وكما خاطبهم ربنا بقوله: «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى»^[الحديد: ١٠]، ولا يخلف الله وعده، وهل بعد قول الله عز وجل في سورة آل عمران: ١١٠: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...»، يبقى مسلماً من يكذب ربه في هذا؟! ثم يكذب رسوله في قوله: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...» الحديث؟!.

في صدر هذه الأمة حفظ الله كتابه بحفظته أميناً عن أمين، حتى أدوا الأمانة لربهم بعناية لم يسبق لها نظير في أمة من الأمم، فلم يفرطوا في شيء من ألفاظ

(١) رواه البخاري برقم (٢٥٠٩)، ومسلم برقم (٢٥٣٣)، وورد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو عند الإمام

أحمد في مسنده، وفي «سنن الترمذي»، وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها.

الكتاب على اختلاف الألسنة العربية في تلاوتها ونبرات حروفها، وتنوع حدودها، وإمالاتها إلى أدق ما يمكن أن يتصوره المتصور، فتمّ بذلك وعد الله عز وجل في {سورة الحجر: ٩}: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ومن صدر هذه الأمة تفرغ فريق من الصحابة والتابعين وتلاميذهم لحمل أمانة السنة، فكانوا يحصّون أحاديث رسول الله ﷺ، ويذرعون^(١) أقطار الأرض؛ ليدركوا الذين سمعوها من فم النبي ﷺ، فيتلقونها عنهم كما يتلقون أثمن كنوز الدنيا، بل كانت دار الإمارة في المدينة المنورة منتدى الفقهاء الأولين في صدر الإسلام يجتمعون إلى مروان ابن الحكم، فإذا عُزيت إلى رسول الله ﷺ سنة غير الذي كان معروفاً عندهم، أرسل مروان في تحقيق ذلك إلى من نسبت تلك السنة إليه من أصحاب النبي ﷺ، وأزواجه حتى يرد الحق إلى نصابه.

وبينما كان حفظة القرآن، وحملة السنة المحمدية يجاهدون في حفظ أصول الشريعة الكاملة، كان آخرون من أبناء الصحابة، وأبطال التابعين يحملون أمانة الإمامة، والرعاية والجهاد والفتوح، ويعملون على نقل الأمم إلى الإسلام، يُعربون ألسنتها، ويطهّرون نفوسها، ويسلكونها في سلك الأخوة الإسلامية؛ لتتعاون معهم على توحيد الإنسانية تحت راية الهدى، وتوجيهها إلى أهداف السعادة.

هكذا كان الحال في القرون الثلاثة الأولى التي امتدحها رسول الله ﷺ. ووصفها بأنها خير أمته، أما العصور التي أتت بعدهم، فإنّ المسلمين يتميزون فيها بمقدار اتباعهم للصدر الأول فيما كان عليه من حق وخير، وهم كما قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»^(٢)، رواه ابن حبان، وأحمد أيضاً من حديث عمار، ورواه أبو يعلى في مسنده من حديث علي بن أبي طالب، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، فأمة محمد ﷺ إلى خير في كل زمان ومكان؛ ما تحرّرت

(١) ذرع الطريق: قطعه بسرعة، كأنه يقيسه. ينظر: المعجم الوجيز (ذرع).

(٢) حديث صحيح قوي بطرقه وشواهده، انظر: «مسند أحمد» برقم (١٢٤٦١)، من حديث أنس.

الطريق الذي مشى فيه هداة القرون الأولى الثلاثة وتابعوهم فيه، بل يرجى لمن يقيم الحق في أزماننا كما أقامه الصحابة والتابعون في أزمتهم أن يبلغوا منزلتهم عند الله، ويعدّوا في طبقتهم، ولعلمهم المعنيون بقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد، والدارمي، والطبراني، وصححه الحاكم من حديث أبي جمعة، قال: قال أبو عبيدة: يا رسول الله، أأحدٌ خير منّا، أسلمنا معك، وجاهدنا معك؟ فقال ﷺ: «قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني»^(١)، وأوضح الحافظ أبو عمر بن عبد البر بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون: أنهم كانوا غرباء في إيمانهم؛ لكثرة الكفار في الأرض، وصبرهم على الهدى وتمسكهم به، إلى أن عمّ بهم في أرجائها، فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به، وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان، كما زكت أعمال أولئك، ويشهد له ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٢).

ومن غربة الإسلام بعد القرون الثلاثة الأولى ظهور مؤلفين شوّهوا التاريخ؛ تقريباً للشيطان أو الحكام، فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا إخواناً في الله، ولم يكونوا رحماء بينهم، وإنما كانوا أعداءً يلعن بعضهم بعضاً، ويمكر بعضهم ببعض، وينافق بعضهم بعضاً، ويتآمر بعضهم على بعض بغياً وعدواناً.

لقد كذبوا، وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضِيَ عنهم أسمى من ذلك، وأنبل للإسلام والرحم، وأوثق صلة، وأعظم تعاوناً على الحق والخير^(٣).

إن نشوء ظاهرة سبّ الصحابة رضِيَ عنهم، وظهور هذه البدعة الشنعاء في دين الله، يرجع إلى مؤسسها الأول؛ فقد ظهرت طبقة شبت على الغلو في الدين في ناشئة

(١) حديث صحيح، «مسند أحمد» برقم (١٦٩٧٦، ١٦٩٧٧).

(٢) مسلم برقم (٢٨٦٥).

(٣) نقلاً من (حملة رسالة الإسلام الأولون، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير، وكيف شوّه المغرضون جمال سيرتهم)، للكاتب الإسلامي محب الدين الخطيب، بتصرف.

الكوفة والبصرة والفسطاط، ومن أكبر المصائب في الإسلام في ذلك الحين تسلط إبليس من أبالسنة اليهود على الطبقة الثانية من المسلمين، فظاهر لها بالإسلام، وادعى الغيرة على دين الله والمحبة لأهله، هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ اليهودي، وإن كان من الرافضة من يدعي أن هذا الرجل رجل وهمي؛ فإن هذا الادعاء يردّه أدلة، لا من أدلة أهل السنة والجماعة، بل هو مذكور في مصادر الرافضة أنفسهم، كما ذكر ذلك الشيخ حسين الموسوي في كتابه: (لله ثم للتاريخ)، هذا الرجل عبد الله بن سبأ بدأ يرمي شبكته في الحجاز والشام، فلم تعلق بشيء بسبب تشبههم بفطرة الإسلام في اعتداله ورفقه، فذهب الرجل يتنقل بين الكوفة والبصرة والفسطاط، ويقول لحديثي السنّ وقليلي التجربة من شبابها: عجب لمن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ {القصص: ٨٥}، فمحمّد أحق بالرجوع من عيسى، وكان يقول لهؤلاء الشبان: «كان فيما مضى ألف نبي، ولكل نبي وصي، وإن علياً وصي محمّد»^(١)، ثم يقول لهم محرّضاً على عثمان؛ وكان ذلك في أواخر خلافة عثمان سنة ٣٠هـ: «ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله، وممن يثب على علي وصي رسول الله، فانهضوا فحرّكوه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس».

إن هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ، من يهود (صنعاء) وكان يسمى ابن السوداء، وكان يبيث دعوته بخبث، وقدرة، وبدهاء، واستجاب له ناس من مختلف الطبقات، فاتخذ من بعضهم دعاة، فهموا أغراضه، وعوّلوا على تحقيقها واستكثر أتباعه بآخرين من البلهاء الصالحين المتشدددين في الدين، المستنطعين في العبادة، ممن يظنون الغلو فضيلة، والاعتدال تقصيراً، فلما انتهى ابن سبأ من تربية نفر من دعائه

(١) يعلق محب الدين الخطيب، قائلاً: «ورواية هذه الحقائق عن ابن سبأ، اتفق أهل السنة والشيعة عليها»، وقد نقلنا مثل هذا عن (تنقيح المقال) للمامقاني (٢/ ١٨٤)، ونقله المامقاني عن الكشي، من كبار أئمتهم، وقد اعترفوا بذلك أن وصف علي بأنه «وصي» من اختراع ابن سبأ، ولا علم للنبي ﷺ بهذا الوصف لعلي؛ لأنه اختراع في خلافة عثمان.

الذين يحسنون الخداع، ويتقنون تزوير الرسائل، واختراع الأكاذيب، ومخاطبة الناس من ناحية أهوائهم، بث هؤلاء في الأمصار خاصة الفسطاط، والكوفة، والبصرة، وخص بالتأثير على أبناء الزعماء من قادة القبائل، وأعيان المدن الذين اشترك آبائهم في الجهاد والفتح، فاستجاب له من بلهاء الصالحين، وأهل الغلو من المتنطعين جماعات، على رأسهم في الفسطاط: الغافقي بن حرب العكي، وعبد الرحمن ابن عديس البلوي التجيبي الشاعر، وكنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، وسودان ابن حمران السكوني، وعبد الله بن زيد بن ورقاء الخزاعي، وعلى رأس من استغواهم ابن سبأ في الكوفة: عمرو بن الأصم، وزيد بن صوحان، والأشتر مالك بن الحارث النخعي، وغيرهم، وآخرون من البصرة^(١).

ويتضح مما سبق أن بداية ونشأة ظاهرة وبدعة سب الصحابة كان اتباعاً وتقليداً لما قام به ابن سبأ وأتباعه، من طعنهم في الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، وقتله، مما أدى إلى الوقوع في أعراض الخليفتين السابقين له: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفي أحاديث نبوية - وإن كانت لا تصل إلى درجة الصحاح عند أهل الحديث - مما يشير إلى أنه سيظهر صنف من الناس يدعون الرافضة، ويحسن أن نورد هنا كلاماً حسناً ذكره الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه: «إشار الحق على الخلق»^(٢)، وهو استدلال قوي خصوصاً أنه من مصدر يحتج به الخصم، قال ما لفظه: «ومنها أحاديث كفر الروافض، وقد وردت ورويت من طرق كثيرة على غرابتها وخلو دواوين الإسلام الستة منها، فرويت عن علي عليه السلام، وفاطمة والحسن عليهما السلام، وابن عباس، وأم سلمة رضي الله عنها، وروى الإمام الهادي منها حديث الحسن عليه السلام في كتاب (الأحكام) في كتاب: الطلاق منه، في باب: من طلق ثلاثاً، وقد ذكر الإمامية، فقال ما لفظه: وفيهم ما حدثني أبي وعمامي محمد والحسن عن أبيهم القاسم عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام عن النبي صلی الله علیه وسلم، أنه

(١) انظر: «حملة رسالة الإسلام الأولون...»، لمحب الدين الخطيب، مرجع سابق.

(٢) ص: (٤٢١، ٤٢٣).

قال: «يا عليُّ يكونُ في آخر الزمان قومٌ لهم نَبَزٌ يَعْرِفُونَ به، يُقالُ لهم: الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم، قتلهم الله تعالى؛ فإنهم مشركون» انتهى بحروفيه. ولا أعلم في الأحكام إسناداً متصلاً مسلسلأ بأهل البيت عليهم السلام سواه، إلا أن يكون مرسلأ أو مقطوعأ، أو مدخلاً فيه غيرهم من الرواة، وقد أحبت سياق هذا الإسناد لهذا المتن لجلالة رواته، واختصرت أسانيد سائر الأحاديث، ثم سرد الإمام محمد بن إبراهيم أحاديث، يذكر لها طرقاً أخرى من كتب السنة^(١).

إن هذا الحديث، خصوصاً وأن من رواه إمام هو أول إمام للهادوية في اليمن: الإمام يحيى بن الحسين، يشير إلى ظهور الروافض مستقبلاً، بل إن بعض الروايات أو الحكايات تشير إلى ظهور سب الصحابة في عصر الإمام علي رضي الله عنه، واستنكاره لهذا السب، فقد نقل القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريفي في كتابه: «الجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي»، قال: «ثم وجدته عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال -وقد ذكر له أن أناساً يشتمون أصحابه-: قاتلهم الله، أيشتمون قومأ -يعني: الصحابة- أسلموا من مخافة الله عز وجل، وأسلم الناس من مخافة أسياهم»^(٢)، دل هذا الأثر على أن بداية بدعة سب الصحابة رضي الله عنهم ظهرت في حياة وعصر علي رضي الله عنه^(٣).

موقف الإمام علي رضي الله عنه من هذه البدعة:

إن موقف الإمام علي رضي الله عنه من ظاهرة سب إخوانه الصحابة رضي الله عنهم، موقف واضح يسطع منه صفاء الأخوة الصادقة، والمودة، والعدل، والإنصاف، وإن افترى الأفاكون والحاقدون عليه ما لم يصدر منه، ففضله وتقواه وورعه وزهده يأبى ذلك أشد الإباء.

(١) ستأتي أحاديث عن ظهور الرافضة، ومنها ما سنده حسن إن شاء الله.

(٢) انظر: «إيثار الحق على الخلق» في الصفحات المشار إليها قريباً، وسيورد المصنف أحاديث نحو هذه.

(٣) (٣/٢) (٣٩١).

لقد تواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه كان يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»، روي عنه هذا من أكثر من ثمانين وجهًا، ورواه البخاري وغيره، ولا يوجد تاريخ في الدنيا لا تاريخ الإسكندر المقدوني، ولا تاريخ نابليون، صحت أخباره كصحة هذا القول -من الوجهة العلمية التاريخية- عن علي ابن أبي طالب، وكان عليه السلام يقول: «لا أوتى بأحد يُفَضِّلُنِي على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري»، أي أن هذه الفرية توجب على صاحبها الحد الشرعي، ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر، وقد نقل عبد الجبار الهمداني في كتاب: (تثبيت النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخي، قال في كتاب (النقض على ابن الراوندي): «سأل سائل شريك بن عبد الله، فقال له: أيهما أفضل؟ قال: أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟ فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعيًا، والله لقد رقي هذه الأعواد علي عليه السلام، فقال: «ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»، فكيف نرد قوله؟ وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذابًا...».

وفي ترجمة يحيى بن يعمر العدواني من (وفيات الأعيان) لابن خلكان، أن يحيى بن يعمر كان عداده في بني ليث؛ لأنه كان حليفًا لهم، وكان شيعيًا من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم، ثم ذكر قصة له مع الحجاج بن يوسف، وإقامته الحجة على أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، مستشهدًا بآية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ - أي لإبراهيم - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٥]، قال يحيى بن يعمر: وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلى الله عليه وسلم، فأقره الحجاج على ذلك، وكبر في نظره، وولاه القضاء على خراسان مع علمه بتشيعة المعتدل، ففي هذا الموقف يعتبر الحجاج أكثر إنصافًا من هؤلاء الرافضة الذين جاؤوا في زمن السوء؛ فصاروا يتعرضون لأهل السابقة والخير في الإسلام، ومن فتحت أقطار الأرض على أيديهم، ودخلت الأمم في الإسلام بسعيهم ودعوتهم وبركتهم،

وبالرغم من كل ذلك يتعرضون لسيرتهم بالمساءة كذباً وعدواناً، ويرضون لأنفسهم بأن يكونوا أقل إنصافاً وإذعاناً للحق حتى من الحجاج بن يوسف.

وإن خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في نعت أخيه الصديق أبي بكر يوم وفاته^(١)، من بليغ ما كان يستظهره الناس في الأجيال الماضية، وفي خلافة عمر دخل علي رضي الله عنه في بيعته أيضاً، وكان من أعظم أعوانه على الحج، وكان يذكره بالخير ويثني عليه في كل مناسبة.^(٢)

إن هذه الظاهرة السيئة، والبدعة النكراء، التي سنّها اليهودي عبد الله بن سبأ من سب الصحابة والإساءة إليهم، عليه إثمها وإثم من عمل بها من بعده، كما أن من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده؛ ومنذ ذلك العصر امتدت خيوط هذه البدعة، وأصبح لها فرقة ضالة تشرّ أباطيلها، وأنصارٌ يزينون هذا الضلال، يستمتعون ويتلذذون بسبب خير القرون، ويطلق عليهم مذهب الرافضة، وقد تظاهرت روايات متعددة لدى المؤرخين أن بداية تسميتهم باسم الرافضة، هو في عصر الإمام زيد بن علي -رحمه الله تعالى- لما جاء إليه جماعة من هذه الفرقة الحاقدة يطلبون منه التبرّ من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكنه -أي الإمام زيد- ما مال عن الحق والعدل والإنصاف قيد أنملة، ولم يلتفت إلى ما قاله هؤلاء السفهاء، روى الإمام الذهبي في ترجمة الإمام زيد في (سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٥)، قال: «جاءت الرافضة زیداً، فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرک، قال: بل أتولاهما، قالوا: إذن نرفضک، فمن ثمّ قيل لهم: الرافضة، وأما الزيدية، فقالوا بقوله، وحاربوا معه»، ثم قال الذهبي: «وذكر إسماعيل السدي عن زيد بن علي، قال: الرافضة حزبنا مرقوا علينا».

من خلال هذا النص يتبين لنا أن رجال الزيدية الخلّص هم الذين تواترت عنهم

(١) سيورها المصنف في هذه الرسالة.

(٢) من كلام محب الدين الخطيب، بتصرف، مرجع سابق ص ١٢.

الأخبار، والأدلة والشواهد والنقول بالترضي عن أصحاب رسول الله ﷺ، كما هو دأب إمامهم زيد -رحمه الله- وأن الرافضة ليست من الزيدية، وتظاهروا بحب أهل البيت كذباً وزوراً لا ينفعهم، فأهل البيت منهم براء:

وَكُلُّ يَدْعِي وَصَلًا لِلْيَلَى وَلَيْلَى لَا تُقَرِّ لَهُمْ بِذَاكَ

ثم نقل الحافظ في نفس الصفحة من الترجمة حادثة وقصة أخرى جرت لمثل هؤلاء غواة الرافضة مع الإمام جعفر الصادق -رحمه الله- مشابهة لما جرى للإمام زيد معهم، فقال: قال عباد الرواجني: أنبأنا عمرو بن القاسم، قال: دخلت على جعفر الصادق، وعنده ناس من الرافضة، فقلت: إنهم يبرؤون من عمك زيد، فقال: برأ الله ممن تبرأ منه، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، ما تركنا وفينا مثله، وسترى في هذه الرسالة للمصنف -رحمه الله تعالى- كثيراً من الأدلة والشواهد والحقائق التي نقلها عن الزيدية وأكابرهم وعلمائهم وفضلائهم في الترضي والثناء على الصحابة.

صور من جهل الرافضة:

من جهل الرافضة وسوء فهمهم، وفساد فكرهم، وسوء أدبهم، ما يتضح في الأمثلة الآتية:

١ - ذكر عن الإمام الشعبي - رحمه الله- أنه ذكر يوماً الروافض، فقال: «لو كانوا من الدواب لكانوا حُمُرًا، ولو كانوا من الطير لكانوا رَحَمًا، وإنما خصت الرحمة من بين الطير؛ لأنها أَلَمُ الطير، وأقذرها طعمًا، ولأنها تأكل العذرة (البراز)؛ ولأنها معروفة بالغدر، قال الشاعر:

يَا رَحَمًا قَاظَ عَلَى مَطْلُوبٍ يَعَجَلُ كَفَّ الْحَارِيَّ الْمَطِيبِ^(١)

(١) «مجمع الأمثال» للميداني (٢/٣٢٣).

٢ - ومن ذلك: ما تزعمه الرافضة أن علياً رضي الله عنه قاتل الجن في بني المصطلق، وهذه فرية ليست وحدها، بل من عدد جم من الافتراءات.

يرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الفرية، فيقول: «إنها لم تثبت سنداً ولا متناً، وأن علياً رضي الله عنه أجل قدرًا من أن تثبت الجن لقتاله، بل كان الجن المؤمنون يقاتلون الجن الكفار، ويحكي عن رجل من أهل العلم هو أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي - رحمه الله - لما سأله بعض الشيعة عن قتال الجن، فقال: أنتم معشر الشيعة ليس لكم عقل، أيهما أفضل عندكم عمر بن الخطاب، أو علي بن أبي طالب؟

فقالوا: بل علي.

فقال: إذا كان الجمهور يروون عن النبي ﷺ، أنه قال لعمر: «ما رَأَى الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا؛ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»، فإذا كان الشيطان يهرب من عمر، فكيف يقاتل علياً؟^(١)

ومن سوء أدب الرافضة إلى أهل البيت: أنهم ينالون بألستهم الحداد من أهل البيت، ويزعمون أنهم يحبون أهل البيت، وكما جاء في المثل: (أهل مكة أدرى بشعابها)، فإن هذا المثل مناسب لما ذكره أكبر علمائهم في العصر الحديث، وهو السيد حسين الموسوي، الذي تاب من مذهب الرافضة، وما سجله في كتابه: (لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار)، فقد أفرد المؤلف في هذا الكتاب في الصفحات (١٤-٢٨) بابًا جمع فيه مساوئ الرافضة نحو أهل البيت، وفي مقدمتهم الإمام علي رضي الله عنه، فقد نقل الموسوي في (ص ١٤) قولاً للإمام علي رضي الله عنه، يقول فيه: «يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أنني لم أعرفكم ولم أركم...» إلى آخر كلامه، ونقل المؤلف صوراً أخرى من الرافضة، تمتلئ بالإساءة لأهل البيت، وفي الكتاب العجب العجائب.

علماء من أهل السنة هاجروا فراراً من ظهور الرافض:

ولأن سب الصحابة عليهم السلام داء يفتك بجسم الإسلام وأهله فإن علماء من أهل السنة غادروا أوطانهم؛ فراراً بدينهم لانتشار مذهب الرافضة، وسنذكر فيما يلي من العلماء الذين ابتلوا بظهور الرافضة في أوطانهم:

— منهم العالم الكبير الحافظ الإمام محمد بن جرير الطبري الفقيه المفسر (ت: ٣١٠هـ) هذا العالم الذي قام برحلات واسعة في طلب علم الحديث وجاب الآفاق وطوّف، كان بعد هذه الأسفار قد رجع إلى بلده (طبرستان)، فوجد الرافض بها قد ظهر وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخصوصاً، وأنه قد وصل من يعتنق مذهب الرافضة إلى منصب الحكم فكانت هذه مصيبة كبرى، فوجد الإمام أبو جعفر الطبري في بلده (طبرستان) انتشار سب الصحابة بين أهل بلده، فأملى أحاديث في فضائل أبي بكر وعمر حتى خاف أن يجري عليه ما يكرهه، فخرج من بلده فاراً من أجل ذلك.

وروي عنه قوله: إني دخلت إلى طبرستان وقد شاع سب أبي بكر وعمر عليهما السلام فيها، فسألوني أن أملي فضائلهما ففعلت، وكان سلطان البلدة يكره ذلك، فاجتمع إليه من عرفه ما أمليته، فوجه إلي، فبادر هذا وأرسل إلي من أخبرني أنني قد طُلبت، فخرجت من وقتي عن البلد، ولم يشعر بي، وحصل الذي أخبرني في أيديهم فضرب بسبي ألفاً، وعاد أبو جعفر بعد ذلك راجعاً إلى بغداد فاراً من حمى الرافض، وسب الصحابة الذي انتشر في بلده ^(١).

قلت: انظر إلى هذا الحقد الأسود الدفين في هذا السلطان وجهله وظلمه الغليظ، وما قام به من الأمر بضرب رجل من رعيته ألف ضربة، بأي ذنب؟ بحجة أنه أبلغ عالم السنة الطبري بأنه مطلوب من قبل السلطان، وأن مجالس الإملاء في فضل أبي بكر وعمر عليهما السلام في نظر السلطان الرافضي جريمة، فسبحان الله! هذا بهتان

(١) «إرشاد الأريب» لياقوت الحموي (١٨ / ٨٥-٨٦).

عظيم! ولعل الرافضة الذين انتشر مذهبهم من الأعاجم في طبرستان في ذلك العصر لم يكتفوا باعتناق هذا المذهب، والتعصب الشديد له، بل جاء منهم من تلك البلاد الأعجمية البعيدة إلى اليمن للقتال مع أول إمام وصل إلى اليمن من أئمة الزيدية، هو الإمام الهادي يحيى بن الحسين في نهاية القرن الثالث الهجري، فهؤلاء جاؤوا إلى اليمن من طبرستان لا رغبة في نصرته المذهب الزيدي الذي هو مذهب معتدل عند علمائه وفضلائه وموقفهم منصف من الصحابة؛ وإنما جاؤوا من أجل ما يكمن في طوايا نفوسهم من داء الرفض (١) وكراهية الصحابة.

— ومن علماء السنة الذين هاجروا من أوطانهم بسبب انتشار سب الصحابة؛ الإمام العلامة عمر بن الحسين الخرقى (ت ٣٣٤هـ)، وهو من أصحاب الإمام أحمد ابن حنبل، وصاحب المختصر في الفقه الحنبلي، وهو من سادات الفقهاء والعباد، كثير الفضائل والعبادة، ترجم له الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/٢١٤)، فقال: لقد خرج من بغداد مهاجراً إلى دمشق لما كثر ببغداد الشر وسب الصحابة، وأودع كتبه في بغداد فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في ترجمته رؤيا منامية رآها الخرقى في منامه (٢)

(١) انظر: «أنباء الزمن في أخبار اليمن»، من سنة (٢٨٠-٣٢٢)هـ، ص (٢٦)، أحداث سنة (٢٨٨)هـ، تصحيح وتقديم وتعليق: محمد عبد الله ماضي.

(٢) قال الخرقى: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام، فقال لي: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء!! قال: فقلت: زدني، يا أمير المؤمنين.

قال: وأحسن من ذلك: تيه الفقراء على الأغنياء.

قال: ورفع له كفه، فإذا فيها مكتوب:

قَدْ كُنْتُ مَيْتًا فَصِرْتُ حَيًّا

وَعَنْ قَرِيبٍ تَعُودُ مَيِّتًا

فَأَبْنُ بَدَارٍ الْبَقَاءُ بَيِّتًا

وَدَعَا بَدَارُ الْفَنَاءِ بِيَّتًا

ينظر: «البداية والنهاية» (١١/٢١٤).

ظهور بعض الدول التي ساعدت على انتشار الرافض:

إن ظاهرة سب الصحابة رضي الله عنهم مبدأ من مبادئ مذهب الرافضة، ومما ساعد على امتداد هذه الظاهرة ظهور دول لها سيطرة عسكرية تتبنى مبادئ الشيعة والرافضة، كالدولة البويهية، وقد امتدت مرحلة سيطرتهم وحكمهم من (٣٣٤-٤٤٧هـ) أي مدة (١١٣) سنة، وكان لسلطين هذه الدولة عودة في أصولها إلى الفرس، وقد بدرت من أسرة آبويه الحاكمة أعمال منكرة، منها ظهور قوم منهم سنة ٣٤١هـ من التناسخية، فيهم شاب يزعم أن روح علي رضي الله عنه انتقلت إليه، وامراته تزعم أن روح فاطمة رضي الله عنها انتقلت إليها، فضربوا فتعززوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لتشييعه، وظهرت إبان حكم سلطين الدولة البويهية مظاهر من مظاهر الرافضة من سب الصحابة، وادعاء العداء، ولعن من غصب فاطمة حقها من فدك، وكتابة هذه الشعارات الداعية إلى الرفض على الأبواب سنة ٣٥١هـ، ولاقى هذا الشعار تأييداً من معز الدولة البويهي، ومن شعارات الرافضة التي ابتدعها معز الدولة البويهي أنه أمر بما يسمى الحزن على الحسين رضي الله عنه، ولطم الحدود وإقامة المآتم. (١)

ومن الدول التي ساعدت على امتداد مذهب الرافضة، دولة العبيديين التي استمر حكمها في المغرب ومصر من (٢٩٧-٥٦٧هـ) لمدة (٢٧٠) سنة؛ فهذه الدولة كان يغلب عليها مذهب التشيع والرافضة.

هل تسرّب مذهب الرافضة إلى اليمن؟

إذا كانت الرافضة قد نبتت لها بذور في بعض البلدان الإسلامية، فإن اليمن قد وصل إليها من هذه البذور، ومن بداية ما وصل إلى اليمن منها كان في فترة ظهور الباطنية القرامطة الذين يحملون في بداية دعوتهم لافتة الدعوة إلى نصرة أهل البيت

(١) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (١٥٧/٦) فما بعدها.

المظلومين؛ ليستميلوا الناس المدعويين إلى اتباعهم، وهي مرحلة أولى من مراحل دعوتهم، وسأوجز ما قاله ابن الجوزي في أسلوب الباطنية في المرحلة الأولى من دعوتهم، يقول: «إن مقصودهم وهم يستدرجون الخلق إلى مذهبهم بما يقدرون عليه، فيميلون إلى كل قوم بسبب يوافقهم، فيوصون دعائهم، فيقولون للداعي: إذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك، ادخل عليه من جهة ظلم الأمة لعلي ابن أبي طالب (عليه السلام) وقتلهم الحسين، وسيهم لأهله...»، إلى أن قال: «فإذا تمكنت منه أوقفته على مثالب علي وولده، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة الإسلام ملة محمد ﷺ، وغيره من الرسل...» ثم أفرد أبو الفرج ابن الجوزي فصلاً قال في مستهله: «واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر...»^(١)

إن ظهور مذهب الباطنية في اليمن على يد علي بن الفضل، يعتبر من أولى الأسباب لوصول الرفض إلى اليمن، ولا نغني انتشار الرافضة في جميع ربوع اليمن، بل في نواح محدودة خصوصاً في المخاليف التي يسود فيها المذهب الزيدي الهادوي، فقد تأثرت طبقة من أتباع الهادوية بالرافضة، وهذه الطبقة من الرعاي ليست من أكابر علماء الزيدية الهادوية المنصفين، وليست من فضلائهم، وإنما هي طبقة غلب عليها الحماس، وقلة العلم، وتأثروا بعوامل خارجية من خارج البلاد بثت الشبهات والأباطيل في عقول هذه الطبقة، منها تشويه صحابة رسول الله ﷺ، والتعصب الشديد لأهل البيت؛ سواء ممن ادعى الانتساب إليهم، فكأنه قد حان الانتقام لهم؛ أو ممن لم ينتسب إليهم وقد دفعه إلى هذا التعصب الجهل والهوى والمنصب والمال وحب الدنيا، ويمكن أن نوجز أهم الأسباب فيما يلي:

١ - دخول دعوة الباطنية إلى اليمن، وقد سبق قريباً هذا السبب.

٢ - وصول كتب الرافضة من بلاد فارس (بلاد العجم) عن طريق التجار والمسافرين، والتي تحتوي على مثالب الصحابة، وتقديس أهل البيت، فكانت هذه الكتب التي تحمل الأباطيل تشب في عقول قارئها كما تشب النار في الهشيم،

ويعتبرونها حقائق لا ريب فيها؛ ومنها ما ذكره صاحب (طبق الحلوى) ص (٣٥٤)، وصول كتاب (الزبدة في أصول الرافضة) سنة ١٠٨٨ هـ للرافضي الإمامي بهاء الدين العاملي، وقد وصل هذا الكتاب إلى صنعاء.

٣ - ومن الأسباب: تعاقب وصول دعاة للرافضة من فارس بلاد العجم بين فترة زمنية وأخرى، يصلون إلى اليمن بدعوى التطب (أي مداواة الناس من الأمراض) وقد يحملون مع ذلك ما في عقولهم من وباء الرافضة وكتباً من الرافضة، ويتحدد وصول مثل هؤلاء الأعاجم من القرن الخامس الهجري، وتتواصل زياراتهم واستيطانهم في صنعاء في القرن الحادي عشر الهجري، عصر مصنف هذه الرسالة العلامة يحيى بن الحسين، ثم في عصر العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، وفي عصر شيخ الإسلام الشوكاني.

قال المصنف -رحمه الله- في (بهجة الزمن)^(١): «وصل إلى صنعاء رجلان أعجميان يدعيان الطب»، إلى أن قال: «ومنهم رافضة من الاثني عشرية، والرافضة خبّاث العقيدة يكفرون غيرهم، فلا يؤمن ضررهم لمن خالفهم».

ومن رافضة الأعاجم القادمين إلى اليمن في عصر المصنف: رجل يدعى محمد صالح، قال المصنف -رحمه الله-^(٢): «وفي ربيع الآخر من سنة (١٠٨٩ هـ) مات محمد صالح الطبيب العجمي الإمامي الاثنا عشري الرافضي بصنعاء، وكان المذكور رافضياً سبباً للصحابه ﷺ، وأصله من (الجليل والديلم) من بلاد العجم، وتلك الجهة قد صار أهلها رافضة اثني عشرية، بعد أن كانت زيدية ناصرية في الزمان القديم، وأنه على دين أصحابه في الرفض، وكان يستريح بمن في اليمن من الزيدية الجارودية^(٣)؛ لأن الجارودية موافقون الرافضة في القول بالنص الجلي في علي، ويتحاملون على الصحابة ﷺ، ويذم الواقفية من الزيدية الذين يتوقفون في المشايخ

(١) ص: (٧٧).

(٢) «بهجة الزمن» ص (٣٣٧)، أخبار سنة ١٠٨٩ هـ.

(٣) سيأتي ذكر هذه الفرقة ومؤسسها.

(أي أبي بكر وعمر وعثمان)، وكان قد بلغ في السن على قوله فوق (١٠٠) سنة، وأقعد آخر مدته، وكان لا يستر مذهب الرافضة؛ مرة قال: إمام اليمن (المتوكل) إسماعيل غير إمام عندهم، وإنما هو سلطان ملك وأمير، كما أن الشاه عندهم ليس أميراً؛ لأن الأئمة إنما هم اثنا عشر لا غير؛ وكان يقول: إنه طيب، فيقصده بعض الناس، فيطلب منهم دراهم كثيرة إن سلموها، وإلا قال: ما عنده شيء، أو فعل له من الدواء ما يزيد في علته، قاتله الله^(١).

روي أن مرة تداوى عنده رجل كان اسمه (عمر)، فأشار عليه من أشار أنه إذا سأله عن اسمه فيقول: محمد؛ ثلثا يفعل له ما يضره؛ لكرهيته التسمية بعمر، فداواه حتى برأ، ثم جاء آخر، فقال: يداويه مثل ما داوى عمر، فقال: من عمر؟ اسمه محمد، فقال: بل اسمه عمر، فأرسل إليه بمعجون، يهلك منه، وقال له: بقي منه بقية من ألمه يستعمله، فاتفق أن وضعه الواضع في بيته، فأكلته شاة فهلكت في الحال، وهذا من شدة خبثه، قاتله الله، وسلّم الله ذلك الرجل^(٢) انتهى كلام المصنف، رحمه الله.

وتتابع وصول دعاة من رافضة العجم إلى صنعاء في القرن الحادي عشر، صنعاء

(١) انظر إلى مكر وغدر وحقد هذا الأعجمي لا يرعى إحسان اليمنيين إليه، ونزوله ضيقاً عليهم بأرضهم، بل يعطي المريض اليمني الفقير ما يزيد في مضاعفة مرضه.

(٢) هذه القصة التي سجلها المصنف عن هذا الرافضي الأعجمي، الذي فقد المروءة والحياء وفقد الأخلاق، وأنته وظيفته الماكرة ومذهبه الباطل، وحقده الدفين على الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، أنساه ذلك كله سماحة اليمنيين وحلوله ضيقاً عليهم، فصار يجازيهم (جزاء ستمار) وأراد أن يضع سماً قاتلاً لأحد أبناء اليمن بحجة أن اسمه عمر، وهذه عادة الروافض الذين يشعلون الفتن ويستحلون دماء المسلمين الذين يخالفونهم في مذهبهم، والمشحونة قلوبهم المريضة بوباء بغض الصحابة، هذه عادتهم في كل زمان ومكان وحتى في هذا العصر، ينقل الكاتب الإسلامي، محب الدين الخطيب - رحمه الله - في رسالته (حملة رسالة الإسلام) ص ٩ - مرجع سابق - قصة ماثلة لهذه القصة قال: حدثني بعض الذين لقيتهم في نجر البصرة لما كنت معتقلاً في سجن الإنجليز سنة ١٣٣٢ هـ أن رجلاً من العرب يعرفونه كان ينتقل بين بعض قرى إيران، فقتله القرويون لما علموا أن اسمه (عمر)، ثم قال: وأي بأس يروونه باسم (عمر)؟ قالوا: حباً بأمر المؤمنين علي، قلت: وكيف يكونون من شيعة علي وهم يجهلون أن علياً سمى أبناءه بعد الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية بأسماء أصدقائه، وإخوانه في الله (أبي بكر) و (عمر) و (عثمان) ﷺ أجمعين، ثم علق محب الدين على هذه القصة موضحاً المودة والمحبة التي كانت بين الخلفاء الراشدين، فارجع إلى كلام له حسن هناك.

التي كانت حاضرة الدولة القاسمية الهادوية، أما مخاليف اليمن التي كان يقطنها سكان على مذهب الشافعية، فلم يهتم هؤلاء الرافضة، بالإقامة فيها.

وفي عصر إمام السنة: العلامة محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله - وفد إلى اليمن - إلى صنعاء - داعية من دعاة رافضة العجم لتصدير مذهبهم الفاسد، وقد ذكره ابن الأمير في ديوانه، ضمن رسالة أدبية يغلب عليها أسلوب السجع، بعث بها إلى تلميذه القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن، تكلم فيها مظهراً تأسفه، في تحركات داعية رافضي جاء من بلاد العجم (بلاد فارس) وتركت له دولة إمام العصر حينئذ المجال ليصول ويجول، وقد بعث بها ابن الأمير إلى تلميذه (قاطن) إلى مدينة (ثلا) وقد ذكر الرسالة القاضي إسماعيل الأكوخ في (هجر العلم ٤ / ١٨٤٥ - ١٨٤٩) ولكننا سنذكرها هنا نقلاً من ديوان ابن الأمير، قال:

« فاقرة في الدين، قاصمة لظهور المتقين، ومصيبة في الإسلام لم يطمع في وقوعها إبليس اللعين، ومكيدة في الإسلام أسست بآراء جماعة من الأفدام^(١)، وهي ظهور الرفض وسب العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان الرسول الأمين ﷺ، وعلى آله الطاهرين، حاشا علياً أمير المؤمنين، فإنه مصون عن ألسن الطاعنين.

وسببه أنه وصل رجل من العجم إلى صنعاء اليمن فاراً - على زعمه - من طهماسب يتسمى بالسيد يوسف، وقد إلى صنعاء في أوائل سنة ١١٦٠ هـ، على مضي أربعة أشهر منها، وادعى أن له في علم الهيئة معرفة، وله في النحو والبيان مثل أي من له في هذين الفئتين، فاتفق له قبول عند بعض من يتصل بالخليفة المنصور، فصور له أن هذا من العلماء في المعقول والمأثور، وهذا العجمي لا يدعي لنفسه معرفة سنة ولا كتاب، بل لا يقيم سورة من القرآن بلسانه.

ولكن هذا الذي صورّه للخليفة رجل من أهل التقصير، لا يعرف من العلوم قبلاً من دبير، فأمره الخليفة أن يملي نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد على

(١) في «المصباح» - بالفاء - ص (٤٦٥)، جمع قَدَم، يقال: رجل قَدَم: بعيد الفهم غير فطن، وامرأة فدمة.

الكرسي في الجامع الكبير، وأمر له بالشمع تسرج، وبالشَّوْش^(١) من أصحاب الدولة يحضرون بحضوره، وحضر من غوغاء الناس، وجهلتهم أمم كثيرة، فأملئ من ذلك شيئاً يصحّف بعض ألفاظه، وكان همه إلقاء مذهب الرافضة إلى الأذهان، ودس شيئاً من كفريات الفلاسفة، وسرد كذبات على الصحابة من أكاذيب الرافضة، فيما جرى على أهل البيت وعلى فاطمة (عليهم السلام).

وما زال كل ليلة يسرد من هذا، حتى ذكر أنه حرّف القرآن بعض الصّحابة، فسبّ الصّحابة العامة من الناس، ولعنوا أعيان أصحاب رسول الله ﷺ، مثل العشرة المشهود لهم بالجنة إلّا عليّاً رضي الله عنه وغيرهم، وأتى بكل قبيح من قوله: إنه غلط جبريل عليه السلام بالرسالة، وأنها كانت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وحاصله أنه لم يبق مذهب من مذاهب العجم إلّا دسّه في ذلك، وأنكر العلماء من الزيدية ذلك وعرفوا به الخليفة، وأخبروه بحقائق مذهب الرافضة، وأن فيها أنهم يرونه هو وأهل مذهبه كفاراً، وأنهم ينكرون أن للحسن بن علي ذرية، فقال: يقرأ النهج بحضرته، ويحضر العلماء، فكان ذلك زيادة في بعض التقية في ذلك المقام، وإن دس فيه من الطوام، كقوله: إن السماوات تسع لا سبع، وإن آدم عليه السلام ما عصى ربه، وإن قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١، معناه: وعصى بنوه، وأشياء يطول تعدادها، والله أعلم ما يأتي بعد هذا، فإن هذا رقم في رمضان، في اليوم الخامس منه، وهو مستمر على الإملاء على الكرسي، وأما قراءة حضرة الخليفة فإنها تركت في رمضان.

وعند الانتهاء إلى كُتُب هذا وصلت ورقة من الولد إبراهيم بن محمد الأمير - أصلحه الله تعالى - أنه رأى (في المنام) صبيحة هذا اليوم أن جدّه أبو أمه السيد العلامة الزاهد التقي هاشم بن يحيى الشامي - رحمه الله - وصل من عنده إلى بيتنا، فقال له الولد إبراهيم: من أين هذه الجيئة؟

فقال: من عند سيد ولد آدم عليه السلام.

(١) هم من الجنود اليوم بمنزلة الضباط، وجمع شواوش.

قال: فقلت له: هل سمعتم هذه المصيبة في الإسلام؟
 قال: فتنهَّد، وقال: كيف لا نسمع؟ والله إن عندنا من الحزن أكثر منكم.
 قال: فقلت له: هل عرف رسول الله ﷺ ذلك معكم أم لا؟
 قال: بل والله عرف.
 قلت: فما قال؟

قال: قال وقلت معه: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

قال: كيفما كنتم يول عليكم.

قال: قلت له: العلماء مسؤولون؟

قال: نعم، إلا والدك فبشره أنه لا يحاسب.

قال: قلت له: مطلقاً؟

قال: الله أعلم.

قال: قلت له: السيد أحمد بن عبد الرحمن الشامي قد برأ عذره عند الله، ولم يكتب له ثواب على فعله.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية - إلى قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ المائدة: ١٠٥.

وقال: اكنتم هذا الخبر أصلحك الله، وقال: خاطركم^(١)

فقلت له: «لعمر أبيك - أي الفرقدان - اجلسوا عندنا».

فقال: «وكل أخ مفارق منا أخاه...»، انتهت الرؤيا وهي رؤيا حق أعرف صدق رائيها، فنقول كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، ثم طبقت هذه الورقة من رمضان عام (١١٦٠هـ) إلى غرة رجب سنة ١١٦٣هـ، فأذكرني ما حضرني مما انتهى إليه حال ذلك المبتدع، وهو أنه اتفقت أمور قدرية رفعت تلك البدعة بالكلية، وهي أن الخليفة المنصور عرضت له أمراض منها ضعف

(١) كلمة عرفية متداولة عند بعض اليمنيين، تقال عند توديع المجلس جليسه، خاصة الذي يغادر مكان جليسه.

البصر، ثم ضعف القوى، ثم الوفاة، وقام بالأمر بعده ولده المهدي أحيا الله به الدين، وقطع به دابر المعتدين، فانقطعت تلك البدعة، ورفع الكرسي، وبقي ذلك المبتدع يطبب العامة، ويدرس إلى حين تاريخها، والله تعالى يأتي بكل خير، وكنت قد كتبت إلى بعض الأعلام، ممن كان بسفح صنعاء أقام، ثم رحل عنها وهو من تلاميذ ناس من الحكام، فأخبرته بلسان اليراع، ما جرى بعد فراقه لتلك البقاع، من بحور الابتداء:

بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد إهداء شريف التحيات، واستهداء صالح الدعوات، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو على جزيل نعماءه، وأصلي وأسلم على رسوله سيدنا محمد وآله، وأنهى إلى المقام الساطعة أنواره الطالعة شمس سعدة وأقماره، أن البلدة التي قوَّض عنها رحله، ورفع عن سكنائها وابله وطلَّه، صار لها بَعْدَ بَعْدِ شأن، وعادت كأنها حانة من حانات أصبهان، أو كورة من كور خراسان، لا تسمع فيها إلا مادحاً علياً، وذاماً صحابياً بدرياً، أو ذاكراً أخبار السقيفة أو منشداً:

لَهْفِي لِبَيْتِ مُحَمَّدٍ مَاتَتْ بِغُصَّتِهَا لَهْفَةً

أو متوجعاً من غمط الوصي، ودق عضد البتول، وتمزيق الصحيفة، أو متعجباً من جمع الخطب حول بيتها لتحريقه^(١)، أو متمثلاً بقول القائل، وقد غص بريقه:

وَقَادُوا عَلِيًّا فِي حَمَائِلِ سَيْفِهِ
وَعَمَّارُ دَقُّوا ضِلْعَهُ وَتَهَجَّمُوا

عَلَى بَيْتِ بِنْتِ الْمُصْطَفَى وَوَصِيِّهِ

يُنَادِي: أَلَا فِي بَيْتِهَا النَّارُ فَاضْرُمُوا

أو قاصاً لمثالب عثمان، وما حرَّف من كلام الرحمن في القرآن، وأن الوحي: «إنما أنت منذر وعليّ هاد»، فحرَّفت الآية في مصاحف أهل الأغوار، والأنجاد، وأنه

(١) سيأتي تفنيد مثل هذه الأكاذيب والأباطيل.

حَرَفَ خمس عشرة آية نزلت في مدح الوصي، وحفظت قبل إحراقه لها وتليت، أو راوياً له أنه لما أسري بالمصطفى ﷺ وجد علياً قد سبقه إلى سدرة المنتهى، وأن الرب العلي خاطب محمداً رسوله بلسان علي، فقال: أعليّ يخاطبني؟ فقال الرب سبحانه: بل خاطبك بلسان أحب الخلق إليك، وكم وكم - يا بن ودي - أتلو من هذه الأقايصص عليك، هي نوق لا خطام لها ولا زمام، ولو يقال: من أخرجها، أو فاه أحد بذلك رماه بالنصب الأثام، فإنه اتفق أنه سأل سائل عن حديث قدسي، رفعه المنصوب على الكرسي، لفظه: أنه قال المختار حاكياً عن الرب الواحد القهار: «لو أن أهل الأرض أحبوا علياً كما أحبه أهل السماء، لما خلقت النار»، فسأله رجل من أهل المدينة النبوية عمن أخرج هذه الرواية القدسية، فاقشعر جلد ذلك المقام، ورماه بالنصب بعض الحكام، وكاد أن يفضي الحال إلى طرده من البلد، وأن ينهى عن أن يجالسه أحد، مع أنه سأل في موقف خاص، ولو كان سؤاله في الموقف العام، لما كان له عن الحمام^(١) خلاص.

ولو سمعت أذنك أحاديث يوم الجمل، وسرد وقائعه على التفصيل والجمل، وأخبار أيام صفين والرماح تغرز في الكلى^(٢)، والسيوف تغمد في الطلأ^(٣)، لسمعت لعن اللاعنين لأهل الشام، من كل لسان حاضر ذلك المقام، حتى يرتج الجامع الكبير، بلعن كل صغير من أولئك وكبير، دع عنك أهل الشام، لو طرق سمعك لعن الشيخين، وسعد بن أبي وقاص، الذي فداه الرسول بأبويه يوم حنين، وغيرهم من العشرة الذين أودعت مناقبهم «الرياض النضرة»، لقلت:

رَأَيْتُ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

خلّ عنك أقواماً أقسم القلم على نفسه ألا يجري بذكرها، واستحيا من الله تعالى أن لاقاه برقم سطرها من أدناها ما جرى به وهو يعرق جبينه؛ حياء من الله

(١) الحمام: بكسر الحاء: الموت.

(٢) الكلى: جمع كلية، والكؤوة: بالضم لغة في اليمن، «المصباح» (٥٤١).

(٣) الطلأ: العنق.

تعالى جل جلاله، وهو أنه غلط جبريل عليه السلام بالرسالة، وحاصله أنه التعطيل فلا إطالة، ولعلها قد صارت الأخبار بما يورده في مقام الخلاف، وقد أدرّ فيه من ثدي جهالته أخلافه^(١)، كإيراده على قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٢] بأنها تسع ثامنها الكرسي، وتوسعها العرش، وعلى قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] بأن آدم لم يعص، وأنه لا بد من تقدير يصح به الكلام، وهو: «وعصى بنو آدم».

وبالجملة فكما قال بعض أئمة التحقيق: إن قوله: العرش والكرسي سماءان نظير من يقرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، فيقال له: لا عقل ولا قرآن، وكقوله: إن الآل جميعاً معصومون، فقال له قائل: ومن الآل؟ قال: من حرمت عليهم الزكاة، فصار العلوية والعباسية والعقيلية والجعفرية معصومين، إلى يوم الدين، ولكنه ليس إلى إيراد البحث عليه سبيل، بل كُلُّ مَا فَاهَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ لَا يَتَرَقُّ إِلَيْهِ التَّبْدِيلُ، بل كما قيل:

حَكُوا بَاطِلًا وَأَنْتَضَوْا صَارِمًا

وَقَالُوا: صَدَقْنَا؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ

وبالجملة:

تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ حَتَّى لَحِلَّتْهَا

سَتَطْلُعُ هَذِي الشَّمْسُ مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ

فهذه قطرة مما عندنا، والله أعلم بما وراء ذلك.

وَكَيْسَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ

سِوَى قَدِيمٍ عَظِيمٍ الشَّانِ مُقْتَدِرٍ

وهنيئاً لسكان الثرى، وللحراثين في البوادي والقرى، ولا تنسونا من الأدعية في

(١) الاختلاف: جمع خلف - بالكسر - من ذوات الخف كالنبي للإنسان، «المصباح» (٢/ ١٨٠).

هذه الخواتم^(١)؛ فهي للإجابة مواسم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] (٢).

فيتضح من خلال هذه الرسالة للعلامة ابن الأمير تتابع الوافدين الأعاجم من الرافضة إلى صنعاء، وإفساح المجال لهم بنشر فكرهم الفاسد بموافقة من الدولة، وإثارة العامة حتى لو كان على حساب أعراض الصحابة رضي الله عنهم.

* * *

(١) الخواتم في عرف اليمنيين يطلق على الأيام الأخيرة من شهر رمضان.

(٢) «ديوان ابن الأمير» (٤٥١-٤٥٦).

انتشار سب الصحابة في القرن ١١هـ، عصر المصنف:

في العقود الأولى الأربعة من القرن الحادي عشر في اليمن كانت الدولة القاسمية الهادوية قد بلغت مبلغاً كبيراً من القبض على زمام الحكم في اليمن، وبلغت الذروة في السيطرة على معظم النواحي اليمنية، بعد انتصارات كبيرة تحققت لهذه الدولة ضد الأتراك، وتعالّت نخوة النصر، وبلغ الغرور بها مبلغه في نفوس كثير من قادة هذه الدولة الجديدة وساستها والمقربين إليها، من قضاة وعلماء المذهب الهادوي، وكأن الوقت قد حان لإعادة مجد أهل البيت الذي يمثله المذهب الهادوي [في نظر بعض الناس مع أن أهل البيت ينتشرون في جميع المذاهب^(١)]، وكأن انتصار الدولة القاسمية انتصار على من يناوئ أهل البيت [بهذا المعيار^(٢)] من أتراك وغيرهم ممن لم يكن على مذهب الهادوية، فظهرت شخصيات من قادة هذه الدولة وعلمائها وقضااتها تميل إلى شبهات الرافضة، والإساءة إلى الصحابة، أمثال الأمير والقائد الكبير الحسن بن القاسم بن محمد عم المصنف، ومن بعده نجله القائد العسكري الكبير لدولة المتوكل إسماعيل هو أحمد بن الحسن، والقاضي أحمد سعد الدين المسوري، ويحيى بن حسين بن المؤيد الشهاوي وغيرهم، من شعراء وأدباء تلك الفترة.

أما وقوع القائد العسكري لتوطيد الدولة الحسن بن القاسم في شبهات الرافضة والإساءة إلى الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، ودعوته إلى ذلك، فقد ظهر هذا الميل في رسالة بعث بها إلى زين العابدين العيدروس (ت ١٠٥٦هـ) يدعو العيدروس إلى الدخول في المذهب الهادوي، ولم نعر على رسالة هذا الأمير الحسن ابن القاسم، ولكننا عثرنا على جواب الرسالة من العيدروس، وهي تكشف عن مضمون رسالة الحسن بن القاسم، ونص رسالة العيدروس الجوابية، هو (بتصرف):

(١) ما بين المعقوفين من الزيادة، تفضل بها الأستاذ الشيخ محمد الصادق حفظه الله لتمام المعنى.

(٢) كذلك ما بين المعقوفين من إضافة الأستاذ الكريم.

«فلا أدري أصدر منه ذلك عارف متجاهل متغافل، أم صد الهوى على مرايا العقول، فلم ينطبع فيها حقائق المعقول والمنقول؛ لأنه -ألهمه الله الرشاد- يعلم أن أشياع ولاية السواد الأعظم، واتباع الصراط الأقوم أهل السنة والجماعة، الذين أوجب الله سلوك طرائقهم، وأتباعه يعتقدون صحة خلافة الخلفاء الأربعة، ولا نزاع بنا إلى الأهواء المبتدعة، ويعتقد أن الصحابة قد وفقوا للإصابة في جميع ما فعلوه باجتهادهم، وأجمعوا عليه بدلائلهم وإسنادهم»^(١).

وهي رسالة طويلة دافع فيها العيدروس عن الخلفاء والمهاجرين والأنصار، وما نسب إليهم من إساءة وشبهات تنتمي إلى الرافضة، ومن القادة للدولة القاسمية، أحمد بن الحسن، فقد تأثر بشبهات الرافضة وكان أول من أقام احتفالاً بما يسمى عيد الغدير في (حبور) بترحيب وموافقة ومشاركة من إمام ذلك العصر المتوكل إسماعيل، وسيأتي مزيد تفصيل ذلك.

ولاستقرار حكم الدولة القاسمية في القرن الحادي عشر خصوصاً في عهد الإمام المتوكل إسماعيل واستتباب الأمن، فقد كان لكتب الرافضة -التي وصلت إلى اليمن مع الوافدين إلى اليمن من الرافضة كان لها- أثر في بث شبهات في عقول الطبقة المتأثرة بمذهب الرافضة، وقد ذكر المصنف يحيى بن الحسين من هذه الطبقة الذين نشروا ظاهرة سب الصحابة في كتابه (بهجة الزمن)، وأشار إلى ذكر أناس منهم، فقال: «وفي سنة ١٠٧٩ هـ والتي قبلها ظهر مع جماعات الأخذ في جانب الصحابة، وظهر عنهم، ولم يعرف لأحد في الزمن المتقدم»^(٢)، وكان السيد الأنسي خبيث العقيدة رافضياً، فقال:

إِذَا غَضِبْتَ أَمْنَا فَاطِمَةَ
وَمَاتَتْ بِغُصَّتِهَا الدَّائِمَةَ

(١) «هجر العلم»، للقاضي إسماعيل الأكوخ (٢ / ١٠٦٩-١٠٧١).

(٢) يظهر من كلام المصنف أن هذه الظاهرة لم تكن منتشرة قبل عصره.

فَكَيْفَ نَرْضَى عَنِ الْمَغْصِبِينَ
 لَهَا كَالِإِبِلِ السَّائِمَةِ^(١)
 وَفِيمَ التَّحَرُّجِ مِنْ لَعْنِ مَنْ
 عَلَى لَعْنِهِ حُجَّةٌ قَائِمَةٌ
 وَمَنْ كَانَ خَصَمًا لِبَيْتِ الرَّسُولِ
 فَهِيَ لَهُ فِي غَدٍ حَاطِمَةٌ
 فأجبت عليه:

لَقَدْ رَضِيتُ أُمَّنَا فَاطِمَةَ
 وَمَمَاتَتْ وَمَا بِكَ بِاللَّائِمَةِ
 فَكَيْفَ التَّحَرُّجُ عِنْدَ التَّرَضِيِّ
 وَفِي اللَّعْنِ لَا حُجَّةٌ قَائِمَةٌ
 وَمَنْ كَانَ خُلْفًا لِبَيْتِ الرَّسُولِ
 فَهِيَ لَهُ فِي غَدٍ خَاصِمَةٌ^(٢)

ومما زاد من إثارة سب الصحابة في عصر المصنف بالرغم من أن قبح الرفض كان كامناً في جروح قلوب الحاقدين، ورود سبب آخر أدى إلى انفجار القبح فانبعثت رائحته تؤذي الأنوف، ذلكم السبب هو أبيات قالها العلامة المقبل في ذم من فرق بين أهل البيت وبين الصحابة، فأثارت الأبيات الحاقدين؛ فانهالوا في الرد عليه وفي سب الصحابة، يقول المصنف: «وكان السبب هذا والقصاص من هؤلاء في هذا العصر نشأ من بيتين أنشأهما الفقيه صالح بن مهدي المقبل الثلاثي (١٠٣٨-١١٠٨هـ)، فقال فيها:

قَبَّحَ إِلَهُهُ مُفَرَّقًا
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ

(٢) «بهجة الزمن» ص (١٧١).

(١) كذا في النسخة المطبوعة، وهذا الوزن غير مستقيم.

مَنْ كَانَ هَذَا دِينَهُ

فَهُوَ الشَّقِيَّ بِلَا اسْتِرَابِهِ

فلما وقف عليها السيد أحمد الأنسي: أنشأ قصيدة، وخص الجواب على هذين البيتين بقصيدة، قال فيها:

تَرَبُّ بِفِـ_____يْكَ وَجَنَدِلْ

مَاذَا وَقَرْتُ عَلَى الذُّوَابِهِ

مَاذَا خَصَصْتَ أَبَاتِرَا

بِ بِهِ إِذَا سَـ_____اوَى تُرَابِهِ

وزاد على أحمد الأنسي حسن بن علي بن جابر الهبل، بما هو أعظم وأكبر من قوله -أخزاه الله وعاد لعنه عليه-:

الْعَنُ أَبَا بَكْرٍ الطَّاعِي وَثَانِيهِ

وَالثَّالِثَ الرَّجْسَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَا

وقد أجابا عليه السيد لطف الله بن علي بن لطف الله شرف الدين، والفقيه حسن الفضلي الأنسي، فمن جواب لطف الله:

تَبَّتْ يَدَا حَسَنِ ثَانِي أَبِي لَهَبٍ

قَدْ أَصْلِيَا لَهَبًا مُحَمَّى وَنِيرَانَا (١)

(١) وبعد البيت كما في «هجر العلم» (١/٢٣٩):

أَضْحَى مَعَ الْكَافِرِينَ الطُّغْمَ فِي سَقَرٍ

مَأْوَاهُ مِنْ تَحْتِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ

يَا مَيِّتَةَ السُّوءِ مَاتَ الرَّجْسُ فَاضِحُهُ

وَلَّى مُصْرًا عَلَى الْعِصْيَانِ خَوَانَا

قَدْ خَالَفَ اللَّهَ ثُمَّ الْمُصْطَفَى سَفَهًا

وَالْمُؤْمِنِينَ مَعًا ظَلَمْنَا وَطَغَيْنَا

وفي الأبيات إشارة إلى ما حصل للرافضي الهبل من سوء خاتمة، نسأل الله العافية، والسلامة من كل فتنه، =

ولهذا الرافضي ديوان يتضمن الشتم للصحابة (عليهم السلام)، قد أضل به كثيراً من إخوانه الرافضة، والجهال الذين قد ثبت أن أجهل الناس من سب الصحابة...»^(١)، ثم أطال المصنف في الرد على مثل هؤلاء الرافضة إلى أن قال: «والرافضة في هذا الزمان الذين من الزيدية كثير، إلا أن منهم من يستتر بمذهبه ولم يظهر الرفض إلا هذا، حسن بن علي الرافضي^(٢)، وأحمد الأنسي^(٣)، والسيد صلاح بن محمد

= أما أبيات الفقيه حسن الفضلي الأنسي فقد ذكر في «هجر العلم» (١/ ٤٦٠)، ما يلي من القصيدة:

أَمْدَحُ أَبَا بَكْرٍ السَّامِيَّ وَثَانِيَهُ
وَالثَّالِثَ الْحَبْرَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَا
ثَلَاثَةٌ لَهُمْ فِي الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ
حَقَّتْ بِمَنْزِلِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ
يَا رَبِّ فَلْتَجْزِهِمْ وَلْتَجْزِ مَا دَحَمَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ النَّاسِ بَيْنَانَا
قَدْ آثَرُوا صِنَوْ خَيْرَ الرُّسُلِ وَأَعْتَرَقُوا
بِكُلِّ حَقٍّ لَهُ سِرًّا وَإِعْلَانَا

هذان الرجلان العالمان الفاضلان المنصفان السيد لطف الله، والفقيه حسن، لم أجد لهما ترجمة حتى كتابة هذا التحقيق، ولعل السبب في ذلك كله، أنهما دافعا عن الصحابة ويميلان إلى السنة.

وَقَدْ رَأَيْتُ حُبَّ النَّفْسِي أَنَّنِي

بَغِيضٌ إِلَيَّ كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ

وقد أشار إلى إهمال ذكر الفضلي، أشار القاضي إسماعيل الأكوخ في (هجر العلم)، فقال: «لم أجد للحسن ابن علي الفضلي ترجمة في الكتب التي بين أيدينا، ولعله قد أهمل قصداً لدفاعه عن أصحاب رسول الله ﷺ، كما أهمل ذكر كثير من أنصار السنة، والله الأمر من قبل ومن بعد».

وامتدت يد الإهمال إلى الرجل الآخر الفاضل السيد لطف الله بن علي بن لطف الله شرف الدين، فلم أجد له ترجمة ولا ذكراً عند مؤرخي الهادوية، اللهم إلا ما ذكر هنا من رده على رافضة عصره، وإلا ما ذكره المصنف في (بهجة الزمن) ذكراً عارضاً، وإلا أبياتاً على الورقة الأولى التي فيها عنوان نسخة من نسخ هذه الرسالة (الإيضاح لما خفا) قرظ في أبيات هذه الرسالة، وسنوردها - إن شاء الله - في فصل (وصف المخطوطة)، وهذا الإهمال كما ذكرنا بسبب دفاعه عن الصحابة (عليهم السلام).

(١) «بهجة الزمن» ص (١٦٢)، وقد سبق حكاية الشعبي - رحمه الله - عنهم أنهم أجهل الناس.

(٢) ترجمته في «البدر الطالع» (١/ ١٩٩)، ولد عام (١٠٤٨ هـ) وتوفي سنة (١٠٧٩ هـ).

(٣) هو أحمد بن يحيى الأنسي، لم نعثر على تاريخ وفاته، وترجم له زيارة في ملحق «البدر الطالع» (ص ٢٩)، ولم يلتزم الإنصاف، بل حاول التغطية على معصية هذا الرافضي، معصية سبب للصحابة، بكلام ظاهره المدح والثناء، ولكن وراء الأكمة ما وراءها من الذنب، فقال زيارة: «وكان صاحب الترجمة فاضلاً جليلاً عمدة للشيعة شمساً للشرية»، لكن الله تعالى عالم بكل الخفيات، فالله حسيبه.

العبالي^(١)، والفقيه أحمد بن عبد الحق الحيمي^(٢)، ويحيى بن المؤيد^(٣)، فهؤلاء الذين أظهروا الرفض والشتم، وكبيرهم الذي أقطع حسن بن علي بن جابر الهبل، وعندما جرى هذا ترجح للفقيه صالح القبلي الثلاثي اليمني، أن باع أملاكه ورحل بأولاده إلى مكة، واستقر بها، وترك مذهب الهادوية^(٤).

ومن الرافضة في عصر المصنف رحمه الله: الرافضي محمد بن عبد الله ابن عامر بن علي^(٥).

(١) لم أجد له ترجمة، فقد أهانه الله وأذله، وسلط الله عليه حاكم صنعاء العادل المصنف: السيد محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل، فلقد أصاب في حبسه ووقفه الله للصواب، قال المصنف في «بهجة الزمن» ص(١٦١): وكان منهم صلاح ابن محمد العبالي، فأمر محمد بن المتوكل بحبسه لأجل معصيته، وامتناعه عن ترك ذلك، وأمر بإخراجه من القصر إلى حصن (ثلاث)، فاجتمع بكثير من عامة صنعاء، وصبيانهم يقولون عند خروجه: «هذا جزء من سب صحابة رسول الله ﷺ».

(٢) هو القاضي أحمد بن ناصر عبد الحق المخلافي (ت ١١١٦هـ)، وهو جامع ديوان الهبل، ترجمته في «ملحق البدر الطالع» ص(٤٦)، وقد غالت زيارة كعاداته أحياناً في إخفاء معصية هذا الرافضي، فقال: «وكان شديد الغيرة على العترة»، والمؤرخ زيارة مع اعترافنا بعلمه وفضله، إلا أن له من هذا الزلل البعيد عن الإنصاف فلتات وكبوات.

(٣) يحيى بن المؤيد، ترجم له المصنف -رحمه الله- في «بهجة الزمن» ص(٣٤٦)، فقال: «وفي العشر الأواخر من شهر المحرم سنة ١٠٩٠هـ توفي يحيى بن حسين بن المؤيد بالله بعد عوده من الحج بجهة شهارة، وكان المذكور له بعض معرفة بعلم النحو، وكان جارودياً في عقيدته متحاملاً على الصحابة رضي الله عنهم، غالباً في الرفض، محترقاً داعية، وكان جماعاً لكتب المثالب فيهم، مطرحاً لكتب المناقب، مبالغاً في إحصاء عثراتهم، معرضاً عن فضائلهم، آخذاً للمثالب من كتب الرافضة والكذابين...»، إلى أن قال: «وكان يطعن في مذهب الهادوية والمعتزلة وأهل السنة، ويتنصر للإمامية، ويدعي أن زيد بن علي -رحمه الله- كان رافضياً سبباً للصحابة، وحاشاه من ذلك -إلى أن قال-: «وطمس يحيى بن حسين من مجموع الفقه الكبير، لزيد بن علي بعض مسائله، مثل مسألة (إمامة فريش)، وما ذكره في الأصول، وذمه للقدرية، وإثبات المشيئة له، وغير ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

قلت: وكتاب: (غاية الأمان في أخبار القطر اليماني) المطبوع منسوب إليه، ونسبته إلى العلامة المصنف المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد خطأ وقد وقع في الخطأ، المؤرخ الزركلي في كتابه (الأعلام).

(٤) لم أجد ترجمته، لكن ترجمته في «هجر العلم» (٢/١٠٦٨)، نقلاً عن المصنف، ولم أجد في نسخة (بهجة الزمن) المطبوع، ومن خيانة هذا الرافضي وجرائه وعدوانه على الأمانة العلمية، أنه استعار من المصنف كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر، فوضع في بعض حواشي الكتاب من الشتم ما يقشعر الجلد منه، قال المصنف: فطمسته (أي الشتم)، وقال: «ثم طلبه بعد ذلك عارية فلم أعره، لتحريفه الكتاب».

بدعة سب الصحابة في عصر الشوكاني:

وإذا كانت قد نشأت في اليمن طبقة في صنعاء وما جاورها متأثرة بمذهب الرافضة القادم من خارج اليمن عن طريق الأعاجم الوافدين من الرافضة، وعن طريق كتب الرافضة المشحونة بالشبهات في الإساءة للصحابة، والتشكيك في فضلهم ومكانتهم، وتسربت هذه الشبهات إلى صفوف المجتمع الزيدي الهادي المعتدل، وكما واجه المصنف -رحمه الله- بدعة سب الصحابة في عصره في القرن الحادي عشر الهجري، وامتد الرفض إلى أحفاد هذه الطبقة إلى عصر الإمام العلامة محمد ابن إسماعيل الأمير، فإن أحفاد هذه الطبقة قد امتد لهم الرفض أيضاً، وورثوا شبهات الرافضة إلى عصر الشوكاني، وثار هؤلاء في عصر الشوكاني وبدأ ثورانهم من سب الصحابة بالألسنة، وتحولت من معركة بالألسنة إلى معركة تخريب وهدم وفتنة كادت أن تسيل منها الدماء، وتتلغ الأموال، وتهدم المنازل لولا أن الله تعالى كفى الناس شر مشعلي الفتنة، ورد كيدهم.

وبدأت هذه الفتنة سنة ١٢١٦هـ ليلة الرابع عشر من شهر رمضان، حين بدأ أحد رؤوس الرافضة ورعاها يجلس على الكرسي في الجامع الكبير بصنعاء، ويصرخ باللعن -لعن الصحابة- ثم انضم معه من العامة من الجامع آخرون، وأخذوا يرمون الناس الآمنين ليلاً بالحجارة^(١) في بعض البيوت، ويكسرون الأبواب والنوافذ ويزحفون للهدم والفوضى وتخويف الآمنين، وزاد انتشار هذه الفئة واتساعها، لولا أن الله وقى شرها وشر رؤوسها، ومما ساعد على إخماد هذه الفتنة وإطفائها حكمة إمام ذلك العصر وإنصافه وبعُد نظره في العواقب وقبوله المشورة الصائبة، فقد جمع أصحاب الرأي في اليوم الثاني من الفتنة وفيهم الإمام الشوكاني، وطلب المشورة من الشوكاني نفسه، فأشار عليه بحبس رؤوس الفتنة وموقديها، فحبسهم الإمام، وطارد أتباعهم، وانطفأت الفتنة.

(١) انظر: التفصيل في «البدر الطالع» (٢ / ٣٤٥-٣٤٨).

الرافضي لا يتورع عن محرمات الدين:

إن المسلم الذي يصفو قلبه من الاعتقاد الفاسد والزيف والأهواء والشبهات، ويصفو من الشهوات، يغلب على أقواله وأفعاله وتصرفاته وعبادته وخلقه أفعال الخير والطاعات والصالح، والبعد عن الشر، وعن الحرام، وإذا أصيب قلبه باعتقاد فاسد، وشبهات باطلة زائغة، فإن هذا يؤثر على أقواله وأفعاله، فالأقوال والأفعال تابعة للاعتقاد، ونتيجة عنها إن حقاً وإن باطلاً، وهذا العنوان الذي تراه مستنبط من كلام الإمام الشوكاني -رحمه الله- فهو يرى أن الذين يقعون في أعراض الصحابة ويسبونهم يقعون في معصية تكون باباً يلجون منه إلى آفاق متعددة من المعاصي والمحرمات، لقد درس هذا العالم واختبر من وقع في معصية سب الصحابة، وسلك طريق الرافضة، فوجد أنه لا يتنزه عن المحرمات من الدين، يقول الشوكاني -رحمه الله- في كتابه (منتهى الأدب وأدب الطلب ص ٩٨، ٩٩):

«والجملة، فإذا رأيت رجلاً قد انتهى به الرفض إلى ذم السلف الصالح والوقية فيهم، وإن كان ينتمي إلى غير مذهب الإمامية، فلا تشك في أنه مثلهم، وجرب هذا إن كنت ممن يفهم فقد جربناه، وجربه من قبلنا، فلم يجدوا رافضياً يتنزه عن شيء من محرمات الدين كائناً من كان، ولا تغتر بالظواهر، فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ، ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف ناراً ولا يرجو جنة»، ويضرب الشوكاني أمثلة من واقع حياته، يستشهد بها على هذه الحقائق، فيلخصها فيما يلي:

١ - وقد رأيت من كان منهم مؤذناً، ملازماً للجماعات، فانكشف سارقاً.

٢ - وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد صنعاء، وله سمت حسن، وهدى عجيب، وملازمة للطاعة، وكنت أكثر التعجب منه، كيف يكون مثله رافضياً، ثم سمعت بعد ذلك عنه أموراً تقشعر لها الجلود، وترجف منها القلوب.

٣ - وكان لي صديق يكثر المجالسة لي، والوصول إلي، وفيه رفض يسير، وهو متنزّه عن كل محذور، ثم مازال ذلك يزيد به الأسباب، حتى صار يصنف في مثالب جماعة من الصحابة، ثم صار يمزق أعراض جماعة من أحياء العلم والأموات، وينسبهم إلى النصب بمجرد كونهم لا يوافقونه على رفضه، ثم صار يتصل به جماعة، ويأخذون عنه من الرفض ما لا يتظاهر بمثله أهل هذه الديار، وكنت أعرف منه في مبادئ أمره صلابة وعقّة، فقلت: إذا كان ولا بدّ من رافضي عفيف، فهذا، ثم سمعت عنه بفواقر^(١)، نسأل الله الستر والسلامة.

٤ - وأما وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين، ومن يقدرّون على ظلمه كائنًا من كان، فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفي مدعيه إحالة منكره على الاستقراء والتتبع، فإنه سيظفر عند ذلك بصحة ما ذكرناه.^(٢)

(١) الفواقر: جمع الفاقرة: وهي الداهية. ينظر: المعجم الوجيز (فقر).

(٢) «منتهى الأدب وأدب الطلب»، مرجع سابق بتصرف.

صُورٌ من سوء الخاتمة لبعض الرافضة:

تتكرر الشواهد التاريخية على وقوع كثير ممن يسب الصحابة رضي الله عنهم في خواتم سيئة في نهاية أعمارهم، وحال موتهم، ونحاول أن نذكر الصور الآتية للعبرة والعظة:

١ - روى ابن أبي الدنيا عن أبي المختار التميمي، قال: حدثني رجل، قال: خرجنا في سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فنهيناه فلم ينته، فخرج يوماً لبعض حاجاته، فاجتمع عليه الزنابير، فاستغاث فأغثناه، فحملت علينا، وتركناه، فما أقلعت عنه حتى قطعتة قطعاً قطعاً، وكذلك رواه ابن سبع في شفاء الصدور، وزاد فحفرنا له قبراً، فتصلبت الأرض، فلم نقدر على حفرها، فألقيناه على وجه الأرض، وألقينا عليه من ورق الشجر والحجارة، وجلس رجل من أصحابنا يبول، فوقع على ذكره زنبور من تلك الزنابير، فلم يضره، فعلمنا أن تلك الزنابير كانت مأمورة. ^(١)

٢ - ذكر الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) ^(٢)، قصة الشاعر الرافضي إسماعيل ابن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري الملقب بالسيد، وقال: كان ممن يشرب الخمر، ويقول بالرجعة، قال يوماً لرجل: أقرضني ديناراً، ولك عندي مائة دينار إذا رجعنا إلى الدنيا، فقال له الرجل: إني أخشى أن تعود كلباً أو خنزيراً فيذهب ديناري.

قال: وكان قبحه الله يسب الصحابة في شعره، وقد اسود وجهه عند الموت، وأصابه كرب شديد جداً، ولما مات لم يدفنه؛ لسبه الصحابة رضي الله عنهم.

٣ - وأمير الموصل الرافضي، كانت له عاقبة وخيمة، واسمه مقلد بن المسيب العقيلي (ت ٣٩١هـ)، فقد وثب عليه مملوك من ممالكه في مجلس أنسه فقتله؛ لكونه سمعه يقول: «لولا ضجيعاك لزرتك»، يخاطب بهذه العبارة رسول الله صلوات الله عليه وآله ^(٣).

٤ - ذكر ابن القيم، في كتابه (الروح) ^(٤)، عن ابن أبي الدنيا: حدثني محمد

(١) «حياة الحيوان»، للدميمي (٩/٢).

(٢) (١٠ / ١٧٣-١٧٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٥/١٧).

(٤) ص (١٠٣).

ابن الحسين، قال: حدثني أبو إسحاق صاحب الشاط، قال: دعيت إلى ميت لأغسله، فلما كشفت الثوب عن وجهه، إذا بحية قد تطوقت على حلقه، فذعر من غلظها، قال: فخرجت فلم أغسله، فذكروا أنه كان يسب الصحابة ﷺ.

وقد أورد ابن القيم قصصاً مثل هذه القصص تدل على سوء خاتمة من يسب الصحابة، وعلى من يسب علي بن أبي طالب ﷺ، في كتابه (الروح)^(١).

وفي عصر المصنف في القرن الحادي عشر: ذكر المصنف سوء خاتمة لأناس كانوا يسبون الصحابة، فقال في تاريخه^(٢): «وقد جرى مع كثير ممن ولع بسب الصحابة ﷺ سوء الخاتمة، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونسأله أن يرحمنا، أخبرني الثقة أن هذا حسن بن علي بن جابر الهبل، لما ذكر له في مرض موته التوبة، قال: ذاك هو الذي يلقي الله به -أي سب الصحابة- وأن سببه علي بن أبي طالب، هو الذي ترك حقه، وربما، وسبه -أي سب علياً-!! فاعجب، وانظر كيف ختم له سب الصحابة من أجل علي، ثم طغى إلى سب علي ﷺ»، إلى أن قال المصنف مبيئاً سوء خاتمة لرجل آخر، هو الفقيه صلاح القاعي، قال^(٣): «وكان رجل يقال له: الفقيه صلاح القاعي مات كافراً، هكذا روى لي هذا السيد: لطف الله بن علي، وروى هذه الرواية الأخرى عن صهره محمد بن حسن الحيمي، وهو ممن حضر موت خاله صلاح القاعي».

ويورد المصنف قصة سوء خاتمة رجل آخر رافضي، وهو من رافضة العجم، جاء إلى اليمن متطبياً، فقال^(٤): «ولما مات محمد بن صالح العجمي الرافضي من الاثني عشرية، قال الراوي: أنه ظهر في لسانه سواد عظيم، وكثير من الرافضة غالبهم أو جميعهم تكون خواتمهم خواتم سوء، فنسأل الله السلامة والأمان، وصلى الله على محمد وآله وسلم».

(٢) «بهجة الزمن» ص (١٦١).

(١) في الصفحات (٢٨١-٢٨٤).

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

أعلام ممن سب الصحابة تابوا من الرفض:

يحسن بنا هنا أن نورد بعض من أراد الله له وشاء أن يتوب من معصية سب الصحابة، وكان سائباً لهم، وغارقاً في مستنقع الرفض، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي:

١ - الشاعر أسبهندوست بن محمد بن الحسن الديلمي (ت ٤٦٩هـ) لقي أبا عبد الله بن الحجاج وعبد العزيز بن نباته، وغيرهما من الشعراء، وكان شيعياً فتاب، وصرح بالتوبة بقوله في قصيدة له:

لَا حَ الْهُدَى فَجَلَا عَنِ الْأَبْصَارِ
كَالَلَّيْلِ يَجْلُوهُ ضِيَاءُ نَهَارِ
وَرَأْتُ سَبِيلَ الرُّشْدِ عَيْنِي بَعْدَمَا
غَطَّى عَلَيْهَا الْجَهْلُ بِالْأَسْتَارِ
لَا بَدَّ - فَاَعْلَمُ لِلْفَتَى - مِنْ تَوْبَةٍ
قَبْلَ الرَّحِيلِ إِلَى دِيَارِ بَوَارِ
يَمْحُو بِهَا مَا قَدْ مَضَى مِنْ ذَنْبِهِ
وَيُنَالُ عَفْوَ إِلَهِهِ الْغَفَّارِ
يَا رَبُّ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ تَائِبًا
مَنْ زَلَّتْ يَ عَالَمِ الْأَسْرَارِ

إلى أن قال:

وَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ هِدَاةٌ قَادَةٌ
وَأُثِمَّةٌ مِثْلُ النُّجُومِ دَرَارِي
وَعَدَلْتُ عَمَّا كُنْتُ مَعْتَقِدًا لَهُ
فِي الصَّحْبِ صَحْبِ نَبِيِّهِ الْمُخْتَارِ
وَالسَّيِّدِ الصَّدِيقِ وَالْعَدْلِ الرَّضَى
عُمَرُ وَعُثْمَانُ شَهِيدُ الدَّارِ

وعليّ الطُّهْرُ المفضَّلُ بعدَهُمْ
 سيفُ الإلهِ وقَاتِلُ الفُجَّارِ
 صَحْبُ النَّبِيِّ الغُرِّ بل خلفاؤه
 فينا بأمرِ الواحدِ القَهَّارِ
 رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ بِذَلِكَ صِفَاتُهُمْ
 وَرَدَّتْ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ
 وتراهمُ من رَاكِعِينَ وَسُجَّادٍ
 يستغفرونَ اللَّهَ فِي الأسْحَارِ
 أَيْقَنْتُ حَقًّا أَن من وَالَاهُمْ
 سَيَفُوزُ بِالْحُلَى بِدارِ قَرَارِ
 فَعَدَلْتُ نَحْوَهُمْ مَقَرًّا بِالوَلَا
 وَمُخَالَفًا لِلْعُصْبَةِ الْأَشْرَارِ
 مَتَرَجِّيًا عَفْوَ الإلهِ وَمَحْوَهُ
 مَا قَدَّمَته يَدِي من الْأَوَارِ
 وَإِذَا سُئِلْتُ عَنْ اعْتِقَادِي قُلْتُ مَا
 كَانَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُ الْأَبْرَارِ
 وَأَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 صَدِيقُهُ وَأَنْيَسُهُ فِي الْغَارِ
 ثُمَّ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهُ خَيْرُ الْوَرَى
 أَكْرَمُ بِهِمْ من سَادَةِ أَطْهَارِ!!
 هَذَا اعْتِقَادِي وَالَّذِي أَرْجُو بِهِ
 فَوْزِي وَعِثْقِي من عَذَابِ النَّارِ^(١)

٢ - وفي ترجمة الحافظ العالم المحدث محمد بن علي بن عبد الله الصوري (ت ٤٤١هـ) في (المنتظم)^(١)، لابن الجوزي، جاء في ترجمته: سمع الحديث بصيداء من أبي الحسين بن جميع، وهو أسند شيوخته، ثم صحب الحافظ عبد الغني فكتب عنه، وعن غيره من المصريين، هذا المحدث ذهب إلى الكوفة فسمع بها من (٤٠٠) شيخ، وكان يظهر هناك السنّة، ويترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فثار أهل الكوفة من الشيعة ليقتلوه، فالتجأ إلى كبيرهم وعالمهم الشيخ أبي طالب بن عمر العلوي، وكان أبو طالب يسبّ الصحابة فأجاره، وقال له: احضر كل يوم وارو لي ما سمعت في فضائل الصحابة، فقرأ عنده فضائلهم، فتاب أبو طالب، وقال:

«عشت أربعين سنة أسب الصحابة، وأستهي أعيش مثلها حتى أذكرهم بخير».

٣ - وفي هذا العصر ينبذ مذهب الرافضة شخصيات من أكابر علمائهم، ومجتهديهم في العراق، منهم العلامة حسين الموسوي، صاحب كتاب: (لله ثم للتاريخ)، فقد أعلن تبرؤه من مذهب الرافضة، وهذاه الله إلى الهدى والرشاد.

٤ - ومنهم: العلامة موسى الموسوي من علماء النجف، وقد فر إلى الغرب خوفاً من الاغتيال.

٥ - السيد أحمد الكاتب، صاحب كتاب (تطور الفكر الشيعي)، وقد فر أيضاً إلى الغرب خوفاً من الاغتيال.

٦ - العالم الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني أكبر أئمة الشيعة في عصر ما يسمى بالغيبة الكبرى، وقد قتل الحاقدون نجله ذبحاً؛ انتقاماً لأنه أراد تصحيح منهج الشيعة، ونبذ ما فيه من الخرافات.

٧ - عالم آخر من أكابر الرافضة، هو العلامة السيد أحمد الكسروي، اغتاله الحاقدون وقتلوه عندما أعلن براءته من الانحراف، وأراد أن يصحح المنهج الشيعي، فقطعوه قطعاً قطعاً^(٢).

(٢) انظر: «لله ثم للتاريخ» ص (٧-٩).

(١) (١٥ / ٢٢-٣٢).

● الفصل الثاني ●

سيرة المصنف يحيى بن الحسين

هو العلامة الجليل الزاهد، صاحب المصنفات العديدة، والآراء السديدة، المتحلي بالإنصاف والتواضع، حفظ الله قلبه فلم تدنسه أضرار^(١) الشبهات الفاسدة من الحقد على خير القرون من السلف؛ بل أحبه ودافع عنهم، وصان لسانه وعف عن الوقوع في أعراضهم، وصان عرضه من الأطماع في عرض الدنيا الزائل، فزهد فيها ولم يتقرب لأبنائها للحصول على منصب أو جاه أو مال، وهذه ثمرة علمه الذي رزقه الله إياه، وثمره من ثمار العمل بعلمه، وصان قلمه عن أن يكتب به امتداح أصحاب الحكم أو المنصب أو الجاه، ولم يطمع في منصب مع أن أبناء أسرته وأقرانه كانوا أقطاب دولة عصره.

وبالرغم من أن إمام عصره عرض عليه المنصب، فاعتذر وأبى، ولو عرض على أحد أقرانه، لكاد أن يطير من شدة الفرح، كان العدل والإنصاف والنصح وقول الحق، وكراهية الظلم والنفاق هو ديدنه، فنصح بلسانه وبقلمه أولي الأمر برفع المظالم التي دارت رحاها على رؤوس المظلومين، ونصر السنة، فدافع عنها دفاع الأبطال، ونهض لنصرتها نهضة صارم، وسل على المشككين فيها كل صارم^(٢)، فكان بداراً منيراً في ليلة أضحيان عشت عن رؤيته عيون الحاقدين المتعصبين من مؤرخي عصره وبعده، حتى من قلدهم في هذا العصر، فما رنت نواظرهم إلى شعاع سنائه، فقطع الحقد عليه أكبادهم، وأكل قلوبهم، فغمطوا الحق الذي نطق به لسانه، وأنكروا فضله وقد عرفوه، وغضوا أبصارهم الكلييلة عن رؤية ضياء فضله، وعلمه ونبله وسجاياه، عاش راضياً مطمئناً قانعاً بما رزقه الله، راضياً بالكفاف، فأنفق عمره النفيس في تلقي العلم من شيوخ عصره، وما بين قراءة وتدريس

(١) أَوْضَارٌ: جمع وَضَرَ: وهو الوسخ من الدَّسَمِ أو غيره. ينظر: المعجم الوجيز (وضر).

(٢) إشارة إلى رسالته (صوارم اليقين القاطعة لشكوك القاضي أحمد سعد الدين)، في خلال الإعداد للنشر.

وتأليف، فبارك الله في جهوده، وطلعت بدور سعوده، فأضاعت في القرن الحادي عشر، وأنارت ربوع اليمن جبالها ووهادها، وحواضرها وبواديها، وتباهت به صنعاء، فكان روضها الناضر، وشذاها العاطر، الذي تفتحت أكمامه، وضحكت أزهاره، وعبقت أشداؤه، بعدما تباهت قبله صنعاء بـ «الروض الباسم»^(١).

إنه علم الأعلام العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، جادت سحائب الرحمة والمغفرة على ثراه، وأسكنه الله دار السلام مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وعالمنا هذا هو مؤرخ وفقه وأديب ومشتغل بعلوم الحديث، وقد يشبه اسمه باسم رجل آخر معاصر له، هو يحيى بن حسين بن المؤيد محمد بن القاسم الشهادي الرافضي (ت ١٠٩٠ هـ).^(٢)

حياته:

لقد امتدت حياته بين عامي (١٠٣٥ - ١١٠٠ هـ)، ومن عادة بعض المؤلفين من العلماء أن يضعوا لأنفسهم ترجمة، لكن المصنف - رحمه الله - على الرغم من أنه من العلماء المؤرخين المشهورين لم يحرر لنفسه ترجمة، ولعله تحلى بالتواضع،

(١) إشارة إلى كتاب (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم)، للعلامة المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير، الذي اختصره من (العواصم والقواصم).

(٢) ترجم له المصنف في (بهجة الزمن ص: ٣٤٦)، حوادث سنة ١٠٩٠ هـ، والشوكاني، في «البدر الطالع» (٢/ ٣٢٩)، والقاضي إسماعيل الأكوخ في «هجر العلم» (٢/ ١٠٩٠)، وما ذكره الشوكاني في ترجمته أنه رأى بخط المصنف أن يحيى بن حسين الرافضي المذكور طمس وحذف أبواباً من «مجموع زيد بن علي» ما فيه ذكر الرفع والضم والتأمين وغير ذلك، هو وتلامذته ثم جعلوا نسخاً وبثوها في الناس، قال الشوكاني: وهذا أمر عظيم وجناية كبيرة.

ويحيى بن حسين هو صاحب كتاب (غاية الأمان) المطبوع في جزأين، وقد وهم بعض المؤرخين بنسبته للمصنف ومنهم المؤرخ الزركلي في (الأعلام)، وتبعه في هذا الخطأ الباحث عبد الله بن محمد الحبشي في مقدمة «بهجة الزمن»، للمصنف الذي طبع أخيراً.

والانصراف عن الغرور والشهرة، ومع أن والده -رحمه الله- كان متنقلاً ما بين صوران وأماكن أخرى من اليمن، سواء في سنوات قتاله مع والده الإمام القاسم أو مع الإمام المؤيد من بعده، أم في أثناء تنقله في سنوات السلم وقيامه بالإمارة في لواء تعز وغيره، فلا ندري مكان ميلاد المصنف خصوصاً خلال هذه الفترة المملوءة بالأحداث التي خاضها والده، وهي فترة غير مستقرة استقراراً كافياً، فقد دخل والده الحسين بن القاسم وعمه الحسن بن القاسم إلى صنعاء قادمين من صوران، وهما يقودان جيشاً جرّاراً يضيق منه السهل والجبل، في قوة ازدهار الدولة القاسمية وإحرازها النصر الكبير على الأتراك، كان ذلك سنة (١٠٤٧هـ)، وكان عمر المصنف حينذاك (١٢) عاماً، وربما كان مرافقاً لوالده، وكان ذلك أيام شباب الدولة القاسمية وعنفوانها وقوتها، وعاصر المصنف فترة حكم الإمام المؤيد أو آخر فترة حكمه، التي انتهت بوفاته سنة ١٠٥٤هـ، وكانت مدة دولته (٢٥) عاماً، كما شهد المصنف فترة حكم عمه الإمام المتوكل إسماعيل، وهي فترة حكم طويلة كانت مدتها (٣٣) عاماً، كما عاش المصنف فترة حكم الإمام المهدي أحمد بن الحسن التي انتهت عام (١٠٩٤هـ)، وكانت مدتها (٧) سنوات، وكذلك عاصر فترة حكم الإمام المؤيد محمد ابن المتوكل إسماعيل، التي كانت فترة حكمه مدتها (٣) سنوات، فقد عاصر حكم أربعة أئمة، وهي حياة زاخرة بالأحداث الهائلة مملوءة بالحروب والسلم والأحداث السياسية الكبيرة.

أما زمان ولادة المصنف بالتحديد والتعيين فلا نجد مصدراً نعتمد عليه اللهم إلا ما ذكره المؤرخون، ومنهم الشوكاني^(١) على وجه التقريب، فقال:

«ولد تقريباً سنة ١٠٣٥هـ»، إلى أن قال: «ولم أجد له ترجمة أستفيد منها تاريخ مولده أو موته على التعيين، أو شيئاً من أحواله، بل أهمل ذكره أهل عصره فمن

(١) «البدر الطالع» (٢/٣٢٨).

بعدهم، ولعل سبب ذلك -والله أعلم- ميله إلى العمل بما في أمهات الحديث، ورده على من خالف النصوص الصحيحة^(١)، أما الذين ترجموا للمصنف من المؤرخين، كالمؤرخ زبارة في (شذا العرف)، وصاحب (الأعلام)، والباحث الأستاذ: عبد الله محمد الحبشي في مقدمة تحقيقه لكتاب المصنف المطبوع (بهجة الزمن)، فقد تبع هؤلاء الشوكاني، فيما ذكرناه قريباً على التقريب أن ولادته كانت سنة ١٠٣٥ هـ.

أما منزل المصنف في صنعاء، وسكنه -رحمه الله- فقد ذكره في كتاب (بهجة الزمن ص: ٤٤٠) في معرض حديثه عن موت ابنه الشاب الحسن بن يحيى، فذكر أنه كان يسكن في منزل قريب من (الأبهر)^(٢)، فيما يسمى اليوم ويطلق عليه بصنعاء القديمة، ومنزل آخر جوار (بئر العزب) جواره مزرعة للأعناب.

صفاته الخلقية:

أما صفاته الجسمية، فلم نعثر على مصدر، يذكر الصفات المطلوبة، وذلك لإهمال أهل عصره له، إنكاراً له وكراهية وحسداً:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ
فَالْكُلُّ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْ جَهِهَا
حَسَداً وَيَغْيَا إِنَّهُ لَدَمِيمٌ

(١) كلام الإمام الشوكاني هذا صحيح، ومن الأدلة على أن المصنف أهمله أهل عصره بسبب ميله إلى السنة، ما قام به صاحب (طبق الحلوى)، الأديب عبد الله بن علي الوزير، وهذا الكتاب يعتبر ملخصاً لكتاب المصنف (بهجة الزمن)؛ إذ اعتمد صاحب (طبق الحلوى) على كتاب المصنف ونقل منه أكثر الأحداث مرتباً على السنوات، ولكنه لم يشر فيه أو في صفحة من صفحاته إلى ذكر اسم المصنف، وكان أحياناً يعترض على المصنف ويصممه ويغمزه دون التصريح باسمه، أما الرافضي يحيى بن حسين بن المؤيد الذي تقدم ذكره، فقد امتدحه صاحب (طبق الحلوى) وأثنى عليه مصرحاً باسمه في الصفحات الآتية (٢٢٩، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٩)، انظر إلى هذا الإنكار لأهل العلم والفضل علمهم وفضلهم، والله المستعان.

(٢) سيأتي مزيد من التفصيل قريباً في فقرة (أولاده).

مما أدى إلى ضياع كثير من سجايه ومزايه وسمته، وأخلاقه النبيلة وشمائله الحميدة.

* * *

نسبه:

نسبه شريف، فجدّه القاسم بن محمد يصل نسبه إلى الإمام الهادي يحيى ابن الحسين:

نسبٌ كأنَّ عليه من شمسِ الضُّحى
نُوراً ومنَ فلقِ الصَّباحِ عُمُوداً

* * *

تحصيله العلمي ورحلاته:

لم نعثر على خبر في المصادر التي بين أيدينا على أن المصنف -رحمه الله- رحل في طلب العلم، ولكنه تلقى دراسته على شيوخ عصره في صنعاء، فقد كانت صنعاء حينذاك حاضرة الدولة القاسمية، ولم يرحل إلى المدن اليمنية الأخرى، ولكنه اكتفى بالدراسة والتحصيل في صنعاء ومركزها العلمي الهام، فقد كانت تضم فطاحل من أكابر علماء الزيدية الهادوية، ومنهم من يتحلى بالإنصاف، وظل ينهل من شتى العلوم والفنون.

* * *

مذهبه الفقهي وعقيدته:

إن مذهب المصنف الفقهي هو المذهب الزيدي الهادوي السائد في عصره، خصوصاً في صنعاء وما جاورها من المدن، مثل شهارة وصعده وذمار وحوث،

ولكن المصنف -رحمه الله- كان كثير الاطلاع على المذاهب الأخرى؛ كالشافعية وغيرها، ولعله كان يمتلك مكتبة خاصة زاخرة بنفائس الكتب العلمية من كتب الحديث والفقه والتاريخ والسير والآداب والتراجم وغيرها، وكان يحب السنة حباً شديداً، وينبذ التقليد، وكان يثني على عقيدة السلف من أهل السنة والجماعة، بل يستشهد بأقوالهم كالموافق لهم، مما يدل على إنصافه واتباعه الدليل.

* * *

أسرته:

لقد كان المصنف -رحمه الله- من أقطاب الأسرة الحاكمة، وهي الأسرة القاسمية؛ فجده هو الإمام القاسم بن محمد، فقد نبغ في شتى العلوم، ودعا لنفسه بالإمامة، في وقت كانت الدولة العثمانية فيه تسيطر على اليمن بأسره، وقضى معظم حياته في الحرب والقتال المرير مع الأتراك، والإمام المتوكل إسماعيل عمه، وعمه الحسن بن القاسم، ووالده كان من أكبر قادة الدولة ومؤسسي حكمها، وأخوه من أمراء الدولة، والإمام المؤيد من أقاربه.

* * *

والده:

أما والد المصنف؛ فهو العلامة الحسين بن القاسم بن محمد، وهو رجل فاق أهل عصره وفاق قادة الدولة القاسمية؛ حيث جمع بين الشجاعة الفائقة والعلم الواسع، خاصة علم أصول الفقه، ومن مصنفاته التي ذاع وشاع صيتها، كتاب (غاية السؤل)، في أصول الفقه وشرحه في مجلدين، فصار معتمد العلماء والطلابين في عصره وبعد عصره لدى فقهاء الزيدية والهادوية وتلاميذهم، ومن أغرب ما نقل عن والده ومقدرته، أنه صنف كتابه (المختصر في أصول الفقه) وهو في حال حصاره لمدينة صنعاء أثناء قتاله مع الأتراك، وقد ترجم له الشوكاني في (البدر الطالع)^(١).

وأطنب في ترجمته، وأبدى إعجابه من إنجازته تصنيف هذا الكتاب وهو في حالة حرب وقتال؛ بحيث لم يتم لمثله أحد، ولفرط شجاعته وسعة علمه فقد كان منصفاً وعادلاً في الولايات التي تولاها، ومشفقاً على الرعية، ففي خلال ولايته على لواء ثغر في عهد الدولة القاسمية، في البلاد التي يسود فيها مذهب الشافعية، كان يأمر عماله الذين تحت سيطرته بالعدل وترك الأهالي على مذهبهم، وترك مضايقاتهم، والكف عن إكراههم في الدخول في مذهب الهادوية في الجمعة والصلاة، وقد ترجم له ولده المصنف في (بهجة الزمن)^(١) ترجمة، ذكر فيها وفاته وورعه وإنصافه، وميله إلى الصواب والسداد، ومن ذلك أن والده صنف رسالتين نقض فيهما ما اعتاده علماء الزيدية والهادوية في مسألتين، لم يعتمدوا فيهما على الدليل، ولكنه صدع بالحق، فصنفهما، والرسالتان، هما:

١ - في (النهي عن منع الشافعية من التأمين في الصلاة).

٢ - في (صحة صلاة الجمعة بدون شرط وجود إمام).

وهذه مزية عظيمة لهذا العالم، ولاندرى أين مكان هاتين الرسالتين اليوم؟ أو أنهما لاتزالان مخطوطتين.

* * *

والدته:

أما والدته المصنف، فهي زينب بنت عبد الله بن صلاح الوادعي.

* * *

أخوه الأكبر:

كان للمصنف -رحمه الله- أخ هو الأكبر منه، وهو محمد بن الحسين ابن

القاسم، ترجم له المصنف في (بهجة الزمن)^(١) في حوادث سنة ١٠٦٧ هـ، فقال: «وفي هذه السنة في عصر يوم الجمعة ٨ من شهر شوال من السنة المذكورة، توفي عز الإسلام محمد بن الحسين -رحمه الله- بمستقره البستان غربي صنعاء، ودفن جنب المسجد، فكان لموته -رحمه الله- موقع عظيم؛ لما كان عليه من حسن الأخلاق للخاص والعام، وكثرة الإنفاق، وكان له معرفة حسنة في العلوم والنحو والمعاني وفي البيان اليد الطولى، وشيخه الفقيه: عبد الرحمن الحيمي^(٢)، والقاضي أحمد ابن صالح العنسي، وكذا في أصول الفقه، وآخر حياته التفت إلى الفقه، والقراءة فيه والعناية بدرسه، والنظر في مبانيه، وكان مع ذلك يحب السنة النبوية والحديث، ويعظم أهله، ويوقر متحمله، وله تأليف حسن في آيات الأحكام في مجلد، وأحاديث في صفة الجنة، وكان كثير المحبة للفائدة والمذاكرة في المجالس مع التواضع وحسن التوانس، وطيب الأنفاس، ولطيف المفاكهة لذوي الأجناس، والسماحة والطلاقة والسجاجة والرجاحة، وكان مرضه -رحمه الله- علة القولنج واليبس واحتباس الطعام والشراب، وعرض الإمام على كاتب الأحرف^(٣) النيابة على هذه البلاد التي تحت أخي محمد بن الحسين، وحفظ الأجناد، فاعتذرت إليه في ذلك، ولم أدخل في شيء مما هنالك».

أولاده:

كان للمصنف -رحمه الله- ثلاثة أولاد من الذكور، وهم:

١ - علي بن يحيى بن الحسين، ولم نحصل على أخباره وسيرته.

(١) ص (٩٤).

(٢) هو العلامة المحدث الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي، ترجمته في «البدر الطالع»، وسنورد ترجمته قريباً.

(٣) المراد به المصنف نفسه يحيى بن الحسين، رحمه الله.

٢ - إسماعيل بن يحيى بن الحسين، وهو مثل سابقه، لم نعثر على أخبار من حياته وسيرته.

٣ - الحسن بن يحيى بن الحسين، وربما كان هذا هو الأكبر من بين إخوته، أو الأوسط منهم، وقد توفي شاباً، في حياة والده، وحزن والده لوفاته حزناً شديداً ذكر حادثة وفاته في (بهجة الزمن)^(١)، فقال في حوادث سنة ١٠٩٦هـ: «وفي بكرة يوم الأربعاء عشرين من شوال من السنة المذكورة توفي الولد شرف الدين الحسن ابن يحيى بن الحسين، ولد كاتب الأحرف بآلم الحلق، وكان مرضه -رحمه الله- آخر نهار الجمعة (١٥) من الشهر، ومات بصنعاء، فكان له وقع عظيم عند والده كاتب الأحرف؛ للعلة الطارئة التي حصلت في هذه المدة، ثم شيعناه -رحمه الله- من الدار التي لنا قريب (الأبهر) إلى (بئر العزب) غربي صنعاء، وقبرناه قريباً من بيتنا ومخرفنا في مكان مناسب لمثله، ويقرب من التذكر لنا والتأسي به، وللدعاء، بأطيان (بئر طاهر) التي لنا، وكان هذا المحل الذي قبر -رحمه الله- كثيراً ما يتعود القُعود فيه وحده، عند ساقية الماء الجاري من البئر يسقي الضيعة التي معنا، والأعنان فيها، وكان سنّه يومئذ عشرين سنة ونصف، ومولده سنة ١٠٧٥هـ، وكان لا يفارقنا -رحمه الله- في بقائنا بصنعاء، وفي الخريف في هذا المحل خارجها إلا هذه السنة فإنه اختار واسترجع بعدم الخروج لنزهة الخريف معنا، وكنا نحب مطابقة غرضه ومسايرته فسكن هناك إلى آخر الخريف، وكان موته -رحمه الله- وكان فيه صفات ما رأيتها في أحد من أمثاله وأبناء جنسه -رحمه الله- من السكينة التي رزقها وكمال العقل والقناعة؛ بحيث لم يسألني في مدة حياته، ولا مطلبة واحدة وإنما كنت أعرض عليه ذلك عرضاً فيأخذه مني، وكان لا يخطر بباله أن يسأل أرباب الدولة، ولا القصد إلى أبوابهم، ولا الاتصال بهم بالجملة الكافية، فما وصل إلى أحد منهم في جميع مدته، ولا عرفهم ولا كاتبهم، وكان قد ولع بالصلاة بجامع صنعاء محبة منه للجماعة، والتلاوة، فكان لا يتركها للمغرب والعشاء كل ليلة -رحمه الله-

وكان من جملة المثبطات له في السكون بصنعاء هذا العام وعدم الخروج لنزهة الخريف هو ذلك، وربما زوجته أحببت سكونه بصنعاء، فسكن معها، وكان -رحمه الله- يشتري من الكتب، ويحب مطالعتها خصوصاً ما فيها من القصص والأخبار والآداب وكان قرأ على كاتب الحروف في (الكافية) لابن الحاجب شرفاً واحداً^(١)، وله الخط الحسن، واللفظ البليغ المحكم، وكان يظهر معه -رحمه الله- البركة فيما تحت يده؛ بحيث ذكرت له مرة أنني عجبت مما رأيته معه من الفراش والكتب.. إلخ.

قال المؤرخ زبارة: «وقد رثاه أحد أدباء عصره، قائلاً:

يَأْيُهَا المولى العمادُ وَمَنْ غَدَاً

بجَمِيلِ أوصافِ المكارِمِ يَحْمَدُ

وأجلُّ مَنْ يَفْتِي الـوَرَى بعلومه

ويَحُلُّ أَمْرَ المشكلاتِ ويعقِدُ

حسنَ العَزَا لما أتى تاريخه

حسنٌ يَعِزُّ فِي الجِنَانِ مُخَلِّدُ^(١)

والخلاصة: أن المصنف -رحمه الله- من أسرة معروفة ومشهورة بالعلم والفضل، فلا غرو أن ينبغ في العلوم ويتبحر فيها، ويبلغ درجة عالية فيها.

* * *

شعره:

إن المصنف -رحمه الله- كان جل اهتمامه واشتغاله بالفقه والحديث واللغة والمعاني والبيان والتاريخ والتصنيف تلقياً وتدریساً، ولم نثر بحسب المصادر التي حصلنا عليها على ميوله إلى كتابة الشعر، ورغبته فيه وإنتاجه فيه، وقد عثرت له

(١) الشرف في القراءة معناه مرة واحدة.

(٢) «نشر العرف»، لزبارة (٢ / ٨٧٤-٨٥٨).

على أبيات له قليلة في كتابه (بهجة الزمن)^(١) غير كافية لأن يطلق عليه بها اسم شاعر، وفوق ما ذكرنا سابقاً من أبيات له رد بها على الرافضي أحمد الأنسي، وهي:

لَقَدْ رَضِيتُ أُمْنًا فَاطِمَةَ
وَمَاتَتْ وَمَا بِكَ بِاللَّائِمَةِ
فكيف التَّحَرُّجُ عند التََّرْضِي
وفي اللعن لا حُجَّةَ قَائِمِهِ
ومن كان خلفاً لبنت الرسول

لِ فَهِيَ لَهُ فِي غَدٍ خَاصِمِهِ
وكذلك ذكر المصنف أبياتاً له في (بهجة الزمن)^(٢)، قالها بمناسبة إنجاز تصنيفه لكتاب كبير حافل هو يشمل خمسة فنون، فقال:

«يسر الله لي تمام مصنفي: (الاعتباس) إلى آخره بحمد الله، الذي يشتمل على خمسة فنون: النحو، والصرف، والبلاغة، وأصول الدين، في أربع مجلدات^(٣)»، ثم وصفه، وما قام وبذل فيه من جهود، إلى أن قال: «وقلت:

فِي مِثْلِ تَقْرِيرِي لَا يَحْسُنُ الْعَدْلُ
وَإِنَّمَا النَّاسُ أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا
رَأَوْا تَخِيرَ قَوْلِي فِي عُلُومِهِمْ
فَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ إِذْ ضَاقتْ بِي الْحِيلُ
لو أَنَّهُمْ عَرَفُوا فِي الْحَقِّ مَعْرِفَتِي
لشأنهم عَذَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا عَذَلُوا

ففي هذه الأبيات الأخيرة يتبين أنه وجد مضايقة من أهل عصره من أجل إنصافه

(٢) ص (٢١٥).

(١) ص (٢٦١).

(٣) كذا في بهجة الزمن، ولعل الصواب: مجلدات.

واعتداله، خصوصاً في تصنيفه هذا الكتاب «الاعتباس»، وذكر أن المنصف بين أهل عصره خصوصاً عند علماء الهادوية ليس له عندهم قيمة أو وزن، فقال: «إن المنصف من أهل هذه البلاد كالعدم، والتقليد قد لصق بالأكثر وعم».

كما نلمس من هذه الأبيات الأخيرة، ظهور جماعة من أهل عصره امتلأت قلوبهم بالحق والحسد والكراهية له؛ وذلك لما رزقه الله من العلم والاعتدال والإنصاف والانصراف عن الدنيا، فقد عابوه وعذلوه، ولم يعرفوا قدره، أو عرفوا قدره وعلمه وفضله ولكن الحق والحسد طمس قلوبهم عن قول الحق وإعلان الفضل والعدل والإنصاف، فلذلك استشهد بما جرى له منهم من تضيق بالمثل المشهور: «المرء عدو ما جهل»، فهو يعيش ويشعر بغاية الارتياح من الإنصاف وقول الحق، وطمأنينة النفس، والتلذذ بالعلم تدريساً وعملاً وتصنيفاً، وهم يعيشون في نكد ومرض في قلوبهم، وصار الحق يأكل قلوبهم، ويقطع أكبادهم، وصدق القائل (من بحر البسيط):

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ
قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ
لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ

وفاته:

بعد حياة حافلة بالاشتغال بالعلم عاشها المصنف -رحمه الله- وقضاها ما بين تحصيل وتدريس وتأليف، وزهد في الدنيا والرغبة عنها وعن بهجتها وزخرفها وظلها

الزائل، نزل بهذا الفارس -فارس عصره في العلوم- الموت، فلبى نداء ربه سنة ١١٠٠هـ، ليكون خاتمة علماء القرن الحادي عشر، ولم نثر على تاريخ وفاته بالشهر واليوم، ومع هذا فإنه -أي تاريخ موته بالسنة- قد حصل خلاف في تعيينه بين الذين ترجموا له في تاريخ الوفاة؛ فالشوكاني^(١) يذكر أن الوفاة سنة ١٠٩٩هـ، والمؤرخ زبارة^(٢)، والزركلي^(٣)، والقاضي إسماعيل الأكوع^(٤)، والأستاذ الحبشي^(٥)، هؤلاء يذكرون أن وفاته سنة ١١٠٠هـ، مع أن الشوكاني -رحمه الله- يعتذر ويقول: «ولم أجد له ترجمة أستفيد منها تاريخ مولده أو موته»، والزركلي أطلق ذكر الوفاة، وقال: «بعد سنة ١٠٩٩هـ»، أما مكان قبره ودفنه، فقد دفن -رحمه الله- بجوار بير طاهر شمال قبة (المتوكل) قاسم بن حسين، في (باب السبحة) بصنعاء، رحمه الله.

* * *

عيشه:

لقد رضي المصنف -رحمه الله- بالقناعة، والعيش بالكفاف من الرزق، فعاش راضياً بما قسم الله له، ومن رضي بما قسم الله فهو أغنى الناس، وتجردت نفسه من حب الدنيا ومن الطمع في حطامها الزائل، وأصبح لا يستشرف لحكم ولا لمنصب، أما الرزق الذي يقيم به أودّه وقوته وقوت أهله، فهو ما كان يأخذه من جزية اليهود الذين كانوا في صنعاء، وربما أن هذه الجزية التي كان يسد بها ما يحتاج إليه هو وأهله أنها لم تدّم ولعلها انقطعت عنه حين أمر الإمام المهدي أحمد بن الحسن صاحب الغراس بإجلاء اليهود من صنعاء^(٦)، فانقطع هذا المأخوذ، وكان صدور هذا الأمر في أخريات حياة المصنف -رحمه الله- ولعله صبر ويسر الله له طريقاً من الرزق غير ذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣)، ولقي الله قانعاً راضياً مختاراً راضياً بالقليل من الرزق، رحمه الله.

(٢) «نشر العرف» (٢ / ٨٥٤-٨٥٨).

(١) «البدر الطالع» (٢ / ٣٢٨).

(٤) في «هجر العلم» (٢ / ١٠٨٦-١٠٨٨).

(٣) في «الأعلام» (٨ / ١٢٤).

(٦) «بهجة الزمن» ص (٣١٧).

(٥) في تحقيقه «بهجة الزمن».

نصحه لولاية الأمر:

إن على العلماء تكاليفاً، وأعباءً عظيمة من الأمانة، فقد حمّلهم الله أمانة العلم والعمل به، والقيام بالنصح، وإبلاغ الناس دين الله، وتعليم شرع الله؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فهم يحملون العبء الضخم مما ائتمنهم الله عليه من إصلاح الأمة وتقويم اعوجاجها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقول الحق، والتحلي بالصبر على ما يترتب على ذلك من أذى ومشاق.

والعلامة المصنف يحيى بن الحسين قد قام بالنصح وأداء الأمانة حسب طاقته، يتألم لآلام أمته، ويسر لسرورها، وهو ما ينبغي أن يصدر من العالم العامل، فمن جهوده، أنه بذل النصيحة لإمام عصره وأتباعه من الولاية والأمراء، فقد صدر عن إمام عصره وهو عمه المتوكل إسماعيل حكم مغلف جائر، وكان في شكل فتوى؛ لأن الإمام يعتبر نفسه من أهل العلم والحكم على رعية له يسكنون نواحي معينة؛ حيث اعتبرهم عنده (كفار تأويل) على أساس: (التكفير بالإلزام)، ويترتب على هذا أن أهالي هذه النواحي وهي التي تسمى وتعرف بـ «اليمن الأسفل» ويسود فيها مذهب الشافعية، أنها أرض خراجية يجوز للإمام مصادرتها وامتلاكها أو التصرف فيها؛ لأنهم كفار كانوا تحت ولاية كفار من الأتراك، وهذا الحكم الجائر ناتج عن هذه الشبهة عند الإمام، وكان لهذا الحكم أثر سيئ على أولئك الرعية، فقد طحتهم ربحى الظلم من قبل أمراء الإمام المتوكل التابعين له، وسيأتي تفصيل هذه المظالم في فصل (الحياة السياسية).

وكان من أبرز الذين عارضوا هذا الحكم الظالم الماحق على هؤلاء الرعية الضعفاء هو فارس ميدانه وعلامة زمانه المصنف يحيى بن الحسين، فقد حرر رسالة نصح وأرسل بها إلى عمه الإمام المتوكل، دعاه فيها إلى الرجوع عما أقدم عليه، والرجوع إلى الحق فضيلة، وقد وقف مع المصنف علماء من فضلاء الزيدية الهادوية في عصره في إنكارهم على ما أقدم عليه الإمام من حكم جائر، أنطق الله الحق على ألسنتهم، وبعثوا إلى الإمام برسائل تحمل الأدلة على بطلان ما أصدره من حكم، وهؤلاء العلماء من

الزيدية الخُلص، ليسوا متهمين بالنصب أو باتباع السنة، بل هم من أفاضل علماء الهادوية، ولكن الإمام ردَّ ما قاله معارضوه من العلماء، وفي مقدمتهم العلامة ابن أخيه المصنف يحيى بن الحسين، وأصر على موقفه، وكانت ردوده ذات أدلة واهية، ولم يكتف المصنف بتحرير تلك الرسالة التي فيها النصح لعمه، بل صنف رسالة أخرى خاصة تحتوي على الأدلة الشرعية، وأودعها ضمن مصنفاته؛ لتصبح وثيقة تاريخية ومعلمًا من المعالم التي تنادي بالعدل، وتنشد الحق، ومنارًا تسير عليها الأجيال، وتقرؤها بعين الإنصاف، كما عارض المصنف -رحمه الله- عمه الإمام المتوكل، فيما انتشر في عهده من مظالم شديدة تجرَّع مرارتها رعيته في اليمن الأسفل، وهي مظالم متعددة سيأتي تفصيلها في فصل: الحياة السياسية.

ولما وجد المصنف يحيى بن الحسين طريقًا مسدودًا في نصحه للإمام المتوكل إسماعيل، قام بجهد شرعي آخر، هو الشفاعة لدى القادة الكبار المقربين من الإمام برفع المظالم التي صبها ولاية الإمام في اليمن الأسفل، فكتب رسالة بعد وفاة عمه المتوكل إلى نجله محمد بن المتوكل الملقب بالمؤيد، سنورها في فصل آت.

ولم يزل المصنف -رحمه الله- يتابع جهوده في النصح لولاية الأمر في عصره، فحين تولى منصب الإمامة ابن عمه الإمام المهدي أحمد بن الحسن، كتب المصنف إليه رسالة ينصحه فيها ويحثه على رفع المظالم المزمنة عن أهالي اليمن الأسفل، ويمتدحه فيها على إزالتها، سنذكرها في فصل قادم.

إن العلامة يحيى بن الحسين، عالم امتلأ قلبه بحب الخير للناس، وحب العدل والإنصاف، والرفق بهم والرحمة، ورسخت هذه الرحمة في جوانحه وشعوره الطيب، وإحساسه الصادق لمجتمعه وأبناء عصره، إنه إحساس يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، وتتألف من هذه الأخلاق الإسلامية النبيلة، وشاركه في بعضها رجال يحبون الخير من علماء الزيدية في عصره، لكن هذا الحب الغامر للناس من هذا العالم لم يلق قبولاً وثمره عند مؤرخي عصر المؤلف، ومن جاء بعده في أوائل

القرن الثاني عشر، فقد أنكر أحدهم كما ذكرنا من قبل فضل هذا العالم يحيى ابن الحسين، وصنف كتاباً لخصه من كتاب (بهجة الزمن) الذي هو للمصنف، واعتمد عليه في معظم الأحداث التاريخية، ولم يعترف لعالمنا يحيى بن الحسين بأي فضل، قد حمّله على ذلك الهوى، وقد تعصب للإمام المتوكل، ونفى عنه كل مظلمة، وصب جام غضبه على العلامة يحيى بن الحسين، ونزهه^(١) بكلمات لا تليق بأحد من عامة الناس، ناهيك عن فضلائهم وعلمائهم، ومن قرأ الكتابين (بهجة الزمن) والملخص منه^(٢)، يتضح له هذا التحامل، ولا ندري ما وراء هذا التحامل، أهو حسد أم كبر، أم غير ذلك؟

قال المتنبي:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا

وَأَقْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ

عَلَى قَدْرِ الْقَرِيحَةِ وَالْفُهْمِ

وقال البوصيري:

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

وقال شوقي:

وَمَا ضَرَّ الزَّهْوَرَ وَمَا عَلَيْهَا

إِذَا الْمَرْكُومُ لَمْ يَطْعَمْ شَذَاهَا

(١) نزهه: عابه. ينظر: المعجم الوجيز (نزه).

(٢) هو كتاب: «طبق الحلوى» مطبوع.

وقال بعضهم:

عَابَ الْكَلَامَ أَنَّاسٌ لَا خَلَقَ لَهُمْ
وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّجَى فِي الْأُفُقِ طَالَعَةً
أَلَّا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ

* * *

ثناء العلماء عليه:

إن المصنف يحيى بن الحسين - رحمه الله - من الذين أدرجت أسماؤهم في قائمة الإهمال، ومن ضمن الذين ضاع ذكرهم من أهل السنة في البلاد اليمنية، ومن كان منصفاً مائلاً إلى السنة فإنه نال من هذا الإهمال، بالرغم من أن المصنف علامة عصره، ولو كان من علماء الزيدية الهادوية الذين لم يبلغوا إلا قليلاً من العلم وغلب عليهم التعصب للمذهب وانغمسوا في لجة التقليد؛ لذكرهم مؤرخو عصرهم ومن بعدهم ومجدوهم ووصفوهم بالاجتهاد والتقديس، ولكن المصنف لما سار مخالفاً لهواهم وعلى خلاف ما يذهبون فقد ناله الإهمال؛ وكان حظه الإغفال حتى وهو من أكابر العلماء.

لكننا ونحن هنا سننقل ما استطعنا العثور عليه من الثناء عليه:

١ - قال صاحب (طبقات الزيدية)^(١): «يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد الحسيني - لم يذكر تاريخ مولده، وذكر بعض مروياته - إلى أن قال: «وكان إماماً محققاً بقية الشيوخ، وأستاذ أهل الرسوخ؛ له تصانيف جليلة، منها كتاب (التاريخ في مجلدين» انتهت ترجمته، هذه الترجمة السريعة العابرة التي لا تغني شيئاً، ولعل صاحب الطبقات اعتمد على مصادر المؤرخين الذين سبقوه، فلم يجد ما يقوله عن

حياة المصنف وسيرته إلا هذا الكلام القليل، أو أن صاحب الطبقات كان يعلم كثيراً عن مكانة المصنف وسعة علمه وفضله، إلا أنه غصّ طرفه عن ذكر محاسن المصنف وعلمه وفضله، واكتفى بذكر هذه الكلمات القليلة؛ فذكرها على استحياء، ومر بها كلمح البرق.

٢ - وقال الشوكاني - رحمه الله -^(١): «وهو أحد أكابر علماء آل الإمام القاسم، ولم أجد له ترجمة أستفيد منها تاريخ مولده أو موته على التعيين، أو شيئاً من أحواله، بل أهمل ذكره أهل عصره فمن بعدهم، ولعل سبب ذلك - والله أعلم - ميله إلى العمل بما في أمهات الحديث، ورده على من خالف النصوص الصحيحة، وقد رأيت له... إلخ»، وذكر الشوكاني بعض مؤلفاته التي اطلع عليها، منها: (صوارم اليقين)، فقال: «وهو مؤلف ممتع يدل على باع مصنفه»، ثم قال الشوكاني: «وكذلك رأيت له مصنفًا سماه: (الإيضاح لما خفي)^(٢)»، إلى أن قال: «وله (شرح مجموع زيد بن علي) وهو يدل على تمكن وإطلاع في جميع العلوم».

٣ - وقال العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة^(٣): «السيد الإمام المجتهد المتقّد الحافظ المحدث عماد الإسلام، وكان في زمن المتوكل إسماعيل عمدة في الفتوى».

٤ - وقال المؤرخ محمد بن علي الأكوخ الحوالي - رحمه الله -^(٤): «المؤرخ الكبير، العلامة صاحب المؤلفات العديدة يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم ابن محمد المتوفى سنة ١١٠٠هـ، ومؤلفه في التاريخ، هو: (أنباء الزمن في تاريخ اليمن)، ولعمري إنه مصنف جمع كل شاردة وواردة؛ وذلك لأن مكتبة المؤلف كانت زاخرة بأمهات الكتب من العلوم والآداب وغيرهما، ومؤلفات هذا العالم

(١) «البدر الطالع» (٢/ ٣٢٨).

(٢) وهي هذه الرسالة التي بين يديك.

(٣) «نشر العرف لنبلأ اليمن من بعد الألف» (٢ / ٨٥٤-٨٥٨).

(٤) في تقديمه لطبع كتاب (اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية)، لمحمد بن إسماعيل الكبير.

تنوف على أربعين مجلداً، منها (أنباء الزمن)، وللأسف فإنه لم يهتم أحد بنشرها وتحقيقتها، وجدير بأبناء الشعب اليمني أن ينهضوا لإحياء تراثهم... إلخ».

٥ - وقال القاضي إسماعيل بن علي الأكوع: «عالم محقق في علوم السنة، حافظ محدث مؤرخ، انقطع للعلم درساً وتدریساً وإفتاءً وتأليفاً؛ حتى صار أعلم علماء أولاد الإمام القاسم بن محمد، بعد أن نبذ التقليد، وعمل بأحكام الكتاب والسنة»^(١).

٦ - وقال الدكتور حسين بن عبد الله العمري^(٢): «المؤرخ الكبير يحيى ابن الحسين، حفيد الإمام القاسم بن محمد، من مؤرخي المرحلة الثانية، لقد كان هذا العالم المحدث المؤرخ يحيى بن الحسين متعدد المواهب، مجتهداً متحرراً، عميق النظر، كثير التأليف في مختلف فروع العلوم من فقه وأصول وحديث، وكان التاريخ أحد الميادين التي تناولها، واشتهر فيها، ولعل عزوفه عن العمل الرسمي وميله إلى الخمول، وعدم الشهرة، كان سبباً في غزارة إنتاجه، فقد ذكر مترجموه كثرة اعتذاره، ومن ذلك رفضه لوظيفة حكومية كبرى، عرضها عليه عمه المتوكل إسماعيل؛ إثارةً للعلم والتفرغ له»، إلى أن قال الدكتور العمري متحدثاً عن تاريخ المصنف (بهجة الزمن): «وبعد هذا التاريخ لا يعرف الكثير عن تاريخ هذا المؤرخ الكبير...»^(٣).

(١) «هجر العلم» (٢/١٠٨٦).

(٢) «تاريخ اليمن الحديث والمعاصر» ص (٢٤٩، ٢٥١).

(٣) قلت: ومع هذا الثناء من د/ العمري على المصنف يحيى بن الحسين، وخصوصاً في شهرته الكبيرة في التاريخ، ومن غيره من العلماء الذين أثنوا عليه، فإن العلامة المصنف -رحمه الله- لم يسلم من الاتهام حتى في عصرنا هذا، ومن التشكيك في صدقه وإنصافه فيما سجله في عصره من أحداث تاريخية، فقد ادعى صاحب (أعلام المؤلفين الزيدية) في ترجمته للمصنف يحيى بن الحسين ص (١١١١-١١١٨)، ادعى أن المصنف اعتمد في تاريخه على القيل والقال، ووصم من اعتمد على ما قاله المصنف في التاريخ بأنهم أصحاب هوى وأحقاد، ويعني بهذا الاتهام والوصم المؤرخ المصنف التواضع القاضي إسماعيل بن علي بن الأكوع، ولكننا نذكر صاحب (أعلام المؤلفين) والعقلاء المحترفين لمذهب الهاديوية في هذا العصر، المفتونين بإحيائه -ومن حقهم ذلك- نذكرهم بما يلي:

إِنصافه واتباعه الدليل:

إن من أبرز صفات وخلال المصنف يحيى بن الحسين الحسنة نبذ التقليد، وميله إلى اتباع الدليل من كتاب وسنة، كما كان يحب السنة وأهلها، وكان هذا سبباً في إهماله من قبل أهل عصره، ومن نصرته للسنة النبوية: أنه لما بلغه ما فعل شيخه القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري من تصنيف رسالة في التشكيك في السنة النبوية، سماها (الرسالة المنقذة من الغواية في طرق الرواية)، لما بلغه صدور هذه الرسالة، انتدب له وبادر في الرد عليه بتصنيف رسالة، سماها: (صوارم اليقين القاطعة لشكوك القاضي سعد الدين)^(١)، وقد قرأها الشوكاني وذكرها وأثنى على المصنف، ويكفي المصنف شرفاً وفخراً واتباعاً للسنة ونصرة للحق، ما قام به من الدفاع عن أعراض الصحابة رضي الله عنهم في تصنيف هذه الرسالة التي بين يديك الآن، في عصر أصبحت أعراض الصحابة هدفاً لأناس في قلوبهم مرض الرفض، فدافع عنهم فيها وصان الأكابر من علماء الزيدية وفضلائهم من المتقدمين والمتأخرين مما نسب إليهم من أباطيل من الإساءة إلى الصحابة، وبرأهم من ذلك.

وما يدل على غربة المصنف في زمانه بسبب انتصاره للسنة وحبها، أنه كان

١ - ليس العلامة المؤرخ يحيى بن الحسين من آل القاسم الذين حكموا اليمن؟ (وأهل مكة أدري بشعابها!!).

٢ - هل المصنف الزاهد الذي شهد الأحداث في حياته وسجلها مؤرخاً لها، سيعتمد على القيل والقال، وهو من مؤرخي العصر نفسه، ولم تكن حياته متأخرة فيتكلم عن عصر مضى، فينقل الأحداث عن سببه، فيقال: إنه اعتمد على القيل والقال!.

٣ - الاتهام للعلامة يحيى بن الحسين أنه اعتمد على القيل والقال سببه أنه منصف، وأنه ذكر مظلالم في اليمن الأسفل من قبل عمال عمه الإمام المتوكل إسماعيل، ذاق منها أهل تلك المخاليف أنواعاً من الظلم والظلم، فهل كان عصر هذا الإمام عصر نبوة لم يصدر فيه أي ظلم؟ وهل قادة وأمراء وعمال إمام ذلك العصر كلهم كانوا معصومين من المظالم، كعصمة الأنبياء عليهم السلام؟.

٤ - هب أن العلامة يحيى بن الحسين كان متحاملاً على عمه المتوكل، سلمنا هذا الافتراض إذا كان المصنف يشغل منصباً ما في الدولة، فنقول: إنه كان ينازع عمه على الإمامة رغبة في الحكم وفي حطام الدنيا؛ فتحامل عليه، فكيف نسلّم أنه اعتمد على القيل والقال فيما قاله وهو قد زهد في حكمهم وديانهم؟ ولم يلتفت إلى منازعتهم في ذلك لا في قليل ولا كثير، رغم عرض المنصب عليه، والله المستعان.

(١) هذه الرسالة يقوم أحد الباحثين بتحقيقها، وستنشر قريباً إن شاء الله.

يتمدح أقرانه العلماء ومعاصريه المائلين إلى السنة منهم، خصوصاً الذين ترجم لهم في تاريخه، وكان يثني عليهم ويمدحهم بميلهم إلى السنة، كما كان يستنكر خصالاً من البدع التي حدثت في عصره ويتقدها؛ لعدم وجود دليل عليها حتى في مسائل فرعية، منها ما قاله في الفقرة الآتية:

«وقد جرت عادة أهل الوقت من أهل الزمان التصلية على غير النبي ﷺ، كما ابتدعه خطيب صنعاء محمد بن إبراهيم السحولي في خطبته، بعد أن لم يكن ذلك معروفاً لأحد قبله، وقد عرف العلماء أن الصلاة تختص بسيد الأنبياء لا غيره من سائر الناس، إلا على وجه التبعية من الآل بعد ذكره ﷺ، فأما مع الانفراد فلم يقل به أحد من العباد، وإنما يقول ذلك الرافضة»^(١).

ومن الأدلة على تمسك المصنف بالسنة وكراهيته للرافضة ما ذكره في تاريخه (بهجة الزمن) في وصفه زلازل حدثت في بلاد العجم ببلاد فارس، فقال^(٢): «في هذه السنة وصل الخبر المستفيض إلى اليمن أن بلاداً في بلاد (تبريز) خسف بها في بلاد العجم، روى صبور العجمي أن هذا الخسف عظيم الشأن، شقق الأرض، وهدم عمائرها، وأزال سكانها وأرضها، وأنه ليس في جميع (تبريز)، بل في جهة منها، وهذا من أمارات اقتراب الساعة، كما جاء في الحديث عنه ﷺ، أنه قال: «إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلْيَرْتَقِبُوا رِيحاً حَمْرَاءَ وَخَسْفًا وَمَسْخًا...» الحديث أو معناه، كما في الترمذي^(٣)، إلى أن قال المصنف في (بهجة الزمن ص: ٧٧): «وصل إلى صنعاء رجلان أعجميان يدعيان الطب...»، إلى أن قال: «وفيهما رافضة من الاثني

(١) «بهجة الزمن» ص (١٩٨)، و«هجر العلم» (٣/ ١٥٩٣).

(٢) «بهجة الزمن» ص (٥١)، حوادث سنة ١٠٥٢ هـ.

(٣) هو في سنن الترمذي من حديث علي بن الحسين، برقم (٢٢١٠)، ولفظه: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء» ف قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمر، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفًا أو مسخًا»، وفيه الفرع بن فضالة، قال الترمذي: وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث، وضعفه من قبل حفظه.

عشرية، والرافضة خباث العقيدة، يكفرون غيرهم، فلا يؤمن ضررهم لمن خالفهم»، إلى أن قال ص ١٣٦: «واعلم أن الخسوفات هذه كثرت في بلاد العجم، وسببه: ما يصدر من الإمامية والعجم من السب واللعن للصحابة في السر والعلن، وجعلوه لهم بضاعة وعبادة، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره عن النبي ﷺ، أنه قال: «إِذَا لَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا»^(١).

* * *

زهد وورعه:

لقد كان العلامة يحيى بن الحسين متعدد الصفات الخلقية الحميدة، ومنها الزهد والورع، فقد كانت هاتان الصفتان الحستان ملازمتين له طول حياته، فزهد في الدنيا صرفه عن طلب المنصب والجاه، وكذا ورعه كان الباعث له أن يتعفف عن جمع المال وحطام الدنيا، بالرغم من أن هذه الفرصة كانت متاحة له لو اغتناها، فهو من أسرة آل القاسم الحاكمة والآخذة بمقاليد الحكم في مختلف نواحي اليمن، واعتذاره لعمه الإمام المتوكل حين عرض عليه منصباً كبيراً كان يشغله أخوه محمد الأكبر بعد موته دليل آخر على زهد المصنف وورعه، واكتفاؤه بالكفاف من الرزق الحلال دليل أيضاً على زهد، ورزق القناعة، نعمة كبرى من الله سبحانه وتعالى ينعم بها على من يشاء من عباده، ولعل رسوخ الزهد في نفس المصنف بسبب أنه قد نشأ منذ نعومة أظفاره على الزهد، وتلقى هذه الصفة الحسنة وهو صغير من والده العلامة الحسين بن القاسم -رحمه الله- وأثرت فيه وصية والده بها حين توفاه الله سنة ١٠٥٠هـ، وعمر المصنف كان في مقتبل الشباب حينئذ، فقد أشار إلى هذا في تاريخه (بهجة الزمن)، وذكر وصية والده له قبل موته أنه أوصاه ونصحه بالزهد في الدنيا، والانقطاع للعلم، فكانت وصية من نعم الناصح وهو والده إلى نعم المنصوح وهو المصنف يحيى بن الحسين، فقد عمل بهذه الوصية، ولم تجرفه

(١) لعله الحديث السابق، وسيأتي ذكر هذا الحديث بلفظ آخر وتخريجه .

الأعاصير والرياح والعواصف، بل ثبت لها ثبوت الجبال الراسيات، وقد وقعت هذه الوصية من هذا الوالد ونفعت في هذا الشاب الذي كان عمره خمس عشرة سنة، وفي قلبه موقع الغيث المدرار النافع من السحاب على تربة طيبة، فشربت وأنبئت واخضرت وأورقت ثم آتت أكلها كل حين بإذن ربها: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨].

ومن خصائص المصنف والصفات التي تتناسب مع صفة الزهد، أنه كان كثير التفكير والاعتبار والاتعاظ بما يجري حوله من أحداث وتغيرات في عصره، ومن آيات الله، وزوال الدنيا وفنائها وغرورها بأهلها، وتقلباتها بأبنائها، فيزيده هذا التفكير اعتباراً واتعاظاً وزهداً في دنياه، ويزيده قناعة ورضى بالقليل من الرزق الذي قسم الله له، فقد روى أحمد في مسنده^(١) من حديث أبي هريرة، كما رواه الترمذي وأبو يعلى والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي خَمْسَ خَصَالٍ، فَيَعْمَلْ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمَهُنَّ مَنْ يَعْمَلْ بِهِنَّ؟»، قال: قلت: أنا يا رسول الله، قال: فَأَخْذُ بِيَدِي فَعَدَّهِنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحْكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكَ تُمِيتُ الْقَلْبَ»، الشاهد من هذا الحديث هي الخصلة الثانية، وهي: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ».

ومن المشاهد التي نقلها وسجلها، وتأثر بها وكان لها الوقع العظيم في نفسه، ما ذكره في تاريخه^(٢)، في معرض حديثه عن حدث هائل، وهو موت أحد أقرانه وابن عمه، وهو الإمام المؤيد محمد ابن المتوكل إسماعيل في (ضوران) معقل الدولة القاسمية حيثئذ سنة ١٠٩٧هـ، وموت القرين له موقع شديد في نفس قرينه الذي تأخر موته بعده، خصوصاً إذا كان هذا المتأخر من الزهاد في الدنيا، فإنه يتذكر

(٢) «بهجة الزمن» ص (٤٥٦).

(١) بسند صحيح، رقم (٨٠٩٥).

الموت دائماً، ويتقرب اللحاق بمن سبقه ما بين لحظة وأخرى، وقد لا يستقر له أي قرار، وربما كان هذا الإمام ممن يساوي أو يقارب المصنف في السن، وعاشا معاً أيام الصبا، يرحان في ملاعب الشباب؛ فموت القرين عبرة لمن اعتبر وعقل، فقد تأمل المصنف أحوال أئمة عصره الذين شهدهم من آل القاسم وأمرائهم على جميع نواحي اليمن، وكل واحد منهم يريد أن يصل إلى مرتبة الحكم فيكون إماماً منفرداً بالحكم اعتلاء على الآخر، ويتزاحمون، فبدأ المصنف بوصف موت المؤيد وهو قرينه السالف الذكر، فاستشهد بيئين، هما:

هَذَا بِنَاقُوسٍ يَدُقُّ

وَذَا عَلَى جَبَلٍ يَصِيحُ

كُلُّ يُقَوِّي قَوْلَهُ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الصَّحِيحُ!!

ويتعجب من تزاحمهم على الإمامة مع أنها لم تكن مستكملة جميع الصفات والشروط في أي واحد منهم، فنعى عليهم بأنهم لم يعتبروا بمن مضى قبلهم وما جرى لهم، وساق قصة وفاة قرينه الإمام المؤيد ابن المتوكل، وسجلها تسجيلاً دقيقاً، فقال:

«إن المؤيد لما قضى الله عليه الموت، والأجل المحتوم، وساقته الحفرة إلى ذلك الموضع باختياره، وما ناله في الطريق من الألم بعد موته في (معبر)، وحملوه إلى ضوران والجبال، من الألم الذي مسّه طلب له الكفن فلم يوجد في محله، وإنما كفّوه في بقايا ثياب، ثم طلبوا له نعشاً فلم يوجد له، فكأنهم حملوه فوق عيدان إلى قريب قرية هناك لعلها (الحيرة)، وطلبوا من أهل القرية سريراً فأعطوهم بالكراء سريراً، فلما وضعوه جاء قصيراً، فبقيت رجلاه معلقتين عليه، وحملوه كذلك، فاتفق نزول مطر غزير، فنزل سيل في شعبة على الطريق، فوضعوه فيها، وبقي السيل والمطر يمر من تحته وفوقه حتى الضحى، ثم أطلعته الحمالون على مشقة في العقبة إلى الجبل، فكان ذلك عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن أدكر، فأين كان الملك الذي

كان؟! ثم لم توجد له الأكفان، ولا ما يحمل عليه من العيدان، فسبحان القادر على كل شيء، الذي كتب الموت على العباد والحيوان، وساوى بين الملوك فيه والمساكين الفقراء والغرباء من الماضين واللاحقين في آخر الزمان.

ويسجل المصنف قصة أخرى وموقفًا آخر لعمه الإمام المتوكل وأولاده، ولكنه لا يتركها تمر سدى، بل يستنبط منها الموعظة والعبرة، فيقول^(١): «ومنها رجل مصاب بالجنون، بعد صلاة الجمعة في موكب الإمام المتوكل إسماعيل في (ضوران)، يذكر هذا المصاب في كلمته أمام المتوكل أن الناس في فقر، وأن أولاد الإمام إسماعيل سيضيعون كما ضاع أولاد الإمام شرف الدين»، فقال المصنف معلقًا على هذا الموقف: «وللمجيب أن يجيب عليه هنا، أما أولاده لصلبه فهم كما ذكر في هذه المدة من النعم الشاملة، وغيرهم ممن له الولاية، وأما غيرهم فقد صاروا الآن حالهم كمن ذكر من أولاد شرف الدين، يكسبون على أنفسهم، لا يحترفون ويبيعون ويشترون، لا يصلهم الإمام ولا غيره بشيء من المال، بل سعيهم في نقص، من كان له بعض شيء على كل حال، ومن كاسح منهم وكثر في السؤال، صار إليه النذر اليسير على أشق حال، ولكن أيها الفقيه المنافسة كلها في غير هذا، والدنيا كلها عاطلة، وأحوالها زائلة، والسعيد من رزق منها أدنى الكفاف، وقنع بما جاء عنها وما فات، قاله يختم لنا بالخير ويغنينا بفضلته وكرمه عن غير باب الواسع الذي وسع كل شيء».

ولقد كان المصنف يحيى بن الحسين كما ذكرنا زاهدًا في الحكم والإمارة، فقد عرض عليه عمه الإمام المتوكل منصب أخيه محمد بن الحسين بعد موته؛ ليسد مكانه، فاعتذر المصنف للإمام، ولم يوافق على هذا المنصب.

* * *

نبوغه وبلوغه مرتبة علمية عالية :

هناك عدة أسباب ساعدت وأدت إلى نبوغ المصنف يحيى بن الحسين في فنون من العلم، منها: انقطاعه للعلم وتفرغه له، وطرح العلائق التي تعيقه عن تحصيله، وبذل وسعه في طلبه، ومنها أن المصنف ينتمي إلى الأسرة القاسمية، وشهرتها واسعة في أن أفرادها نبغ منهم علماء كبار من علماء الزيدية الهادوية، وهي معروفة بالمنافسة في العلم والتسابق إليه، كما أن المصنف لقي من أكابر علماء عصره، ومنهم العلامة الحافظ المحدث عبد الرحمن بن محمد نهشل الحيمي، والعلامة الكبير السيد محمد ابن عز الدين المفتي وغيرهم، ومنها أن والده الحسين بن القاسم كان من أكابر العلماء، ومن الأسباب أنه جمع لنفسه مكتبة خاصة ضمت نفائس الكتب في مختلف العلوم والفنون، ومنها ازدهار عصره بنهضة علمية بسبب الاستقرار السياسي وسلامته من الحروب الماحقة، وبمجموع هذه الأسباب وما سيأتي، أصبح العلامة يحيى بن الحسين عالماً كبيراً يشار إليه بالبنان، ويقصد إليه في الفتوى لحل المشكلات والمعضلات.

لقد ورد إلى اليمن في عهد الإمام المتوكل إسماعيل سؤال فقهي مشكل في الفرائض يتطلب الإجابة الشافية عليه من علماء اليمن في ذلك العصر، ورد من سلطان الهند، وهو سؤال في غاية الإشكال، لا يستطيع الإجابة عليه إلا من رزقه الله علماً غزيراً ورسوخاً في العلم، فأحاله الإمام المتوكل من (ضوران) على علماء اليمن أهل الاختصاص؛ للإجابة عليه وحله، ونص السؤال:

«بعد البسملة، تيمناً بذكر الأعلى، ما قول أئمة الدين -رضوان الله عليهم أجمعين- إذا أوصى الرجل لرجل بمثل نصيب أحد بنيه، ولآخر بمثل ما يبقى من الثلث بعد النصيب، وكان النصيب مثل جذر المال، ولآخر بمثل نصف ربع خمس سبع تسع عشر ذلك الجذر، ثم مات، وخلف ثلاثة بنين»^(١).

(١) وهذا السؤال كان قد وصل مع رجل من الهند له اتصال بالسلطان (أورنغزيب)، والسلطان كان على مذهب الحنفية، انظر: «طبق الحلوى» ص (٢٥٠).

يقول المصنف - رحمه الله -^(١) فأجاب عليه بعض العلماء في (إب) وأجاب عليه من علماء (ثلا) خطأ، قال: «وقد أجبت بجواب صحيح ذكرته في بعض المصنفات، ولله الحمد».

هذا وإن ذخائر المصنفات النفيسة والثرينة التي خلفها العلامة المصنف يحيى ابن الحسين تحتاج إلى بحث ودراسة وتنقيب من شباب الجامعات؛ لتخرج هذه المصنفات لهذا العالم، والجواب عن السؤال الفقهي المشكل السابق قد يكون مودعاً في المخطوطات، التي تركها المصنف في المكتبات العامة والخاصة، فلعل الله تعالى يقيض من الشباب الباحثين من يظهر للناس مؤلفات هذا العالم من الكنوز المدفونة النفيسة.

* * *

مشايخه:

١ - العلامة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي ثم الصنعاني (ت ١٠٦٠ هـ) ترجم له المصنف، فقال^(٢): وكان يحسن الظن بالصحابة ويترضى عنهم في الخطابة جميع مدته.

٢ - العلامة المحدث الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي، ولعل هذا العالم الجليل هو من العلماء الذين تأثر بهم المصنف يحيى بن الحسين، وكان سبباً لميله إلى السنة النبوية، فقد كان هذا العالم على مذهب الزيدية الهادوية، فتحول تحولاً كاملاً إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن غبار الإهمال من مؤرخي عصره الحاقدين ناله، فلم يتألق سناه، وقد ترجم له الشوكاني - رحمه الله - ترجمة قصيرة، واعتذر من قصرها بسبب قلة ما بيده من المصادر التاريخية من سيرة هذا العالم الذي نبذ التقليد، وإهماله ممن سبقوا الشوكاني، وصاحب (طبق الحلوى)

(١) «بهجة الزمن» ص (١٧٨).

(٢) «بهجة الزمن» ص (٧٦)، وترجم له الشوكاني في «البدر الطالع» (٩٦/٢) في ترجمة ولده محمد.

عبد الله بن علي الوزير، ترجم له ترجمة قصيرة جداً^(١)، لكن المصنف - رحمه الله - في تاريخه (بهجة الزمن)، ترجم له ترجمة جيدة - ستأتي - وأثنى عليه.

قال الشوكاني^(٢)، مترجماً له: «عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي الحافظ الكبير العلامة، كان من العلماء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وله اشتغال في التدريس في الأمهات ونشرها، وبمثل العضد وحواشيه، والمطول وحواشيه، والرضي في النحو، وسائر الكتب المفيدة، وقد أخذ عنه الناس واشتهر، ولكنه ما سلم من الامتحان من أهل عصره؛ بسبب اشتغاله بالأمهات علماً وعملاً وتدریساً، وليس ذلك ببدع، فهذا شأن هذه الديار من قديم الأعصار، ومن مشايخه السيد الحسن ابن شمس الدين، ويحيى بن أحمد الصابوني، والحافظ ابن علان المكي».

وأما ترجمة المصنف لشيخه عبد الرحمن الحيمي، فقد قال^(٣): «وفي شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٨ هـ مات الفقيه الشيخ العلامة الفهامة المحدث الحافظ عبد الرحمن ابن محمد الحيمي بصنعاء، ومقره حيث سكن وقبره بمقبرة باب اليمن بجزيرة (الروض) مقابل لمنازل الجامع، مستقبل القبلة، كان هذا الشيخ هدياً؛ لأن أصل بلاده (الحيمة)، ثم لما فتح الله عليه بالعلم والذكاء والمعرفة ومطالعة كتب السنة ومذاكرة علمائها في عصره، ترجح له الخروج من مذهبه الذي كان نشأ عليه، وترجح له مذهب الشافعي في الفقه، وفي الأصول على مذهب أهل السنة، وكان المذكور من العلماء الأمثال الحفاظ بقية في الحديث والسنة والتحقيق، والفتنة، يملئ من حفظه العلوم، وألفاظ الحديث النبوي باللفظ المفهوم من غير تحريف، ولا تغيير العبارات، كما يفعله من ليس له معرفة بهذه الصناعة فهو لا شك محط ركاب الطالبين، الحقيق بتصدير المجالس للراغبين، ولقد أخذ عنه في علوم العربية جلّة من أهل العصر، في النحو وعلم المعاني والبيان في كل عام وشهر، لا يزال يدرس في هذه الفنون، وفي الأصول أيضاً من الكبار والبنين، فكان يدرس في (منتهى السؤل) لابن الحاجب، والعضد في زمانه، وكذا في تفسير الكشاف لإخوانه، وكذا في

(٣) «بهجة الزمن» ص (٩٧).

(٢) «البدر الطالع» (١/ ٣٤٠).

(١) «طبق الحلوى» ص (١٥١).

المطول والشرح الصغير والتصريف والمنطق، وفي صدر أيامه قد درّس الحديث، وفي زمان المؤيد أيضاً استفاد منه جماعة في جامع الأصول، فإنه لما فتح القاضي حسين ابن يحيى حابس على السيد محمد المفتي في هذا الكتاب، كان يحضر الفقيه لمحبة الحديث فيه والخطاب، فقال له السيد محمد بن عز الدين -رحمه الله-: القراءة والتحقيق عليك، والفائدة بلا شك مأخوذة منك، وموجه القراءة إليك، وكفى باعتراف السيد على علمه الزاخر برساخته قدم الفقيه الماهر، رحمهم الله جميعاً.

وعلى الجملة: إنه كان في الحديث واللغة والأصول آية زمانه، وفريد وقته، ولقد كان الشيخ في الأدب والمعرفة الكاملة في النحو والمعاني والبيان والأصولين^(١) آية زمانه، عديم القرنين في أيامه»، إلى أن قال المصنف: «وفي تصنيفه لـ «شرح بلوغ المرام»^(٢) يتنصر للشافعي ويرد على مخالفه، ولكنه -رحمه الله- ما يظهر ذلك تصريحاً بل محتجاً، وقد ذكر عنده مرة من طول استمرار الدولة العثمانية والسلطنة، فقال عند ذلك: «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» [الرعد: ١٧]؛ وكان مع ذلك في الفزار والوقار وعدم التزق والانتهاز آية في أبناء عصره، لم أر مثله في محاورته وأدبه، وحسن منطقته، فأين لنا مثل هؤلاء الرجال؟ ومن تتعطر بهم المجالس، وتزهو بهم المحافل؟! والأقلام والمعاش؟ آه ثم آه!! على أمثالهم وأشكالهم، وكان المذكور يميل إلى السنة، وقد سمعت منه بعض أحاديث يُملّيها، ورقمتها وجعلت سماعي لها منه في جملة مجالسي التي اتفقت به

(١) المقصود بالأصلين: علم العقول والمنقول.

(٢) هذا الشرح حتى الآن لا يزال مفقوداً مع الأسف، وهذا من غُبار الإهمال الذي أصاب وغطى آثار هذا العالم وغيره ممن يميلون إلى السنة من أهل عصره، ولقد سألت شيخنا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني -حفظه الله- عن «شرح بلوغ المرام» لهذا العالم، فقال: إنه عبارة عن حواش، وهذا رأي شيخنا، ولكننا نرى أنه شرح وليس حواشي؛ لأن المصنف سماه شرحاً ولم يسمه حواشي، ولا يجهل الفرق بينهما، وعلى أية حال، فلو بقي هذا الشرح إلى اليوم، ووصل إلى أيدينا لكان درة فريدة من درر علم هذا العالم، ولاندرى أهذا الشرح لا يزال مخطوطاً؟ أم أنه مفقود؟ والله الأمر من قبل ومن بعد، والله المستعان.

وأعتذر للقارئ من إطالة ترجمة هذا العالم، وعذري هو أن أبين لأهل العلم والراغبين من طلبة العلم في الاطلاع على سير العلماء، ومنهم هذا العالم المنسي الجليل، رحمه الله.

فيها سنداً وطريقاً؛ إذ كان يملّي من حفظه الحديث بمتنه ورجاله وغريبه وشرحه، يعرف الرجال وما قيل فيهم من تعديل وجرح وكلام على قواعد الحديث وأفانيه وعلومه واصطلاحات أهله في الأسانيد والمقاطيع والمراسيل والمعلولات، وغير ذلك من التدقيقات، وله مصنف عظيم وكتاب حسن ضخّم، وهو شرح على (بلوغ المرام) لابن حجر في مجلد حافل، ومن رقائق شعره:

صَنَعًا إِذَا كُنْتَ مَشْغُوفًا بِمَسْكِنِهَا

فَاعْدُدْ لَهَا مِنْ ذَوَاتِ الْحَاءِ مَا رُسِمَا

حَبٌّ وَحُبٌّ وَحَمَامٌ مَعَ حَطَبٍ

حَظِيرَةٌ وَحِمَارٌ حِرْقَةٌ وَحِمَى^(١)

ومن شعر صاحب الترجمة أبيات قالها في حادثة نزول سيل عظيم اجتاح مكة المكرمة، حتى بلغ السيل قناديل الكعبة سنة ١٠٥٤هـ، فقال مؤرخاً:

إِنْ شِئْتُ تَذَرِي لَطِيفَ صُنْعِ

قَضَى بِهِ اللَّهُ فِي بِنَائِهِ

فِي حَرَمِ الْأَمْنِ حَيْثُ يُعْطَى

لِطَالِبِ الْأَمْرِ مَا رَجَاهُ

إِذْ طَافَ بِالْبَيْتِ طَائِفُ الْمَا

وَنَخَرٌ إِذْ ذَاكَ جَانِبَاهُ

بَشْهَرٍ شَعْبَانِ جَاءَ سَيْلُ

فَذَاكَ تَارِيخُ مَا تَرَاهُ^(٢)

(١) الحب - بفتح الحاء - حب الطعام، والحب - بضم الحاء - وعاء الماء كالزير والجرة، جمع: أحباب وحبية - كَعْنَبَة - وحباب، «المصباح» (١/١١٧)، و«المعجم الوسيط» (١/١٥٠).

(٢) «طبق الحلوى» ص ١٠٨.

ولما توفي العلامة عبد الرحمن بن محمد الحيمي، رثاه الشاعر البليغ الأديب
العلامة أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر بن شرف الدين
(ت ١٠٨٠هـ)، فقال:

إِنَّ وَجِيهَ الدِّينِ حَبْرُ
عَصْرِهِ عَالِي السَّنَدِ
خَيْرِ ثِقَاتٍ قَامَ بِالْ
عُلُومِ دَهْرًا وَقَعْدِ
بَحْرِ الْكَلَامِ الْبَرُّ قَا
مُوسٍ^(١) الصَّحَّاحِ الْمُعْتَمَدِ
عَاشَ سَعِيدًا وَمَضَى
عَلَى السَّيِّدَادِ مُتَّقِدِ
فَأَرْخُوا مِيْلَادَهُ
بِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»
وَجَاءَ عَدَّ عُمَرُ
اللَّهُ ذِي الطُّوْلِ الصَّمَدِ
هَذَا وَتَارِيخُ الْوَفَا
ةِ جَاءَ مَجْمُوعِ الْعَدَدِ
بِشَّارَةٍ إِشَارَةٍ
عُنْوَانُ فَضْلِ وَمَدَدِ
بِاللَّهِ يَا مَنْ سَبَقَهُ
إِلَى الْمَعَالِي وَالرَّشَدِ

يَا جَامِعَ الشَّارِدِ مِمَّ
 شَذَّ عَنْ قَوْمٍ وَنَدَّ^(١)
 يَا بَاذِلَ الْمَجَّهُودِ فِي الـ
 عَلَيَّا وَمَنْ جَدَّ وَجَدُ
 وَالْكَلِمَ الْغُرَّ الَّتِي
 سَبَتَ وَرَوَّتْ مَنْ وَرَدُ
 أَقْسَمُ لَوْلَا أُسْوَةٌ
 أَضْحَتْ عَلَيَّ فِي الْأَبَدِ
 وَأَنْ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالـ
 أَمِينِ عَلَى التَّحْقِيقِ غَدُ
 لَذُبْتُ مِنْ فِرْطِ الشَّجَا
 وَحَرَّهُ فَقَدْ وَقَدْ^(٢)
 فَاذْهَبْ حَمِيدًا وَلَكَ الـ
 آثَارُ وَالرُّأْيُ الْأَسَدُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ صَائِرُ
 بَعْدَ الْبَقَا إِلَى أَمَدُ

(١) نَدَّ البعير ندًا، من باب ضرب، وندًاذا: نفر وذهب على وجهه، «المصباح» (٥٩٧/٢).

(٢) الشجا: شَجِيَ الرجل يشجى من باب (تَعَبَ): حَزَنَ، فهو: شَجَّ بالنقص، «المصباح» ص(٣٠٦)، التكرار في كلمتي (قد)، فالأولى: للتحقيق، والثانية: من وقدت النار: اشتعلت، بدليل قوله: (وحره) في البيت نفسه، وقد علّق على هذا التكرار صاحب (طبق الحلوى) عبد الله بن علي الوزير، قائلاً: «انظر إلى هذا النهر الذي ينصب إلى روضة الألباب، والبحر القصير في المراثي... وقوله: (فقد وقد): نوع من البديع الجديد يسمى الإيهام... إلخ». قلت: هذه القصيدة الرقيقة التي تطفح منها العاطفة الجياشة ومن كلماتها ومعانيها وصورها، وينبعث منها الحزن الشديد من الشاعر أحمد بن الحسن لشدة الصداقة بينهما والعلاقة الحميمة، فالشاعر تلميذ هذا العالم، وقد كان بينهما لقاءات ومراسلات ومكاتبات، فلا عجب من حزن الشاعر على أستاذه.

عَادَتْ عَلَيْكَ رَحْمَةٌ

نَعَدُّهَا أَسْنَى الْعَدَدِ

ولا زمت مثواك ما

أبرق غييمٌ ورَعَدٌ^(١)

والعلامة عبد الرحمن بن محمد الحيمي كان شاعراً وأحياناً يغلب على شعره مصطلحات علم الحديث، وكانت بينه وبين صاحب القصيدة السابقة الأديب أحمد بن الحسن علاقة قوية، ولعله كان تلميذاً للفقيه، انظر إلى البيتين اللذين بعث بهما من صنعاء مع قصيدة أخرى إلى أحمد بن الحسن إلى كوكبان وجمالهما، قائلاً:

عَنْ أَحْمَدٍ يَرْوِي حَدِيثَ الْعَلَا

شَيْخَانِ أَغْنَى قَلَمِي وَاللِّسَانَ

ذَا بَدْرٌ أَفْقٍ زَائِدٌ فِي السَّنَا

فاعجب لبدر ضمّه كوكبان^(٢)

٣ - ومن مشايخ المصنف: العلامة أحمد بن صالح العنسي (ت ١٠٦٩هـ)، ترجم له المصنف في (بهجة الزمن / ١٠٣) فقال: «كان له معرفة بعلم النحو والمعاني والبيان والأصول».

٤ - العلامة أحمد بن علي الشامي (ت ١٠٧١هـ)، ترجم له المؤرخ زبارة في (ملحق البدر الطالع / ٣٩) فقال: «السيد العلامة المحقق المدقق المنتقد، نشأ بوادي مور من خولان العالية، ثم رحل إلى مدينة صنعاء فأخذ عن السيد محمد بن عز

(١) «طبق الحلوى» ص (١٥١، ١٥٢).

(٢) «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، للمحبي (٤٣٦/٣)، قلت: والأديب البليغ أحمد بن الحسن المذكور، هو صاحب كتاب (ترويح المشوق بتلويح البروق) في الأدب، وقد ترجم له الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ٤٥)، وربما كان الحيمي شيخه.

الدين المفتي، والقاضي يحيى السحولي وغيرهما، فأحرز الفنون نحواً وصرفاً وبياناً وأصولاً وفروعاً وتفسيراً، وأتقن الفرائض... إلخ.

٥ - العلامة القاضي أحمد سعد الدين السوري (ت ١٠٧٩هـ) (١)، وهو ممن أجاز المصنف إجازة عامة بمروياته، كان من أعيان دولة الإمام المؤيد بن القاسم، ورجال حكمه، وكان من غلاة الشيعة.

٦ - القاضي العلامة الحسن بن يحيى حابس الدواري (ت ١٠٧٩هـ) (٢)، ذكره المصنف في (بهجة الزمن) أنه أجاز المصنف في جميع مروياته، وقال: «وكان للعلامة حابس ميل إلى أهل السنة» (٣).

٧ - العلامة القاضي محمد بن علي قيس (ت ١٠٩٥هـ) (٤)، أثنى عليه المصنف في (بهجة الزمن)، وذكر أنه كان منصفاً، وقال: «قد نسخ بخطه كتاب: (العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم)، للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير»، قلت: فلذلك أهملت سيرته وذكره.

٨ - الشيخ عبد الرحيم شاه اللاهوري الهندي، وقد أجاز المصنف إجازة عامة في الأمهات وغيرها. (٥)

٩ - العلامة الحسين بن محمد التهامي، هذا العالم من شيوخ المصنف في القرن الحادي عشر، ولم أجد له ترجمة سوى ما أشار إليه الشوكاني (٦) في ترجمة المصنف في (البدر الطالع) أنه أخذ من هذا العالم، ولعله من علماء تهامة.

(١) «البدر الطالع» (١ / ٥٨، ٥٩).

(٢) «بهجة الزمن» ص (١٧٤)، و«ملحق البدر الطالع» ص (٧٨).

(٣) فلذلك لم ينصفه مؤرخو عصره من الهادوية، فقد أهملوا فضله وذكره لهذا السبب، والله أعلم.

(٤) «بهجة الزمن» ص (٤٢٢)، و«ملحق البدر الطالع» ص (١٠٥).

(٥) «نشر العرف» (٢ / ٨٥٤).

(٦) «البدر الطالع»، مرجع سابق.

تلامذته:

لم أعر على أحد من تلامذته إلا على واحد، وهو العلامة: صالح بن حسن العنسي، ولم أجد له ترجمة إلا ما تحدث عنه المصنف (١) في تاريخه (بهجة الزمن)، فقال: «وفي صغر، ختم على الفقير إلى الله (صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري) قراءة محققة الضبط والحراسة (كذا) من أوله إلى آخره بعد سماعي له سنة ١٠٧٢هـ على الفقيه صالح بن حسن العنسي بسماعه على الشيخ العارف محمد ابن علان الشافعي بمكة المحروسة، وفي السنة التي بعدها شرع في قراءة (سنن أبي داود) فسمع على أكثرهم حوالي قدر الربع من آخره ولله الحمد؛ لأن هذا الكتاب والبخاري وغيرهما لم يعرفهما أحد في زمان رأس الألف إلى هذا التاريخ (٢)، قدر مائة سنة، فلا حول ولا قوة إلا بالله»، انتهى كلام المصنف.

وفي هذا النص من كلام المصنف -رحمه الله- لم يذكر المكان الذي تم فيه ختم وتدريس صحيح مسلم، ولعله كان في منزله، ولو كان في مسجد لذكره.

ثم وقفت على ذكر اسم رجل آخر من تلاميذه، وهو القاضي أحمد بن ناصر ابن محمد بن عبد الحق المخلافي، مولده في صنعاء سنة ١٠٥٥هـ، وأخذ عن المصنف، وتوفي سنة ١١١٦هـ، وكان غالباً في التشيع (٣).

ولعل السبب في قلة تلاميذ المصنف على الرغم من شهرته العلمية وتمكنه من شتى العلوم والفنون؛ أن ذلك راجع لإهمال مؤرخي عصره له؛ ولما ناله من الأذى

(١) «بهجة الزمن» ص (٣٩٢).

(٢) هذا صحيح وهو عدم معرفة الصحيحين وقيمتيهما العلمية في الحديث النبوي الشريف، وشهرتهما خصوصاً في النواحي اليمنية المنتشر فيها مذهب الهادوية، أما الأماكن اليمنية الأخرى؛ مثل زبيد وإب وتعز وغيرها فشهرة الصحيحين فيها واسعة أشهر من نار على علم تدريساً وقراءة ناهيك عن البلدان التي ليست من اليمن كمصر والشام والعراق والحجاز؛ أما صنعاء وما جاورها؛ مثل كوكبان وشهارة وصعدة، فالذي انتشر فيها هو كتب المذهب الهادوي، فلا غرو أن يحزن المصنف ويتأسف فيما قاله في هذا النص.

(٣) «ملحق البدر الطالع» ص (٤٦).

من المتعصين، ووصمهم له بالنصب بين طلبة العلم، والخط من مرتبته العلمية؛ لأنه يميل إلى السنة، ولعله كان له تلاميذ نهلوا من علومه فنالهم معه من الإهمال ما ناله، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

مؤلفاته:

إذا كان العلامة يحيى بن الحسين قد حال بيننا وبين سيرته وصفاته ضباب من الإهمال من قبل أهل عصره، ولم نعر على تفصيل كثير عن حياته العلمية وأحواله، فإن الله تعالى قد بارك في عمره، وترك لمن بعده ثروة نفيسة كبيرة من الكتب والرسائل التي صنفها، وسلمها الله بلطفه وفضله ورحمته من أيدي الخصوم، فبقيت محفوظة حتى اليوم، سلمها الله تعالى كما سلم كثيراً من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله- بالرغم من تربص المتربصين وحقد الحاقدين، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {يوسف: ٢١}.

وسأكتفي هنا بذكر ما يسر الله تعالى من العثور على قائمة بأسماء مصنفات المصنف من جمع الأستاذ/ عبد الله بن محمد الحبشي، ذكرها في مقدمة تاريخ المصنف المطبوع أخيراً باسم (يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر). (١)

ولا يفوتني هنا أن أنبه إلى أن الأستاذ الحبشي قد وقع في غلط تبعاً للزركلي في (الأعلام)، في ذكرهما نسبة كتاب (غاية الأمان في أخبار القطر اليماني) المطبوع للمصنف يحيى بن الحسين وليس كذلك، وإنما الكتاب المذكور منسوب ليحيى ابن حسين بن المؤيد الشهاري الشيعي الرافضي الإمامي، وهو غير المصنف، كما ترجم المصنف له في (بهجة الزمن)، والشوكاني في (البدر)، والقاضي إسماعيل الأكوخ في (الهجر)، وسنشرع الآن في سرد مصنفات المصنف -رحمه الله-:

(١) نشر المجمع الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، واسم الكتاب الأصلي: (بهجة الزمن).

- ١ - «الإبلاغ في معرفة الإجماع»، نسخة بخط المصنف في ١٦ق، برقم (١٥٢٦)، وأخرى في سنة ١٠٥٧هـ، برقم (١٥٣١)، جامع صنعاء.
- ٢ - «الأحاديث المحكمة في النهي عن المسألة»، في ضمن مجموعة من (١٢٢)ق، برقم (١٢١)، جامع صنعاء.
- ٣ - «الاختصاص في تنبيه الخواص»، نسخة بخط المؤلف، رقم (٧٠) مجاميع.
- ٤ - «أخلاق الصحابة»، نسخة بخط المصنف في ١٢ق ضمن المجموعة، برقم (٦١)، جامع صنعاء.
- ٥ - «الاختيار من مذاهب علماء الأمصار»، نسخة بقلم المصنف سنة ١٠٨١هـ في (١٢٢)ق، برقم (١٣١٢٠)، جامع صنعاء.
- ٦ - «٤٠ حديثاً»، نسخة مخطوطة سنة ١١٠٠هـ، في (١٣)ق، برقم (١٣١٢)، جامع صنعاء.
- ٧ - «إرشاد البرية لاتباع الأحكام الشرعية في إبطال الترتيبات القياسية»، في سنة ١٠٥٧هـ، بقلم المصنف، برقم (١٥٢٦)، وأخرى برقم (١٥٣١).
- ٨ - «الإشراق في بيان أصل اختلاف علماء الآفاق»، نسخة بقلم المؤلف، ضمن مجموعة من (٣١٢-٢٠١)، برقم (٤٣)، جامع صنعاء.
- ٩ - «الإصاغة لمعرفة جميع أشراف الساعة»، نسخة بقلم المصنف في (٤١) ورقة، ضمن مجموعة برقم (٤٦)، جامع صنعاء.
- ١٠ - «أصول فرق الإسلام»، رسالة بخط المصنف في (١٢) ورقة، ضمن المجموعة رقم (٦١)، جامع صنعاء.
- ١١ - «الإعراض عن أهل الجهل»، رتبته على قسمين: الأول: فيما وقع فيه الملوك، والثاني: فيما وقع فيه سائر الناس، رسالة بخط المصنف في (١٠)ق، ضمن المجموعة رقم (٦١).

١٢ - «الافتتاح على المصباح»، رسالة في أصول الدين، نسخة مخطوطة في (١٠)ق، ضمن مجموعة برقم (٦١)، مجاميع جامع صنعاء.

١٣ - «الاعتباس»، كتاب ضم خمسة علوم، (نشر العرف ٥٨٦/٢)، وقد شرحه المصنف، وسماه: «الالتماس»، يقول المؤرخ زبارة: يدخل في خمسة مجلدات جعله في الخمسة فنون من سنة ١٠٩٤هـ في (١٠٨)ق، والورقات من (٤٢-٨٣)، ومن (٨٣) بخط المصنف، والموجود منه الفن الثالث، وهو علم البلاغة برقم (١٦)، جامع في الفهرس القديم الذي كان يوجد منه أربعة مجلدات برقم (١٠، ١١، ١٢، ١٣).

وفي هذا الكتاب، يقول المصنف في (بهجة الزمن ص ٢١٥): «وفي هذا الوقت - أي سنة ١٠٨٢هـ - يسر الله لي تمام مصنفي: «الاعتباس» إلى آخره، بحمد الله، والذي يشتمل على خمسة فنون: «النحو» و «الصرف» و «البلاغة» و «أصول الفقه» و «أصول الدين»، في أربعة مجلدات، وكان الفن الأخير قد توسعت فيه، إلى أن قال: «مع أن الاتفاق بين علماء أهل السنة والمعتزلة ومن وافقهم من الهدوية أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين، وقد أمعنت النظر في الآيات القرآنية والتفاسير الأثرية، والمعاني العربية، والأحاديث النبوية، والنقل للأثر عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف الماضين في عقائدهم إلا على مقتضى عقائد أهل السنة المحققين كما نقلنا أقوالهم، وتتبعنا آثارهم أجمعين، وقد جريت على ذلك المنوال باتباع الأدلة والآثار في المسائل الفقهية، وصنفت أيضاً في ذلك كتابي:

١٤ - «الدلائل الشرعية والعطايا السنية، شرح المسائل الفقهية»، والله الموفق».

١٥ - «الإمام بتفصيل بواطن الآثام»، نسخة بقلم المصنف من الورقة (١٤١-١٤٨)، برقم (١٢١) مجاميع.

١٦ - «الإمام بأصول الآثام وبيان ما وقع من الأوهام»، رتبته على أوهام في الرد على أصحاب الفرق، نسخة بقلم المصنف، ضمن المجموعة (٦١) مجاميع.

- ١٧ - «إلهام الرحمن في تقرير أصول الأديان»، نسخة بقلم المصنف، برقم (٦١) مجاميع.
- ١٨ - «أنباء الزمن في تاريخ اليمن»، من أشهر كتب المصنف يحيى ابن الحسين، ذكر في المقدمة أنه جمعه من (٧٥) كتاباً في التاريخ، ابتداءً فيه بذكر حدود اليمن، وسيرة الرسول ﷺ، ودولة الخلفاء الراشدين، ومن أتى بعدهم، ثم أورد تاريخ اليمن مرتباً على السنين.
- ١٩ - «أوهام الخواص»، في جامع صنعاء، برقم (٦١) مجاميع.
- ٢٠ - «الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى»، وهي هذه الرسالة التي بين يديك الآن.
- ٢١ - «بحث في تقرير المكيال والميزان»، في ضمن المجموعة رقم (٢١١)، جامع صنعاء.
- ٢٢ - «بحث في حديث الرسول ﷺ: ما تركناه صدقة»، رسالة بخط المصنف، ضمن المجموعة رقم (١٠١)، ترقيم قديم.
- ٢٣ - «بحث في حكم الماء الواقع فيه نجاسة».
- ٢٤ - بحث «فيما يجب على أهل الأموال»، في ضمن المجموعة رقم (٤٣)، ص (٧-٧١) خ.
- ٢٥ - بحث «في مسألة الاحتجاج في الكلام والنقول القديمة على السمع والمعقول»، رسالة بخط المصنف في ٢٠ق، ضمن المجموعة (١٠٤)، ترقيم قديم.
- ٢٦ - «البغية المنتهية في حرب البغاة»، نسخة بخط المصنف في ٤٤ ورقة، ضمن المجموعة رقم (١٠١)، مجاميع ترقيم قديم.
- ٢٧ - «بناء الشرع على الظاهر»، رسالة في ٦ق، ضمن المجموعة رقم (٤٦)، جامع صنعاء.

٢٨ - «بهجة الزمن في تاريخ حوادث اليمن»، طبع أخيراً، بتحقيق الأستاذ عبدالله بن محمد الحبشي باسم «يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر»، وقد ذكرناه سابقاً.

٢٩ - «بيان فضل العلماء السابقين وموافقتهم للحق المبين»، نسخة بقلم المصنف، ضمن المجموعة رقم (٤٣) من ق (٥٧-٧٨).

٣٠ - «البيان لما خفي في القرآن»، نسخة بقلم المصنف، فرغ منه سنة ١٠٧٧هـ، في ٦٤ق، برقم (٢٢)، و«علوم القرآن»، نسخة أخرى كتبت سنة ١٠٦٣هـ، في ١٠١ق، يليه بحث في «حكم المياه»، للمصنف، برقم (٢٣) مجاميع.

٣١ - «بيان الجواب في حديث الباب»، نسخة في ورقات، برقم (١٣٤٧).

٣٢ - «البيان لتنظيم القرآن»، نسخة فرغ منها المصنف سنة ١٠٧٧هـ، في ١٥٧ق، برقم (١٥٩٣)، «تفسير».

٣٣ - «البيان للنهي عن صوم الشك في رمضان»، رسالة بقلم المصنف، ضمن المجموعة رقم (١٠٨).

٣٤ - «التبادر» «البيادر» في المعلوم والمتواتر»، نسخة جامع، برقم (٧٠) مجاميع.

٣٥ - «التحفة السنية شرح العقيدة النسفية»، نسخة بقلم المصنف، في ٣٦ ورقة، برقم (٣٦) مجاميع.

٣٦ - «تحقيق المسائل»، نسخة بقلم المصنف، في ٤ق، ضمن المجموعة رقم (٣٤).

٣٧ - «التحفة الحسنة ما بين الأولياء والسحرة»، نسخة بقلم المصنف، من ورقة (١٠٣-١٢٥)، برقم (٤٣) مجاميع.

٣٨ - «التعريف بجملة من أهل العلم والتصنيف»، ضمن تراجم جماعة من أهل اليمن وغيرهم، نسخة بقلم المصنف في ٧١ق، وهو عبارة عن مسودة، بدأه من ٧٤٧هـ بترجمة الحافظ ابن حجر العسقلاني، وانتهى فيه إلى سنة ٩٠١هـ، مبتور آخره، برقم (٢٢١١) جامع.

٣٩ - تعليق على مقدمة «الأثمار»، في ٥ق، برقم (٤٦) مجاميع، جامع صنعاء.

٤٠ - «تقريب الأحكام من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام»، نسخة بقلم المصنف كتبها سنة ١٠٦٦هـ في ١٧٣ق، برقم (٣٤٥)، جامع.

٤١ - تقرير في «البيع والشراء»، بقلم المصنف، برقم (١٢١)، من ق (٩٨-١١٣).

٤٢ - «التقرير في أصول الإمامة»، نسخة جامع (٦١).

٤٣ - «تقرير النية + كتاب تقرير النية».

٤٤ - «تنبيه الراغب في بيان أحسن المذاهب»، نسخة من ق (١٥٨-١٦٦)، برقم (٤٣) مجاميع.

٤٥ - «التميز بالدلالات الظنية للأخبار الأحادية»، خ بقلم المصنف، برقم (١٢٨٣).

٤٦ - «التميز بين السلف»، نسخة بقلم المصنف من ق (٦-٦٤)، برقم (٤٣) مجاميع.

٤٧ - «التنبيهات» حاشية على الأزهار، نسخة بقلم المصنف في (٣٣) ق، برقم (١٣٥٤).

٤٨ - «التهذيب في التقريب»، جعله في ضبط ألقاب العلماء وقبائلهم وبلدانهم جرده من «وفيات الأعيان»، لابن خلكان، وهو عبارة عن مسودة ومن وقفه، وعليه خط حفيده العلامة المطهر بن إسماعيل، نسخة في ٦٩ق، برقم (٢١٩٥) جامع.

٤٩ - جواب وتقرير على ما كتبه الشريف عبد الله بن الإمام شرف الدين حول «مسألة أصولية»، نسخة ضمن مجموعة برقم (١٠٤)، ترقيم قديم، جامع.

- ٥٠ - «الجواب في أصول زيد بن علي»، نسخة جامع، بقلم المصنف من ق(٤٣-٦٥)، برقم (٧٠) مجاميع.
- ٥١ - «الجوابات المتقاة على صاحب المسائل المرتضاة»، في ٧٥ ق، بقلم المصنف برقم (١٣٤٧)، حاشية على الأزهار + التنيهات حاشية على الجامع الصغير + الضوء المنير.
- ٥٢ - «الحقيقة بين علماء الكلام من أهل الشريعة»، خ بقلم المصنف من ق(١٣٠-١٣٨)، برقم (٤٣) مجاميع.
- ٥٣ - «الخرائد في صحيح العقائد»، نسخة بقلم المصنف، من ق (٤٤-١٣٧)، برقم (٤٣) مجاميع.
- ٥٤ - «درج الأولياء»، نسخة بقلم المصنف، من ق(١١٠-١١٢)، برقم (٧٠) مجاميع، درج الجرح + كتاب من درج الجرح.
- ٥٥ - «الدرجات الرفيعات في اعتماد المصنفات العليا»، نسخة بقلم المصنف، برقم (١٤٣).
- ٥٦ - «الدلالات شرح المهمات»، على مذهب الهدوية «مختصر الأزهار»، نسخة بقلم المصنف ٢٠٨ ق جامع (١٢٨٣)، فرغ من كتابته سنة ١٠٦٢هـ.
- ٥٧ - «الدلائل الفقهية شرح العطايا السنية»، ذكره المؤرخ زبارة في «نشر العرف» (٨٥٦/٢)، مفقود، ولعله نفس الكتاب الآتي.
- ٥٨ - «الدلائل الشرعية شرح العطايا السنية في المسائل الفقهية على مذهب الزيدية وسائر المذاهب»، في ٣ مجلدات، برقم (١٠١)، (١٠٤)، (١١٠٦)، (١١٠٧)، (١١٠٥)، (١١٠٢)، (١١٠٣).
- ٥٩ - «الرتب الرفيعة في أعلى درجات معرفة الشريعة»، نسخة بقلم المصنف، من ق(١٥٣-١٧٠)، ضمن المجموعة رقم (٤٦).

- ٦٠ - «الرحمن (?) في تفهيم أصول الأديان»، رسالة ضمن المجموعة رقم (١٠١) مجاميع، ترقيم قديم.
- ٦١ - «رسالة في انتقاد الإمام المتوكل على الله في بعض المسائل الفقهية»، نسخة جامع برقم (١٣٤٧).
- ٦٢ - «رسالة في بيان ما ينتقم الله من القضاة في تعجيل العقوبات»، بقلم المصنف برقم (١٠١)، ترقيم دولي.
- ٦٣ - «رسالة في الجمع بين الأدلة»، نسخة جامع برقم (٤٦) مجاميع.
- ٦٤ - «رسالة في تقرير الثواب على أعمال المكلف»، نسخة مجاميع برقم (٤٦) مجاميع.
- ٦٥ - «الزهر في أعيان العصر»، في تراجم علماء عصره، قال في مقدمته: «وبعد، فهذا كتاب يجمع ذكر أعيان من لقيناه وعرفناه ممن كان منهم قد مضى وبيان حالتهم ومعارفهم وفنونهم»، نسخة بخط المصنف سنة ١٠٦٧هـ، في (٣٥) ورقة ضمن مجموعة برقم (٦٦) من ق (٣٢٠-٥٦)، بجامع صنعاء الغربية، وهذا الكتاب نقل منه العلامة الشوكاني في كتابه (البدر الطالع).
- ٦٦ - «الزهر الناعم في اتباع سنة أبي القاسم»، رسالة بخط المصنف ضمن المجموعة رقم (٤٦).
- ٦٧ - «الزواج في ما جرى من عذاب المقابر»، نسخة فرغ منها سنة ١٠٨٦هـ في (٢٤) ق، برقم (٢١٠٢).
- ٦٨ - «سد الذرائع والنهي عن أسباب البدائع»، نسخة بقلم المؤلف، برقم (٤٣) مجاميع.

- شرح الاقتباس = الالتماس .
- شرح التقريب = التهذيب .
- شرح صحيح مسلم = المعلم .
- شرح العطايا السنية = الدلائل .
- شرح العقائد النسفية = التحفة السنية .
- شرح المختصر على يد أبي حنيفة = المعتبر .
- شرح مجموع الفقه الكبير = المصباح المنير .
- شرح المهمات = الدلالات .

٦٩ - «الشموس المشرقة لإزالة ظلمات البحور المغرقة»، نسخة بخط المصنف، ضمن مجموعة، برقم (٦١)، من ق(١١٢-١١٧).

٧٠ - «شن الغارة لإزالة شبه أهل الضلالة»، بقلم المصنف من ق(١٣١-١٨٣)، برقم (٤٣) مجاميع.

٧١ - «صوارم اليقين لقطع شكوك القاضي أحمد بن سعد الدين»، ضمن الرد على القاضي المذكور في مسألة الأخذ من الأمهات الحديثية، نسخة بقلم المصنف سنة ١٠٧١هـ في ٤٠ ورقة، ضمن المجموعة رقم (١٠٨)، وأخرى برقم (٤٩٩) جامع، ثالثة بمكتبة الحبشي بحضرموت، وهذه الرسالة الآن في طريقها في التحقيق ثم إلى النشر لأحد الإخوة الباحثين هو الأستاذ علي العمران.

٧٢ - «الطباقي في هوى الأعناق»، نسخة بقلم المصنف، من (١٣٣-١٨١)، برقم (٦١) مجاميع.

٧٣ - «العبر في ملوك حمير»، جعله كالمقدمة لكتابه «أنباء الزمن»، منه مخطوطة نادرة بالمكتبة الآصفية في الهند، محلقة بكتاب (التيجان)، لوهب بن منبه.

- ٧٥ - «العطايا السنية» في الفقه.
- ٧٦ - «عقيدة المنام المكتوبة بالإلهام»، بقلم المصنف، من ق (١٤٥-١٤٨) جامع، (٤٣) مجاميع.
- ٧٧ - «العمدة» في الناسخ والمنسوخ من الحديث، بقلم المصنف، ٢٣ ق، برقم (٢٣٨٦).
- ٧٨ - «عموم الهوى بالناس»، نسخة بقلم المصنف من ق (٢٠٩-٢١٢)، جامع برقم (٤٣) مجاميع.
- ٧٩ - «الغرة الصبيحة في العقيدة الواضحة الصحيحة»، نسخة سنة ١٠٧٧هـ، من ق (٦٧-٨٣)، برقم (٢٠٢) جامع.
- ٨٠ - «الغرر البهية في سيرة خير البرية»، نسخة بقلم المصنف في (٢٥٠) ق، برقم (٢٥)، تاريخ جامع، تاريخ قديم.
- ٨١ - «الغرة» في العقيدة، نسخة بقلم المصنف برقم (١٣٤٧) جامع.
- ٨٢ - «فتاوى يحيى بن الحسين» ذكره المؤرخ زبارة في (نشر العرف) (٨٥٦/٢).
- ٨٣ - «الفوائد على القلائد»، نسخة في (١٣) ق، بقلم المصنف سنة ١٠٩٦، جامع (٧٥٣).
- ٨٤ - «الكاشف للحق والهدى في إبطال قول من منع الفتوى»، نسخة بقلم المصنف، من ق (١١٤-١٢١)، برقم (١٢١) مجاميع.
- ٨٥ - «كتاب الإشارات الإلهامية والفتوحات الربانية والأسرار الخفية في الأصول الدينية»، نسخة بقلم المصنف في ٤٨ ق، جامع، برقم (٤٦).
- ٨٦ - «كتاب في أصول الخط»، نسخة بقلم المصنف في (٥٨) ق، ضمن مجموعة برقم (٤٦).

- ٨٧ - «كتاب درج الجرح والتعديل وتقرير ما هو الصحيح من الأقاويل»، نسخة بقلم المصنف في (٢٥) ورقة، جامع (٤٦) مجاميع.
- ٨٨ - «كتاب الغلاة» الموجود منه الورقة الأولى، والبقية انتزعت منه ضمن مجموعة برقم (١٠١)، ترقيم قديم.^(١)
- ٨٩ - «كتاب تقرير النية على الأعمال»، نسخة بقلم المصنف في (١٨) ق، ضمن المجموعة رقم (٤٦).
- ٩٠ - «كتاب فيه أخبار نبوية» وذكر ما يلي بعده من الملوك الأموية والعباسية وبيان أعمالهم وصفاتهم التي هي من جملة المعجزات النبوية، نسخة بقلم المصنف من ق (١٨١-١٩١)، برقم (٤٦) مجاميع.
- ٩١ - «كشف علوم الآخرة»، نسخة بقلم المصنف في ٩٣ ق، جامع (٢٣٧٢).
- ٩٢ - «الكفاية في بيان فرض الكفاية»، نسخة بقلم المصنف، من ق (٩٩-١٠٦) المجموع رقم (٧٠) جامع.
- ٩٣ - «اللباب في شرائع الآداب»، نسخة جامع (١٢١)، مجاميع من ق (١٤٩-١٥٤).
- ٩٤ - «لحوق العوام بمتابعة العلماء في العموم»، نسخة بقلم المصنف، من ق (١٤٩-١٥٤)، جامع، (٥٦) مجاميع.
- ٩٥ - «مخالفة الإجماع»، قال فيه: «وبعد، فإني رأيت أناساً يتساهلون عن الأوهام والمجازفات التي لا تليق بأهل المعرفة، لاسيما في الأمور الشرعية»، نسخة بقلم المصنف في ١٨ ق، جامع برقم (٦١)، مجاميع.
- ٩٦ - «مختصر» في ذكر ألفاظ مشكلات من أقوال «ابن عربي»، نسخة بقلم المصنف من ق (٧٩-١٠٢) مجاميع.

(١) انتزاع أوراق هذه الرسالة يبعث التساؤل، إذا كان فيها ذكر الغلاة من الرافضة والمتعصبة فانتزعها واحد من هؤلاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٧ - «مسائل» حررها القاضي أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق إلى سيدي يحيى بن الحسين بن القاسم، نسخة ضمن مجموعة برقم (٩٣)، مجاميع «جامع غريبة»، انظر: ترجمة القاضي المذكور في «ملحق البدر الطالع» ص (٤٦) .

٩٨ - «مسألة علم الله تعالى» في سنة ١٠٩٦هـ، بقلم المصنف، جامع (٧٥٣) .

٩٩ - «المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك»، من كتب المصنف المهمة جعله في مسألة الفرقة الناجية، وحديث (الافتراق)، نسخة في (١٥٠) ق، جامع برقم (٦٩٢)، وهذا الكتاب من الكتب التي صورتها بعثة مصر .

١٠٠ - «المستجد في بيان علماء الاجتهاد»، نسخة في ٤٢ق، بقلم المصنف جامع (٧٠) مجاميع وهو من الكتب المصورة في بعثة مصر .

١٠١ - «المستخرجات البيّنات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات»، قال فيه: «أما بعد، فإنه سأل كثير من المسترشدين عن شرب الدخان الذي غلب عليه اسم «التن» في هذا الزمان، وكثر من الناس شراؤه، ورأيت أن أذكر ما قد جرى من الاشتباه في القهوة المشروبة وما يتبعها من شجرة القات المأكولة بحسب النظر القاصر والتفصيل الظاهر مستعيناً بالله على موافقة الحق... إلخ»، نسخة بقلم المصنف، من مجموعة رقم (١٠٨)، من ق (١١٥-١٤٣)، وقد نشرت هذه الرسالة .

١٠٢ - «المستطاب في تراجم علماء الزيدية الأطياب»، ويسمى طبقات الزيدية، وهو من كتبه النفيسة جمع فيه تراجم علماء الزيدية حسب الطبقات، ومنه عدة نسخ خطية، يوجد في نسختين موسعة ومختصرة، وهو في طريقه للنشر، بتحقيق عبد الله الحبشي .

١٠٣ - «المشاهدات»، نسخة بخط المصنف، من (١٣٩٥-١٤)، جامع (٤٣) مجاميع .

- ١٠٤- «المصباح المنير في شرح مجموع الفقه الكبير»، ضمنه شرح مجموع زيد ابن علي، بقلم المصنف في ١٣٤ ورقة، جامع (٤٨٢).
- ١٠٥- «مظاهر البينات في الآيات المتشابهات»، نسخة بقلم المصنف في ٤٨ ق، برقم (٢٢٢) جامع.
- ١٠٦- «المعتبر شرح المختصر»، على مذهب أبي حنيفة، بقلم المصنف في ٤٩ ق، جامع (١٣١٩).
- ١٠٧- «المعلم بإيضاح صحيح مسلم»، نسخة بقلم المصنف في ٣ مجلدات سنة ١٠٧٨ هـ، برقم (٤٦٧)، (٤٩٧).
- ١٠٨- «المكنون في علم خير القرون»، نسخة بقلم المصنف، من ق (٨٤-٩٥)، جامع مجاميع (٦١).
- ١٠٩- «منافع الأبدان في مداواة أمراض الإنسان»، نسخة بقلم المصنف في ٧٥ ق، جامع (٢٢٦٢).
- ١١- «منقذ الغواية من أهل الدراية»، بقلم المصنف، نسخة من ق (٤٥-٥٢)، جامع (٤٣) مجاميع.
- ١١١- «المنير في رد شبه الأمير»، من كتبه السياسية المهمة في خمسة أقسام:
- الأول : في متابعة النبي ﷺ في سيرته في الجهاد.
- الثاني : في كيفية قتاله للبغاة.
- الثالث : في حث الناس على الجهاد.
- الرابع : في سيرته ﷺ في إقامة الحدود.
- الخامس: في كيفية إعطائه ومنعه، نسخة بخط المصنف من ق (٨٣-٥٤)، جامع مجاميع.
- ١١٢- «النجم الزاهر في بيان علم الله العزيز القاهر»، نسخة بقلم المصنف

سنة ١٠٩٦هـ، في ٢١ ق، جامع (٧٥٣).

١١٣- «النكت المفيدة في العقائد الصحيحة»، نسخة بقلم المصنف، من ق (٩٠-١٠٥)، جامع (٤٦) مجاميع.

١١٤- «النكت المفيدة على الرسالة القشيرية»، نسخة بقلم المصنف، من ق (١٥١-١٥٧)، جامع (٤٣) مجاميع.

١١٥- «نور الحقائق في بيان إحاطة علم الله السابق لأفعال الخلائق، وما لم يوجد من هذا الخلف واللاحق»، قال فيه: «إنه وقعت مذاكرة في شأن مسألة العلم والقدرة وما ذكرته المعتزلة في ذلك، مع أنه تعالى يعلم وجود المستقبل، أما إذا ما وجد ما قبل الوجود، فلا يعلمه، بل إنما يعلم مجرد استقباله... إلخ»، نسخة بقلم المصنف في ١٢ ق، جامع (٤٦) مجاميع.

١١٦- «ورقات في مناقب أهل البيت»، جامع نسخة من (٢١٣-٢١٧)، رقم (٤٣) مجاميع.

١١٧- «الوافي على الشافي»، نسخة جامع برقم (١٢٤٧).

١١٨- «الهلل للطمع»، ضمنه بحث في ذم البخل وجمع المال، نسخة بقلم المصنف، جامع (٦١) مجاميع. انتهى.

● الفصل الثالث ●

الحياة السياسية

إن الفترة الزمنية في القرن الحادي عشر خصوصاً الفترة التي نشأ فيها المصنف وعاشها كانت فترة مملوءة وحافلة بالأحداث السياسية العظيمة، وكانت الدولة الحاكمة في اليمن هي الدولة القاسمية التي بدأت أعمدة بنائها ترتكز على يد مؤسسها جد المصنف يحيى بن الحسين، وهو الإمام القاسم بن محمد، والمصنف ولد متأخراً بعد موت جده، ولكنه أدرك صغيراً جزءاً من حكم الإمام المؤيد ابن القاسم، وهو العهد الذي زادت فيه الدولة شموخاً، واستكملت اتساعها ورسوخها في عهد الإمام الثالث، وهو الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم.

وأدرك المصنف فترة حكم ثلاثة أئمة من بعد المؤيد، ومما يزيد الأمر وضوحاً، فقد توفي الإمام المؤيد سنة ١٠٥٤هـ، وقد امتد حكم دولته من ١٠٢٩هـ وانتهى بموته سنة ١٠٥٤هـ، وكانت مدة دولته وحكمه (٢٥) عاماً.

وكانت قد بدأت رقعة دولته تمتد في أماكن معينة من اليمن، وكانت كلما تراجعت دولة الأتراك، وحاقت بها الهزائم اتسعت دولة المؤيد، وبسطت نفوذها على حساب هزائم الأتراك، وكانت آخر هزائم الأتراك تتوالى في نواحي تعز وتهامة كزبيد وآخرها المخا، وكان عمر المصنف حين توفي المؤيد (١٩) عاماً.

وقام بالإمامة من بعد وفاة المؤيد الذي توفي بشهارة، قام من بعده الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، ولقب نفسه بالمتوكل من (ضوران)، وكانت فترة حكمه أطول الفترات في ذلك العصر، فقد امتدت (٣٣) عاماً بالرغم من أنه كان قد نازعه في الإمامة في بداية الحكم أحد إخوته، وهو أحمد بن القاسم وهو الأخ الأكبر من إسماعيل، وقد كان القاضي أحمد سعد الدين المسوري قد أخذ البيعة في شهارة من كبار العلماء والأعيان فيها لأحمد بن القاسم، ولكن إمامة هذا الإمام ضعفت وانتهت بقيام أخيه الإمام المتوكل إسماعيل في ضوران، فقد استطاع بمهارته السياسية

أن يكسب الموقف لصالحه، وامتنع طمع أخيه أحمد بن القاسم في الحكم بأن أمر له بإمارة لواء صعدة، وتم الإجماع بعد ذلك على إمامة المتوكل إسماعيل.

والمصنف - رحمه الله - قد شهد فترة حكم عمه المتوكل كلها، وسجل أحداثها ومجرياتها في كتابه المسمى (بهجة الزمن)؛ سجل فيه كثيراً من الأحداث مرتبة حسب السنين إلى أن انتهت دولة المتوكل بموته سنة ١٠٨٧ هـ، كما أدرك المصنف بعد موت المتوكل عصر دولتين قصيرتين هما:

١ - دولة المهدي أحمد بن الحسن صاحب (الغراس) التي كانت فترة حكمه أقل بكثير من فترة حكم المتوكل، بحيث كانت فترة حكم المهدي (٧) سنوات، وانتهت بموته سنة ١٠٩٤ هـ، وقد دخل الإمام المهدي هذا في بداية إمامته في قتال مع معارضيه، وأبرزهم إمام آخر ادعى الإمامة من شهارة، فقد وقعت بينهما وقعات حربية انتهت بانتصار الإمام أحمد بن الحسن.

٢ - دولة المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل، الذي قام بالإمامة بعد موت أحمد ابن الحسن، وكان مقر حكمه في (ضوران) مقر حكم أبيه، وكانت فترة حكمه أقل الفترات الزمنية بالنسبة لسابقه؛ إذ كانت مدتها (٣) سنوات، وكانت وفاة المصنف بعد هذه الفترة الزمنية المملوءة بالأحداث الكبيرة، منذ وفاة الإمام المؤيد في شهارة سنة ١٠٥٤ هـ، إلى ما بعد وفاة الإمام المؤيد بن المتوكل في ضوران سنة ١٠٩٧ هـ بثلاث سنين.

كانت معظم فترة حكم الإمام المتوكل تتمتع بالاستقرار السياسي والأمني في اليمن، وأحياناً كانت تظهر حركات من بعض قبائل خولان وبرت والجوف، فيأمر الإمام بضربها وإسكاتها، وأحياناً تدخل مخاليف جديدة من اليمن، ويزداد اتساع الدولة المتوكلية كحضر موت وعدن ويافع، أما الحجاز ومصر والشام والعراق، وبلدان من العالم العربي والإسلامي، فكانت تخضع للدولة العثمانية مع أنها في حروب مع خصومها، مثل حصارها لـ (مالطة)، وحروبها مع الشاه بعد قيام دولته في إيران ببلاد العجم وقوي بأسه، حتى حاصر بغداد ودخلها، وكان مذهبه مذهب الرافضة،

أما الدولة العثمانية فقد كان مذهبها هو المذهب الحنفي، واعتقادها هو عقيدة الماتريدية القريبة من الأشعرية، فلما دخل الشاه بغداد بادرت الدولة العثمانية بتجهيز جيش لحرب الشاه وإخراجه من بغداد، أما الأندلس فقد كانت سقطت على أيدي الصليبيين كلها، كما كانت اليمن تواجه اعتداءات في حدودها الساحلية كالمخا وباب المندب وعدن من قبل الغزاة البرتغاليين.

أما الحجاز ومنها مكة والمدينة فقد كان يحكمها الأشراف تبعاً للدولة العثمانية.

كان الحكم في تلك الفترة هو الحكم العضوض: تتغلب أسرة وتقوى وتتخوض الحرب، فيتصلب عودها وتقوى شكيמתها وسلطتها، ثم تدعي أنها هي التي تمثل الحكم الإسلامي الصحيح، وإقامة أركانه وتعاليمه بناءً كاملاً، وتنشر حولها هالة من التعظيم، خصوصاً إذا كان الانتساب إلى البيت النبوي الشريف.

ولو عدنا إلى قيام الدولة القاسمية، فإن الإمام القاسم بن محمد لما بدأ يؤلب حوله القبائل لحرب الدولة العثمانية قامت الدولة العثمانية ولم تقعد، وقامت بملاحقته وبطارده من مكان إلى آخر، وتارة يظهر وتارة يختفي في كهوف الجبال وفي الشعاب والأودية، واستمر هذا القتال حتى أعيى الإمام القاسم القوات العثمانية ولم تستطع القضاء عليه، وأخيراً تم الصلح بين الإمام والأتراك على أن تبقى النواحي التي تحت سيطرة الإمام كما هي تحت حكمه، وهذا يعتبر اعترافاً من العثمانيين وبداية هزيمة لهم في اليمن.

وفي فترة استحواذ الدولة القاسمية على الحكم في اليمن خصوصاً في فترة قوتها وشبابها في عهد الإمام المتوكل، كانت لا تترك فرصة للحكم لأحد من غير الأسرة وأبناء الأئمة، حتى ولو كان الداعي إلى الإمامة ينتسب إلى الحسن والحسين ابن علي عليه السلام، فقد برز إمام آخر ولكنه من غير أسرة الدولة القاسمية فدعا إلى الإمامة في عصر المتوكل، وهذا الداعي هو محمد بن علي الغرباني الذي كان مقر إقامته في (برط) لدى قبيلة (ذو محمد وذو حسين)، وخلال إقامة هذا الداعي في برط مر بها أحد أمراء وقادة الإمام المتوكل إسماعيل وهو الأمير علي بن أحمد،

طلب من أهل (برط) أثناء مروره بهم إخراج الداعي المعارض محمد بن علي الغرباني من أرضهم فامتنعوا، فحملهم الضمان صغارهم وكبارهم^(١) على حفظ هذا الداعي، وألاً يتفق منه شيء، أو يحدث منه شيء من المعارضة لحكم الدولة القاسمية، وقد أشار هذا الداعي - لا فض فوه - إلى استحواذ الدولة على الحكم وانفرادها به وحرمان غيرها من قرابة النسب النبوي الهاشمي، أشار إلى هذا الاستحواذ في قصيدة سياسية من غرر القصائد، كتبها هذا الداعي وأرسل بها إلى والده من (برط) إلى صنعاء، ولكنها تحمل في طياتها معاني رائعة من الغمز في الدولة، وكأن هذه القصيدة وثيقة سياسية تاريخية يقول، فيها:

وَعُجِّ بِبَنِي الْقَاسِمِ الْأَكْرَمِ

— ن وَمَنْ لَهُمْ فِي الْعُلَا أَوْجُ

أَتَحِفُّهُمْ بِجَزِيلِ السَّلَا

م وَعَاتِبُهُمْ إِنْ هُمُ عَرَجُوا

وَقُلْ مَا لَكُمْ يَا بُحُورَ الْحِجَى

أَتَيْتُمْ بِشَيْءٍ بِهِ يُسْمَجُ

جُنُودَكُمْ كُلُّهَا أَقْبَلَتْ

عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ تُزْعِجُ

وَلَيْسَ لَهُ ثَرَوَةٌ لَا وَلَا

لَهُ ثَمَّ أَوْسٍ وَلَا خُزْرَجُ

وَلَمْ يَأْتِكُمْ مِنْهُ مَا تَكْرَهُو

ن سِوَى أَنَّهُ قَالَ ذَا الْمَدْرَجُ

(١) كذا في (طبق الحلوى) ص (٢٧٤)، حوادث سنة ١٠٨١ هـ.

وَمَا قَالَ إِنْني إِمَامٌ وَلَا أَلْ
 إِمَامَةٌ عَنْكُمْ لَهَا مَخْرَجٌ
 وَلَكِنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ مَا
 ذَكَرْتُ هُوَ الْمَنْهَجُ الْأَوْهَجُ
 فَهَبُّوا إِلَيْهِ إِذَا شِئْتُمْ
 وَإِلَّا فَمَا شِئْتُمْ فَانْهَجُوا
 وَرُدُّوا عَلَيَّ إِذَا شِئْتُمْ
 مَقَالِي إِنْ كَانَ يُسْتَسْمَجُ^(١)

إن الدولة القاسمية قد بلغت أعلى مستوى لها في القوة والاتساع فقد امتد حكمها إلى حضرموت خصوصاً في عهد المتوكل إسماعيل، ويجدر بنا هنا أن نوجز الأسباب الهامة المؤدية إلى قوة تلك الدولة واتساعها، فمنها:

١ - أنها كانت هي الدولة الوحيدة المنتصرة على الدولة العثمانية في البلاد العربية، مع أن الأقطار العربية الأخرى كانت تخضع للعثمانيين، ومن عادة الدول الجديدة التي تقوم منتصرة على إثر دولة منهزمة ومنقرضة أن تتمتع وتنعم بنشوة النصر، مثال ذلك قيام الدولة العباسية^(٢) على إثر الدولة الأموية، ففي بداية حكمها بلغت الغاية في القوة والبطش في عهد أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والمأمون.

٢ - أن أركان دولة المتوكل إسماعيل وسلفه المؤيد كانت تقوم على كواهل قادة كانت لهم شجاعة نادرة، قد مارسوا الحروب وكوتهم بلهبها، أمثال الحسين ابن القاسم والد المصنف وأخيه الحسن بن القاسم، ومحمد بن الحسن، وأحمد ابن الحسن، فما يطرأ على الدولة أي تمرّد أو أي خروج عن طاعتها في مكان ما من نواحي اليمن، إلا وينال المتمرّد ضربات سريعة موجعة تكسر من شوكته وصولته على أيدي أحد هؤلاء القادة الأقوياء.

(٢) مع الفارق في الحجم والزمن.

(١) «طبق الحلوى»، نفس الصفحة.

٣ - سبب آخر ، وهو أن الإمام المتوكل كان إذا عرضت له مشكلة مهمة سياسية مع الدول المجاورة لدولته، كان يجمع مستشاريه ويشاورهم لمناقشتها ليخرج برأي صائب في الإقدام أو الإحجام.

هذه الدولة القاسمية التي كانت قوية تمتد رواقها على جميع نواحي اليمن في عهد المتوكل، بدأ الضعف والفتور يسري في شرايينها بعد موت المتوكل، واستطاع الإمام المهدي أحمد بن الحسن من بعده أن يمسك بزمامها فترة حكمه، وازداد ضعف الدولة سوءاً بعد موته في عهد الإمام محمد بن المتوكل إسماعيل، فقد خرجت عن طاعة الدولة بلاد يافع، وانتصر أهلها على الدولة بعد صدّهم حملة عسكرية، وسقط من رجال الحملة كثير من القتلى والجرحى، ولاذ بقية الحملة بالعودة، ورضوا من الغنيمة بالإياب.

واستمرت بلاد يافع بعد ذلك خارجة عن طاعة الدولة، وزاد الأمر سوءاً أن أهالي يافع كاتبوا الدولة العثمانية يطلبون منها أن تعود إلى الحكم في اليمن من جديد، كما خرج عن سيطرة الدولة أيضاً بلاد الحجرية في لواء تعز.

ولما قويت دولة المتوكل وامتد رواقها على اليمن بأسرها، امتد بإزاء ذلك الأمن والاستقرار، فقد كان يستشير أعيان دولته وأكابرهم وقد نجح في هذا إلى حد كبير، خصوصاً إذا طرأت قضايا سياسية مهمة، فكان أحياناً يعرضها على أهل الرأي والمشورة ويخرج منها برأي سديد يسير عليه.

وفي المجال العلمي: ازدهر هذا الجانب، وبرز علماء كبار خصوصاً في الجانب الفقهي، في المذهب الزيدي الهادي، وكان نشر المذهب الهادي هو الهم الأكبر للدولة، وعلى رأسها الإمام المتوكل، خصوصاً في مخاليف اليمن التي ينتشر فيها مذهب الشافعية؛ مثل تعز وإب وتهامة وحضرموت والنواحي الجنوبية؛ مثال ذلك إلزام أهالي هذه النواحي أن يدخلوا في أذان الصلوات الخمس (حي على خير العمل)، فقد نقل صاحب (طبق الحلوى) رغم تحيزه التام للمتوكل إسماعيل وتعصبه له وللدولة القاسمية خبراً يؤيد ما نقوله في معرض حديثه عن حوادث سنة ١٠٨٣ هـ

في ربيع الأول من السنة، قال: «وصل إلى الإمام بعض مشايخ جبل (صبر) جوار (تعز) شاكين من العامل الشيخ راجح الأنسي، ولما أعرض عنهم الإمام تحزّبوا على الخلاف، وساعدهم على ذلك أهل الحجرية الأحلاف، فكفّوا يد العامل، وأشرعوا أسنة العوامل، وحذفوا (حي على خير العمل) من الأذان، وقتلوا من العسكر ثلاثة، وربما وجهوا من المطالب إلى حضرة الإمام، واستعانوا بالباقي على حوادث تلك الأيام»^(١).

ومن محاسن الإمام المتوكل إسماعيل ومفاخره، والأعمال الطيبة الرائعة التي ينبغي أن يُحمّد عليها، ويذكر بالشكر والاحترام، هو تلك المبادرة التي قام بها في عهده؛ حيث أمر بإحراق كتاب «فصوص الحكم»، لابن عربي في صنعاء، هذا الكتاب الذي يحتوي على كثير من الشطحات والأباطيل والظلمات والضلالات، ما يتعارض مع الشرع والعقل، فعمل المتوكل في هذا الموقف من إحراق الكتاب هو عين الصواب.

ومما قام به بعض ولاية الدولة المتوكلية في اليمن الأسفل، أنهم منعوا الأهالي في صلاة الجماعة من قول (آمين) عقب قراءة الإمام في الصلاة الجهرية للفتحة؛ إلا أميراً واحداً كان يتحلّى بالعلم والاجتهاد والعدل والإنصاف، وهو من أكبر قادة الدولة، فأمر العمال الذين تحت إمارته بالكف عن منع المصلين من قولهم (آمين) في الصلاة، وتركهم على ما هم عليه، هذا الأمير والقائد هو: العلامة الأصولي المجتهد الحسين بن القاسم بن محمد^(٢) -رحمه الله- فقد كان عالماً عادلاً منصفاً، وصنف في هذا الموضوع رسالة مع رسالة أخرى صنفها في موضوع صحة صلاة الجمعة في عدم وجود إمام، وبطلان هذا الشرط.

(١) يفهم من هذا الكلام المسجوع (ص ٢٨٩)، لصاحب (طبق الحلوى)، أن من شروط طاعة أهل جبل (صبر) (والحجرية) لدولة الإمام المتوكل ولوائهم لها، هو الالتزام بـ «حي على خير العمل» في أذان الصلوات، وأن حذفها من الأذان مع شروط الطاعة الأخرى يعتبر نقضاً للطاعة وخروجاً عن لوائهم للدولة المتوكلية، وكذلك بقية النواحي والمخالفات التي كان ينتشر فيها مذهب الشافعية من تهامة وزيد وعدن وآب وغيرها.

(٢) هو والد المصنف يحيى بن الحسين.

وقد ظهرت ظاهرة سيئة في عهد الإمام المتوكل إسماعيل، هي اعتقاده وقناعته بمسألة «التكفير بالإلزام»، وكان لهذه المسألة والظاهرة آثار سيئة وأضرار على رعايا الدولة في مناطق اليمن الأسفل، فقد انهالت على الأهالي نتيجة لهذه الظاهرة جبال من المظالم، من قبل عمال الإمام المتوكل برضا منه وإشارة خضراء، وأن رعيته هؤلاء قوم كفار بدعوى أنهم مشبهة أو مجبرة، بالرغم من أنه قد عارضه في ذلك علماء أجلاء في عصره من فضلاء علماء المذهب الزيدي الهادي، أظهر الله تعالى الحق على أفئدتهم وألسنتهم، ولكنه أصر على هذه الشبهة، ورغم معارضة مجموعة من علماء الزيدية الأفاضل بما يكفي بطلانها، فكيف بغيرهم؟!!

ومما زاد المتوكل إصراراً على السير في هذه الظاهرة أنه نسبها إلى مذهبه، وهي تتنافى مع المذهب، وزاد هذا الإصرار من الإمام خطورة ووضوحاً، أنه صنف رسالة بعنوان «إتحاف السامع في جواز أخذ أموال الشوافع»^(١).

ولما انتشرت هذه الظاهرة وبدأت أخبارها تلوح في النواحي اليمنية، انتدب للتصدي لها فرسان من فوارس علماء الزيدية الهادوية، وفي مقدمتهم فارس ميدانه وعلامة زمانه، المصنف العلامة يحيى بن الحسين -رحمه الله- مصنف هذه الرسالة، فقد حرر إلى عمه الإمام المتوكل رسالة، اعترض فيها عليه وبين له فيها مجانبة الصواب فيما قام به من إثارة هذه الظاهرة وناقشه مناقشة علمية، ولكن الإمام المتوكل استمر وأصر على هذه الظاهرة وتبريرها، ورد الإمام برسالة على ابن أخيه يحيى بن الحسين يقول فيها:

«إن مذهب أهل العدل أن المجبرة والمشبهة كفار!، وأن الكفار إذا استولوا على أرض ملوكها ولو كانت من أراضي المسلمين، وأهل العدل، وأنه يدخل في حكمهم من والاهم، واعتزى إليهم، ولو كان معتقده يخالف معتقدهم، وأن البلد الذي تظهر فيه كلمة الكفر بغير جوار كفرية، ولو سكنها من لا يعتقد الكفر، ولا يقول بها أهلها»، إلى أن قال: «هذه الأصول معلومة عندنا بأدلتها القطعية، ومدونة في

كتب أئمتنا ولا ينكر ذلك عنهم أحد ممن له أدنى بصيرة، ومعرفة بمصنفاتهم كالأزهار وغيره»، إلى أن قال: «فإذا استفتح^(١) شيئاً من البلاد التي بأيديهم فله أن يضع ما شاء؛ سواء كان أهلها ممن هو باق على ذلك المذهب أم لا، فالمقلد من الناس إن أراد أن يكتفي بالتقليد، فهذه الأمور معروفة في المختصرات، وإن أحب الوقوف على الدليل ففي المبسوطات ما يكفي ويشفي»^(٢).

قال المصنف: «وقد أجبت عليه بكتاب حافل في مجلد صغير، قدر ثمان كراريس في نصف قطع، ولم نبلغه إليه لعلمي أنه لا يثمر لديه، وجميع ما ذكره مختل لم يكن في كتب الأئمة، ولا الأزهار مما ذكره، وإنما المذكور في الكتب أحكام الكفار والمتردين، فكان المتوكل عليه أن يعرف الأصل ليرتب عليه الفرع ولا يجعل هذا ذريعة له ولغيره في الجور من العمال والمتصرفين، فلا حول ولا قوة إلا بالله»، إلى أن قال: «وفي خلال هذا ظهرت زيادة المرتفعات من الولاية باليمن الأسفل وغيره، واسترسلوا في المطالب (المظالم) والزيادات لها حتى تعب أهل البلاد، وزالوا بالشكوى فلم يسمعها منهم المتوكل؛ لتحرر هنا الشبهة الباطلة عنده، فكتبت إليه كتاباً أترجى أو عسى أن يحصل معه تعطف ورحمة لهم، فأجاب علي بما لفظه: (وذكرتم بما صار يجري في اليمن الأسفل وما نقل إليكم، فما اشتغلنا في الأغلب إلا بإنصاف مثل من ذكرتم من المظلومين، وكل من اتصل بنا لا يعود إلا منصفاً ولا نترك لله حقاً، وقد قررنا الأمر بذلك إجمالاً وتفصيلاً، ولا نزال عليه)».

ثم قال المصنف^(٣) معقباً على عمه الإمام المتوكل: «ولا أصل له، فإنهم عادوا من بابه مظلومين غير منصفين، حتى إنه بقي شكاة (العدين) في بابه قدر ستين، ثم حبس شيخهم، وأمرهم بتسليم زيادة المطالب (المظالم)!!»

(١) أي الإمام .

(٢) «بهجة الزمن» ص (٧٠)، و«طبق الحلوى» ص (١٢١) .

(٣) «بهجة الزمن» ص (٧١) .

إن قول كلمة الحق شاق ومرير، ولكن إعلانها والصدع بها أمر تقره الشرائع وتستحسنه العقول السليمة والفطرة، ولا يقتصر بكلمة الحق على عالم وحده، بل على كل عالم مسلم من أي مذهب كان من المذاهب الإسلامية، وسواء أكان عالماً سنياً أم شيعياً أم زيدياً هادوياً، مادام العالم مسلماً يتحلى بالعدل والإنصاف، يستشعر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ١٥٩، ١٦٠﴾، والباعث لقول الحق هو خشية الله، والخوف منه، وتذكر وعيد الله في الآية السابقة، لذلك فقد انتدب مجموعة من نخبة علماء الزيدية الهادوية لقول الحق، وأعلنوا معارضتهم لهذه الظاهرة التي أثارها الإمام المتوكل، وهؤلاء العلماء، هم:

- ١ - العلامة المجتهد الحسن بن أحمد الجلال. (١)
- ٢ - أخوه العلامة الهادي بن أحمد بن محمد الجلال. (٢)
- ٣ - أحمد بن علي بن الحسن الشامي. (٣)
- ٤ - الفقيه القاضي عبد القادر بن علي المحيرسي. (٤)
- ٥ - الفقيه العلامة عبد العزيز الضمدي. (٥)
- ٦ - العلامة السيد إبراهيم بن محمد المؤيد. (٦)
- ٧ - القاضي أحمد بن علي بن قاسم العنسي^(٧)، الساكن بـ «برط»، بعث للمتوكل رسالة فيها اعتراضات عليه وعلى جميع الولاة والمتصرفين وأكلي الزكاة، استهلها بأبيات مطلعها:

(٢) المصدر نفسه (١/٣٥٢).

(٤) المصدر نفسه (٤/١٩٦٥).

(٦) المصدر نفسه ص (٧٩).

(١) «هجر العلم» (٢/١٠٧٦).

(٣) المصدر نفسه (١/١١٣).

(٥) «بهجة الزمن» ص (٦١).

(٧) المصدر نفسه ص (٦٩).

إلى العُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الْأَعِزَّةِ

مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الْكَرَامِ الْأَيْمَةِ

٨ - ومن المتأخرين: العلامة ابن عبد القادر بن علي بن الحسين ابن الإمام

المهدي أحمد بن الحسن، قال من ضمن قصيدته الشهيرة، ومطلعها:

يَا نَاصِحَ الْقَوْمِ قَدْ أَبْلَغْتَهُمْ حَجَجًا

فَمَا وَعَتْهَا مِنَ الْمَنْصُوحِ آذَانُ

ومنها:

قَالُوا: إِمَامُهُمْ إِسْمَاعِيلُ عَالِمُهُمْ

أَفْتَاهُمْ بِمَقَالٍ فِيهِ بُرْهَانُ

يَقُولُ: إِنَّ جُنُودَ التَّرْكِ كَافِرَةٌ

دَانَتْ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْقُطْرِ بُلْدَانُ

وَبَعْدَهُمْ قَدْ مَلَكْنَاهَا بِقُوَّتِنَا

صَارَتْ إِلَيْنَا حَلَالًا بَعْدَمَا بَانُوا

أَصُولُنَا تَقْتَضِي هَذَا فَلَا حَرَجُ

بِمَا أَخَذْنَا وَلَا وَالْقَوْلُ بِهَتَّانُ

إلى أن ختم القصيدة، قائلًا:

إِبْلِيسُ سَوَّلَ هَذَا وَالنَّفُوسُ دَعَتْ

إِلَيْهِ رَغَبْتُهَا فِيهَا لَهَا شَانُ^(١)

هَذِي الْخَيَالَاتُ لَا تُجِدِي لِيَوْمِ غَدٍ

إِذَا قَضَى بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ دِيَانُ

(١) «هجر العلم» (١٠٧٦/٢)، وحاشية (السليل الجرار)، نقلًا عن ابن الأمير وعصره (٩٨/٢٠)، وهذه القصيدة قالها

هذا العالم بعد عصر المتوكل، وبعد موته بـ (٥٠) عامًا.

٩ - ويأتي عصر الإمام الشوكاني، ويطلع على هذه الظاهرة وهذه المسألة في شرحه لمتن الأزهار في (السيال الجرار)^(١)، فيقول: «إن أراضي أهل الإسلام معصومة بعصمة الإسلام، لا يجب منها إلا ما أوجبه الله من الزكاة، ومن زعم في أرض منها أنها قد صارت إلى صفة غير هذه الصفة فقد خالف ما هو معلوم في الضرورة الدينية، ولا يكون إلا أحد رجلين: إما جاهل لا يدري ما يقول، أو متلاعب بالدين لأغراض نفسانية ومقاصد دنيوية، كما قدمنا قريباً.

وأحق أرض الله سبحانه بإجراء الأحكام الإسلامية عليها أرض اليمن؛ لما صح عنه ﷺ، من قوله: «الإيمان يمان»، وقد صح أنهم أسلموا طوعاً بغير قتال عند بلوغ البعثة النبوية إليهم، فهم أحق العالم بما ذكرناه، وأرضهم أحق الأرض بذلك، وأما ما تجدد من الدعاوى الفاسدة والشبه الداحضة من تكفير بعض طوائف الإسلام لبعض، فذلك لا يرجع إلى دليل من عقل ولا نقل، بل مجرد شهوة شيطانية أثارتها العصبية الجاهلية، فإياك أن تغتر بشيء منها؛ فإنها حديث خرافة، وقد سمي النبي ﷺ الخراج جزية، كما في حديث أبي الدرداء عند أبي داود مرفوعاً: «مَنْ أَخَذَ أَرْضاً بِجَزِيَّتِهَا، فَقَدْ اسْتَقَالَ هِجْرَتَهُ»، فهذا الوعيد ورد فيمن استأجر أرض الخراج وهو مسلم، فكيف يحل لمسلم أن يحكم على المسلمين بأن أرضهم خراجية، وأنهم يقيمون الخراج الذي سماه رسول الله ﷺ جزية، وهل يجترئ على ما دون هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر؟.

وأخرج أبو داود من حديث حرب بن عبيد الله: «إِنَّمَا الْخَرَاجُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ خَرَاجٌ».

هذه الظاهرة والشبهة التي تمسك بها الإمام المتوكل إسماعيل قهرت أبناء اليمن، خصوصاً أبناء اليمن الأسفل، ولم تنفع الردود كما سبق والاعتراضات التي صدرت من جماعة من علماء اليمن الزيدية الهادوية على ما جاء من الإمام المتوكل، ولعل

قائلاً يقول: هل هذه الآثار المنسوبة للإمام المتوكل إسماعيل وعماله هي من التجني والتحامل عليه؟

والجواب: أن هذه أدلة تاريخية اشتهرت، وسجلتها الأقلام، والغرض منها طمس للحق؛ فقد أصر المتوكل على ذلك، بالرغم من أن ابن أخيه العلامة يحيى ابن الحسين سجلها في تاريخه (وشهد شاهد من أهله)، وقد ترتبت عليها مظالم:

— المشاطرة (المنافسة)، قال المصنف^(١): «في دولة المتوكل ومن لحقه، فالأمور تحولت إلي مشاطرة في أموال الناس بالنصف، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

— الطيافة والزكاة والتخمين، قال المصنف^(٢): «في عهد المتوكل إسماعيل تأسست مسألة الطيافة والتخمين، وكانت قبل ذلك أمانة».

وبيان الطيافة والتخمين أنها استمرت منذ تأسيسها حتى عهد الإمام أحمد حميد الدين قبل قيام الثورة، وهي أن الزروع في اليمن قبل حصادها وأول بروز الحبوب في السنابل في الذرة وغيرها، وهو ما يسمى عند الفلاحين في اليمن فترة (علان)؛ يخرج من جهة الدولة رجل ومن يرافقه من المشائخ أو الأعيان يطلق عليه اسم (طائفي)، يمر بكل عزلة وقرية، ويزور كل مزرعة وقطعة أرض صغرت أم كبرت، ويسجل كل قطعة زراعية شاهدها في دفتره ومقدار الغلة التي تخرج من القطعة بشكل تقريبي، وكم يخرج منها من الحبوب بما يسمى في معيار الكيل (القدح) من الطعام، وهكذا يمر الطائفي لمشاهدة كل مزرعة وكل قطعة أرض مزروعة في الجبال والوديان والسهول، ويعتبر المقدار من الحبوب الذي سجله الطائفي في دفتره هو المطلوب من الزكاة التي يتحتم على الزراع تسليمه للدولة؛ ولا يتغير هذا المقدار، وليس لصاحب المزرعة أي حق في مناقشة الطائفي ومن معه في تعديل هذا المقدار أو التخفيض منه وما عليه إلا أن يسلم من الحبوب أو الثمن للدولة ما قد سجله

(١) «بهجة الزمن» ص (٤٦).

(٢) المصدر نفسه ص (١٤٠).

الطائفي حين خروجه ومروره بكل مزرعة وكل قطعة أرض، وبعد إنجاز الطائفي مهمته يخرج - أحياناً - بعده رجل آخر من قبل الدولة يقال له: الكاشف، وكأنه يتفقد ما فعله الطائفي قبله، ولا يغير عما سبق شيئاً.

— ومن المظالم: مطلبة التتن (التنباك)، يدفع للدولة مقابله لمن شربه أو لم يشربه. (١)

— ومنها: مطلبة الصلاة: وهذه المسألة لمن صلى أم لم يصل؛ أي أن الرجل يدفع للدولة من المال مقابل الصلاة، ولو لم يصل، يعلّق المصنف - رحمه الله - بقوله (٢): «أي مطلب الصلاة، إذا قيل للجاهل: صل، قال: قد سلمت دراهم الصلاة!!»

— ومنها: مطلبة الرباح (٣): وهذا يدفع الرجل مقابله نقوداً للدولة.

— ومنها: مطلبة البارود والرصاص: يدفع الفلاح نقوداً للدولة للحصول على البارود والرصاص، أي بدعوى أن الدولة تشتري بها رصاصاً وباروداً.

— ومنها: مطلبة سفرة الوالي: لعلها تكون مائدة الطعام؛ يؤخذ من أجلها نقوداً للدولة من الفلاح.

— ومنها مطلبة دار الضرب: دفع نقود من الفلاح للدولة لورشة النقود المعدنية في ذلك العصر؛ أي من أجل الورشة التي تصيغ النقود (العملة).

ويزيد المصنف تأكيداً لهذه المظالم، مستنبطاً من وقوعها الدروس والعبر، فيقول (٤): «في العشر الوسطى من شهر جمادى الآخرة وقعت رجفة (هزة) أرضية،

(١) أي على الواحد من الرعية أن يدفع للوالي من المال مقابل الدخان.

(٢) في رسالة المصنف التي فيها النصيحة لمحمد بن المتوكل، «بهجة الزمن» ص (٣٣٥).

(٣) فسرهُ الأستاذ عبد الله محمد الحبشي في تحقيقه لهجة الزمن أنه (رياح) - بالياء - جمع ربح، وهو الطبل يستخدم في اليمن في المناسبات، ولعله تصحيف، فربما أن الوالي في ذلك الوقت كان يأخذ من الزرع نسبة من النقود مقابل قتل القروء، وحماية الزرع من أن تأكله القروء، والجبال اليمينية كانت مشهورة بكثرة القروء، حتى قامت الثورة اليمنية وكثر السلاح، فقل بذلك عدد القروء.

(٤) «بهجة الزمن»، حوادث سنة ١٠٨٥ هـ.

وزلزلة بضوران^(١)، ولم يقع في غيره من البلدان، فحصل من الإمام والناس خوف من ذلك الشأن، وفيه عبرة وموعظة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ {الإسراء: ٥٩}، خصوصاً حيث خص الله به ذلك المكان دون غيره من سائر البلدان، وتتابع تلك الرجفات، كانت في عشية الخميس وليلة الجمعة رابع عشر الشهر المذكور حتى بلغت نحو (٣٠) رجفة متتابعة، ولم يحصل من ذلك انتباه بإنصاف الشكاة^(٢)، من تخفيف المطالب التي زادت في اليمن الأسفل، إلى أن قال: «ومنها مطلبة ضيفة العيدين والمعونة»، ثم قال المصنف مستنكراً: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ {النجم: ٢٣}!!

ويلفت المصنف الأنظار إلى هذه الآيات من الزلازل أن سببها مظالم، فهي تحذير وتخويف من الله تعالى، على ولاة الأمر أن يكفُّوا عن هذه المظالم التي نزلت بالعباد، فيقول: «ولم يكن في اليمن الأعلى من هذه المطالب إلا مطلبة ضيفة العيدين والمعونة، وإن كان اليمن الأسفل كثير الخيرات والمحصولات بالنظر إلى اليمن الأعلى، لكن الواجب الرفق والعدل، ولا يزيد على الطين بلّة كما ذكره السبكي من الشافعية في «معيد النعم ومبيد النقم»^(٣)، وفي الحديث: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٤)، وقد ثبت في الأحاديث أن سبب الزلازل المعاصي والظلم والكبائر كما ذكره السيوطي في كتابه: «الصلصلة في الزلزلة»^(٥)، والله أعلم. انتهى كلامه.

(١) هي مقر حكم الإمام المتوكل إسماعيل.

(٢) الشكاة: جمع شك، كقضاء وقاض: الذين يشكون من ظلم الولاة.

(٣) اسم كتاب للشيخ عبد الوهاب السبكي الشافعي (ت ٧٧١هـ)، كشف الظنون (٢/ ١٧٤٤).

(٤) صحيح لغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يبلغ به النبي ﷺ، قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن،

ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته، ومن قطعها بئته»،

مسند أحمد برقم (٦٤٩٤) (١١/ ٣٣)، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط والعرقسوسي والزيق.

(٥) اسمه كما في «كشف الظنون» (٢/ ١٩٤)، «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، وانظر: «هدية العارفين»

هذه المظالم التي ذكرها المصنف، ونقلها عنه ملخصاً العلامة عبد الله بن علي الوزير في كتابه (طبق الحلوى)، ولكنه في هذا الموضوع تحامل على المصنف العلامة يحيى بن الحسين وأنكر فضله وأفضلية السبق، فلم يسلم العلامة يحيى بن الحسين من التحامل عليه والوقوع فيه حتى بعد موته فضلاً عما جرى -والله أعلم- في حياته من قبل الحاقدين عليه، ونودّ هنا أن ننقل ما قاله الأديب عبد الله بن علي الوزير في (طبق الحلوى)^(١)، من وقوع في العلامة يحيى بن الحسين، قال في ترجمته للإمام المتوكل إسماعيل وتمجيده له وتقديسه، قال: «وعارضه في مسألتة^(٢) بعض [من لا يحسن الكلام ولا يتأدب]، وهكذا الحال في صدر كل زمن، فكم تحككت فيه بأفعى عقرب»^(٣).

فالمصنف العلامة يحيى بن الحسين -رحمه الله- لم يلق الإنصاف من أبناء

(١) «طبق الحلوى» ص (٣٢٥).

(٢) أي مسألة «التكفير بالإلزام»، وقد تقدم الحديث عنها.

(٣) انظر ما بين المعقوفين [] هذه الجملة يكتفي بها عبد الله بن علي بن الوزير عن العلامة يحيى بن الحسين، فقد نفى عنه الأدب؛ بسبب ما قاله من الحق من ذكر المظالم في عهد عمه المتوكل إسماعيل، ولم يذكره باسمه، بل قال: «من لا يحسن الكلام ولا يتأدب»، ونقول في المثل الذي ضربه فيه وهو: «كم تحككت فيه بأفعى عقرب»، في كتاب «زهر الأكفم في الأمثال والحكم»، للحسن بن مسعود اليوسي (ج / ٢) ص (١٢٦): «تحككت العقرب بالأفعى، والأفعى حية خبيثة، والذكر أفعوان -بضم الهمزة والعين- يضرب هذا المثل لمن يصارع أو ينازع أو يخاصم من هو أقوى منه، أو يتشبه بغيره ويحكي فعله ولا يقوى قوته»، فأنت ترى عبد الله بن علي الوزير هنا قد تحامل على العلامة يحيى بن الحسين ووقع فيه في عدة أمور:

١ - أنه أخذته الأنفة والعزة بالإثم عن أن يذكر اسمه في كتاب (طبق الحلوى) مع أنه استفاد منه بما نقل عنه من كتابه (بهجة الزمن) في كثير من الوقائع التاريخية.

٢ - أنه وصف المصنف في العبارة السابقة وذمّه وقدرح فيه بوصفين:

أ - أنه لا يحسن الكلام، فقول الحق والنصيحة عنده ليس من حسن الكلام، بل إرضاء المخلوق وكتمان العلم في رأيه من حسن الكلام!!.

ب - نفى الأدب عن المصنف، فقال فيه: «ولا يتأدب»!!.

٣ - ضرب واستشهد بمثل لا يليق بمسلم، فكيف بعالم جليل؟، فقال: «تحككت العقرب بالأفعى»، فأين الإنصاف؟ ومن الحاقد؟ ومن الذي يتبع الهوى؟ والله المستعان.

عصره، ولم يسلم من التحامل عليه بعد موته؛ سواء من مؤلف (طبق الحلوى) أو من غيره، فنقول: لك الله يا علامة اليمن ومؤرخها، لقد أنكر فضلك الذي فاح شذاه، ممن خلا منه الإنصاف والعدل، ولقد شكوت من انعدام الإنصاف من أبناء عصرك، فقلت فيهم^(١): «ولما كان المنصف من أهل هذه البلاد كالعدم والتقليد، قد لصق بالأكثر وعمّ»، نقول لهذا العالم المنصف: فها نحن نشاركك في الأسف اليوم بعد موتك بثلاثة قرون، فقد جاء بعد موتك من لم ينصفك، ولم يعترف لك بفضل وعرفان، وجاء من ينفي عنك الأدب وحسن الكلام، فلك الله؛ فإنك لم تسلم من حسد الحساد في حياتك وبعد مماتك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي خلال حديث المصنف -رحمه الله- عن النواحي اليمنية التي طحتتها المظالم بكلكلها، يذكرها بالتعيين، فيقول: «وقد جارت ولاته في اليمن الأسفل الجور العظيم والبلاء الذي نالهم الجسيم، مثل بلاد (العدين)، وبلاد (برع)، وبلاد (تعز)، و(جبل صبر)؛ بحيث قفر بهم جماعات كثيرة، ورحل منهم من رحل إلى الجهات النائية البعيدة، ولم يرعو المذكور بشكوى الشاكين، ولا رحمهم وتعطف عليهم؛ بحيث بقوا للشكوى سنين»، إلى أن قال^(٢):

«ولقد حكى لي من يعرف زمن الأتراك؛ أنه عرض رجل من أهل سوق صنعاء على الوالي العثماني: سنان باشا زيادة بالتصق على الأسواق، فقال له سنان: من أين هذه الزيادة تجيء بها؟ إنما تكون من ظلم الرعية، وأمر بحبسه وتأديبه»، ثم قال المصنف، معقبًا: «والله سبحانه يتجاوز عنه».^(٣)

وانتقل الإمام المتوكل إسماعيل إلى الدار الآخرة سنة ١٠٨٧هـ، وبقي من المظالم التي تأسست في عهده ما بقي، وجاء من بعده الإمام المهدي أحمد بن الحسن، فلم يترك المصنف -رحمه الله- عبء النصيحة لولاة الأمر لنشر العدل، فبعث برسالتين ينصح فيهما ولادة أمر عصره:

(١) «بهجة الزمن» ص (٢١٥).

(٢) المصدر نفسه ص (٢٧٨).

(٣) المصدر نفسه ص (٣٣٥).

١ - الرسالة الأولى للإمام المهدي أحمد بن الحسن، قال فيها: «وكتبت إلى الملك الزاهر أحمد بن الحسن بكتاب أيضاً نحو هذا، وذكرت له التخفيف على اليمن الأسفل في المطالب والعدل؛ لتحصل رحمة الله بالمطر وصلاح الثمر، وذكرت الحديث: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، كما في سنن أبي داود^(١) وغيره.

وحديث الصحيحين عنه عليه السلام: «لا توكي فيوكي عليك»^(٢)، وأنه ينبغي أن يرفع الزائد على ما كان في زمان والدكم شرف الإسلام الحسن، يبقى الأصل أو يزداد عليه اليسير مما يحتمله الرعايا، ويسقط الزوائد؛ فإنها زائدة النصف على ما كان وأكثر، انتهى بحروفه.

٢ - الرسالة الثانية إلى محمد بن الإمام المتوكل، قال المصنف - رحمه الله -^(٣): «في شهر صفر من السنة، كتبت إلى محمد بن الإمام، لما حصل بعض ظن بقبول الكلام، والشفاعة في تخفيف المطالب في اليمن الأسفل، فقلت فيه ما لفظه: لا يخفاكم كثرة مطالب اليمن الأسفل، والولاية صار عذرهم التشديد عليهم في عدم نقص المرسوم من الدفعات، وهي قد زادت على المدة السابقة في زمن شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم بقدر النصف، فالأولى الرجوع إلى الأصل المتقدم، مع أن الأولين كانت أحوالهم متكافئة، والبركات معهم والرعايا متكاثرة، فإن أمكن سعيكم وحط نصف المطالب، فهذا الواجب، ولقد بلغ أن من جملة المطالب مطلبة الصلاة...»، إلى أن قال: «ثم بعد ذلك افتقار فقراء كل جهة يصير إليهم من كل بلد، ومن كل والٍ بقدر حالهم، ويلجؤون إلى الطلب كما كان يفعل الأئمة

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (كتاب الزكاة)، من حديث أسماء بنت أبي بكر، قال الحافظ: (فتح الباري ٣/ ٣٣): «والإيحاء شد رأس الوعاء بالوكاء، وهو الرباط الذي يربط به، والمعنى: النهي عن منع الصدقة خشية الفساد، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة؛ لأن الله تعالى يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحاسب عند العطاء، ومن علم أن الله يزرقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب».

(٣) «بهجة الزمن» ص (٢٣٥)، حوادث سنة ١٠٨٩ هـ.

المتقدمون؛ مثل الهادي، وشرف الدين، وغيرهما، ويستمر ذلك على الوجه الذي فيه الهناء، والله يصلح أحوال المسلمين، ويجمع أمورهم على ما يحب ويرضاه رب العالمين، انتهى بحروفه».

إن من المؤرخين من تحدّث عن حياة الإمام المتوكل إسماعيل، وأنه كان متواضعاً عادلاً ورعاً، عالمًا، منهم صاحب «اللطائف السنية»، وصاحب «طبق الحلوى»، ووصفوه بصفات جميلة، وهذه الصفات وإن كانت موجودة فيه ومتحلياً بها، وتعتبر من مناقبه ومزاياه وفضله، لكن المظالم التي انهالت في عهده على رعاياه في اليمن الأسفل، وكان يمكن أن يرفعها وأن يخففها بجرة قلم - كما يقال - وأن يسعى في أن يبدل هؤلاء مكان الظلم عدلاً، فالعدل أساس الملك، هذا ابن أخيه المصنف يحيى ابن الحسين، الذي بذل جهوداً كثيرة في النصيحة والشفاعة وقول الحق في الشبهة التي أثارها الإمام، وكانت آثارها هي تلك المظالم، وشاركه في قول الحق علماء آخرون، والإمام المتوكل يقابل أصوات هؤلاء العلماء بالتساهل والتناسي والتغافل، ويغض طرفه عنها، والله تعالى سيجازي كل عامل بعمله، والجزاء من جنس العمل: «وعند الله تجتمع الخصوم».

ولما تسلّم أحمد بن الحسن مقاليد الإمامة بعد موت المتوكل، ودارت بينه وبين معارضيه بالإمامة حروب انتهت بانتصاره واستقلاله بالحكم، وكان شجاعاً مقداماً، فإن من القضايا السياسية التي ظهرت في عهده لأول مرة أنه أمر بجلاء اليهود الساكنين في صنعاء، وأثارت هذه القضية نزاعاً بين علماء عصره من حيث الجواز وغيره، وقضية أخرى: وهي أن الإمام المهدي أحمد بن الحسن منع بيع وشراء شجرة (التن)، أو المسماة بـ (التبناك)، واستمر المنع أياماً من فترة حكمه، وكان يميل إلى بعض خصال الرافضة، فقد أحدث لأول مرة في اليمن الاحتفال بما يسمى عيد (الغدير)، قبل فترة تسلمه الإمامة في عصر المتوكل في (صبور)، أما مكانته العلمية: فلم يصل إلى درجة العلماء المجتهدين في زمانه.

أما الإمام محمد بن المتوكل: فقد تسلم الإمامة بعد المهدي أحمد بن الحسن، وتلقب بالمؤيد، وأمسك بزمام الحكم، وقد بدأ الضعف يسري في جسم الدولة

القاسمية، بعد قوتها وشموخها في عهد أبيه المتوكل، والإمام محمد المذكور كان يغلب عليه الوقار والسكوت وحسن السمات، وقلة اليقظة في تسيير الأمور، وضعف إدارته في قيادة البلاد كما ينبغي، بالرغم من أخلاقه الحسنة، ومما زاد في ضعف الدولة في عهده خروج قبائل عن طاعة الدولة وإشغالهم للحرب ضد الدولة، دون أن تستطيع الدولة إخمادها، كما فعل ذلك قبائل (يافع) و(الحجرية)، وكانت فترة حكمه قصيرة، أقل من مدة فترة الإمام أحمد بن الحسن.

وبعد موت الإمام المؤيد محمد بن المتوكل زاد وضع الدولة القاسمية سوءاً، من ظهور الصراعات والنزاعات بين أبناء وأعيان الدولة القاسمية، وقد سجل المصنف يحيى بن الحسين في كتابه (بهجة الزمن)، في أخريات حياته، الأحداث والصراع بين طلاب الإمامة من أبناء المتوكل وغيرهم من الأسرة القاسمية، فكانت رحى الحرب دائرة بينهم في (إب) و(العدين) و(الحجرية) خلال السنين الأخيرة من القرن الحادي عشر الهجري، وهي الفترة الأخيرة من حياة العلامة المصنف من بعد سنة ١٠٩٧هـ، حتى وافت المنية المصنف، وتوفي سنة ١١٠٠هـ، رحمه الله.

■ الفصل الرابع ■

الحياة العلمية والأدبية

إن من القضايا المسلمة والتي لا يختلف فيها اثنان: هي أن الازدهار العلمي والأدبي في أي فترة من فترات التاريخ، لا بد أن يبنى على ركيزتين، هما من أهم ركائز هذا الازدهار والنهوض، وهما:

١ - استقرار الحكم للدولة ونشر الأمن والهدوء، إن لم نقل نشر العدل والمساواة في القطر أو البلد الذي تحكمه الدولة؛ فإن هذا السبب قوي يتسبب منه النهوض العلمي والأدبي.

٢ - والسبب الثاني: ميل رئيس الدولة أو الإمام أو الملك وقادته وأمرائه إلى العلم والأدب، ودعم أصحاب هذا الشأن في هذا الميدان الرحب، وكلما اضطربت الحروب واشتعلت في أي بلد واختل الأمن والاستقرار فيها واضطربت أحوالها، وضعفت الدولة، وأصبحت غير قادرة على تثبيت الاستقرار ونشر الأمن، وصار قادتها يضربون صفحاً عن العلم والأدب، ذبلت زهور شجرته وتساقطت أوراقها، وكلما قوي حكم الدولة وشجعت النهضة العلمية والأدبية، نهضت البلاد في مجال العلم والأدب.

ولما قويت الدولة الأموية، خصوصاً في عهد عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، حصل النهوض العلمي والأدبي، وكذلك الدولة العباسية في عصرها الأول، خصوصاً في عصر أبي جعفر المنصور، والمهدي، والرشيد، كان لذلك نهوض علمي وأدبي.

وفي الأندلس: حين كانت الدولة قوية، واستقر حكمها وأمنها نهضت علمياً وأدبياً، خصوصاً في عهد عبد الرحمن الناصر، وهشام وغيرهما من الحكام الذين توحدت الأندلس في ظل حكمهم، قبل أن يهدمها وباء ما يسمى بعصر الطوائف، فتنرقوا وتمزقوا وصاروا شذر مذر.

ولا تبعد هذه الأمثلة التاريخية السابقة، بل تنطبق على واقع الدولة القاسمية في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري، عصر المصنف يحيى بن الحسين، فالاستقرار السياسي للدولة واتجاه أمرائها للعلم والأدب ازدهرت بسببه اليمن في مجال العلم والأدب، خصوصاً في عهد الإمام المؤيد ابن القاسم، وإن كانت دولته لم تستكمل سيطرتها على جميع ربوع اليمن، أما في عصر الإمام المتوكل إسماعيل فقد استكملت الحياة السياسية سيطرتها وقوتها وانتشارها على جميع ربوع اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً.

ونعني هنا بالازدهار العلمي في عصر المتوكل، العلم الذي يقوم على المذهب الزيدي الهادي، خصوصاً في الفقه والعقائد، أما الحياة الأدبية بشتى علومها المختلفة، فهي عبارة عن آلة ووعاء للعلوم الشرعية.

ومما يقوي ما قلناه: ظهور الفرق الكبير في ازدهار اليمن علمياً وأدبياً في فترة زمنية، وهبوطه وضعفه في فترة زمنية أخرى، فالازدهار العلمي والأدبي في عصر شيخ الإسلام الشوكاني، غير الهبوط العلمي والأدبي في عهد ابنه من بعده القاضي أحمد بن محمد الشوكاني في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

فعصر شيخ الإسلام الشوكاني نَعِمَتْ فيه اليمن بالاستقرار السياسي، فقفزت قفزة هائلة في مجال العلم والأدب، في التدريس والتصانيف والإفتاء، ونهضت البلاد أدبياً، أما في عصر القاضي أحمد ابن شيخ الإسلام الشوكاني فقد اضطربت البلاد سياسياً، وتقطعت أوصالها، فنتج عن هذا الاضطراب الضعف العلمي والأدبي، وهبطت البلاد وضعفت في التدريس والتأليف والإفتاء.

لذلك فقد نهض في عصر المتوكل إسماعيل، ونبع علماء كبار معظمهم من علماء المذهب الزيدي الهادي، ونبع منهم علماء كبار منصفون يميلون إلى السنة منهم العلامة الحافظ المحدث عبد الرحمن بن محمد الحيمي، والحسن بن أحمد الجلال، وصاحب المصنفات الكثيرة العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم ناهيك عن غيرهم من ذوي الإنصاف.

وفي المجال الأدبي نهضت اليمن نهضة قوية في القرن الحادي عشر فنبغ شعراء وأدباء لا يتسع هذا الفصل لذكر أسمائهم كلهم، فضلاً عن تراجمهم، وذكر إنتاجهم الأدبي شعراً ونثراً، فمنهم أدباء وشعراء من أبناء الدولة القاسمية الحاكمة نفسها، أما في كوكبان: فقد نشأت مدرسة أدبية ضخمة امتدت طوال القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، حتى القرن الرابع عشر.

* * *

شواهد دالة على النهضة العلمية:

لقد اشتهر في هذا العصر أو هذه الفترة: العلامة المجتهد الحسن بن أحمد الجلال (ت ١٠٨٤هـ)، صاحب التصانيف الشهيرة، والعلامة الأديب المؤرخ أحمد ابن صالح بن أبي الرجال (ت ١٠٢٩هـ)، والعلامة الفقيه صالح المقبلي، والعلامة الكبير الأصولي صاحب (الغاية) الحسين بن القاسم بن محمد والد المصنف يحيى ابن الحسين^(١)، بل كان المتوكل إسماعيل نفسه راسخاً في العلم ولا سيما علم الفقه الهادوي، حتى قيل إنه فاق علماء عصره في ذلك، وأقر له الصغير والكبير، ورجعوا إليه في العضلات، ومما يدل على تمكنه في العلم والفقه الهادوي، دعوته للمناظرة العلمية في جمع من العلماء بينه وبين أخيه الأكبر أحمد بن القاسم في بداية نزاعهما على الإمامة، فطلب المتوكل أخاه أحمد للمناظرة، على أن من تمت له الغلبة في المناظرة على الآخر فإنه يستحق أن ينتصب إماماً، ويتنازل المغلوب، ولكن الأخ الأكبر أحمد بن القاسم امتنع وأحجم عن المناظرة، وكان للمتوكل إسماعيل رعاية للعلم والعلماء هو ورجال دولته، وكان يصطحب معه الكثير من العلماء إلى ضوران (مقر حكمه)، وطلبة العلم يأخذون عنه، وهو يبذل لهم ذلك، وينفق عليهم من بيت المال.^(٢)

(١) «تاريخ اليمن الحديث والمعاصر»، د. عبد الله العمري، ص (٥٩، ٦٠).

(٢) المصدر السابق ص (٦٠).

لقد كان إقبال الناس شديداً في تلك الفترة التي استقرت فيها أوضاع الدولة المتوكلية القاسمية على تحصيل العلم، وازدهرت تجارة الكتب وفن النسخ والتجليد، وقام الموسرون من آل القاسم وغيرهم بشراء الكتب وجمعها، ووقف بعضهم عدداً كبيراً منها، ومما قاله بعض المؤرخين إن المتوكل إسماعيل ترك لورثته مكتبة ضخمة، أوقف ثلثها، وكان ما قسم على أولاده مقدار (٢٥) ألف مجلدة، فانتفعوا بها. (١)

ومن الأسباب التي أدت إلى حصول الأئمة في اليمن على كتب علمية نفيسة، أنهم بعد انقراض الدولة الرسولية في (تعز)، وانقراض دولة (بني طاهر)، أخذوا ما كان في حوزة هاتين الدولتين من الكتب النفيسة واقتنوها وادخروها.

الازدهار الأدبي:

ذكرنا قبل قليل أن الازدهار الأدبي في القرن الحادي عشر كان قد بلغ شأواً بعيداً في هذا المجال، واشتهرت مدارس أدبية من عدد من أبناء الدولة القاسمية نفسها، ومن بني جحاف، وأشهر المدارس الأدبية مدرسة (كوكبان)، فقد نبغ فيها أدباء وشعراء، وامتد ضياء هذه المدرسة من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر الهجري، ولا يتسع هذا الفصل لذكر هؤلاء تفصيلاً، فهذا يحتاج إلى دراسة واسعة وتفتيش في كتب المخطوطات اليمنية؛ ليتضح للقارئ ازدهار اليمن بمثل هؤلاء، وقد ترجم المحبي الدمشقي في كتابه (نفحة الريحانة) (٢)، لجماعة من أدباء وشعراء اليمن في عصره في القرن الحادي عشر، بلغ عددهم (٧٤) عالماً وأديباً وشاعراً، وذكر في تراجمهم ما وصل إليه من إنتاجهم الأدبي شعراً ونثراً، وأفرد لهم باباً في كتابه هو الباب الخامس، وقسمهم إلى بيوتات، منهم (بنو القاسم)، (وآل شمس الدين في كوكبان)، و(بيت المهلايت الشرفي)، و(بيت الجرמוزي)،

(١) المصدر السابق (ص ٤٠-٤٥).

(٢) «ورشة طلاء الحانة» (٣ / ٢٣٩-٦٠٩).

و(بنو حجاف)، و(النعميون)؛ وذكر قدراً لا بأس به من أشعارهم ونثرهم، هذا ما وصل إلى صاحب (نفحة الريحانة) من اليمن إلى الشام (دمشق) بالرغم من بعد المسافة الجغرافية في ذلك العصر، ولو جمعت كل الآثار الأدبية عن شعراء اليمن في ذلك العصر، لما وسعته عشرات المجلدات.

إن غط الشعر في القرن الحادي عشر لم يخرج عن الشعر الموزون، والمحافظة على التشبيه الموروث والمحسنات البديعية، ومعارضة شاعر في وصف شيء لشاعر قبله، وأحياناً أكثر من شاعر، أما النثر ففي رسائلهم وغيرها، فهم يعتمدون كثيراً على السجع، وكتابة المقامات الأدبية.

ولا تخرج أغراض الشعر في ذلك العصر عما سبقه من العصور السابقة؛ ومن ذلك المدح، إلا أنه تشعب من هذا الغرض مدح آخر انتشر في تلك الفترة هو مدح الرسول ﷺ؛ نتيجة لانتشار الصوفية، وضعف حقيقة التوحيد التي تسبب عنها تعظيم القبور، ومن الأغراض: الوصف والغزل، خصوصاً افتتاح القصائد بها، وشعر الحنين والرثاء والمكاتبات الإخوانية، وسنورد هنا نماذج من الشعر والنثر مع مراعاة الاختصار والإيجاز.

* * *

المعارضة:

ذكر المؤرخون أصحاب التراجم، ومنهم الشوكاني^(١) في ترجمة الأديب الشاعر أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر شرف الدين الكوكباني صاحب كتاب (ترويح المشوق في تلويح البروق) معارضة لشاعر سابق هو ابن مطروح، من شعراء مصر؛ يقول ابن مطروح:

بِأَبِي وَبِي طَيْفٌ طَرِقَ
عَذْبُ اللَّمَّا وَالْمُعْتَنَقُ

(١) «البدر الطالع» (١/ ٤٥).

فعارضه أحمد بن الحسن بقوله:

إِيَّاكَ مِنْ سُـوْدِ الْحِـدَقِ
فَـهِيَ الَّتِي تَكْسُو الْقَلَقَ
لَا يَخْدَعَنَّكَ حُسْنُهَا
فَالْأَمْنُ يَتَّبَعُهُ الْفَرْقُ

وهي طويلة.

* * *

المكاتبة الإخوانية:

إذا كان هناك علاقة إخوانية بين رجلين، فليكن أجلها وأعظمها العلاقة القوية بين العالم وتلميذه، فالعالم يمثله العلامة المحدث الحافظ عبد الرحمن بن محمد الحيمي في صنعاء، عاكف على التدريس وتخرج عنه علماء أجلاء، والتلميذ هو العلامة الأديب أحمد بن الحسن، غادر صنعاء مفارقاً أستاذه ذاهباً إلى كوكبان، فكتب العلامة الحيمي من صنعاء إلى الأديب أحمد بن الحسن في كوكبان قصيدة إخوانية تنم عن مر الفراق، واستهلها بيتين مفردين يغلب عليهما طابع من مصطلحات علم الحديث، وهي مهنة الحيمي المحدث التي اشتهر وعرف بها، يقول:

عَنْ أَحْمَدٍ يَرْوِي حَدِيثَ الْعُلَا
شَيْخَانِ أَعْنِي قَلَمِي وَاللِّسَانَ
ذَا بَدْرُ أَفْقٍ زَائِدٌ فِي السَّنَا
فَاعْجَبْ لِبَدْرِ ضَمِّهِ كَوَكْبَانَ

وانتقل من هذين البيتين إلى قصيدة تتلأأ من صورها معانٍ جميلة تكشف عن مر الفراق بينهما، والعتاب من النوى وطول مدته، يقول العلامة الحيمي:

سَارَ دَمْعِي مِنِّي إِلَيْكَ رَسُولًا
حِينَ أَخَلَيْتَ رُبْعَهُ الْمَاهُولًا
وَفُؤَادِي اسْتَقَرَّ إِذْ أَنْتَ فِيهِ
يَتَرَاءَاكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَحْمَلُ مِنْ وَصْفِ
فِ اشْتِيَاقِي فِيهِ حَدِيثًا طَوِيلًا
حَبَّذَا قُرْبُكَ الَّذِي كَانَ أُنْدَى
فِي فُؤَادِي مِنَ النَّسِيمِ بَلِيلًا
قَرَّبَ اللَّهُ عَهْدَكُمْ مِنْ لَيْالٍ
لَمْ أَكُنْ لَأَقْتِرَابِهِنَّ مَلُولًا
أَتَلَطَّى جَوَى وَفَرَطَ^(١) حَنِينِي
إِنْ تَذَكَّرْتُ ظِلَّهُنَّ الظَّلِيلَ
وَإِذَا مَا احْتَرَقْتُ شَوْقًا فَقُولِي
لَيْتَ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا
كُنْتُ أَجْنِي ثَمَارَ أُنْسِكَ فِيهِنَّ
فَبَدَلْتُ بِالنَّوَى تَبْدِيلًا

فأجابه تلميذه الأديب أحمد بن الحسن، بقوله:

طَلَبَ الشَّوْقُ مِنْ فُؤَادِي كَفِيلًا
مُذْ تَرَأَى وَجْهَ النَّهَارِ صَقِيلًا
وَمَشَى الْغُصْنُ فِي الْمَطَارِفِ لَمَّا
عَقَدَ الظَّلُّ فَوْقَهُ إِكْلِيلًا
صَاحِبِي صَاحَ بِي لَوَاعِجُ شَوْقٍ
يَا أَخَا الصَّبَوَةِ الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ

(١) فَرَطَ: أسرع وتعجل. ينظر: المعجم الوجيز (فرط).

آه والشَّوْقُ مَا تَأَوَّهْتُ مِنْهُ
 لَزَمَانٍ ذَكَرْتُ مِنْهُ الْجَمِيلَا
 أَيُّ دَهْرٍ أَسْدَى إِلَيَّ جَمِيلَا
 مُنْذُ رَأَيْتِي ذَاكَ الْكَرِيمِ الْجَلِيلَا
 وَخَلِيلَا مَا قُلْتُ لَمَّا افْتَرَقْنَا
 لَيْتَ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلَا
 كَانَ يَوْمِي بِهِ كَلَمْحَةِ طَرْفٍ
 فَغَدَا لِلْفِرَاقِ حَوْلَا كَمِيلَا
 لِإِمَامٍ حَازَ الْعُلُومَ فُرُوعَا
 بِأَسْبَقَاتٍ قَدْ أَيْنَعَتْ وَأُصُولَا
 كَمْ أَرْتَنَا فُصُولَهُ اللَّوْلُؤِيَا
 ت إِلَى مُنْتَهَى الْأُصُولِ وَصُولَا
 حُجَّةٍ صَيَّرَ الْمَفَاخِرَ أَوْضَا
 حَا عَلَى طَرْفٍ عَزَمِهِ وَجُحُولَا
 رَاسِخٍ فِي الْمَعْقُولِ لَوْ فَاخَرَ السَّيِّ
 فَ لَا غَضَى فِي جَفْنِهِ مَفْلُولَا^(١)
 جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَنَا وَأَرَانَا
 مِنْ أَسَارِيرٍ وَجْهِهِ الْمَأْهُولَا^(٢)

* * *

(١) المراد بالسيف هنا: العالم الأصولي سيف الدين الآمدي.

(٢) «نفحة الريحانة» (٤٣٦/٣).

الوصف:

ومن الوصف نختر لوحه مشرقة لوصف الربيع، وهي قصيدة طويلة، ولكن سنقتطف منها أبياتاً تظهر فيها مهارة وبراعة الأديب الشاعر أحمد بن الحسن السابق ذكره في وصف الربيع، فالربيع عند الشاعر ضيف كريم يستحق إظهار السرور والترحيب عند قدومه، حتى من الرجل الزاهد المعرض عن الدنيا وزينتها، ولو كان هذا الرجل الزاهد في صلاته لذهل عن صلاته وسلّم على الربيع لحسنه وجماله حين قدم ولفرح به، ومن مظاهر قدوم الربيع وجماله انتشار السحب في الجو كأنّها قطعة من الثياب الزاهية، والحدائق قد قام بنقشها أيادي الغمام، فأخرجت زهوراً ووروداً تعجب الناظرين، يقول:

قَدِمَ الرَّبِيعُ وَخَيْرُ مَقْدَمٍ

وَالْغَيْثُ أَنْجَمَ ثُمَّ أَنْجَمَ

وَتَقَدَّمَ الْأَنْوَا فَلَوْ

صَلَّى الْوَلِيَّ وَرَأَاهُ سَلَّمَ

وَالْجَوُ يُنْشَرُ مُطْرِقًا

لَكَ فَاخِيتِي اللَّونِ مُعْلَمَ

وَالسُّحُبُ مَدَّ رُواقَ دِي

بَاجٍ لِسَاحَتِنَا وَخَيْمَ

وَالرَّوْضُ نَمَّقَهُ الْغَمَامَا

مُ بِحُسْنِ صَنَعَتِهِ وَنَمَنَ

فَبَدَأَ يَرُوقُ النَّاطِرِي

مِنْ كَأَنَّهُ بُرْدٌ مُسَهَّمٌ

وَالْوَرْدُ أَبْدَى صَفْحَةً

مِنْ خَدِّهِ فَاشْتَمَ وَالْثُمَّ

هَذَا هُوَ الْعَـيْشُ الَّذِي
يُضْـمُّ بِي الْحَلِيمَ إِذَا تَحَلَّمَ^(١)

المدح:

ومن المدح: نختار من قصيدة طويلة للشاعر محمد بن أحمد بن عز الدين السلفي، مدح العلامة الأصولي الحسين بن القاسم بن محمد والد المصنف يحيى ابن الحسين، قال فيها بعد افتتاحه بالغزل:

وَلَكِنَّ مَدْحَ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ الَّذِي
كَسَا النَّاسَ ثَوْبَ الْأَمْنِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَأَجْرَى يَنَابِيعَ الْهَوَى وَالْوَرَى مَعًا
وَأُورَى زَنَادَ الْمَلِكِ بِالْنَهْيِ وَالْأَمْرِ
وَجَرَّدَ فِيهِمْ هِمَّةً نَبْوِيَّةً
فَأَفْنَاهُمْ بِالْجُرْدِ وَالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
هُوَ الشَّرَفُ الْأَعْلَى هُوَ النَّاسُ جَمْلَةً
إِذَا قِيلَ فِيمَنْ دُونَهُ أَوْحَدُ الْعَصْرِ
فَيَوْمُ الْأَعَادِي لَمْ يَزَلْ مِنْهُ بَاكِيًا
دَمًّا إِذْ لَهُ الْأَيَّامُ ضَاحِكَةُ الثَّغْرِ
إِلَيْكَ أَبَا يَحْيَى أَتَتْكَ تَحِيَّةٌ
تَضَوُّعٌ^(٢) مِنْ أَرْجَائِهَا أَرْجُ الْبَشْرِ
يَجُوبُ الْفَيَافِي نَحْوَ بَابِكَ مِثْلَمَا
تَوَمُّونَ نَحْوَ الْبَيْتِ وَالرُّكْنِ وَالْحَجَرِ

(١) نفس المصدر (٣/٣٤٣)، و«البدْر الطالع» (١/٤٧).

(٢) تَضَوُّعُ الْمَسْكِ: فَاحٌ وَانْتَشَر. يَنْظُرُ: الْوَجِيزُ (ضَوْع).

بَكَرْتُ لَهَا فِكْرًا وَمِنْ وَصَفِكَ الَّذِي
يُزِينُ الْقَوَافِي فِيكَ سَاعَدَنِي فِكْرِي^(١)

* * *

الغزل:

ومن الغزل نختار قصيدة من شعر القاضي محمد بن إبراهيم السحولي الشجري الصنعاني، فهو يبدأ قصيدته بعتاب رقيق لمحبوبه، ويتناثر على جداول من القصيدة مصطلحات عليها طابع مهنة القضاء؛ لأن الرجل الشاعر قاض، في كلمة (ماطلا) من المطل، وهو تماري المدين في دفع ما عليه من المال للدائن، وفي قوله: (ناظر في قصتي) وهو مصطلح قضائي، يقال: نظر القاضي في قضية كذا، وقوله: (وفي الهوى دلائلا) فالقاضي ما يصدر حكماً إلا وحاول تقديم ما يبرره من الأدلة، يقول:

تَظُنُّ مَا أَلْقَاهُ فِيكَ بَاطِلًا
فَلَا تُبَالِي أَنْ تَكُونَ مَاطِلًا
مَدَدْتَ حَبْلًا لِلْجَفَاءِ طَائِلًا
فَهَلْ رَأَيْتَ تَحْتَ ذَاكَ طَائِلًا
لَوْ مِلْتَ نَحْوِي أَوْ عَطَفْتَ مِثْلَمَا
رَأَيْتُ عَطَفَكَ الرَّشِيقَ مَائِلًا
تَحْلُو لِقَلْبِي إِذْ تَمُرُّ حَالِيَا
قَلْبُكَ لِي عَنِ الْحِجَاءِ عَاطِلًا
رَفَعْتُ قِصَّتِي وَقَدْ مَرَرْتَ بِي
تَجُرُّ ذَيْلًا لِلدَّلَالِ زَائِلًا
وَقَدْ فَتَحْتَ نَاطِرِيكَ نَاطِرًا
فِي قِصَّتِي نَصَبْتَ لِي الْحَبَائِلَ

فَرُحْتُ مَقْتُولًا وَكَانَ قَاتِلِي
 مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ قَاتِلًا
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الْعُيُونُ مَا لَهَا
 مِنْ حَاجَةٍ فِي أَنْ تَرَى قَوَاتِلًا
 تَرَكْنَ قَلْبِي إِذْ فَعَلْنَ دَائِمًا
 فَيَا لَهَا تَوَارِكًا فَوَاعِلًا
 تَصُولُ فِينَا بِالْجُنُونِ تَارَةً
 وَتَارَةً تُجَرِّدُ الْمَنَاصِلَ
 سَقَى الْغَضَا سَقَى الْحَمَى سَقَى اللَّوَى
 سَقَى الْحَيَا تِيَا لِكَ الْمَنَازِلَ
 مَنَازِلًا عَهْدَتْهَا أَفْمَارُهَا
 لَمْ تُمَسِ عَنْ بُرُوجِهَا أَوْافِلًا
 وَلَهْنَنِي بَلْهَنَنِي أَذْهَلْنَنِي
 صَيَّرْنَنِي بَيْنَ الْأَنَامِ بَاقِلًا
 فِي كُلِّ عَامٍ أُرْتَجِيكَ مُقْبِلًا
 نَحْوِي وَإِنْ لَا أُرْتَجِيكَ قَابِلًا
 يَا كَمْ أَرَى فِيكَ الزَّمَانَ لَمْ يَزَلْ
 لَجَيْشِ آمَالِي فِيكَ خَاذِلًا
 مَا ضَرَّكَوْ أَطْعَمْتَنِي تَفَضُّلاً
 وَلَعَصَيْتَ وَأَشِيَّاءَ وَعَاذِلًا
 وَلَوْ ذَكَرْتَ بِالْحِمَى لَيَالِيًا
 وَطِيبَ أَوْقَاتٍ مَضَتْ أَصَائِلًا
 كَمْ قَدْ أَقَمْتَ فِي تَشْنِي قَامَةٍ
 مِنَ الدَّلَالِ فِي الْهُوَى دَلَائِلًا

وَلَيْلَةٌ غَاظَتْ مِنْكَ فِي الدُّجَى
 غَزَالَ أَنْسٍ يُدْهِشُ الْمَغَاظِلَا
 وَالشُّهْبُ مِنْ غَظِيطٍ تَوَدَّ أَنَّهَا
 تُوقِدُ لِي مِنْ نَارِهَا الْمَشَاعِلَا
 وَطَالَ مَا فُزْنَا بِقِصْرِ لَيْلَةٍ
 وَذَا هُوَ الْعَيْشُ فَلِمَ تَطَاوَلَا
 أَحْلَى الْهَوَى مَا كَانَ فِي عَصْرِ الصَّبَا
 لَوْ لَمْ يَكُنْ حَالُ الصَّبَاحِ حَائِلَا^(١)

* * *

النثر:

نكتفي هنا في ختام هذا الفصل أن نورد نموذجاً مُختصراً، وهي فقرة من رسالة نثرية من إنشاء الأديب الشهير الشاعر يوسف بن علي الهادي الكوكباني، وتراه قد التزم فيها بحرف السين، وهي من رسالة كتبها إلى القاضي محمد بدر الدين ابن الحسن الحيمي، يقول فيها:

«سيدنا باسق غرس السماحة والحماسة، وسابق السيادة والسياسة، وشمس سماء الداسة والرئاسة، المستنيرة بسيارات سماء محاسنه سُرُفِ المجالس، والمستعيرة سيماء المقدسة سكان المدارس، مَنْ إن رسم القرطاس قرطس سهم حساده، أو سوّد سطور الطروس استنار دامنِ نقس سواده...»^(٢)

* * *

(١) «البدر الطالع» (٢/٢٩٦)، و«نفحة الريحانة» (٣/٤٤٤).

(٢) «نفحة الريحانة» (٣/٤٦٢)، و«البدر الطالع» (٢/٣٥٥).

● الفصل الخامس ●

الحياة الاجتماعية

كانت مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر المصنف متعددة، فمن ناحية سعي الناس في كسب الرزق في معاشهم؛ فقد كانوا يعملون في الزراعة المتوقفة على الأمطار الصيفية والعيون ومياه الوديان، وكانت الجراد كثيراً ما تهجم على الأراضي الزراعية وتأكل الزروع، فيقل محصول الزراعة، وبعض السنين كان يعم الجذب وقلة الأمطار، فتنتشر المجاعة، كما انتشرت شجرة القات بعد ظهورها في اليمن عام (٩٥١هـ)، في عصر الإمام شرف الدين، كما انتشرت في اليمن شجرة التتن (التنباك) زراعة وتجارة، وظهورها كان عام (١٠١٣هـ)، ويقال: إن بذورها جاءت من الهند، وكانت في بعض السنين تنتشر أوبئة فتاكة بين الناس يموت بسببها كثير من الناس.

لقد تزايدت زراعة شجرة القات في عصر المؤلف، وقد كان مر من عمر ظهورها حوالي (٤٨) سنة، ولما زاد انتشارها في عصر المصنف يحيى بن الحسين، وكان الابتلاء بها والافتتان بها يتزايد لدى كثير من اليمنيين، وقع المصنف -رحمه الله- في حمى هذه الشجرة وتساهل في الحكم عليها، وبالرغم من توسعه في العلم والتصانيف، فقد أفتى بإباحتها وإباحة شجرة التتن، وصنف رسالة في هذا الموضوع ذكرناها سابقاً في مصنفاته، ولأن تلك الرسالة تعجب المفتونين بشجرة القات وتبرر لهم عملهم من الناحية الشرعية، فقد نالت رسالته بتجوز أكل القات ترحيباً أدى إلى تسابق بعض الباحثين إلى استخراج المخطوطة من بين رسائله ومؤلفاته المفيدة، وقيل: إنه تم طبعها، «وللناس فيما يعشقون مذاهب»، ولكل سيف نبوة، ولكل جواد كبوة.

كما انتشر في هذا العصر زراعة شجرة (البن) في أنحاء كثيرة من اليمن، واشتهرت اليمن منذ ذلك العصر بتصديره.

أما في المجال التجاري: فقد ازدهرت تجارة الملابس والبهارات وغيرها، وقد

كانت ترد اليمن من الهند وغيرها عن طريق المخا، وأحياناً كانت التجارة تنقطع بسبب تخرشات كان يقوم بها العمانيون، فيأتون بمراكبهم البحرية إلى المخا، فيطردهم اليمنيون.

* * *

ظهور الشعوذة والتنجيم:

كان يوجد في عصر المصنف أناس يمارسون مهنة الشعوذة ويدعون الإخبار بالغيب، وهذا ناتج عن الجهل بالإسلام، وقد يدفعهم إلى العمل في الشعوذة، وقوعهم في الفقر والفاقة، فيقوموا بخداع الناس، والمصنف -رحمه الله- قد سجل في تاريخه (بهجة الزمن) قصصاً لمثل هؤلاء من أهل الخداع والشعوذة والدجل، وهؤلاء المشعوذون كانوا من الرجال، وظهر أصحاب شعوذة من النساء أيضاً.

* * *

المؤيد والمنجمون:

لقد كان من محاسن الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل مبادرته لإزالة المنكر في عهده، فقد فطن لما يقوم به المنجمون من فساد في المجتمع وسلوك مشين، لا يقره الشرع ولا يستحسنه عقل، وما يقومون به من تضليل الناس، وأكل أموالهم بالباطل، وتكدير عقيدة التوحيد الصافية النقية، فقد ذكر المصنف^(١): «في حوادث سنة ١٠٩٤هـ من شهر جمادى الآخرة أن الإمام المؤيد ابن المتوكل حبس المنجمين الذين بصنعاء، لما كثر منهم الخطأ والوعد للناس بالكاذب في أوقات وأشهر يجدونها، ولم يتفق شيء منها أصلاً، وتكرر منهم هذا المرة بعد المرة، وكثر منهم التخليط على الناس والتمويهات والتعاطي لما لا يحسنونه ولا يعرفونه، وهم: سليمان الديعري، والمهلا وغيرهما، ممن لا معرفة لهم إلا من باب التعاطي،

(١) «بهجة الزمن» ص (٤١٢-٤٦٠).

وكذلك الموهين من قلب العصا حية، والورقة (بقشة)^(١)، ونحو ذلك، واغتر بهم الجهال^(٢).

* * *

رجل ينتحل النسب الهاشمي:

وحدث واقعة في نفس الشهر السابق، وقصتها كما ذكر المصنف بقوله^(٣): «وفي نفس الشهر من العجائب أنه حدث ظهور رجل ينتحل النسب الهاشمي، وهو رجل وصل إلى بلاد حراز خرج من (الliche)، فلما وصل إلى حراز ادعى أنه من أولاد المتوكل إسماعيل، وأن اسمه أحمد بن المتوكل، وأنه اختطف من شهارة إلى بلاد الشام، وأنه يريد صنوه محمد ابن المتوكل، فصدقه كثير من أهل حراز وأضافوه، فلما بلغ والي حراز أرسل إليه أربعة من العسكر، وقال لهم: انظروا هذا الرجل، فإن رأيتموه عليه سيمًا وجلال قبضتموه على الوجه الحسن، وإن كان غير ذلك فعلى وجه الإكراه، فلما وصلوا إلى بيت الشيخ الذي عنده الرجل وجدوه في بيته، وقالوا له: هذا الرجل مطلوب عند والي، فساروا به وسألوه فأخبر بذلك، وقد ظهر كذب هذا الرجل لما وصل إلى والي لوجود رجل آخر عنده وصل من المدينة المنورة، يعرفه هناك، فقال له: ألسنت الذي كنت في المدينة المنورة واسمك إبراهيم؟ وكنت من أهل السوق هنالك؟ والخدمة بأعمال الشربة والطعام؟ وأنت الذي تصل إلي وأنا بالمدينة بالشربة؟ فكيف قلبت اسمك أحمد بن المتوكل؟! فسكت ولم يدر ما يجب عليه، فأمر والي بحبسه وقيد بريد، وهذا من العجائب».

* * *

(١) البقشة: جزء من النقود التي كانت في العملة النقدية إلى عهد قريب في اليمن، هو ما قبل قيام الثورة؛ كالفلس من الريال.

(٢) ليست هذه المبادرة الأولى من محاسن الإمام المؤيد ابن المتوكل، فقد قام بعمل جليل، وهو أمير على صنعاء من قبل أبيه المتوكل؛ حيث أمر بحبس رجل رافضي كان يسب الصحابة، وهذا من حب هذا الإمام للعدل والإنصاف والرفق واللين، وكان من خلقه العدل، إلا أن الناس في عصره من أهالي وأمرء كانوا قد تعودوا البطش والظلم، فاضطربت البلاد في عهده.

(٣) نفس المصدر والصفحات.

ورجل كذاب في (شبام) يدعي نزول الوحي:

هذا رجل رافضي كذاب يروي لنا المصنف قصته وادعائه نزول الوحي عليه، فقال في أخبار سنة ١٠٩٤هـ: «وفي شهر ذي الحجة قبيل العيد ترجح لسيد يقال له: أحمد ابن الحسين الأخفش ادعى أنه إمام وهو في (شبام) و(كوكبان)، وكان جارودياً رافضياً في الاعتقاد يستحمل على الصحابة عليهم السلام، وفي غيرهم من المسلمين، يمدّ لسانه ويزكّي نفسه، ويتخيل أن الحق ليس مع أحد إلا معه، وخطب هذا الأخفش خطبة بعد صلاة الجمعة بالجامع وذكر فيها ما ينبئ عن اعتقاده الرديء، حتى ذكر أنه يوحى إليه بالوحي، وأن قد أوحى إلى النحل، فبالأولى هو، وقد رد هذا السيد المذكور جميع السنة النبوية، وقال: إنه لا يحتج إلا بالقرآن كدين الخوارج». (١)

* * *

وكذاب آخر في موزع:

وفي (موزع) من نواحي لواء تعز: يظهر رجل آخر كذاب يذكر قصته المصنف في (المرجع السابق والصفحات نفسها)، فيقول: «واقترن بصاحب شبام رجل آخر في بلاد موزع، عمّر مسجداً وقال للناس: إنه الكعبة، وأظهر لهم مخاريق من أعمال السحر، وعجائب اتفقت هذه المدة، وسببها ضعف يد الدولة، كان هذا في عهد المهدي أحمد بن الحسن صاحب الغراس».

* * *

كاهنة وخادمها الذي يأتي بماء زمزم في ساعة:

وفي القرن الحادي عشر عهد المصنف، لم يتوقف ظهور أناس كذابين من الرجال فحسب، بل ظهر نساء من هذا القليل، وفي ذلك العصر كان يطلق على النساء من هذا الصنف على الواحدة (رحيلة)، وفي عصرنا هذا خصوصاً في القرى

(١) «بهجة الزمن» (ص ٤٢١).

التي نشأنا بها يسمون الرجل من هذا النوع (مزور)، والمرأة (مزورة)، وفي بعض القرى يطلقون على المرأة من هذا النوع اسم (محكمة)، والمصنف قد أورد في تاريخه قصة امرأة تدعي التطيب والمداواة؛ فلننظر إلى قصتها كما ذكرها المصنف: «امرأة رحيلة كاهنة مخرقة متكهنة من الكاهنات اللاتي لا يزلن يتكهن في كثير من الجهات، ويغتر بهن كثير من أهل الغباوات، وذلك أن رجلاً مرض من وجع الحلق، فذهب به أهله إلى هذه الرحيلة، ولما وصلوا إلى منزلها بالمرض ودخلوا فيه، وهي خلف ستارة تسأل وتجيّب بحسب إرادتها وكذباتها، فأجابت المريض المذكور، وكانوا قد أضجعوه على خدّه ينظر ما تقول، فأجابت بأنها قد أمرت خادماً يجيء بماء زمزم من مكة؛ ليشربه المريض فيشفى من الألم، فكان الزمن مقداره ساعة، ولاح للمريض خلال اضطجاعه من فتحة أسفل الستارة، أنه رأى المرأة وهي تبول في إناء وتجعله في مرش، فلما أتمت البول قالت: هذا هو وصل ماء زمزم (!!)، وناولتهم ليشربه المريض كدواء، فامتنع المريض من شربه لما قد رأى أنه من بولها، وخرج عنها، وحكى لهم ما رأى منها، وعادوا به دون أن يحصلوا على علاج منها». (١)

* * *

رجل آخر يقصده عوام الناس:

إن أكثر ما يغتر بأهل الدجل والشعوذة طبقة واسعة في المجتمع؛ هي طبقة العامة من الأميين، وخصوصاً النساء، حتى نشاهد في عصرنا طبقة تجاوزت مراحل الأمية وحصلت على جانب كبير ولا بأس به من العلوم المختلفة من كيمياء وفيزياء وعلوم يدرسونها في المدارس والجامعات ولكنهم ما تحصنوا حصانة كافية بالعقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد؛ فتراهم يقعون في حفر المشعوذين، رغم أنهم يحملون شهادات دراسية وليسوا أميين، ولم يسلم منهم إلا من عصم الله.

والمصنف - رحمه الله - يورد لنا قصة رجل آخر يرحل إليه الناس، فقال: «إن

(١) المصدر السابق (ص ٨١)، أخبار وحوادث سنة ١٠٦١ هـ.

كثيراً من الناس العوام قصدوا وافدين إلى حضرة رجل ظهر من حاله الجذب ممن كان من أهل الحرثة، والقعود في سحنان ببلد (أسناف) ويسمى عبد القادر العرهجي اعتراه نوع من النشاف فيخيل للناس، ومن وفد إليه من ضعاف العقول أن عنده كرامات، حتى بلغ بهم الحال أن قال قائلهم: قد أبرأ الأكمه والأبرص، فازدحم الناس عليه من الجهالة لزيارته، والمبادرة منهم للاقتباس من طلعتة، ومنهم من أنفق ما يبذله عند وصوله، ثم خرج إليه جماعات من المدينة الصناعية، على ما يعهد من أهلها غلظة طباعهم، وقساوة قلوبهم، فأما هذا الرجل فرحل منهم طوائف، وسار إليه منهم رغائب، وبعض نساء من الحریم، ممن اعتراه ألم جسيم، وظهر شأن هذا الرجل وذكره، فحصل من الناس هذا الازدحام عليه، والقصد بالتدور له، ولما علم إمام العصر أرسل إلى العرهجي بأدب فهرب خوفاً من الواصلين؛ ثم عاد إلى بلده بعد حين يسير من الزمن، ودخل عقب ذلك إلى مدينة صنعاء، فرأيتة وهو يدور في شوارعها، والصبيان خلفه يضحكون، ومنه يتعجبون، ولباسه لباس حاله القديم، وأهله في بلدهم على زيهم من لباس المتزر وحاله الأغبر، ثم إنه دخل حوش بئر قشام^(١) وهو يسني وساق البهائم وهو يغني، ثم خرج عنه في الحال إلى (لكمة)^(٢) التراب، فسجد عليها وقبلها، وصعد وجهه إلى غير قبلة ولا باب، ثم طلع رأس سور المدينة، ولم يجد مخرجاً إلى خارج المدينة فقفز من رأس السور فحصل في بعض رجله الكسر، ثم سار أياماً وهو يعرج برجله من إثر ذلك، ثم استمر ذكره وجذبه وخفة عقله^(٣).

* * *

ظهور رجل مقذي:

ومن أصحاب الشعوذة نوع آخر من الناس يطلق عليه اسم (مقذي) على وزن

(١) الحوش في عرف اليمن ما يحيط بالمنزل وله باب وسور، والقشام: زارع الكراث وبائعها.

(٢) لكمة هي الأكمة ما ارتفع من الأرض.

(٣) « بهجة الزمن » (ص ٧٣)، أحداث سنة ١٠٥٦ هـ.

(مغني)، ظهر منهم في عصر المصنف، قال في تاريخه: «ظهر رجل يسمى المقدّي يجعل قطعة من القطن على موضع ألم في المريض يشكوه من خارج، ثم ينزعها، فإذا قد قذفها حمرة أو خضرة أو سواد أو وسخاً، فيقول: هذا قد خرج من داخل الجسم: قال: فأكل بسبب ذلك أموالاً من كثير من الناس، ثم اضمحل ذكره وما ذلك إلا من السحر». (١)

* * *

شجرة يتبرك بها عوام الناس:

والجهل من أقوى الأسباب التي تجرّ إلى المعاصي، فقد قصد الناس شجرة والتفوا حولها يقدسونها ويتبركون بها ويطلبون الشفاء والنفع ودفع الضرر، ذكر المصنف في تاريخه، قال: «اجتمع الناس في بلاد (عذر) على شجرة، فكان العوام منهم يقصدونها بالنذور والتعظيم، جعلوها كشجرة (أنواط) التي كانت في عصر النبي ﷺ، لما رآها في غزوة (حنين) ونهى الناس عنها، فأمر إمام العصر بقطع الشجرة». (٢)

* * *

انتشار الصوفية:

وإذا كانت الصوفية قد تزايد انتشارها في القرن العاشر الهجري في بلدان العالم الإسلامي، فإن القرن الحادي عشر قد انتقل إليه هذا الانتشار لطرق الصوفية، ومكان الانتشار كان في مصر والشام والحجاز وغيرها، وفي اليمن في البلاد التهامية وتعز وحضرموت، وقد ذكرنا ما قام به الإمام المتوكل إسماعيل من خطوة رائدة تعدّ من محاسنه؛ حيث أمر بإحراق كتاب (فصوص الحِكم) لابن عربي في صنعاء أيام عهده، والمصنف -رحمه الله- في تاريخه قد ذكر أخباراً عن الصوفية، وصاحب

(١) المرجع نفسه (ص ٦٧)، حوادث سنة ١٠٥٧هـ.

(٢) المرجع السابق (ص ٦٤)، حوادث سنة ١٠٥٦هـ.

كتاب (طبق الحلوى) ذكر صوراً من أخبار الصوفية، والحكم العثماني كان بيئة مناسبة لانتشار الصوفية، وإذا رجعنا قليلاً إلى القرن العاشر الذي بدأت تموج فيه طرق الصوفية، وتبعه في هذه الأمواج القرن الحادي عشر، ينقل الشيخ إبراهيم الجمل في تحقيقه لكتاب (مسايد الشيطان وذم الهوى) لابن غانم المقدسي^(١)، أن الشيخ عبد الوهاب الشعراني ذكر أنه تتلمذ في القرن العاشر بـ (٩٠) شيخاً من الصوفية أميين؛ فدل هذا على هبوط العلم بعد ما كان مزدهراً في القرن السابع والثامن، وفترة من القرن التاسع، وازداد بذلك جهلة الصوفية كثرة.

ثم يقول الشيخ الجمل نقلاً عن الشعراني في طبقات الصوفية: إن رجلاً اسمه أبو السعود الخارجي قال فيه الشعراني في (الطبقات): كانت له بمصر كرامات خارقة وتلامذة كثيرة، ووصفه بأوصاف كثيرة، قال أبو السعود المذكور لفيقه أزهري: متى تصير هاء (الفيقه) راء؟ - يعني: متى يصير الفقيه فقيراً متصوّفاً؟- لأنهما مترادفان في اصطلاحهما، وكان لأبي السعود المذكور نفوذ كبير، ووصفه الشعراني بأنه كان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، ويبالغ في وصفه بأنه تمضي هذه المدة كلها وهو على وضوء واحد من غير أكل، وأما الماء فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية، وهذا يبين انتشار الصوفية في ذلك العصر وخرافاتهم.

وينقل الشيخ الجمل نقلاً عن (طبقات الشعراني) عن رجل آخر من أكابر الصوفية بمصر، واسمه (بركات الخياط)، قال: كان يلبس الشاش المخطط كعمامة النصراني، فيقول له الناس: جئناك يا نصراني، وكان مُتَتّاً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً أو قطعاً أو خروفاً ميتاً يأتي به فيضعه داخل الدكان الذي يأوي إليه، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده، وقال الشعراني: كان سيدي الشيخ المرصفي وغيره يرسلون للخياط المذكور الحملات، فيضعون له حجراً على حانوته، فيعلم بالحاجة فيقضيها، ويقول: الاسم لطوبة والفعائل لأمشير، نحن نتعب وهؤلاء يأخذون

الهدايا منهم، ثم يعلق الشيخ الجمل على هذه المواقف البعيدة عن الإسلام، قائلاً: فهل هذا هو الإسلام؟ كلا وألف كلا، وإنما فهم هؤلاء الإسلام فهمًا بأنفسهم فحاربوه وهم يحملون رايته، وذكر المؤلف صوراً أخرى من هذه الأباطيل والضلالات.

وفي عصر المصنف في القرن الحادي عشر يذكر في تاريخه^(١)، أخباراً عن الصوفية في اليمن خصوصاً في تهامة، ومنها (المنصورية)، منهم الصوفي الشيخ طاهر بن بحر، كان له زاوية، ولاقي تعظيماً من الباشا (قانصوه) الذي وصل إلى اليمن، وزاره في زاويته في المنصورية، وقال للمصوفي المذكور: إنا جئناك من عند الشيخ أحمد البدوي الصوفي الولي في مصر، وعند خروج القانصوه من زبيد راجعاً إلى مصر، مر على الشيخ الصوفي المذكور، وخضع عنده واضطجع تحت سريره ذلاً وتعظيماً!!.

* * *

مسألة منع زواج الفاطمية من غير الفاطمي:

كانت هذه المسألة سائدة في عصر المصنف، واهتم بها الإمام المؤيد ابن القاسم ابن محمد، ويقال: إن القاضي أحمد سعد الدين الموسوري كان من الذين روجوا لهذه المسألة، ومن وقف ضد هذه المسألة وفندها العلامة المقبلي^(٢)، وأورد أدلة كثيرة وقوية في الاحتجاج في إبطال هذا المنع، وما ينتج عنه من مفاسد في النساء الهاشميات أنفسهن، اللاتي يصلن إلى سن الشيخوخة وهن عوانس.

وقد ناقش الإمام الشوكاني وتعرض لهذه المسألة ودحض حجج المتشبهين بها في (وبل الغمام) حاشية (شفاء الأوام) في كلام حسن، فقال^(٣): «أقول: هذه المسألة

(١) «بهجة الزمن» (ص ٥٨)، حوادث سنة ١٠٥٤ هـ.

(٢) انظر: التفصيل عن هذه المسألة في «مجر العلم» (٣ / ١٢٤٧-١٢٥٢).

(٣) (١٩٤/٢).

بالخرافات أشبه منها بالاجتهادات، كم لها من أخوات، وكون بنات البتول أرفع قدرًا وأعلى منصبًا لا يستلزم أنهن يحرمن على دونهن مع رضى الأولياء، وقد كان خير القرون ومن يليهم في راحة من هذا، ولم يعرف لأحد فيه خلاف إلا بعد مضي (٤٠٠) سنة من الهجرة النبوية، وما أسمع هذا الدليل العليل الذي ذكره المصنف، قائلًا: إلا إذا خصصنا من عدا الفاطميين بالإجماع، ولم يقع إجماع في حقهم، وأقول: له شيء يحتاج إلى تخصيصه بما زعمه من الإجماع، فإنما رواه من قول سلمان: «أمرنا أن نزوجكم ولا نتزوج منكم»، لا أظنه يصح عنه، ولا يثبت، وكيف يصح ذلك والمصنف يروي عن سلمان ما رواه من أنه خطب إلى خليفة قریش ثم أجابه، فلما قال له عمر تلك المقالة المشعرة بأن عمر أشرف منه غضب وترك الزواج، ثم سلمان مولى من أبناء فارس، فإذا أقر بوضاعته، فكيف يلزم ذلك من كان من صميم العرب، وأما سائر ما قدمه فهو دليل عليه لا له، فما هي هذه الأدلة المخصوصة بالإجماع فيما عدا بنات فاطمة، فلم يصح بوجه من الوجوه، ولا يوجد في كتاب حديثي، وكذلك ما بعده، وأما ما أجاب به عن نكاح عمر لأم كلثوم، فهذان لا طائل تحته، وحاشا علي بن أبي طالب أن يقتات عليه في ابنته، أو يزوجه بالقهر في محارمه، وحاشا عمر أن يرد من نكاح يطلبه، ولا سيما وهو إذ ذاك خليفة، أو يتوعد بذلك الوعيد الذي من أخلاق الجبابرة، وما كان أولى بكتب الهادوية بأن تصان من هذه الأكاذيب، التي هي من أباطيل الكلام وحشوه، قال ابن يهران: وهذا ونحوه مما لا أصل له، وإنما هو من حشو الرافضة.

إلى أن قال: «ولقد أفسدوا بحشوههم غير مسألة، ولا سيما على من لم يتعب نفسه في المعارف العلمية فحشا الله قلوبهم نارًا، وأدال منهم، وما أقبح قوله: «كان عقدًا من دخول»، فإن هذا كلام من لا يعرف من هذا العلم شيئًا؛ فإن أم كلثوم ولدت لعمر زيدًا، وهذا أشهر من نار على علم، فرحم الله المصنف، ولست أستغرب نقل مثله بمثل هذا الكلام، بل أستغرب نقله مثل الجلال، وأمثاله ممن له حرص على الإنصاف، وعناية في الكشف عن صحيح الكلام من ساقطه، فإن كان

صدور مثل هذا لرعاية الترفع والبذوخ بالنفس والشموخ بالشرف فما هذا دأب المنصفين، والحاصل أن هذه المسألة دولية لا دليلية، وعرفية لا شرعية، والله المستعان».

* * *

ظهور بعض مظاهر الترف:

إن المجتمع في اليمن في عصر المصنف وحتى عصرنا هذا يتركب من قبائل وأشهرها بكيل وحاشد وغيرهما، ويرأس القبيلة شيخ من المشائخ، ويتركب من مخاليف، والمخلاف ينقسم إلى عَزَل جمع عزلة، والعزلة تنقسم إلى قرى، وقد يكون للمخلاف شيخ، وللعزلة شيخ، وللقرية شيخ.

ومظاهر الترف في ذلك العصر في اليمن، لا تكاد توجد، اللهم ما ذكره المصنف في تاريخه، من أن الإمام المهدي أحمد بن الحسن صاحب الغراس كان يستمتع بكثرة السراري، فقال: «وما زال أحمد بن الحسن في كل سنة بل في كل شهر له سرية، وصار يتخيرهن، ويستبدل بهن ويلبسن الملابس الفاخرة حتى لا يزال يبلغن (٥٠٠-٧٠٠) جارية، ثم يخرج هذه، ويخرج هذه، وهذا شيء لم يعرف لغيره من الماضين، ولا من غيره من السلاطين»^(١).

* * *

(١) بهجة الزمن (ص ١٩٩).

● الفصل السادس ●

رسالة الإيضاح لما خفا

قيمة الرسالة:

لا شك أن هذه الرسالة هامة، فهي دفاع عن الصحابة رضي الله عنهم في فترة تطاولت ألسن من الحاقدين عليهم، فجاءت هذه الرسالة نازلة عليهم نزول الصاعقة من المؤلف -رحمه الله- وفي زمن قل فيه النصير، ومن يصدع بالحق بالرد على المجترئين في أعراض الصحابة، ومما يزيد في أهميتها أن الشوكاني ذكرها في ترجمة المصنف وأشار إلى أنه ناله من الأذى من أبناء عصره بسببها وبسبب ميله إلى السنة، فقال الشوكاني: «وكذلك رأيت له مصنف سماه (الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى)، ووقع بينه وبين أهل عصره قلاقل بسبب تظهره بما تقدم، وبالجملية فهو من أهل القرن الحادي عشر»^(١)، وتزداد أهمية الرسالة أن الشوكاني لما صنف رسالته (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي) اعتمد في مواضع منها نفيسة على هذه الرسالة قل أن يجدها في غيرها؛ مثال ذلك ما قاله الشوكاني في (إرشاد الغبي)^(٢): «قال يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في كتابه (الإيضاح لما خفا...) بعد حكاية أقوال الأئمة من أهل البيت ما لفظه: «وإذا تقرر ما ذكرنا، وعرفت أقوال أئمة العلم الهداة، علم من ذلك بالضرورة التي لا تنتفي بشك ولا شبهة، إجماع أئمة الزيدية على تحريم سب الصحابة لتواتر ذلك عنهم، والعلم به، فما خالف ما علم ضرورة لا يعمل به...»، ولأن المصنف -رحمه الله- في هذه الرسالة نقل فيها نصوصاً وأقوالاً عن علماء الزيدية المتقدمين وغيرهم من مراجع قد تكون مفقودة في عصر الشوكاني وفي عصرنا؛ لما كان يملكه من كتب نفيسة في خزائنه ومكتبته الخاصة، كما نقل الشوكاني من هذه الرسالة في

(١) «البدر الطالع» (٢/ ٣٢٨).

(٢) (ص ٤٧٤).

موضع آخر من رسالته (إرشاد الغبي)، فقال: «قال العلامة يحيى بن الحسين ابن القاسم في (الإيضاح لما خفا...): واعلم أن القائلين بالترضية على الصحابة من أهل البيت هم أمير المؤمنين والحسن والحسين، وسرد أسماء المتقدمين، ثم سرد أسماء المتأخرين...» (١).

* * *

التفاوت في عناوين الرسالة:

إن العنوان الذي اشتهرت به هذه الرسالة هو (الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى)، هذا العنوان هو الأشهر لدى العلماء والمؤرخين الذين ترجموا للمصنف؛ كالشوكاني والمؤرخ زبارة؛ فالشوكاني ذكر هذا العنوان في البدر الطالع، وفي (إرشاد الغبي)، لكن المؤرخ زبارة في (نشر العرف) (٢)، نقل في ترجمة المصنف عنواناً آخر هو: (إظهار ما خفا من تعظيم صحابة المصطفى)، فلعله اطلع على نسخة واحدة فقط بهذا العنوان تارة، ونسخة أخرى بعنوان: (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى)، وهذا العنوان مذكور في آخر المخطوطة (أ) فقد قال ناسخها الذي فرغ من نسخها في ١٢ من شهر شوال سنة ١٢٨٩هـ: «انتهى نقل هذا الكتاب الجليل (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى)...»، كما ذكر هذا العنوان أيضاً في آخر المخطوطة (ب) التي انتهى ناسخها من كتابتها في ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة من ذي الحجة سنة ١١٧٧هـ، فقد قال ناسخها: «انتهى نقل هذا الكتاب الجليل (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى ﷺ)، أما المخطوطة التي رمزنا لها بـ (ج)، فقد ذكر ناسخها لها عنوانين مختلفين، كما يلي:

- ١ - على غلاف الكتاب بالحروف الكبيرة، عنوان: (الإيضاح لما خفي من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى).

(١) «إرشاد الغبي» (ص ٤٧٣).

(٢) (٢/ ٨٥٤).

٢ - وفي نهاية المخطوطة، عنوان: (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى)، وانتهى ناسخها منها يوم الخميس من جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ.

أما المخطوطة التي رمزنا لها بحرف (د) والتي يغلب الظن أنها بخط المصنف - رحمه الله - فقد كتب على غلافها عنوان (كتاب منتهى الإصابة فيما يجب من رعاية حق الصحابة)، وتحتته زيادة هي (رفع الخطأ حق...) ثم ضرب عليه بخط وسطه، ثم وضع تحتته عنواناً آخر بحروف غامضة اهتديت إليها بعد لأي، هو ما يلي: وسماء بعضهم (الإصابة في النهي عن سب الصحابة)، وتحتته عنوان آخر ونصه هكذا: (أو كمال الوفا بما يجب لصحابة المصطفى).

وجمعاً بين هذه العناوين المختلفة، فقد خرجنا بعنوان لهذه الرسالة هو: (الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى ﷺ) أو (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى ﷺ).

* * *

تنبيه:

النسخة التي رمزنا لها بالحرف (د) والتي على غلافها ثلاثة عناوين أعلاها عنوان: (كتاب منتهى الإصابة فيما يجب من رعاية حق الصحابة)، وقع بسبب هذا العنوان أحد الباحثين في خطأ وظن أن هذا كتاب آخر يختلف شكلاً ومضموناً عن العنوان المعروف الذي هو: (الإيضاح لما خفى من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى)، وذلك ما جاء في ترجمة المصنف في الكتاب الذي صدر حديثاً بعنوان (أعلام المؤلفين الزيدية) برقم (١١٨٧) ص (١١١١-١١١٨)، والصواب أنها رسالة واحدة وهي هذه التي نحن بصدد تحقيقها، يسر الله لصاحب التحقيق ذلك بفضلته ومنه.

* * *

لماذا التفاوت في العناوين؟

ينبغي أن نقوم بحصر هذه العناوين ونرتبها - كما نرى والله أعلم - ترتيباً زمنياً منذ تصنيف المصنف - رحمه الله - للرسالة، إلى أن تداولها النساخ، وتناقلوها ونسخوها فنرى أن حصرها يكون كما يلي:

١ - كتاب منتهى الإصابة فيما يجب من رعاية حق الصحابة.

٢ - الإصابة في النهي عن سب الصحابة.

٣ - كمال الوفا بما يجب لصحابة المصطفى.

٤ - رفع الخطأ عن صحابة المصطفى.

٥ - الإيضاح لما خفى من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى.

وعلى ضوء الترتيب السابق لهذه العناوين والنظر فيما لاقاه مصنفها - رحمه الله - في عصره من مضايقات أو أذى وانتقادات من الحاقدين والمتعصبين بسببها وبسبب إنصافه وميله إلى السنة نخرج بالأسباب الآتية:

١ - أن هذه الرسالة لما صدرت من مصنفها كان هذا الصدور في عصر غلت فيه حمى التعصب والتحامل على الصحابة كغلي الرجل، وانتشرت شهرتها في أوساط المعارضين والحاقدين بسرعة هائلة، فضاخوا ذرعاً، وازدادوا امتعاضاً واستشاطوا غضباً لا من مضمونها فحسب بل من عنوانها الأول، وهو: (منتهى الإصابة فيما يجب من رعاية حق الصحابة)، فهم لا يرون أن للصحابة حقاً واجباً عليهم، بل يتهمونهم بشبه وأباطيل، فهاجوا وماجوا من كراهيتهم لهذا العنوان الصريح في مدح الصحابة ووجوب رعاية حقهم فربما أنهم وقعوا في عرض المصنف.

٢ - سبب آخر ناتج عن العنوان السابق الصريح: أنه حصل التعديل في العنوان من العنوان السابق إلى عنوان آخر يليه، كما رتبناه هو (الإصابة في النهي عن سب

الصحابة)، وهذا العنوان أكثر ليئاً من العنوان السابق الذي انزعجوا منه، ولعل هذا العنوان الثاني لم يعجبهم أيضاً، وحصل بسببه نفورهم ولم ينطقوا غضبهم وحقدهم عليه وعلى مصنف الرسالة.

٣ - سبب ثالث، ولما سبق فإنه حصل تعديل ثالث سواء من المصنف أو من إخوانه العلماء المنصفين ممن يحبونه، فكان التعديل في العنوان إلى عنوان آخر هو: (كمال الوفاء بما يجب لصحابة المصطفى).

٤ - وربما أن هذا العنوان لا يزال يتمتع منه الجامدون والمقلدون، فتم الانتقال والتعديل إما في عصر المصنف أو في حياته أو بعد موته إلى العنوان: (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى)، ثم إلى العنوان (الإيضاح لما خفا من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى)؛ لأن هذين العنوانين الأخيرين غير ملفتَيْنِ لأنظار الحاقدين على الصحابة، ومعناهما غير مهيج لجذوة الكراهية والتعصب، والعلم عند الله.

سبب تصنيف هذه الرسالة:

ينبغي هنا أن نتعرض لسبب تصنيف العلامة يحيى بن الحسين لهذه الرسالة، ولا نسبق المصنف - رحمه الله - في ذكر الأسباب، فأهل مكة أدرى بشعابها، فقد ذكر في أخريات رسالته هذه سببين، هما:

١ - الذب عن صحابة رسول الله ﷺ.

٢ - إزالة الوهم والتنزيه لائمة الزيدية عن السب الذي صار ينسبه إليهم من لم يعرف أصولهم وأقوالهم وكتبهم.

منهج المصنف:

لقد تتبع المصنف -رحمه الله- في هذه الرسالة أصول الزيدية، ونقل آراءهم وأقوالهم من كتبهم الشهيرة المعتمدة من كتب العقائد والأصول والسير والتفسير والفقه، وخرج بدلائل واضحة وصريحة تبين مواقفهم التي يجمعون فيها أو يجمع جمهورهم على الترضي على الصحابة.

بدأ المصنف كتابه بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث مستدلاً بذلك على تحريم سب الصحابة، ونقل أقوال كبار علماء الزيدية وآثاراً عن علي رضي الله عنه، من ثناء على الصحابة، خصوصاً ما نسب إليه من أقوال في نهج البلاغة، وفي شرحه، لابن أبي الحديد والإمام الكبير يحيى بن حمزة -رحمه الله- في شرحه، ثم أورد نقولاً عن زيد بن علي وجعفر بن محمد، وثناء الحسن بن علي رضي الله عنه، وأهل البيت وثنائهم على الصحابة، وناقش مسألة: هل النص في علي رضي الله عنه خفي؟ وتناول ذكر نشأة الرافضة.

ومما يؤخذ على المصنف -رحمه الله- أنه كان ينقل بعض القصص الواهية بل الموضوعية، بقصد الرد عليها وتفنيدها، فلم يتم له الغرض الكافي والرد الوافي على وضعها وآفتها، ومن ذلك ما يلي:

— منها: ما نقله من كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة، مع أن نسبة الكتاب لابن قتيبة غير صحيحة وغير ثابتة.

— ومنها: كلام للغزالي منقول من كتاب منسوب إليه، هو كتاب: (سر العالمين)، ونسبة هذا الكتاب -أيضاً- للغزالي واهية وغير صحيحة.

— ومنها: حكاية نقلها من كتاب (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الأصبهاني، وهي حكاية واهية جداً، بل حكايتان سترهما في هذه الرسالة.

— ومنها: بعض قصص واهية السند، يسر الله لجامع هذا التحقيق استدراكها ونقدها.

ثم استعرض المصنف في رسالته ذكر أقوال سديدة لكثير من أكابر الزيدية ومجتهداتهم في آيات تدل على فضل الصحابة؛ كأصحاب الشجرة، وتوصل إلى حقائق منها أن من عقيدة الزيدية موالاة الصحابة، كما دافع وفند ما نسب إلى كبار الزيدية من قصص وأخبار ليست صحيحة وإنما هي من الإمامية، ثم ذكر فروقاً بين الزيدية والاثني عشرية، ورجوع فضلاء من أكابر الزيدية في آخر أعمارهم إلى الإنصاف والثناء على الصحابة، ظهر هذا في مصنفات لهم في أخرياتهم.

كما تعرض المصنف لذكر شبهات وأجاب عليها وردّها، وقرر أن الجمهور من أهل البيت قدماء ومتأخرين يثنون على الصحابة، وسرد أسماءهم وفند شبهات وأقوالاً للرافضة، وأجاب عن أحاديث وآثار ظاهرها إشكال.

وختم رسالته بفضائل الصحابة، وذكر أسباب تصنيفه للرسالة، وقصائد لشعراء معاصرين يذبون فيها عن الصحابة، وبأحاديث في فضائل أهل البيت والصحابة عليهم السلام أجمعين.

عملي في تحقيق الرسالة:

- ١ - أعددت مقدمة وافية وقسمتها إلى ستة فصول، بينت فيها ظاهرة سب الصحابة، وسيرة المصنف، والحياة السياسية، والحياة العلمية والأدبية، والحياة الاجتماعية، والكلام على رسالة (الإيضاح لما خفي).
- ٢ - قمت بتخريج الأحاديث والآثار والأقوال الواردة في الرسالة، بحسب ما تيسر لي من كتب ومراجع.
- ٣ - ترجمت للأعلام تراجم مختصرة.
- ٤ - فسّرت الكلمات الغريبة.
- ٥ - قسمت الرسالة إلى موضوعات -كونها غير مبوبة من قبل المصنف-

ووضعت لكل موضوع عنواناً يناسبه، ووضعت العنوان بين معقوفين هكذا: [...] .

٦ - ختمت التحقيق بفهارس للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والأماكن والمراجع والموضوعات.

* * *

وصف المخطوطة:

لقد يسر الله تعالى بالحصول على أربع نسخ من المخطوط، ثلاث نسخ من دار المخطوطات جوار الجامع الكبير بصنعاء مصورة بالميكرو فيلم، ونسخة رابعة من المكتبة الغربية للجامع الكبير، وقد رمزت للنسخ الأربع بالرموز (أ) و (ب) و (ج) و (د).

١ - النسخة (أ): وهي نسخة بخط واضح جميل، عدد صفحاتها (٤٠) صفحة مقياس الصفحة (٢٦ × ١٧ سم)، وفي آخرها قال ناسخها: «انتهى نقل هذا الكتاب الجليل رفع الخطا عن صحابة المصطفى ﷺ، يوم الجمعة لعله ثاني عشر من شهر شوال سنة ١٢٨٩هـ، تمت وما بعده بخير آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم آمين، والحمد لله رب العالمين»، ثم يقول الناسخ: «بلغ بحمد الله سبحانه قراءة هذا الكتاب مع العلامة صفى الدين أحمد بن محمد السياغي أبقاه الله وفتح على الجميع بالعلم النافع والعمل به آمين، وفي يوم الثلاثاء من شهر رجب سنة ١٣٠٠هـ، مع كون هذه النسخة كثيرة الغلط، وسيمن الله بنسخة صحيحة، إن شاء الله».

ثم وجد بخط الناسخ في نفس الصفحة الأخيرة: «قد من الله تعالى بوجود نسخة صحيحة بخط المؤلف - رحمه الله - وقعت مقابلة هذه النسخة على ذلك، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم آمين».

أما عنوان الغلاف لهذه النسخة فهو كما يلي «الإيضاح لما خفى من الاتفاق على

تعظيم صحابة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، جمعه مولانا السيد العلم العلامة عماد الدين يحيى بن الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد نفع الله بعلومه ورحمه، آمين آمين».

٢ - النسخة رقم (ب) وتاريخ نسخها أقدم من (أ)، فقد نسخها الناسخ وانتهى من نسخها في ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة ١١٧٧هـ، أي بعد موت المصنف - رحمه الله - بـ (٧٧) عاماً، والخط فيها متوسط بين الجيد والردىء، ومعظم الحروف غير منقوطة، وعدد صفحاتها (٩٢) صفحة، والمقياس: (١٣ × ٢١ سم)، وعلى غلافها ما يلي: «الإيضاح لما خفى من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، جمعه مولانا السيد العلم العلامة يحيى بن الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد نفع الله بعلومه آمين»، وبعد المثلث وتحت سطر فيه: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً»، وعلى اليسار من الصفحة نفسها مكتوب: «شرعت في مطالعته لعله ٢٢ شهر رمضان، والله يعين على التمام»، ولعل هذه النسخة هي الأصل للنسخة رقم (أ) وهي منقولة عنها.

وفي آخرها على الصفحة الأخيرة مكتوب: «انتهى نقل هذا الكتاب الجليل رفع الخفا عن صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١١٧٧هـ من الهجرة النبوية على صاحبها وعلى آله أفضل السلام، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

وعلى الجانب الأيسر من الصفحة ثلاثة سطور مائلة قد اعترى بعض حروفها بياض كما يلي: «قد كملت مطالعته فله الحمد على أن يأخذ بنواصينا إلى الخيرات بحوله حيثئذ» انتهى.

٣ - النسخة رقم (ج): والخط فيها جميل ومزدهم، وتاريخ كتابتها ونسخها سنة ١٢٩٦هـ، بخط العلامة محمد بن عبد الملك الأنسي، وعدد صفحاتها الكبيرة (٣٩) صفحة، والمقياس: (٢٥ × ١٦ سم)، وعلى الصفحة الأولى منها ما يلي:

«الإيضاح لما خفى من الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، جمعه مولانا السيد العلم العلامة عماد الدين يحيى بن الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد نفع الله بعلومه ورحمه رحمة واسعة».

وفي نهاية الصفحة الأخيرة قال ناسخها: «انتهى نقل هذا الكتاب الجليل: رفع الخطأ عن صحابة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخميس من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٩٦ هـ بقلم الحقيير العبد المذنب محمد بن عبد الملك الأنسي، عمر الله قلبه بتقواه ونور مشكاة بصيرته بنور هداه...».

٤ - المخطوطة رقم (د): وهي التي تم تصويرها من المكتبة الغربية للجامع الكبير، وهي أقدم المخطوطات، ويحتمل أنها بخط المصنف، والخط لا بأس به والحروف في الكلمات غامضة، ولو اعتمدنا عليها لحصل مشقة من غموض الكلمات، ومعظم الحروف غير منقوطة، وليس في آخرها تاريخ كتابتها، وعدد صفحاتها (١١١) صفحة، المقياس (١٥×١١سم).

وهذه النسخة هي التي على صفحاتها الأولى ثلاثة عناوين، كما يلي:

أ - كتاب منتهى الإصابة فيما يجب من رعاية حق صحابة المصطفى.

ب - وسماء بعضهم: الإصابة في النهي عن سب الصحابة.

ج - أو كمال الوفا بما يجب لصحابة المصطفى».

وعلى الصفحة الأولى أيضاً أبيات تقرّظ للمصنف من شعر أحد المعاصرين له، وهو العلامة لطف الله بن علي بن لطف الله بن شرف الدين الكوكباني^(١)، وقد سبق الأبيات في نفس الصفحة بكلام تقرّظ من النثر، جاء فيه: «..... ذلك السيد الأفاضل الإمام العلامة، الغرة الواضحة في وجه الشرف الأطول، والعلامة علامة زمنه مفتخراً أهل شامه ويمنه، من سمح الدهر بوجوده، وتفضل^(٢)...».

(١) هذا العالم كان من خواص المصنف المنصفين، فلم أجده له ترجمة، فقد أهمل، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(٢) كلام محذوف.

جاء به آخرًا أن لو صدره أولاً فهو عين الوجود، وخيرة كل موجود، عماد الدين والإسلام يحيى بن الحسين بن القاسم الإمام ابن الإمام ابن الإمام.

أَسَامِيًّا لَمْ تُزِدْهُ الدَّهْرَ مَعْرِفَةً

وَأَنَّمَا لَذَّةُ ذِكْرِنَاهَا

حفظ الله ذاته، وأبقى حياته، ومتع المسلمين بطول بقاءه، وحماه من كل جعلت هذا التقريظ، وهذه الأبيات التي ختمت بها التقريظ على هذا المؤلف الكريم والمختصر الفائق العظيم، وإن كانت بالنظر إلى بديع حسنه قاصرة، وإلى ما يستحقه من المدح والإطنا بغير وافية ولا ظافرة، وليس على من اعترف بقصوره جناح، ومن وقف عند انتهاء قدره ظهر له وجه الفلاح ولاح، ولكن العود إلى ذكر هذه الأبيات التي تقدم ذكرها والقوافي التي فاق لفها ونشرها، وليصفح الناظر إذا لاح له فيها عيب وظهر، وليسمح إذا اطلع على خلل، فالكريم إذا عثر على خطأ عفا وغفر، وهذه هي الآتية، في الصفحة الثاني:

كِتَابٌ رَفَعَ الْخَطَا بِحَرْحَاوَى دُرَّرًا

عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ يَحْيَى الْخَبْرُ يَحْكِيهَا

ذَاكَ الْإِمَامُ الَّذِي فَاقَتْ فَضَائِلُهُ

مُبَيِّنُ سُنَّةِ خَيْرِ الرُّسُلِ مُحْيِيهَا

مَنْ قَدْ غَدَا أُمَّةً فِي النَّاسِ قَاطِبَةً

وَهَادِيًا بِهِدَى الْمُخْتَارِ يَهْدِيهَا

أَمَّا تَرَاهُ لآيَاتِ الْكِتَابِ غَدَاً

مُتَابِعًا عَامِلًا حَقًّا بِمَا فِيهَا

انْظُرْ مُؤَلَّفَهُ هَذَا وَمَا جَمَعَتْ

أَلْفَاظُهُ مِنْ بَلَاغَاتٍ يُرَاعِيهَا

رَوْضٌ بِهِ السُّحْبُ قَدْ أَضَحَّتْ تُبَاكِرُهُ
 فَاْفْتَرَّ مُبْتَسِمًا زَهْرُ الرُّبَا فِيهَا
 أَدَلَّةٌ أَشْرَقَتْ بِالْحَقِّ قَاطِعَةً
 لِكُلِّ خَصْمٍ أَلَدَّ كَادَ يُخْفِيهَا
 مَا قَالَ فِيهِ سِوَى مَا قَالَ خَالِقُنَا
 فِي ذِكْرِهِ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ حَاكِهَا
 أَوْ مَا حَكَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا
 فِي نَهْجِهِ وَكَذَلِكَ الْأَلُّ تَرْوِيهَا
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَحْلَى مَوَارِدَهُ
 فَاقَتْ مَقَاصِدَهُ رَاقَتْ مَعَانِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (خطبة الكتاب)

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بالتشريف، وفضلها على سائر الأمم بالدين الحنيف،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم الأنبياء والمرسلين، وأفضل من مضى من الأولياء
والصديقين، وعلى آله القافين^(١) طريقته من السابقين والمقتصدين^(٢).

وبعد: فإنه لما كثر الاختلاف في شأن الصحابة وما زال في هذه العصور يتجدد
من غير إصابة، توجه بيان ما عليه الزيدية من الأئمة، وسائر الأئمة؛ إذ كان هذا
الاختلاف بينهم من أتباعهم، ودعواهم أنهم على طريقته، وأنا بحمد الله^(٣) قد
رأينا أقوالهم في منشورهم ومنظومهم كالمثقة على حسن الثناء على كبار الصحابة
الأتقياء، وأن القائل لهذه المقالة الآخذ فيهم كالعدم المحض، إذ لم يكن في الأصل
لعالم من العلماء إلا ما تفرد به الإمام أحمد بن سليمان^(٤)، في حقائقه، وسائر
الزيدية كافة يرون خلاف مقالته، مع أنه سيأتي ذكر تنزيه جانبه؛ إذ هم^(٥) بين مرتضى
ومتوقف، كما هو معلوم لمن عرف وأنصف.

(١) القافين: جمع قاف، اسم فاعل من قفا يقفوا: اتبع، قال ابن فارس (مقاييس اللغة ص ٨٩٨): يدل على اتباع
الشيء لشيء، والمعنى: المتبعين.

(٢) هذا مأخوذ من قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ» الآية [فاطر: ٣٢]، قال القرطبي (٣٤٦/١٤): (فمنهم ظالم لنفسه): قال النحاس:
فمن أصبح ما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس: «فمنهم ظالم» قال: الكافر، وعن عكرمة وقتادة والضحاك
والفراء أن المقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي على الإطلاق، وللآية تفصيل في الكتاب المذكور، وهذا في
علم البديع يسمى (الاعتباس).

(٣) في المخطوطة (د): «وأنا بحمد الله على طريقته، وأنا بحمد الله قد رأينا . . .» والصحيح ما أثبتناه.

(٤) هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد، من أئمة الزيدية في اليمن، ظهر في أيام حاتم بن عمران
سنة ٥٣٢هـ، ودعا الناس إلى بيعته بالإمامة، وملك صعدة ونجران، وأخذ صنعاء مرتين، ونشبت بينه وبين حاتم
حروب، ثم اصطلحا على أن يكون لكل منهما ما في يد الآخر من بلاد وحصون، وكانت له مع الباطنية حروب.
وخطب له في الحجاز، وعمر في أواخر عمره، وتوفي بحيدان سنة ٥٦٦هـ، من كتبه (أصول الأحكام في الحلال
والحرام)، و(الزاهر) في أصول الفقه، و(حقائق المعرفة) في الأصول والفروع، «الأعلام» (١/١٣٢).

(٥) في (أ) و(ج): «هم»، وفي (ب): «أنهم»، والصواب ما أثبتناه من (د).

(ما جاء في النهي عن سب الصحابة)

ولنقدم ذكر بعض ما جاء من النهي عن سب الصحابة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿هَمَزَ مَشَاءَ بَنِمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]؛ وأما الأخبار فكثيرة، فمنها ما أخرج الأجرى محمد بن الحسين الحافظ^(١) في كتابه (شريعة الإسلام) بإسناده إلى جابر بن عبد الله^(٢) عن النبي ﷺ، أنه قال: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فليظهر الذي عنده علمه؛ فإن كاتم العلم كاتم ما أنزل الله عز وجل» أخرجه من ثلاث طرق عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ^(٣)، وخرج ابن عساكر^(٤) عن معاذ^(٥) عنه ﷺ، أنه قال: «إذا ظهرت البدع، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فليشره؛ فإن كاتم العلم يومئذ كاتم ما أنزل الله على محمد». ^(٦)

(١) الأجرى (ت: ٣٦٠هـ)، هو محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر فقيه شافعي محدث نسبة إلى أجر (من قرى بغداد) ولد فيها وحدث ببغداد، ثم انتقل إلى مكة فأقام فيها ثم مات بها، له تصانيف كثيرة، منها: (شريعة الإسلام) ط في مجلدين، «الأعلام» (٩٧/٦).

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجي السلمي أبو عبد الله صحابي، قال: غزوت مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة، مات سنة ٧٣هـ، وقيل (٧٧)، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة، «تهذيب التهذيب» (٢٨١/١).

(٣) شريعة الإسلام (٣٨٣/٢)، ورواه ابن ماجه في المقدمة (باب من كتم علماً)، والترمذي (كتاب الفتن) حديث برقم (٢٢١٠، ٢٢١١)، وهو في «السلسلة الضعيفة» للألباني (١٥٠٧).

(٤) ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي المؤرخ الحافظ الرحالة، ولد سنة ٤٩٩هـ، وتوفي سنة ٥٧١هـ صاحب «تاريخ دمشق الكبير»، «الأعلام» (٢٧٣/٤).

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري أبو عبد الرحمن، أسلم وهو ابن ثمانين سنة، وشهد بدرًا والعقبة والمشاهد «تهذيب التهذيب» (٩٧/٤)، وفضائله ومناقبه كثيرة، ت: ١٨هـ.

(٦) ذكره في «الجامع الصغير مع فيض القدير» برقم (٧٥١)، وعزاه لابن عساكر، ورمز له السيوطي بالضعف، وقال المناوي: ورواه عنه أيضاً الديلمي، وهو في الجامع الصغير بلفظ: «ككاتم ما أنزل الله على محمد» بكافين، ورواه الخطيب أيضاً في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١١٨/٢) ورقم (١٣٥٤) من حديث معاذ بلفظ: «إذا ظهرت الفتن -أو قال: البدع- وسب أصحابي، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صديقاً ولا عدلاً»، قال المحقق د/ محمود الطحان: والحديث إسناده ضعيف؛ لأن فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعن.

وأخرج الآجري عن عائشة رضي الله عنها ^(١)، قالت: أمروا بالاستغفار لأصحاب رسول الله ﷺ فسبّوهم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يسب آخر هذه الأمة أولها». ^(٢)

وأخرج الآجري عن عبد الرحمن بن سالم بن عويم ^(٣) بن ساعدة عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحابي، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً». ^(٤)

أخرجه من طريقين، وأخرج عن عبد الله بن مغفل ^(٥)، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللّٰهُ اللّٰهُ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه». ^(٦)

وأخرجه الآجري المذكور من طريق أيضاً، وأخرج الآجري عن جابر ابن

(١) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه زوج النبي ﷺ، فضائلها كثيرة جداً، توفيت في رمضان سنة ٥٨هـ، وروى أحاديث كثيرة، «تهذيب التهذيب» (٤ / ٦٨٠ - ٦٨١).

(٢) ضعيف، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١/١٠): رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه إسماعيل ابن إبراهيم بن مهاجر، وهو ضعيف، وانظر: تفسير ابن كثير (سورة الحشر)، تفسير الآية (١٠)، والحديث في تفسير البغوي (٥/٦١)، قال المحقق: والأربعة الأول من السند مجهولون، وبقي رجاله ثقات.

(٣) في المخطوطة: عويمر، والصواب ما أثبتناه، وعبد الرحمن بن سالم هو ابن عتبة، ويقال: ابن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة الأنصاري المدني، روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، وعنه محمد ابن طلحة بن الطويل التيمي، قال الحافظ: قلت: قال البخاري: لم يصح حديثه، «تهذيب التهذيب» (٢/٥٠٩).

(٤) في شريعة الإسلام (٢/٣٨٥): قال إبراهيم بن المنذر: الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة، والحديث ضعيف، قال الحافظ في «مجمع الزوائد» (١٧/١٠): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

(٥) عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم المزني أبو سعيد، سكن المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وهو من أصحاب الشجرة، مات بالبصرة سنة ٥٧هـ، وقيل: (٦١).

(٦) إسناده ضعيف؛ لجهالة عبد الرحمن بن زياد، أو عبد الرحمن بن عبد الله، انظر: «مسند أحمد» برقم (٢٠٥٤٩)، و«الإحسان» لابن حبان (١٦/٢٤٤) برقم (٧٢٥٦)، و«شرح السنة» (١٤/٧١).

عبد الله^(١)، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يكثرون وأصحابي يقلون، فلا تسبوا أصحابي، لعن الله من سبهم»^(٢).

وأخرج الآجري عن أنس^(٣)، قال: قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، إننا نُسبُ، فقال رسول الله ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٤)، وأخرجه أيضاً من طريق أخرى.

وأخرج الآجري عن هشام بن عروة^(٥)، عن أبيه^(٦)، قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: إني لأسمع ناساً يتناولون أصحاب محمد ﷺ، فقالت: «يا بني، إن أصحاب محمد ﷺ، كانوا مع رسول الله ﷺ، وكان الله تبارك وتعالى يجري لهم أجورهم، فلما قبضهم الله تعالى أحب أن يجري ذلك الأجر لهم»^(٧).

(١) و (٢) جابر تقدمت ترجمته، وحديثه ضعيف، قال في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١): رواه أبو يعلى، وفيه الفضل ابن عطية وهو متروك، وقال محقق كتاب «الشرعية»: رواه الخطيب في «التاريخ»، وابن حجر المكي في «الصواعق المحرقة» ص (٥) عزاه للدارقطني في «الإفراد» من حديث أبي هريرة.

(٣) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري المدني، خادم رسول الله ﷺ، نزيل البصرة، دعا له النبي ﷺ، مات وهو ابن (١٠٧) سنة، سنة ٩٠هـ، «تهذيب التهذيب» (١ / ١٩٠-١٩١).

(٤) في سننه علي بن يزيد الصدائني مختلف فيه، وفي سننه أيضاً أبو شيبة الجوهري يوسف بن إبراهيم، قال البخاري: صاحب عجائب، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث عنده عجائب، وقال الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن حبان: يروي عن أنس ما ليس من حديثه، لا تحل روايته، وذكره العقيلي في «الضعفاء»، وقال ابن عدي: ليس بالمعروف، ولا له حديث كثير، وقد ذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ١٢٧)، وهو من حديث ابن عباس بدون زيادة: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»، ولعل كثرة طرقه يكون قوي السند، والله أعلم.

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، رأى ابن عمر ومسح رأسه ودعا له، وروى عنه خلق، قال ابن سعد والعقيلي: كان ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة إمام في الحديث، ولد سنة مقتل الحسين رضي الله عنه سنة ٦١هـ، ومات سنة ١٤٦هـ، «تهذيب التهذيب» (٤ / ٢٧٥-٢٧٦).

(٦) عروة بن الزبير بن العوام، وثقه ابن سعد وغيره، وروى له الجماعة، وهو الذي ابتلي برجله فقطعها، وقتل له صبي عند أرجل الدواب فصر واحتسب (٢٣هـ-٩١هـ)، «تهذيب التهذيب» (٣ / ٩٢-٩٤).

(٧) في سند هذا الأثر ابن عبد الحميد الواسطي، لم أجد له ترجمة، وأبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني ضعيف؛ قال الذهبي: أحد أوعية العلم على ضعفه، وقال الحاكم: أبو أحمد ذاهب الحديث، وفي سننه عبد الجبار بن سعيد =

وأخرج الآجري عن عبد الله بن عمر^(١)، قال: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع رسول الله ﷺ - خير من عمل أحدكم عمره^(٢)».

وخرج الآجري عن ميمون بن مهران^(٣)، قال: قلت لابن عباس^(٤): أوصني، قال: إياك والنجوم؛ فإنها تدعو إلى الكهانة، ولا تسب أحدًا من أصحاب نبيك ﷺ، وإذا حضرت الصلاة فلا تؤخرها^(٥).

= (مجهول)، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي الزناد: مختلف فيه، قال ابن معين: أثبت الناس في هشام بن عروة، وقال مرة: ضعيف، وقال مرة: لا يحتج به، وقال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن المديني: كان عند أصحابنا ضعيف، وقال مرة: ما حدث بالمدينة فهو صحيح، وما حدث ببغداد أفسده البغداديون، وقال يعقوب بن شيبه: ثقة صدوق، وفي حديثه ضعف، وقال عمر بن علي: فيه ضعف، وقال في موضع آخر: تركه عبد الرحمن ابن مهدي، وقال الساجي: فيه ضعف، وقال النسائي: لا يحتج به، وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق يهمل، وعلى هذا فالحديث ضعيف.

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أسلم قديمًا وهو صغير، وهاجر مع أبيه واستصغر في (أحد)، وشهد الخندق وبيعة الرضوان والمشاهد، مناقبه كثيرة، هاجر وهو ابن عشر سنين، ومات سنة ٧٣هـ، «تهذيب التهذيب» (٣٨٩-٣٩٠).

(٢) في النسخة (أ) قال: وقد صححناه من كتاب (الشرعية)، وقد رواه الآجري عن طريق زياد بن أيوب الطوسي عن وكيع عن سفيان عن نسير بن ذعلوق عن ابن عمر، والحديث فيه راو مجهول هو ابن عبد الحميد، وبقيّة رجاله ثقات.

(٣) ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب الفقيه، نشأ بالكوفة، ثم نزل الرقة، مات سنة ١١٦هـ، «تهذيب التهذيب» (٧٩٨/٤).

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، كان يقال له: الخبير والبحر لكثرة علمه، دعا له النبي ﷺ بالحكمة مرتين، مات سنة ٦٨هـ، وقيل (٦٩هـ)، «تهذيب التهذيب» (٣٦٤-٣٦٥).

(٥) هذا الأثر هو في «الشرعية» (٣٨٧/٢)، من طريق ابن عبد الحميد (مجهول) عن أبي هشام الرفاعي عن يحيى ابن يمان، عن سودة الجزري عن ميمون بن مهران عن ابن عباس، وفي سنده ابن عبد الحميد (مجهول كما مر)، وأبو هشام الرفاعي مختلف فيه، قال ابن معين: ما أرى به بأسًا، وقال العجلي: كوفي لا بأس به، وقال البخاري: رأيتهم مجتمعين على ضعفه، وقال النسائي: ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويخالف، وفي سنده أيضًا يحيى بن يمان العجلي: ضعيف، قال الساجي: ضعفه أحمد، وقال: حدث عن الثوري بعجائب، وقال أحمد مرة: ليس بحجة، وقال ابن معين: ليس بثبت، لم يكن يبالى أي شيء حدث، وقال مرة: أرجو أن يكون صدوقًا، وقال النسائي: ليس بالقوي، وفي سنده أيضًا سودة الحمصي (مجهول)، وعلى هذا فالحديث ضعيف، وقد صُحِّفَت كلمة (الجزري) إلى (البرحي) والصواب: الجزري.

وأخرج الآجري عن عبد الرحمن بن عياض^(١) الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «احفظوني في أصحابي فأصهارى، فمن حفظني في أصحابي فأصهارى حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفظني في أصحابي وأصهارى تخلى الله عز وجل منه، ويوشك أن يؤخذ»^(٢).

قال محمد بن الحسين الآجري: «لقد خاب وخسر من سب أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه خالف الله ورسوله، ولحقته اللعنة من الله عز وجل، ومن رسول الله، ومن الملائكة، ومن جميع المؤمنين؛ ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً، وهو ذليل في الدنيا، وضع القدر...»^(٣).

وفي مجمع الزوائد للهيثمي^(٤): عن عبد الله بن مسعود رضيه الله عنه^(٥)، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» ورجاله ثقات^(٦).

وأخرج أبو نعيم^(٧) عن جابر، عنه ﷺ، قال: «ولا تسبوا أصحابي، من

(١) عياض الأنصاري لعله: ابن عبد الله، وقيل: ابن أبي زهير، وقيل: غير ذلك، «تهذيب التهذيب» (٣/٣٥٣).

(٢) في المخطوطة: «وأصهارى»، وفي «الشرعية»: عزاه المحقق هناك إلى الطبراني (١٠١٢) وقد ذكره في مجمع الزوائد (١٠/١٦)، وقال: وفيه ضعف جداً، وقد وثقوا؛ ثم أورده من طريق أخرى، وعزاه للطبراني، وقال: وفيه ضعف جداً، وقد وثقوا، وذكره ابن حجر المكي في «الصواعق المحرقة» ص (٤)، وعزاه للبغوي، وأبي نعيم في «المعرفة»، وابن عساكر عن عياض الأنصاري.

(٣) نهاية العبارة في «الشرعية» (٢/٣٨٧): «... كثر الله بهم القبور، وأخلى منهم الدور».

(٤) هو المحدث نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي أبو الحسن المصري القاهري: حافظ له كتب وتخاريج في الحديث، منها هذا (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) وأخرى، ولد سنة ٧٣٥هـ، وتوفي سنة ٨٠٧هـ، «الأعلام» (٤/٢٦٦).

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن، أسلم بمكة قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان صاحب نعل رسول الله ﷺ؛ مات بالمدينة قبل عثمان سنة ٣٣هـ، وصلى عليه ابن الزبير، «تهذيب التهذيب» (٢/٤٣١).

(٦) في مجمع الزوائد (٧/٢٢٣)، فيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وهو في «صحيح الجامع»، انظر: «ترتيب صحيح الجامع الصغير وزيادته»، ترتيب عوني نعيم الشريف، وعلي حسن عبد الحميد (٢/١٢٦).

(٧) أبو نعيم الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ، لقي الشيوخ، ورحلت الحفاظ إلى يابه، من تصانيفه المشهورة كتاب (معرفة الصحابة) وغيره، مات سنة ٤٣٠هـ، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٩٢-١٠٩٧).

سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً». (١)

وأخرج الدارقطني (٢) في «الأفراد» عن أبي سعيد (٣) عنه عليه السلام، قال: «لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي». (٤)

وأخرج أحمد (٥) والبخاري (٦) والترمذي (٧) عن عائشة رضي الله عنها، عنه عليه السلام، قال: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». (٨)

(١) أوردته صاحب «كنز العمال» برقم (٣٢٥٤٥)، وعزاه لأبي نعيم من حديث جابر، وهو قريب من حديث أنس المذكور ص (١٧٨)، وحديث ابن عباس.

(٢) الدارقطني: هو الإمام الحافظ علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن، إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراءات، ولد بدار القطن (من أحياء بغداد)، ورحل إلى مصر، من تصانيفه كتاب (السنن)، ولد سنة ٣٠٦هـ، وتوفي سنة ٣٨٥هـ، «الأعلام» (٤/٣١٤).

(٣) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، مات سنة ٧٤هـ، وقيل: سنة ٦٤هـ، «تهذيب التهذيب» (١/٦٩٦).

(٤) في (أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ) للدارقطني، تأليف أبي الفضل محمد بن طاهر ابن علي القدسي (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار، والسيد يوسف (ج ٦/٩٧)، قال: غريب، من حديث الأعمش عنه عن الخدري، تفرد به بقوله في هذا الحديث: «ولعن الله من سب أصحابي» محمد ابن عبد الملك بن أبي الشوارب عن أبي عوانة عن الأعمش، ولم نكتبه إلا عن شيخنا أبي الحسن محمد بن محمد ابن عمرو، من ولد أبي هارون العبدى، وقال في موضع آخر: تفرد به داود بن الزير، قال: عن محمد بن جحادة عن عطية عن الخدري، رقم الحديث (٤٧٩٦).

(٥) أحمد بن حنبل: شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره الحافظ الحجة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، توفي في يوم الجمعة ثاني عشر صفر سنة ٢٤١هـ رحمه الله، تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٣٢-٤٣١).

(٦) البخاري: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، مولده سنة ١٩٤هـ، لقي الأكابر، مات ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ، «تذكرة الحفاظ» (٢ / ٥٥٥-٥٥٦).

(٧) الترمذي: الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوزة الترمذي الضرير صاحب السنن، مات سنة ٢٧٩هـ في ١٣ من شهر رجب، «تذكرة الحفاظ» (٢ / ٦٣٣-٦٣٥).

(٨) البخاري رقم (١٣٢٩)، وأحمد (٢٥٤٧٠)، والنسائي (٥٣/٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥٠٩)، وابن حبان (٣٠٠٢١)، وأخرجه الحافظ عمر بن شبة فيما ذكره الحافظ في الفتح (٢٥٩/٣)، وفي الباب عن ابن عباس عند

أحمد (٢٧٣٤)، والترمذي (١٩٨٢) من حديث المغيرة، بلفظ: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء».

وأخرج السمان^(١) في (الموافقة بين أهل البيت والصحابة) عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: «من سب أحداً من أصحابي فاجلدوه». ^(٢)

وخرج ابن النجار^(٣) عن علي^(٤) رضي الله عنه ﷺ، قال: «من سب نبياً فاقتلوه، ومن سب صحابياً فاجلدوه». ^(٥)

وأخرج الطبراني^(٦) وابن عساكر عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «من سب الأنبياء قتل، ومن سب أصحابي جلد». ^(٧)

(١) أبو سعد السمان إسماعيل بن علي بن الحسين (ت ٤٤٧هـ)، حافظ متقن معتزلي، كان شيخ المعتزلة وعالمهم ومحدثهم في عصره، قيل: بلغت شيوخه (٣٦٠٠) شيخ، وعاش حياته كلها ولم يكن لأحد عليه مئة ولا يد في حضره وسفره، من كتبه «الموافقة بين أهل البيت والصحابة»، وما رواه كل فريق في حق الآخر» مخطوط، ومختصره في الحديث، وسفينة النجاة في الإمامة، وتفسير في (١٠) مجلدات، مات بالري، «الأعلام» (٣١٩/١)، وفي «الرسالة المستطرفة» ص ٥: وهو القائل: «من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام».

(٢) لم أجد مرجعاً لهذا الحديث.

(٣) ابن النجار الحافظ الإمام البارع مؤرخ العصر أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي، ولد سنة ٥٧٨هـ، جمع تاريخ بغداد وذيل به، واستدرك على الخطيب، وهو (٣٠٠) جزء، كانت رحلته (٢٧) سنة، صنف كتاب (القمر المنير في المسند الكبير)، وكتاب (كنز الإمام في السنن والأحكام)، توفي في خامس شعبان سنة ٦٤٣هـ رحمه الله، «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٣٨-١٤٣٩).

(٤) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو الحسن الهاشمي قاضي الأمة، وفارس الإسلام، جاهد في الله حق جهاده، ومناقبه كثيرة، أفردت في مجلدات، استشهد أمير المؤمنين في سابع عشر رمضان سنة ٤٠هـ، وسنه (٦٠) سنة، «تذكرة الحفاظ» (١٠ / ١).

(٥) في «الجامع الصغير» للسيوطي مع «فيض القدير» رقم الحديث (٨٧٣٥)، ورمز له السيوطي بالضعف، قال المناوي: وفيه عيب الله العمري، شيخ الطبراني، قال في الميزان: رماه النسائي بالكذب، قال في اللسان: ومن مناكيره هذا الخبر، وساقه ثم قال: رواه كلهم ثقات إلا العمري، وهو في «مجمع الزوائد» (٦ / ٢٦٠).

(٦) الطبراني الإمام الحافظ العلامة الحجة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني، مسند الدنيا، ولد عام ٢٦٠هـ، وسمع في ٢٧٣هـ وهلم جرأ، ورحل إلى المدائن والشام والخرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة وغير ذلك، وصنف معاجمه الثلاثة، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ١١٩) ترجمة طويلة، وفي «تذكرة الحفاظ»، توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ، «تذكرة الحفاظ» (١٠ / ١).

(٧) في «مجمع الزوائد» (٦ / ٢٦٠): فيه شيخ الطبراني عبيد الله بن محمد العمري رماه النسائي بالكذب، والحديث ضعيف.

وأخرج أحمد بن حنبل والحاكم^(١)، وابن عساكر عن أم سلمة^(٢)، قال ﷺ: «من سب علياً فقد سبني...»^(٣) الحديث.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» أخرجه أبو عمر.^(٤)

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي، فقولوا: لعنة الله على شرکم»^(٥) أخرجه الترمذي.

وعن عروة^(٦) قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «يا بن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد رسول الله ﷺ، فسبّوهم» أخرجه مسلم^(٧) في صحيحه، ومنه حديث:

(١) الحاكم الحافظ الكبير إمام الحديثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع، ولد سنة ٣٢١هـ، طلب الحديث من الصنفر، رحل إلى العراق وجمال في خراسان وما وراء النهر، وسمع من ألفي شيخ، توفي في صفر سنة ٤٠٥هـ، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٣٩).

(٢) أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن حذيفة، ويقال: سهل بن المغيرة المخزومية، زوج النبي ﷺ، تزوجها سنة ٢ من الهجرة بعد بدر، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، توفيت في سنة ٥٩هـ، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٦٩٠).

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٠): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله المدني وهو ثقة، وهو في «المسند» برقم (٢٦٧٤٨)، قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، ثم سرد طرقه وشواهده.

(٤) أبو عمر بن عبد البر شيخ الإسلام حافظ المغرب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ في ربيع الآخر، وطلب الحديث ورحل إلى مصر والحجاز ثم عاد إلى الأندلس، وولي قضاء أسبونة مدة، وتوفي ليلة الجمعة بسلخ ربيع الآخر سنة ٤٦٣هـ، واستكمل (٩٥) سنة، «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٢٨).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٨٦٦) في المناقب من طريق النضر بن حماد عن سيف بن عمر عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، والنضر بن حماد وكذا شيخه، قال الترمذي: هذا حديث منكر لا نعرفه من حديث عبيد الله ابن عمر إلا من هذا الوجه، والنضر مجهول، وسيف مجهول.

(٦) مرت ترجمته.

(٧) مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والتصانيف، ولد سنة ٢٠٤هـ، مات في رجب سنة ٢٦١هـ، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٨٨)، وهذا الحديث لم أجده في صحيح مسلم كما عزاه المصنف، وقد سبق الإشارة إلى أن الحافظ ابن كثير ذكره في تفسيره، وقد نبهني الأخ الكريم الأستاذ/

محمد الصادق حفظه الله، بقوله: وقد أخرجه عن ابن أبي حاتم عن غير عروة عند تفسير قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...» [الحشر: ١٠].

«سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(١)، ومنه حديث: «لا تقوم الساعة حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها، فإذا كان كذلك فليرتقبوا ريحاً حمراء وخسفاً ومسحاً» الحديث أصله في سنن أبي داود.^(٢)

وفي مسند علي بن موسى الرضا^(٣)، قال: حدثني أبي موسى ابن

(١) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، وأحمد (٣٦٤٧)، من حديث ابن مسعود، والنسائي (١٢٢/٧)، وابن حبان (٥٩٣٩)، والبغوي في شرح السنة (٣٥٤٨)، قال الحافظ في الفتح (٩٤/١): قال إبراهيم الحربي: السباب أشد من السب، وهو أن يقول الرجل ما فيه وما ليس فيه، يريد بذلك غيبته، والفسق في اللغة: الخروج، وفي عرف الشرع: أشد من العصيان، قال الله تعالى: «وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» [الحجرات: ٧]، وفي الحديث: تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق، ولما كان القتال أشد من الفسق وهو الكفر ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمداً على ما تقرر من القواعد، أن مثل ذلك في باب المعاصي من أمر الجاهلية، أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر، وقيل: المراد هنا: الكفر اللغوي، وهو التغضية؛ لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره، ويكف عنه إذا، فلما قاتله كان كأنه قد غطى على هذا الحق، وقيل: أراد بقوله كفر أي: قد يؤول هذا بشؤمه إلى الكفر.

(٢) أبو داود الإمام الثبت سليمان بن الأشعث (٢٠٢هـ-٢٧٥هـ)، «تذكرة الحفاظ» (٥٩١/٢)، والحديث لم أعثر على أصله في سنن أبي داود وهو في ابن ماجه (٢٦٣)، قال الشيخ محمد فؤاد: في إسناده حسين بن أبي السري كذاب، وعبد الله بن السري ضعيف، وفي الأطراف أن عبد الله لم يدرك محمد بن المنكدر، وانظر: «فيض القدير» (٨٤٥)، كلفظ ابن ماجه ورمز له السيوطي بالضعف، وانظر ص (٨٣)، من هذا الكتاب والعلم عند الله.

(٣) علي بن موسى الرضا الملقب (أبي موسى) بالكاظم بن جعفر الصادق ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم، ولد في المدينة، وكان أسود اللون أمه حبشية، أحبه المأمون العباسي وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، مات في حياة المأمون بطوس سنة (٢٠٣هـ)، «الأعلام» (٢٦/٥).

قلت: وبما يناسب ذكره هنا إيراد قصة تدل على نبل هذا الإمام وورعه وتقواه ذكرها القاضي أبو الفرج المعافى ابن زكريا الجريري رحمه الله في كتابه: (الجليس الصالح الكافي والأئيس الناصح الشافي) مطبوع (٢١٨/٢) بسنده إلى رجا بن مسلمة، قال: حدثني زيد بن موسى بن جعفر المعروف بالنار، قال: لما أدخلت على المأمون وبخني، ثم قال: اذهبوا به إلى أخيه أبي الحسن علي بن موسى الملقب «الرضا»، فجيء بي إلى الرضا فتركت بين يديه ساعة واقفاً، ثم رفع رأسه إلي وقال: يا زيد سوءة لك، ما أنت قائل لرسول الله ﷺ؛ إذ سفكت الدماء، وأخفت السبيل، وأخذت المال من غير حلة؟ لعلك غرّك حديث حمق أهل الكوفة أن النبي ﷺ، قال: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار»، ويليك إنما هذا لمن خرج من بطنها الحسن والحسين فقط، لا لي ولا لك، والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعية الله تعالى ما نالوه بطاعة الله عز وجل، إنك إذن الأكرم على الله عز وجل منهم؟!، ثم علق أبو الفرج المعافى على هذه القصة، بقوله: «زيد هذا امرؤ يعرف=

جعفر^(١)، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد^(٢)، قال: حدثني محمد بن علي^(٣)، قال: حدثني أبي علي بن الحسين^(٤)، قال: حدثني الحسين بن علي^(٥)، قال: حدثني

= يزيد النار، وله أخبار، وقد كان له حجج في دعوته، فهذا الذي حكى لنا عن الرضا، هو اللائق بفضله وديانته ونبله ونبأته وشرفه ونزاهته، وقد اتبع فيه سبيل سلفه، وقد أوضح هذا المعنى كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُمْنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٦]، فانظر إلى ما قاله في خير الناس عنده، وأسعاهم في مرضاته، وأعملهم بطاعته، وأتقاهم له، وأورعهم عن محارمه، وأعرفهم به، وأحفظهم لحدوده، وأعلمهم بشرائعه، وأفقههم في دينه، وأنصحهم لخلقه، وأكرمهم عليه، إعلامًا منه لعباده، أنه لا محاباة لديه، فذكر أمكن الرسل عنده قصدًا إلى تحذير خلقه، وتخويف عباده، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فخصه بخطابه، وهو يريد غيره تشريقًا له، وتعظيمًا لقدره... انتهى.

(١) موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر أبو الحسن سابغ الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من سادات بني هاشم، ولد بالأبواء قرب المدينة، وسكنها، فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد، ثم ردَّ إلى المدينة، وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون الكاظم، فلما حج الرشيد سنة (١٧٩هـ) احتمله معه إلى البصرة وحبه عند واليها سنة واحدة، ثم نقل إلى بغداد فتوفي بها سجينًا سنة ١٨٣هـ، «الأعلام» (٣٢١/٧).

(٢) جعفر الصادق بن محمد بن علي بن زين العابدين القرشي أبو عبد الله سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، وكان جريئًا على الخلفاء العباسيين في عصره صداغًا بالحق، ولد سنة (٨٠هـ)، وتوفي بالمدينة سنة (١٤٨هـ)، «الأعلام» (١٢٦/٢).

(٣) محمد بن علي الباقر بن زين العابدين بن الحسين الهاشمي خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان زاهدًا عابدًا، له في العلم وتفسير القرآن آراء، ولد بالمدينة سنة ٧٥هـ، وتوفي بالحميمة، ودفن بالمدينة سنة ١١٤هـ، «الأعلام» (٢٧٠/٦).

(٤) علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، ولد بالمدينة سنة ٣٨هـ، وتوفي بها سنة ٩٤هـ، أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سرًا، فكانوا نحو (١٠٠) بيت، «الأعلام» (٢٧٧/٤).

(٥) الحسين بن علي السبط ابن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي عليه السلام، أبو عبد الله الشهيد أحد شبابي أهل الجنة، ولد في السنة الرابعة في المدينة، واستشهد في كربلاء يوم الجمعة عاشر محرم سنة ٦١هـ، «الأعلام» (٢٤٣/٢)، والحديث هذا الذي في مسند علي بن موسى الرضا لم أعثر عليه في المصادر التي تيسر لي البحث فيها.

أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سب نبياً قُتل، ومن سب صاحب نبي جُلد». (١)

وفي قسم الأفعال من جامع السيوطي (٢)، في مسند علي ما لفظه عن علي، قال: «ما أرى رجلاً يسب أبا بكر (٣) وعمر (٤) تيسر له توبة أبداً» (٥)، أخرجه ابن عساکر، انتهى.

ومنه حديث الصحيحين عنه ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفس محمد بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» (٦)، ومعناه: ما يبلغ ما ينفقه المنفق إلى ثواب أصحابي مدّاً، ولا نصف مدّ، والأخبار كثيرة عن النبي ﷺ في النهي عن سب الصحابة.

* * *

(١) لم أشر على مرجع لهذا الحديث، ثم عثرت عليه في «الجامع الصغير» برقم (٨٧٣٥)، وعزاه السيوطي للطبراني في الأوسط والصغير، ورمز له بالضعف من حديث علي عليه السلام، قال المناوي: وفيه عيب الله العمري شيخ الطبراني، قال في الميزان: رماه النسائي بالكذب، قال في اللسان: ومن مناكيره هذا الحديث، وساقه، ثم قال: ورواته كلهم ثقات إلا العمري.

(٢) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو (٦٠٠) مصنف، ولد سنة ٨٤٩هـ، ومات والده وعمره (٥) سنوات، وتوفي سنة ٩١١هـ، («الأعلام» ٣٠١/٢).

(٣) أبو بكر الصديق عليه السلام، أفضل الأمة بعد رسول الله، وخليفة رسول الله ﷺ، ومؤنسه في الغار، عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي، توفي الصديق لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وله (٦٣) سنة، «تذكرة الحفاظ» (٢/١).

(٤) عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أبو حفص العدوي الفاروق، من أيد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار، مناقبه كثيرة، استشهد عليه السلام في أواخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ، تذكرة الحفاظ (٥/١).

(٥) الحديث في كنز العمال برقم (٣٦٠٩٧)، وهو كما عزاه المصنف لابن عساکر.

(٦) الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤١)، وأحمد (١١٠٧٩)، والترمذي (٣٨٦٠)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والبخاري في «شرح السنة» (٦٩/١٤)، والمتنخب من مسند عبد ابن حميد (٩١٨)، قال البخاري: «معنى الحديث: أن جهد المقلّ منهم واليسير من النفقة، مع ما كانوا فيه من شدة العيش والضرر أفضل عند الله من الكثير الذي ينفقه من بعدهم».

(إنصاف العلامة إبراهيم بن محمد الوزير صاحب البسامة) (١)

وللسيد إبراهيم بن محمد الوزير رحمه الله، أول بسامته قوله شعراً:

وَقَدْ تَجَرَّمْ عَنْهُمْ فِي الَّذِي فَعَلُوا

فَمَا تَعَدَّى إِلَى سَبِّ وَلَا هَذَرٍ (٢)

وحين رضى رَضَيْنَا مَا ارْتَضَاهُ لَنَا

تَجَرَّمَّا (٣) وَرَضَّا مِنَّا عَلَى الْأَثَرِ

فَرَضُّ عَنْهُمْ كَمَا رَضَى أَبُو حَسَنِ

أَوْقَفَ عَنِ السَّبِّ أَمَّا كُنْتَ ذَا حَذَرٍ

قَامُوا مَعَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ وَاجْتَهَدُوا

وَأَثَرُوهُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَسْرَرِ (٤)

وَهَاجَرُوا الْهَجْرَةَ الْغَرَاءَ وَاحْتَمَلُوا

ثَقَلَ الْمَتَاعِبِ وَالْبِأْسَاءِ فِي الْهَجْرِ (٥)

وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا

وَمُؤْتَةً وَتَبُوكَا ثُمَّ ذَا أَمْرٍ (٦)

(١) هو العلامة إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير، ولد سنة ٨٣٤هـ، ولقي الشيوخ وصار من كبار مجتهدى علماء الزيدية في عصره في اليمن، وكان له اشتغال بالتاريخ، ونظم قصيدة سماها (البسامة) وسماها أيضاً (جواهر الأخبار في سيرة الأئمة الأخيار) عارض بها قصيدة: (البسامة بأطواق الحمامة) لابن عبدون، وصنف كتاب (الفصول اللؤلؤية) في الأصول، وغير ذلك، توفي سنة ٩١٤هـ، «الأعلام» (١/٦٥)، و«هجر العلم» (١/١٧٨)، و«البدر الطالع» (١/٣١).

(٢) هذر -بفتحتين- في منطقة هذراً من بابي ضرب وقتل: خلط وتكلم بما لا ينبغي، والهذر: اسم منه، ورجل مهزار، «المصباح المنير» (٢/٤٣٦).

(٣) تجرَّم عليه: ادعى عليه الجرم وإن لم يُجرَّم، وستردد وتكرر هذه الكلمة في مواضع كثيرة من هذه الرسالة، «ترتيب القاموس» (١/٤٨١).

(٤) الأسر: أسرة الرجل: وزان غرفة رهطه، «المصباح» (١/١٤).

(٥) الهجر: على وزن: كِسرة جمع كَسَر: وهي هجرة الصحابة من مكة إلى المدينة ومن مكة أيضاً إلى الحبشة، وسموا بالمهاجرين.

(٦) سيأتي تفسيرها قريباً في التعقيب على كلام الزحيف.

قال الزحيف^(١): ذا أمر: هي غزوة غطفان، ولم يكن فيها قتال، ويقال فيها: (ذات أمر)^(٢)، (وذا أمر) بالتأنيث والتذكير، بالنظر إلى البقعة والجهة والمكان، قال الزحيف في شرح البسامة: «وقد تجرم منهم الذي فعلوا»: تجرّمه(*) ظاهر في بعض خطبه وكلماته.

مناقشة ما نسب إلى علي رضي الله عنه في نهج البلاغة

ومن ذلك خطبته (الشقشقية)^(٣) التي أولها: «والله لقد تقمصها^(٤) ابن أبي قحافة وهو يعلم^(٥) أن محلي منها محل القطب من الرحا^(٦)»، مع أنه قد اختلف في ذلك منه كما ستأتي الإشارة عنه إن شاء الله تعالى، ومن ذلك قوله في النهج: «فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس، وسخت عنها نفوس، ونعم الحكم الله والمعود إليه القيامة»^(٧)، وقوله: «اللهم اخز قريشاً؛ فإنها منعني حقي وغصبتني

(١) الزحيف: هو محمد بن علي بن يونس بن علي بن الزحيف، المعروف بابن (فند) شرح قصيدة (البسامة) لمؤلفها السابق، وسماه (مأثر الأبرار) وفرغ من الشرح سنة ٩١٦ هـ، فالله أعلم كم عاش بعد ذلك، «البدري الطالع» (٢٣٢/٢)، و«الأعلام» (٢٨٩/٦).

(٢) في (تاج العروس شرح القاموس ٨٤/١٠)، وفي الحديث ذكر «ذو أمر» -محركة- وهو موضع بنجد من ديار غطفان قال مدرك بن لاي:

تربعتُ مُواسٍ لاً وذا أمَرُ

فملتقى البطين من حيث انفجر

وكان رسول الله ﷺ خرج إليه لجمع محارب، فهرب القوم منه إلى رؤوس الجبال، وزعيمهم دعثور بن الحارث المحاربي، فعسكر المسلمون به.

(٣) قال محقق «نهج البلاغة»: سميت بالشقشقية لقوله فيها: إنها شقشقة هدرت ثم قرأت.

(٤) في «نهج البلاغة» المطبوع: «لقد تقمصها فلان» بدون ذكر الكنية.

(٥) في المطبوع: «ولأنه ليعلم».

(٦) «نهج البلاغة» ص (٣٩).

(٧) في النهج (٤٣٧/١)، جملة: «وأكفؤوا إنائي» بدلاً من: «وصغروا عن منزلتي»، وانظر: «النهج» أيضاً (٣٢٠/١).

(١) و(٦١/٢).

(*) أي علي رضي الله عنه فيما نسب إليه، هذه الجملة التفسيرية من ملاحظات الأستاذ محمد الصادق جزاء الله خيراً؛ لتوضيح المعنى.

إرثي»^(١)، وقوله: «وما زلت مظلوماً صغيراً وكبيراً»^(٢)، قال الإمام يحيى^(٣):
 وقوله: «اللهم إني أستعديك على قریش فإنهم قطعوا رحمي وصغروا عن

(١) انظر: «النهج» ص (٢٨٧، ٢٨٨)، وقد أعيدت هذه العبارة ص (٥٠٦) في فصل (كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري) في معرض حديثه عن مسألة (فدك) والوضع ظاهر عليها.

(٢) في «النهج» المطبوع: «اللهم إني أستعينك على قریش ومن أعانهم؛ فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»، ص ٣٠٧، ٣٥٦، وقوله: «وما زلت مظلوماً صغيراً وكبيراً» لم أجد هذه العبارة في نسخة النهج المطبوع.

(٣) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، ولد عام (٦٦٩) هـ، يروى أن كراريس تصانيفه زادت على أيام عمره، وكانت ولادته في صنعاء ودعا لنفسه بالإمامة، وتلقب بالمؤيد بالله، وتوفي في حصن (هران) شمال شرق مدينة ذمار، له مؤلفات كثيرة، وله رسالة في الدفاع عن الصحابة، سماها: (الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين) مطبوعة، أثنى عليه الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ٢٣٢)، فقال: «وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان، وسلامة صدر، وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل، ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة ﷺ، وعن أكابر علماء الطوائف»، توفي في سنة ٧٠٥ هـ، وانظر: «الأعلام» (٨/ ١٤٢)، وكتابه هذا الذي نقل منه المصنف هنا هو كتاب: (الديباج الوضي في شرح كلام الرضي)، وفي هذه التسمية لهذا الكتاب (نهج البلاغة) من هذا الإمام ما يشير إلى أن (نهج البلاغة) غير منسوب إلى الإمام علي عليه السلام نسبة صحيحة، وإلى أن الشريف الرضي واضعه، وأن نسبته إلى الإمام مشكوك فيها لما في كثير منه في الخطب والرسائل فيها من التحامل على الصحابة مما يعف لسان الإمام علي عليه السلام أن يقولها، وقد قال الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٢٤) في ترجمة الشريف الرضي: وهو المتهم بوضع كتاب (نهج البلاغة)، وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي عليه السلام، ففيه السب الصراح، والخط على السيدين أبي بكر وعمر عليه السلام، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة، والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وببفس غيرهم من بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل.

ولقد أصاب الإمام يحيى بن حمزة رحمه الله تعالى في هذه التسمية للشرح لـ (نهج البلاغة)، وهي تعني نسبة الكتاب إلى واضعه فقط، لا إلى أمير المؤمنين.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول عن «نهج البلاغة» في كتابه «مناهج السنة» (٤/ ٢٤): «وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي عليه السلام، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم، ولا لها إسناد معروف، فهذا الذي نقلها، من أين نقلها؟ ولكن هذه الخطب بمنزلة من يدعي أنه علوي أو عباسي، ولا نعلم أحداً من سلفه ادعى ذلك قط، ولا ادعى ذلك له فيعلم كذبه، فإن النسب يكون معروفاً من أصله حتى يتصل بفرعه، وكذلك المنقولات لا بد أن تكون ثابتة لمن نقل عنه، حتى تتصل بنا، فإذا صنف واحد كتاباً ذكر فيه خطباً كثيرة للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ولم يرو أحد منهم تلك الخطب قبله بإسناد معروف، علمنا قطعاً أن=

منزلتي»^(١)، أي أطلبك ناصراً، من قولهم: استعدى فلان على غيره: إذا طلب النصر، انتهى. نعم فهذا المراد به أن يثبت قبل الهجرة مما ظلمه من قريش لوجهين اثنين:

١ - أحدهما: لقوله: «فإنها منعني حقي وغصبتني إرثي»، ومعلوم أن علياً رضي الله عنه لم يكن وارثاً للنبي ﷺ حال موته؛ لأنه ابن عمه، والميراث إنما كان لبناته وأزواجه، ولعمه العباس.^(٢)

٢ - الوجه الثاني: قوله: «مازلت مظلوماً صغيراً وكبيراً» فدل على أن ظلمه كان حال صغره قبل الهجرة في مكة، وحال الكبر لما وقعت الفتنة آخر المدة في العراق، ومن الخوارج عليه.

وأما قوله: «اللهم إني أستعديك على قريش، فهو في سياق طلحة»^(٣)

=ذلك كذب، وفي هذه الخطب أمور كثيرة قد علمنا يقيناً من علي ما يناقضها، ونحن في هذا المقام ليس علينا أن نبين أن هذا كذب، بل يكفي المطالبة بصحة النقل؛ فإن الله لم يوجب على الخلق أن يصدقوا بما لم يقم له دليل على صدقه، بل هذا ممتنع بالاتفاق لاسيما على القول بامتناع تكليف ما لا يطاق، فإن هذا من أعظم تكليف ما لا يطاق فكيف يمكن للإنسان أن يثبت ادعاء علي الخلافة، بمثل حكاية ذكرت عنه في أثناء المائة الرابعة، لما كثر الكاذبون عليه، وصار لهم دولة تقبل منهم ما يقولون سواء صدقاً أو كذباً، وليس عندهم من يطالبهم بصحة النقل، وهذا الجواب عمدتنا في نفس الأمر، وفيما بيننا وبين الله تعالى انتهى.

(١) في «النهج» ص(٤١٣): «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم؛ فإنهم قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري».

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي أبو الفضل عم رسول الله ﷺ، كان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين، مات رضي الله عنه وهو ابن ثمان وثمانين سنة، «تهذيب التهذيب» (٢/٢٩١).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي أبو محمد أحد العشرة المبشرة، وأحد السابقين، غاب عن بدر، فضرب له رسول الله ﷺ بسهم، وشهد أحدًا وما بعدها، وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كلة لطلحة، قتل طلحة رضي الله عنه يوم الجمل يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ، أصابه سهم، قال أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى طلحة، قال: دخلت على علي مع عمران بن طلحة بعدما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وأمانه وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧)، «تهذيب التهذيب» (٢/٢٤١).

والزبير^(١) وغيرهم، لما خرجوا عليه وحاربوه في قصة الجمل؛ لأن هذا في سياق خطبته لهم كما ذكره الإمام يحيى في شرح «النهج»، ثم تعقب ندمهم وتوبتهم واستغفارهم كما سيأتي، وكذلك أيضاً هو في سياق الفتن^(٢) في النهج ذكر في أوله صفين، وفي آخره الجمل، وذكره في «النهج» في موضعين؛ فيحمل مطلق الرواية الأخرى على تقييد هذه الأولى بالسياق بأنها في يوم الجمل وصفين، لا يقال: إنه في الرواية الأخرى قال فيها ما لفظه: «فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي فظننت بهم»^(٣)، حتى قال: «وصبرت من كظم الغيظ»، فإنه دال على أن ذلك كان منذ السقيفة، كما تقول الإمامية، أو عند بيعة عثمان، كما يقول بعضهم؛ لأنه يقال: قد سبق إطلاق ذكر هذه الرواية على المقيد في سياق الأولى في «النهج»، وأما صبره وكظمه فهو أنه آخر الأمر بعد التحكيم، لما حصل الاختلاف من أصحابه ولم يبق معه إلا أهل بيته ونفسه فصبر على الغيظ، وقول الإمامية بتجوز (التقية)^(٤)

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي أبو عبد الله، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة، شهد بدرًا وما بعدها، وهاجر الهجرتين، وهو أول من سل سيفًا في سبيل الله، أسلم وهو ابن (٨) سنين، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار، وهو يقول: ارجع، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا، وكان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي، قتل الزبير ﷺ يوم الجمل سنة ٣٦هـ، وهو ابن (سبع) أو (ست) وستين سنة، قتله عمرو بن جرموز، وقبره بوادي السباع ناحية البصرة، «تهذيب التهذيب» (١/٦٢٦).

(٢) في المخطوطة (أ): الفتن ثم ضرب عليها، وفي (ب): صفين، وأمام السطر على يمين الصفحة كتب (الفتن).

(٣) «النهج» ص (٤١٣).

(٤) ينطبق على الإمامية الرافضة المثل: «رمتي بدائها وانسلت» ولأن داء وشبهة ما يسمى بـ «التقية» من ابتداعهم واختلاقهم؛ فإنهم يتناولون بهذه البدعة الشيعة - وهذا من سوء أدبهم - على الإمام علي ﷺ، ويريدون أن يلصقوها به، وهو منزعه عنها وبريء، فالله المستعان، ولقد أصاب المصنف رحمه الله في دحض هذه الفرية، وأما اعتقادهم برجعة الإمام علي ﷺ إلى الدنيا، فقد روى أحمد بسند حسن لغيره برقم (١٢٦٦) من حديث عاصم ابن ضمرة، قال: قلت للحسن بن علي ﷺ: إن الشيعة يزعمون أن عليا يرجع؟ قال: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه.

على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه إنما سكت تقية وخوفاً، غير صحيح؛ لأن علياً رضي الله عنه أجل شأنًا وأرفع مكانًا ممن مثله يتقي، فإن ذلك القول حط في مرتبته، وإنما ترك ذلك لأمر آخر هو مصلحة الإسلام، وتسكين الدهماء^(١)، وإن كانت التقية جائزة، إلا أنها في حق علي رضي الله عنه ممتنعة لما ذكرنا، قال الإمام يحيى بن حمزة: «في كلام أمير المؤمنين إيهام أن هناك موجدة في صدره على القوم فيما كان منهم من الاستئثار من غير أن يصدر منه قول أو فعل يثلُم^(٢) الدين، ويكون قطعاً للموالاة، وهذا هو الذي عليه أفاضل أهل البيت وعلمائهم».

* * *

دفاع زيد بن علي وجعفر بن محمد عن الصحابة

ويحكي عن زيد بن علي^(٣)، أنه قال: «البراءة من أبي بكر وعمر كالبراءة من علي إن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر»، ويحكي عن الباقر أيضاً، أنه قال: «من شك فيهما فقد شك في السنة، بغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق، إنه كان بين بني عدي وبين بني تميم وبين بني هاشم شحناء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام تحابوا، حتى كان أبو بكر يشتكي خاصرته فيسخن علي رضي الله عنه يده في النار ثم يضمدها علي خاصرة أبي بكر حباً له، ونزل القرآن: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، قلت: وأخرجه ابن عساكر من طريق جعفر

(١) الدهماء: دهم أصل يدل على غشيان الشيء في ظلام، والدهماء: الداهية، والدَّهْم: العدد الكثير، ودهمتهم الخيل تدهمهم: إذا غشيتهم، «مقاييس اللغة»، لابن فارس ص ٣٦٨.

(٢) الثلثة في الحائط: وقوع الخلل، والجمع: ثلُم مثل غرفة وغرف، وثلُمَت الإناء ثلماً: من باب: ضرب، كسرتة من حافته فاثلم وتثلُم، «المصباح» (٨٣/١).

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين المدني، روى عن أبيه وأخيه أبي جعفر الباقر، وأبان ابن عثمان، وعروة بن الزبير، وعنه ابنه حسن وعيسى وغيرهما، قال السدي عن زيد بن علي: «الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة»، قدم زيد بن علي على يوسف بن عمر الحيرة فأجازه، ثم شخص إلى المدينة فأتاه ناس من أهل الكوفة فرجع فبايعه ناس كثير، وخرج فقتل فيها سنة ١٢٢هـ، وإليه تنسب الزيدية من طوائف الشيعة، «تهذيب التهذيب» (١/٦٦٨).

بن محمد عن علي بن الحسين بن علي أنه قال ذلك. (١)

قال الإمام يحيى بن حمزة: «وعنه أيضاً أنه سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: مسلمان هما رحمهما الله تعالى، فقال له السائل: أتولاهما وأستغفر لهما؟ فقال: نعم، فقال: أتأمرني بذلك؟ قال: نعم - ثلاث مرات - فما أصابك من ذلك ففي عنقي، ووضع يده على عنقه، وأحاديث كثيرة في توليها، وهذا هو المعتمد عند أكابر أهل البيت.

عن سالم بن أبي حفصة (٢)، قال: دخلت على جعفر بن محمد أعوده وهو مريض، فقال: «اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللهم إن كان في نفسي خلاف ذلك فلا نالتي شفاعته محمد يوم القيامة»، فأين هذا من هذين الروافض والجارودية (٣)، فالله حسيبهم على ما قالوه ومكافئهم على ما كذبوه ونقلوه، انتهى كلام الإمام يحيى بن حمزة من شرح النهج له بلفظه.

(١) في كتاب (فضائل الصحابة)، لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس (١/١٤٥): حدثنا عبد الله،

قال: حدثني محمد بن سليمان بن خالد الفحام أبو جعفر نا علي بن هاشم عن كثير يعني النواء، قال: قلت لأبي جعفر: أن فلاناً حديثي عن علي بن حسن أن هذه الآية أنزلت في أبي بكر وعمر: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقَابِلِينَ» (الحجر: ٤٧)، قال: والله إنها لفيهم أنزلت ففي من نزلت إلا فيهم؟، قلت: وأي غلٍ هو؟ قال: غلّ الجاهلية، إن بني تميم وعدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة (وجع في الخاصرة)، فجعل علي يسخن يده فيكمدها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية، وهذه القصة أيضاً في «تاريخ ابن عساکر» مطبوع (٣٢٢/٢٢٣)، في ترجمة أبي بكر الصديق (تاريخ دمشق الكبير)، بتحقيق العلامة أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي نشر دار إحياء التراث العربي، ط ١، سنة ١٤٢١هـ.

(٢) سالم بن أبي حفصة العجلي أبو يونس الكوفي، رأى ابن عباس، قال عمرو بن علي: ضعيف الحديث مفرط في التشيع، وقال في موضع آخر: كان يحيى وعبد الرحمن لا يتحدثان عن سالم، وقال أحمد: كان شيعياً ما أظن به بأساً في الحديث وهو قليل الحديث، وقال الدوري: عن ابن معين: شيعي، وقال إسحاق بن منصور وغير واحد عن ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: هو من عتق الشيعة ويكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن عدي: له أحاديث وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيت، وهو من الغالين من متشبعي أهل الكوفة، وإنما عيب عليه الغلو فيه، وأما أحاديثه فأرجو أنه لا بأس به، وقال العقيلي: ترك لغلوه وبحق ترك، وقال العجلي: ثقة، توفي قريباً من سنة ١٤٠هـ، «تهذيب التهذيب» (١/٦٧٥).

(٣) الجارودية: فرقة نسبة إلى زياد بن المنذر الهمداني الخراساني (ت بعد ١٥٠هـ) أبو الجارود رأس الجارودية من الزيدية من أهل الكوفة، كان من غلاة الشيعة، افرق أصحابه فرقتاً، وفيهم من كفر الصحابة بتركهم بيعه =

وأخرج عبد الرزاق^(١) والضياء المقدسي^(٢) وابن جرير^(٣)، وابن المنذر^(٤)، وابن أبي حاتم^(٥)، وأبو الشيخ^(٦)، وابن مردويه^(٧) عن علي بن الحسين، قال: «والله فينا أهل

= علي بن الحسين بعد وفاة النبي ﷺ؛ له كتب، منها: «التفسير» رواية عن أبي جعفر الباقر، وكان يزعم أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالوصف لا بالتسمية، «الأعلام» (٥٥/٣)، وفي كتاب (الرد على الرافضة)، لأبي حامد المقدسي ص (٦٠)، قال: زياد بن المنذر الأعشى الكوفي مبتدع ضال، قال ابن حبان: كان رافضياً يضع الحديث في مثالب أصحاب النبي ﷺ، ويروي في فضائل أهل البيت أشياء مالهأ أصول، قال يحيى بن معين: زياد بن المنذر كذاب عدو الله ليس يساوي فلساً، وقال الذهبي: قال ابن معين: كذاب، وقال الدارقطني: متروك، وقد سماه الباقر سرحوياً وفسره بأنه شيطان يسكن في البحر، انتهى، وقد ترجم له الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٦٥٤/١).

تنبيه: انظر إلى تعقيب الإمام يحيى بن حمزة رحمه الله على القصة التي دارت بين سالم بن أبي حفصة وجعفر ابن محمد، وهجومه على الروافض والجارودية وتأسفه من مكرهم وافتراءاتهم ودعائه عليهم ووقاحتهم، وهذا من العدل والإنصاف، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

(١) عبد الرزاق الصنعاني: ابن همام بن نافع الإمام الكبير أبو بكر الحميري، صاحب التصانيف كان من أوعية العلم، ولكنه ما هو في حفظ وكيع وابن مهدي، مات في نصف شوال سنة ٢١١هـ، «تذكرة الحفاظ» (٣٦٤/١).

(٢) الضياء المقدسي: الإمام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الدمشقي الحنبلي، صاحب التصانيف النافعة، ولد سنة ٥٦٩هـ، وأجاز له العلماء في دمشق ومصر وبغداد وأصبهان وهمذان ونيسابور وهرات ومرو، ورحل مرتين إلى أصبهان وسمع بها ما لا يوصف كثرة، توفي إلى رضوان الله في جمادى الآخرة سنة ٦٤٣هـ، «تذكرة الحفاظ» (١٤٠٥/٤).

(٣) محمد بن جرير الطبري: الإمام العلم الحافظ أبو جعفر أحد الأعلام، وصاحب التصانيف من أهل أمل طبرستان، أكثر التطواف وسمع من عدد كبير من علماء الحديث، وأخذ القراءات من جماعة وحدث عنه خلق، كان أحد الأئمة ممن يحكم بقوله ويرجع إليه عارفاً بأحوال الصحابة والتابعين، ولد في سنة ٢٢٤هـ، وتوفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة ٣١٠هـ، «التذكرة» (٧١٠/٢).

(٤) ابن المنذر: الحافظ العلامة الفقيه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم وصاحب الكتب التي لم يصنف مثلها، مثل (المبسوط) في الفقه، وكتاب (الأشراف في اختلاف العلماء)، وكتاب (الإجماع) وغير ذلك، وكان مجتهداً، لا يقلد أحداً، مات بمكة سنة ٣١٠هـ، «التذكرة» (٧٨٢/٣).

(٥) ابن أبي حاتم: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي نسبة إلى درب حنظلة بالري، ولد سنة ٢٤٠هـ، ورحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية، وسمع خلقاً من العلماء، وكان بحراً في العلوم، ومعرفة الرجال، صنف في الفقه واختلاف الصحابة، وكان زاهداً، له الرتبة المنيفة في الحفظ، وكان أبوه يتعجب من تعبده، ويقول: من يقوى على عبادة عبد الرحمن؟ لا أعرف له ذنباً، مات في المحرم سنة ٣٢٧هـ، «التذكرة» (٨٢٩/٣).

(٦) أبو الشيخ: حافظ أصبهان، ومسند زمانه الإمام أبو محمد عبد الله بن جعفر الأنصاري صاحب المصنفات السائرة، ويعرف بأبي الشيخ، ولد سنة ٢٧٤هـ، وسمع في سنة ٨٤هـ فما بعدها، وكتب العالي والتازل ولقي الأكابر، قال ابن مردويه: ثقة مأمون صنف التفسير والكتب توفي في سلخ المحرم سنة ٣٦٩هـ، «التذكرة» (٤٤٥/٣).

(٧) ابن مردويه: الحافظ الثبت العلامة أبو بكر أحمد بن موسى مردويه الأصبهاني صاحب التفسير والتاريخ وغير ذلك، كان مليح التصانيف، ولد سنة ٣٢٣هـ، ومات لست بقين من رمضان سنة ٤١٠هـ، «التذكرة» (١٠٥٠/٣).

البيت نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧] (١)، وفي «توضيح الدلائل» في المناقب (٢) ما لفظه: «عن الإمام جعفر الصادق، قال: أجمع آل محمد ﷺ على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وعلى أن يقضوا ما فاتهم من صلاة بالنهار، وعلى أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن القول، قال: رواه الإمام علي بن موسى الرضا»، وقال في هذا الكتاب ما لفظه: «بعضهم إذا ذكر فضائل أبي بكر وأضرابه قالوا: هو خارجي، وبعضهم إذا سمعوا ما يروى في علي ﷺ وأصحابوا حكموا عليه بالرفض، ما بالهم وما حالهم؛ لأنهم يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾» انتهى بحروفه.

(١) روى الحاكم في المستدرک برقم (٥٦١٣)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي من طريق محمد بن يعقوب الحافظ عن إبراهيم بن عبد الله السعدي عن محمد بن عبيد الطنافسي عن أبي مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى طلحة، قال: «دخلت على علي ﷺ مع عمر بن طلحة بعدما فرغ من أصحاب الجمل، قال: فرحب به وأدناه، قال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾، فقال: يابن أخي كيف فلانة؟ كيف فلانة؟ قال: وسأله عن أمهات أولاد أبيه قال: ثم قال: لم نقبض أرضكم هذه السنة إلا مخافة أن يتهبها الناس، يا فلان: انطلق معي إلى بني قريظة، فمره فليعطه غلته هذه السنة، ويدفع إليه أرضه، فقال رجلان جالسان إلى ناحية أحدهما الحارث الأعور: الله أعدل من ذلك أن تقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة!! قال: قوما أبعد أرض الله وأسحقها، فمن هو؟ إذا لم أكن أنا وطلحة، يابن أخي إذا كان لك حاجة فأتنا، وانظر القرطبي (٣٣/٦) في تفسيره، فقد ذكر عن علي بن الحسين، قال: نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابه، وقد ذكر ابن جرير في تفسيره (٢٥/١٤)، وابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٤٧-٤٥٤)، وانظر تفسير الألوسي (٥٨/٥)، وقد جمع الحافظ ابن كثير الأقوال في تفسير هذه الآية وذكر الروايات، ومنها قصة أخرى مع كثير التواء والإمام محمد بن علي، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي، فقلت: وليي وليكم وسلمي سلمكم وعدوي عدوكم وحربي حربكم، إني أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر؟ فقال: «قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين»، تولَّهما يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي هذه، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾، قال: أبو بكر وعمر وعلي ﷺ أجمعين، تفسير ابن كثير (٤/٤٥٧).

(٢) لم أعر على هذا الكتاب (توضيح الدلائل) في المصادر التي تيسرت لي فالله أعلم.

(تنبيه): هذا ما جاء عن الإمام علي ﷺ في طلحة واستشهاده بالآية، أما الزبير بن العوام وموقف علي ﷺ من قتله ابن جرموز، فقد روى أحمد بسند حسن (٦٨٠) عن زر بن حبیش، قال: استأذن ابن جرموز على علي، فقال: من هذا؟ قالوا: ابن جرموز، يستأذن، قال: ائذنوا له، لِيَدْخُلَ(*) قَاتِلُ الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حوارياً، وإن حوارياً الزبير»، وانظر المسند (٦٨١) و(٨١٣).

(*) قوله «ليدخل» اللام لام الامر و (قاتل) فاعل و (النار) منصوب على المفعولية.

وفي (الفصول المهمة في الاثني عشر الأئمة)، للشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي^(١)، ما لفظه: قدم على علي بن الحسين زين العابدين نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم علي بن الحسين: ألا تخبروني من أنتم؟ أنتم من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تَبَوَّؤُوا الدار؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [الحشر: ١٠]، اخرجوا عني فعل الله بكم وصنع، انتهى ما ذكره.

(عبارة في نهج البلاغة ونظر المصنف فيها)

وفي نهج البلاغة ما لفظه: «وسيهلك فيّ صنفان: محبٌّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم؛ فإن يد الله على الجماعة، وإياكم

(١) هو الشيخ علي بن محمد أحمد نور الدين ابن الصباغ فقيه مالكي من أهل مكة مولداً ووفاء، أصله من صفاقس، له كتب، منها هذا الكتاب سماه (الفصول المهمة لمعرفة الأئمة) مطبوع، ولد سنة ٧٨٤هـ، وتوفي في سنة ٨٥٥هـ، «الأعلام» (٨/٥)، و«كشف الظنون» (٢/١٢٧٠)، و«الضوء اللامع» (٥/١٠٣)، وهذه القصة ذكرها القرطبي في تفسيره (٣١/١٨) في تفسير هذه الآيات الثلاث (٨-١٠) من سورة الحشر عن علي بن الحسين عليه السلام، ثم ذكرها من طريق أخرى ونسبها لابن النحاس، وفي ص (٣٣) من تفسير القرطبي من نفس الجزء والسورة نقل عن الشعبي قوله: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة ببخلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد! أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله بسفك دمائهم، وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة.

(تنبيه): في المخطوطات الأربع اسم المالكي كما سبق في الصفحة السابقة والصواب: كما في «الأعلام» علي ابن محمد بن أحمد... إلى آخره كما في الترجمة.

والفرقة؛ فإن الشاذ مع الشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^(١) انتهى. والمحجب المفرط: هم الرافضة أجمع، والمبغض المفرط: الخوارج أجمع، وقد أنصف ابن أبي الحديد^(٢) في شرح «النهج»، والإمام يحيى بن حمزة أيضاً في شرحه، فتأولوا^(٣) ما يتوهم من ظاهر كلامه، وبينوه أحسن بيان، وردّوه إلى ما ثبت عنه رضي الله عنه من حسن الثناء عليهم والإحسان؛ لبلا تناقض أقواله، وأن ما جاء من الألفاظ فهو من باب التجرّم، وأنه كان الأحق والأقدم، ولهذا قال العلامة ابن أبي الحديد شارح النهج ما لفظه: «الإمامية وبعض الزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، فارتكبوا مركباً صعباً، قال: ولعمري إنها موهمة مغلبة على الظن بصحة ما يقوله القوم، ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن، ويدرك ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهة الموهمة ما لا يجوز على الباري، فإننا نعمل بظواهرها»^(٤).

* * *

(الاختلاف في مسألة تقديم أبي بكر وعمر على علي رضي الله عنه)

وخرج الخطيب والرافعي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «سألت الله فيك -يا علي- خمساً، فمئني واحدة وأعطاني أربعاً، سألت أن يجمع عليك أمتي فأبى عليّ، وأعطاني فيك أن أول من تشق عنه الأرض يوم القيامة أنا وأنت معي، ومعك لواء الحمد، وأنت تحمل به بين يدي تسبق به الأولين والآخرين، وأعطاني أنك أول المؤمنين بعدي»^(٥) انتهى ما ذكره.

(١) «النهج المطبوع» ص (٢٣٧)، رقم الخطبة (١٢٧).

(٢) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد أبو حامد عز الدين عالم بالأدب من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ، ولد في المدائن سنة ٥٨٦هـ، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير الرافضي ابن العلقمي له «شرح نهج البلاغة» مطبوع (٦٥٦هـ)، «الأعلام» (٣/ ٢٨٩).

(٣) ولعل الصواب: فتأولوا... إلخ.

(٤) لم أجدها في الشرح المطبوع لنهج البلاغة وسبق البيان: نسبة (نهج البلاغة) إلى علي رضي الله عنه غير صحيحة، ولا حاجة إلى تكلف ابن أبي الحديد، بتنزيل ما ورد في (نهج البلاغة) منزلة آيات القرآن المشابهة، فأين القرآن من (نهج البلاغة).

(٥) أورده صاحب (كنز العمال)، برقم (٣٣٠ ٤٧)، وعزاه إلى الرافعي والخطيب دون أن يبين سنده -كعاداته- فينظر في حال رجال سنده.

إذا عرفت هذا فالناس مختلفون في حكم تقديم المشايخ على عليٍّ عليه السلام، هل خطأ مرفوع، أم لا؟ أو ليس بخطأ أصلاً، وذلك في حكم (فدك)^(١) و(العوالي)^(٢)،

(١) فدك -بفتحين-: مدينة بينها وبين المدينة المنورة مرحلتان، وقيل: ثلاث.

(٢) والعوالي: مواضع وقرى بقرب المدينة المنورة من جهة الشرق، وأقرب العوالي إلى المدينة على أربعة أميال، وقيل: ثلاثة، وقيل: ثمانية، «تهذيب الأسماء واللغات»، للنووي (٧٧/٣) و(٥٤/٢)، قلت: ومسألة (فدك) هذه التي أقامت الرافضة الدنيا من أجلها ولم تقعد، وعضوا عليها بالنواجذ بدافع الحقد الأسود الذي أكل قلوبهم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن طريف ما قيل فيها، والرد على المشتبهين بها: ما حدث في أول خطبة لأبي العباس السفاح العباسي، في قرية يقال لها: العباسة بالأنبار، فلما افتتح الكلام وصار إلى ذكر الشهادة من الخطبة، قام رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف، فقال: أذكرك الله الذي ذكرته إلا أنصفتي من خصمي، وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف .

فقال له: ومن ظلمك؟

قال: أبو بكر الذي منع فاطمة فدك.

فقال له: وهل كان بعده أحد؟

قال: نعم.

قال: من؟

قال: عمر.

قال: وأقام على ظلمكم؟

قال: نعم.

قال: وهل كان بعده أحد؟

قال: نعم.

قال: من؟

قال: عثمان.

قال: وأقام على ظلمكم؟

قال: نعم.

قال: وهل كان بعده أحد؟

قال: نعم.

قال: من؟

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال: وأقام على ظلمكم.

قال: فأُسكِت الرجل، وجعل يلتفت إلى ما وراءه يطلب مخلصاً، فقال له: والله الذي لا إله إلا هو لولا أنه أول مقام قمته، ثم إني لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه عينك، أقعد، وأقبل على الخطبة، «معالم السنن»، للخطابي، مع «مختصر سنن أبي داود» (٤ / ٢١٠-٢١١).

فقلت الإمامية كافة وبعض الزيدية من الجارودية: إنها خطأ توجب الفسق، وقالت الصالحية^(١) والحرزية^(٢) من الزيدية: لا خطأ من الأصل.

وقال بعض الزيدية الجارودية: هو خطأ قطعي لمخالفته القطعي، ولا يقطع بالفسق؛ لأن التفسيق بالقياس غير معمول به؛ إذ لم يفعل الصحابة ذلك تمرّدًا بل بتأويل، وقال سائر الزيدية غير الجارودية: هو خطأ مرفوع لمخالفتهم النص الخفي المحتمل في دلالة ولا تفسيق بالدليل المحتمل، هو الإمام المهدي أحمد بن يحيى في مقدمات البحر^(٣)، فلا تمتنع الترضية عليهم لتقدم القطع بإيمانهم.

قال أبو القاسم البستي^(٤) في كتاب (التحقيق): «ولأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾»^(٥) [الفتح: ١٨]، وكان أبو بكر وعمر وعثمان من المبايعين، ووضع النبي ﷺ شماله على يمينه عن عثمان إذ كان غائبًا^(٦)؛ ولأن النبي ﷺ، قال: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اذهبوا، فاعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(٧).

(١)، (٢) الصالحية: فرقة من الزيدية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حي الهمداني (ت: ١٦٩هـ)، والحرزية: لم أجد نسبة بهذا الاسم، ولعله تصحيف لكلمة (الجريرية) نسبة إلى سليمان بن جرير، ويزعمون أن الإمامة شورى، وأنها قد تصلح في الفضول، وإن كان الفاضل أفضل في كل حال، وأن عليًا كان الإمام بعد رسول الله ﷺ، ولكنهم أثبتوا بيعة أبي بكر وعمر باختيار الأمة حقًا اجتهاديًا، غير أن الأمة أخطأت في البيعة لهما خطأ لا تستحق عليه اسم الكفر ولا اسم الفسوق، وهي بذلك قد تركت الإصلاح.

(٣) الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٧٥-٨٤٠هـ) عالم بالدين والأدب، من أئمة الزيدية باليمن ولد بزمار، ويوقع له بالإمامة في الوقت الذي بويع فيه لإمام آخر، فحصل نزاع بينهما وحرب، انتصر فيها الإمام الآخر عليه، وسجنه ثم أطلق ومكث في (ثلا) عاكفًا على التدريس والتأليف، ثم في «ظفير حجة» كذلك حتى توفاه الله، ومصنفاته كثيرة في الفقه والأصول وغيرها، «الأعلام» (١/ ٢٦٩).

(٤) هو أبو القاسم إسماعيل بن علي بن أحمد البستي الزيدي متكلم فقيه توفي في حدود سنة ٤٢٠هـ، وله من المؤلفات في علم الكلام: (الموجز-الأكفار-التفسير)، معجم المؤلفين، لكحالة (١/ ٣٧٠).

(٥) تمام الآية: «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» [الفتح: ١٨].

(٦) رواه البيهقي وغيره.

(٧) الحديث في صحيح البخاري (كتاب المغازي)، باب: فضل من شهد بدرًا، من حديث علي رضي الله عنه، في قصة حاطب

ابن أبي بلتعة وبعثه رسالة إلى أهل مكة مع امرأة، وإرسال النبي ﷺ إثرها عليًا والزبير رضي الله عنهما. الحديث، =

* * *

= وفيه: فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلاضربُ عنقه، فقال: «أليس من أهل بدر؟»، فقال: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

وللحافظ ابن حجر في الفتح كلام حسن في شرح هذا الحديث لمزيد فائدته، قال: «والمراد منه هذا الاستدلال على فضل أهل بدر، بقوله ﷺ المذكور، وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم، وقع الخبر بالفاظ، منها: «فقد غفر لكم»، ومنها: «فقد وجبت لكم الجنة»، ومنها: «لعل الله اطلع»، لكن قال العلماء: إن الترجي في كلام الله وكلام رسوله للوقوع، وعند أحمد وأبي داود وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة بالجزم، ولفظه: «إن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وعند أحمد بإسناد على شرط مسلم من حديث جابر مرفوعاً: «لن يدخل النار أحد شهد بدرًا».

وقد استشكل قوله ﷺ: «اعملوا ما شئتم»، فإن ظاهره أنه للإباحة، وهي خلاف عقد الشرع، وأجيب بأنه إخبار عن الماضي، أي كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي، ولقال: فسأغفره لكم، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب؛ لأنه ﷺ خاطب به عمر منكرًا عليه ما قال في أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين، فدل على أن المراد ما سيأتي، وأورده في لفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، وقيل إن صيغة الأمر في قوله: «اعملوا» للتشريف والتكريم، والمراد عدم المؤاخذه بما يصدر منهم بعد ذلك، وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السابقة، وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت، أي كل ما عملتموه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور، وقيل: إن المراد ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة... إلخ»، «الفتح» (٢٤٤/٧)، للحافظ ابن حجر.

(من ثناء الإمام علي أبي بكر رضي الله عنه)

ولأنه لم يتواتر عن علي رضي الله عنه وأولاده البراءة منهم، بل قد روي أنه يوم مات أبو بكر رضي الله عنه، قال: أليس النبي صلی الله علیه وسلم قد بشرك بالجنة؟ وأنه قال: ما في الأرض من أحب أن ألقى الله بصحيفته مثل هذا المسجى، وأنه ترحم عليه وعلى عمر بعد الموت، وقال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»، أخرجه البخاري^(١)، هكذا ذكره أبو القاسم البستي، وهو من الزيدية وغيره، وقال السهمودي في جواهر العقدين^(٢): «وهذا الأثر عن علي رضي الله عنه متواتر» وفي الجامع الكبير للسيوطي في مسند علي عن زيد بن علي بن الحسين، قال: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: قلت لأبي بكر: يا أبا بكر من خير الناس بعد رسول الله صلی الله علیه وسلم؟ فقال لي: أبوك، فسألت أبي علياً، فقلت: من خير الناس بعد رسول الله صلی الله علیه وسلم؟ فقال: أبو بكر، قال: أخرجه ابن عساكر، وعن أبي جحيفة^(٣) عن علي رضي الله عنه، قال: لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن، أخرجه عبد بن حميد الهروي^(٤) من طريق الدارقطني، وذكر الإمام المهدي في شأن أبي بكر رضي الله عنه، ووصف خيراً كثيراً بعد وفاته، وترحم عليه وشهد له بالإيمان، انتهى.

قال ابن الخطيب الرازي^(٥) في تفسيره: «إن قيل: إن من أهل بدر من قد أساء،

(١) لم أجده في صحيح البخاري، ولكن هذا الأثر ورد بأسانيد صحيحة في مسند أحمد، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في باب (أحاديث وآثار في فضائل الشيخين).

(٢) هو علي بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عيسى بن محمد الحسني الشافعي المعروف بالسهمودي، فقيه ولد بسهمود في مصر ونشأ بها، وتوفي بالمدينة المنورة، من تصانيفه: كتاب (جواهر العقدين في فضل الشرفين لشرف العلم الجلي والنسب العلي)، وكتب أخرى، ولد في سنة ٨٤٤هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ، «معجم المؤلفين»، لعمر رضا كحالة (٤٦٣/٢).

(٣) أبو جحيفة: وهب بن عبد الله السوائي، يقال له: وهب الخير، مات النبي صلی الله علیه وسلم قبل أن يبلغ الحلم، مات في ولاية بشر بن مروان، وقتل سنة ٧٤هـ، كان على شرطة علي رضي الله عنه، تهذيب التهذيب (٣٣١/٤).

(٤) لم أجده له ترجمة حسب المصادر التي تيسرت لي.

(٥) هو العلامة فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، المتكلم الأصولي، صاحب التفسير الكبير، ولد في شهر رمضان سنة ٥٤٣هـ، ويوصف بابن خطيب الري، مصنفاته جمّة، توفي بهراة يوم الاثنين أول شوال سنة ٦٠٦هـ، وما قاله في تفسيره هو في (١٩١/٢٣)، مقدمة تفسيره.

فكيف يحمل مع هذا الحديث في أهل بدر مثل مسطح^(١) من جملة من أفك عائشة، وأجمعوا أن مسطحاً كان من البدرين، ثم ما معنى قوله: «اعملوا ما شئتم»؟.

قال: جوابه: إنه لا يجوز أن يكون المراد منه: (افعلوا ما شئتم من المعاصي)؛ لأننا نعلم بالضرورة أن التكليف عليهم كما على غيرهم؛ لأنه لو كان كذلك، لما جاز أن يحد مسطح على ما فعل، فوجب حمله على أنه اطلع على أهل بدر، وقد علم توبتهم، فقال: اعملوا ما شئتم من النوافل من قليل أو كثير فقد غفرت لكم؛ لعلمي أنكم تموتون على التوبة^(٢) انتهى.

(أقوال العلماء في أن النص خفي في علي رضي الله عنه)

قال العلماء: وإنما كان النص في علي رضي الله عنه خفياً لحصول الاحتمال في دلالة مثل حديث المنزلة^(٣)، الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره، فإنه قد استخلفه في غزوة تبوك كما استخلف موسى أخاه هارون على قومه كما قصه الله تعالى، وعلي استخلفه في المدينة لحفظها وحفظ بيوته.

(١) هو مسطح بن أثانة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبى المهاجري البدرى المذكور في قصة الإفك، كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر، ترجم له الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/١٨٧)، وقال في آخر الترجمة محذراً من الوقوع فيه: «إياك ما جرى، ألا تنظر إلى هذا البدرى شزراً لهفوة بدت منه؛ فإنها قد غفرت، وهو من أهل الجنة، وإياك يا رافضى أن تلوح بقذف أم المؤمنين بعد نزول النص في براءتها، فتسبب لك النار»، توفي سنة ٣٤ هـ رضي الله عنه.

(٢) قد سبق ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح قريباً من أقوال العلماء في هذا الحديث.

(٣) هو حديث مصعب بن سعد عن أبيه، البخاري (٨/٨٦): باب غزوة تبوك في المغازي - مناقب علي، ومسلم (٤/٢٤٠): أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي»، و«شرح السنة» للبغوي (٣٩٠٧)، قال البغوي: «هذا مثل ضربه عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين استخلفه على أهله حالة غيبته، كما استخلف موسى أخاه حين خرج إلى الطور، فكانت تلك الخلافة في حياته في وقت خاص»، «شرح السنة» (١٤/٤١٣).

قال العلماء: وما يدل على أن المراد هو ذلك: أن هارون مات قبيل موسى، فلم يخلف موسى من بعده، ولفظ المولى في حديث (الغدير) وهو قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، مشترك بين ستة عشر وجهًا، فمنها: المولى: السيد، ومنها: العتيق، ومنها: الناصر، ومنها: ابن العم^(١)، وغير ذلك، فالخبر في متنه وإن كان كثير الطرق متواترًا، فدلالته ظنية خفية غير قطعية، وكذا الآية، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فقد روي أنها نزلت في علي رضي الله عنه، لما تصدق بخاتمه وهو راکع، فالخبر نقله آحادي ظني، والآية ظاهرة العموم لكل من أتى الزكاة؛ لأنه لفظ جمع مضاف، والكل من الصحابة قد زكوا زكاة أموالهم.

قال العلماء: فكانت الدلالة خفية ظنية.

إن قيل: إن الجيلاني^(٢) في «شواهد التنزيل» روى ذلك من طرق كثيرة، فهل كان متواترًا؟

قيل له: نعم، روى عن ابن عباس وعن غيره مقاطيع، لكنه روى من جملة

(١) قال الفيروز آبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٢٨٣/٥): «والمولى: المعتق، والمالك، والعبد، والصاحب، والناصر، والقريب؛ كابن العم ونحوه، والجار، الذي يلي عليك أمرك، والرب، والمنعم، والمنعم عليه، والتابع، والصهر»، فقد بلغت هذه المعاني لكلمة (مولى) ١٢ معنى، قال ابن حجر المكي في «الصواعق المحرقة» ص ٤٣: «والذي عليه جمهور الأصوليين وعلماء البيان، واقتضاء واستعمالات الفصحاء للمشارك، أنه لا يعم جميع معانيه، على أنا لو قلنا بتعميمه على القول الآخر، أو بناء على أنه مشترك معنوي بأن وضع وضعًا واحدًا للقدر المشترك، وهو القرب المعنوي من (المولى) - بفتح فسكون - لصدقه كل ما مر، فلا يأتي لتعميمه هنا؛ لامتناع إرادة كل من المعتق والعتيق فتعين إرادة البعض»، إلى أن قال: «على أن كون المولى بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعًا، أما الثاني فواضح، وأما الأول فلأن أحدًا من أئمة العربية لم يذكر أن (مفعلاً) يأتي بمعنى (أفعل)، وقوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، أي مقركم، أو ناصرتكم مبالغة في نفي النصرة...» ثم قال: «فالفرض من التنصيص على موالاته: اجتناب بغضه»، وفي كلامه زيادة تفصيل فارجع إليه إن أردت.

(٢) الجيلاني: لم أجد له ترجمة ولعله من أعيان القرن الحادي عشر معاصر للمصنف وهو أحمد بن توفيق الكيلاني، ذكره كحالة في «معجم المؤلفين» (١١٣/١)، وفي «فهرس الكتاب» قال: الجيلاني - بالجمع - له حاشية على (أنوار التنزيل) للبيضاوي، توفي في حدود سنة ١٠٥٠ هـ، والله أعلم.

ذلك عن أبي جعفر الباقر بإسناده إلى هشيم بن عبد الملك^(١)، قال: سألت أبا جعفر عن قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، قال: هم المؤمنون، قلت: فإن ناساً يقولون: هو علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لعلّي من الذين آمنوا.^(٢)

(ثناء الحسن بن علي على الشيخين وعثمان رضي الله عنهم)

وروى الإمام المهدي أحمد بن يحيى رحمه الله، وغيره أن الحسن بن علي كتب إلى أهل البصرة كتاب «الدعوة»، وترحم عليهما فيه، وقال: إن الله تعالى قد بعث محمداً صلوات الله عليه، وكان الناس على ضلالة فهدى به الخلق، ثم قبضه، ونحن أحق

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) دعوى المصنف رحمه الله في جوابه على السؤال الذي أورده أن الطرق كثيرة، تصل إلى التواتر، فهذا غير صحيح، والحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره أورد روايات وجدها كلها واهية ضعيفة ناهيك عن أن تصل إلى درجة التواتر، قال الحافظ (٣ / ١٢٩-١٣١) في كلام طويل تلخيصه: «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين وقوله: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقامة الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي له وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين، ومساعدة المحتاجين من الضعفاء والمساكين.

وأما قوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: فقد توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي حال ركوعهم يؤتون الزكاة، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثراً عن علي بن أبي طالب، أن هذه الآية نزلت فيه، وأنه مرّ به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه، ثم تتبع الحافظ الروايات التي وردت في هذا، وهي قليلة لضعفها؛ كرواية لابن أبي حاتم ولابن مردويه ولابن جرير، إلى أن قال: «ليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهاله رجالها، وأن سبب نزول الآية تبعاً للسياق ولما سبقها من الآيات نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ عبادة من يهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين»، وأجل الحافظ كلامه في آخر تفسيره للآية، فقال: «فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة» انتهى، والمصنف رحمه الله قد نقل عبارة في غاية الحسن تنطبق على عموم الآية أنها في عموم المؤمنين، وعلي بن أبي طالب عليه السلام من الذين آمنوا، وهو ما نقله عن أبي جعفر الباقر.

الناس بمكانه، غير أن قومًا تقدمونا فاجتهدوا في طلب الحق فكففنا عنهم تحريًا لإطفاء الفتنة، حتى قام قوم غيروا وبدلوا فحاربناهم^(١).

(سبب نشأة وتسمية الرافضة)

وروي عن زيد بن علي بن الحسين أنه سئل عنهما -الشيخين- فقال: لا أقول فيهما إلا خيرًا، فكان ذلك سبب خذلان القوم له، فلذلك سمّاهم روافض في قصة طويلة، قال الزحيف: ذكرها أبو مخنف^(٢) بإسناده عن زيد بن علي، وروي عن الصادق، أنه قيل له: ما تقول في أبي بكر؟ قال: ما أقول في رجل ولدني مرتين، يعني من قبل الأمهات، وكان الناصر الأطروش^(٣) يترحم عليهما ويشني عليهما في كتبه.

(الإمام علي يتألم من قتل عثمان رضي الله عنه)

ومن كلام أمير المؤمنين برواية الإمام المهدي في السير، وابن قتيبة النيودي^(٤) في كتابه (الإمامة والسياسة)، ما لفظه: كان عند قتل عثمان بعد أن كان علي رضي الله عنه أرسل ابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما؛ للمدافعة عن عثمان، قال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب، فرفع يده ولطم الحسين، وضرب الحسن، وشتّم محمد

(١) هذه القصة منقطعة، فبين الإمام المهدي صاحب الأزهار رحمه الله، وبين الحسين بن علي رضي الله عنهما مفارز، فهل اعتمد الإمام المهدي على إسناد عنده؟ الله أعلم.

(٢) أبو مخنف: هو لوط بن يحيى الكوفي، صاحب تصانيف وتواريخ، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف، وقال الذهبي في الميزان: أخباري تالف لا يوثق به، «سير أعلام النبلاء» (٣٠١/٧).

(٣) هو الحسن بن علي بن الحسن أبو محمد الناصر الأطروش، ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان، عالم في التفسير والفقه، ولد عام ٢٣٠هـ، وتوفي في شعبان سنة ٣٠٤هـ، «معجم المؤلفين»، لكحالة (١/٥٦٧)، و«سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، لعبد الملك العصامي المكي (٤/١٢٥).

(٤) سنأتي ترجمته والحديث عن كلام العلماء في بطلان نسبة الكتاب إليه.

ابن طلحة^(١)، وعبد الله بن الزبير^(٢)، ثم خرج وهو غضبان يرى أن طلحة أعان عليه، فلقبه طلحة، فقال: يقتل أمير المؤمنين صاحب رسول الله ﷺ، ولم تقم بينة ولا حجة، فقال طلحة: لو رفع مروان^(٣) لم يقتل، قال علي: لو رفع قتل إن تثبت عليه حجة^(٤)، انتهى.

(من خطبة في نهج البلاغة)

قال في نهج البلاغة ما لفظه: «والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثمًا»^(٥)، أراد أنه جادل عنه غاية المجادلة، وذكر في موضع آخر لعن قاتله، وقال

(١) محمد بن طلحة بن عبيد الله، الملقب بالسجاد لعبادته وتآلهه، ولد في حياة النبي ﷺ، قتل شابًا يوم الجمل، لم يزل به أبوه حتى سار معهم، «سير أعلام النبلاء» (٣٦/٤).

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو بكر، أمه أسماء بنت أبي بكر هاجرت به أمه إلى المدينة، وهي حامل، فولد بعد الهجرة بعشرين شهرًا، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة من قريش، حضر وقعة اليرموك، وشهد خطبة عمر بالجابية، وبويع له بالخلافة، وغلب على الحجاز والعراق واليمن ومصر وأكثر الشام، وكانت ولايته لمدة (٧) سنين، وقتله الحجاج في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ، «تهذيب التهذيب» (٥٠/٤).

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الملك، ولد بعد الهجرة بستين، كتب لعثمان، ولي إمرة المدينة أيام معاوية، وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية، قال البخاري: لم ير النبي ﷺ، من موقاته أنه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل، وهم جميعًا مع عائشة، المصدر نفسه (٥٠/٤).

(٤) في الكتاب المنسوب لابن قتيبة المطبوع (الإمامة والسياسة) اختلاف في قصة قتل عثمان وسردها، فقد جاء فيه في ص (٥٩): «فدخل الناس فوجدوا عثمان مقتولاً؛ فبلغ عليًا الخبر وطلحة والزبير وسعدًا، ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم، فدخلوا عليه واسترجعوا، وأكبوا عليه يبكون ويعولون حتى غشي على علي ثم أفاق، فقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ فرفع يده فضرب الحسن والحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير، وخرج عليّ وقد سلب عقله لا يدري ما يستقبل من أمره، فقال طلحة: مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين؟ فقال: يا طلحة، يقتل أمير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة، فقال طلحة: لو رفع مروان لم يقتل، فقال علي: لو رفع مروان قتل قبل أن تقوم عليه حكومة...» القصة والوضع عليها ظاهر؛ لأن اللعن والشتم والضرب للحسن والحسين، وهذا التصرف غير اللائق لا يليق بأمر المؤمنين ﷺ أن يفعله، ويزاد على هذا أن كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة، نسبته إليه غير صحيحة، كما سيأتي إن شاء الله.

(٥) أول هذا النص لم أجده في النهج المطبوع.

في نهج البلاغة ما لفظه: «ومن كلام له رضي الله عنه، لما أَرَادَهُ الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه: دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً، له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغاصت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أي إن أجبتكم ركبت بكم ما لا أعلم^(١)، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير...»^(٢) انتهى بلفظه.

قصة أخرى لعلّي يوم قتل عثمان رضي الله عنه

وأخرج مثله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحمد بن حنبل في المناقب بإسناده، حيث قال ما لفظه: حدثنا عبد الله^(٣)، قال: حدثني أبي أحمد بن حنبل^(٤)، قال: أنا إسحاق بن يوسف^(٥) نا عبد الملك بن أبي سليمان^(٦) عن سلمة بن كهيل^(٧) عن

(١) في النهج المطبوع: «ما أعلم».

(٢) النهج ص (١٧٨، ١٧٩).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الرحمن، قال فيه أبوه: قد وعى عبد الله علماً كثيراً، روى عنه النسائي حديثين، وقال: هو ثقة، وروى عنه آخرون، ولد سنة ٢١٣هـ، وتوفي سنة ٢٩٠هـ، تهذيب التهذيب (٣٠٠ / ٢).

(٤) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل شيخ الإسلام، وسيد المسلمين في عصره، الحافظ الحجة أبو عبد الله الذهلي الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ، قال أبو زرعة: كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث، توفي إلى رضوان الله تعالى يوم الجمعة ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، تذكرة الحفاظ (٤٣١ / ٢).

(٥) إسحاق بن يوسف بن مرداس المخزومي الواسطي المعروف بابن الأزرق، قيل لأحمد: إسحاق بن الأزرق ثقة؟ فقال: إي والله ثقة، وقال ابن معين والعجلي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، تهذيب التهذيب (١٣١ / ١).

(٦) عبد الملك بن أبي سليمان، روى عن أنس بن مالك وخلق، قال ابن مهدي: كان شعبة يعجب من حفظه، وهو من الثقات، المصدر نفسه (٦١٥ / ٢).

(٧) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي أبو يحيى الكوفي، روى عن أبي جحيفة، وجندب بن عبد الله، قال أحمد: متقن ثقة، وقال ابن معين: ثقة، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة متقن، مات يوم عاشوراء سنة ١٢١هـ، المصدر نفسه (٧٧-٧٨).

سالم بن أبي الجعد^(١) عن محمد بن الحنفية^(٢)، قال: «كنت عند علي وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فزار إلى داره حتى قال: فدخل الناس داره، وقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: ما تريدوني؟ فإني لكم وزير خير لكم مني أمير. إلخ». ^(٣)

وقد قال من قال: مراده تأكيد الحجة، حيث طلبوه ولم يطلبهم، وقوله: (التمسوا غيري)، معناه: إن وجدتم من يستحقها بالإمارة ويجب علي طاعته بالوزارة، وهذا تأويل غير صحيح؛ لأنه ينقضه آخر الكلام؛ حيث قال: «واعلموا أنني إن أجبتكم. إلخ»، وهذا تصريح منه بتعظيم مقام الصحابة، ورفع محلهم فتجب علينا القدوة به.

* * *

«قصة وردت في «مجمع الزوائد»

وذكر في «مجمع الزوائد» للهيثمي عن عمير بن رودي^(٤)، قال: خطب علي رضي الله عنه الناس، فقال: «يأيها الناس إنه والله قُتل عثمان، لا أدخلها، فلما نزل قيل له: تكلمت بكلمة فرقت بها بين أصحابك، فخطبهم، فقال: يأيها الناس ألا

(١) سالم بن أبي الجعد رافع الأشجعي مولاهم الكوفي، قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي: ثقة، مات سنة ١٠٠هـ، المصدر السابق (١/٦٧٤).

(٢) محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو القاسم أحد الأبطال الأشراف في صدر الإسلام، أمه خولة بنت جعفر الحنفية، وكان يقول: الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما، كان واسع العلم ورعاً أسود اللون، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، ومات بها سنة ٨١هـ، «الأعلام» (٦/٢٧٠).

(٣) القصة في (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل (٥٧٣/٢) برقم (٩٦٩)، قال المحقق وصي الله بن محمد عباس: الحديث صحيح، الفضائل، لأحمد بن حنبل، نشر جامعة أم القرى.

(٤) لم أجد له ترجمة حسب المصادر والمراجع التي تيسرت لي، وفي الأصل المخطوط هكذا: (عن عير بن سروى) والصواب ما أثبتناه من (مجمع الزوائد) للهيثمي.

إن الله عز وجل قتل عثمان وأنا معه... إلخ»^(١)؛ أخرجه الطبراني، وذكر في جواب علي معاوية في «النهج»، قال ما لفظه: «فأينا أعدى له وأهدى إلى مقاتلة من بذل له نصرته، فاستقعد واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه»^(٢) انتهى بلفظه.

(توضيح لقول عن قتل عثمان رضي الله عنه ورد في النهج)

إن قيل: ففي «النهج» موضع آخر في ذكر قتل عثمان رضي الله عنه: «لو أمرت لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً. إلخ»، فهذا فيه منافاة لما ذكر أولاً في آخره؟

قيل له: قال ابن أبي الحديد ما لفظه: إنه قد ثبت في السير والأخبار أن علياً رضي الله عنه، كان ينهى الناس عن قتله، فإذاً يجب حمل النهي على المنع^(٣)، كما يقال: الأمير ينهى عن نهب الأموال، أي يمنع، وحينئذ يستقيم الكلام.^(٤)

قلت: ووجه آخر وهو قوله في الرواية الأولى التي في «النهج»، حيث قال مخاطباً معاوية في كتابه ما لفظه: «فأينا أعدى له من بذل له نصرته فاستقعد، واستكفه، أم من استنصره فتراخى عنه؟» إنه كان بذل النصره، فيحمل هنا أن قد بذل علي النصره لعثمان، ومنع عنها فسكت حينئذ علي رضي الله عنه.

ولم ينه ولم ينصره لما منعه عثمان عن ذلك، وهذا جلي واضح؛ لئلا تتناقض أقواله في «النهج» وغير «النهج»، والذي استنصره عثمان هو معاوية من الشام، فتراخى في تجهيزه بالمادة، وإنما بلغهم قبل وصول المدينة ما جرى معه، وقد كانوا في الطريق.

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٨/٩): قال محمد بن سيرين: كلمة قرشية لها وجهان، قال الطبراني: كأنه يعني أن الله قتله وأنا معه مقتول، ثم قال: رواه الطبراني، وفيه مجالد، والأكثرون على تضعيفه، وعمر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) «النهج» ص (٤٧١).

(٣) في المخطوطة: (عن المنع)، والصواب ما أثبتناه.

(٤) لم أجد هذه العبارة لابن أبي الحديد المطبوع من شرح «النهج».

(دفع شبهة وردت في شرح ابن أبي الحديد)

إن قيل: إن منهم -قال ابن أبي الحديد- من نسب المشايخ إلى الظلم، وإن ذلك يدل على أنه لا يرضى عنهم؟

الجواب: إن هذه العلة أخذت من قول ابن أبي الحديد في شرحه على «النهج»، حيث قال في شرح الخطبة الشقشقية ما لفظه: «وإن قيل: بينوا لنا ما عندكم في هذا الكلام؟ أليس صريحه دلالة على ظلم القوم ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر؟ فما قولكم في ذلك؟ إن حكمتهم عليهم بذلك طعنتم فيهم، وإن لم تحكموا عليهم بذلك طعنتم في المتظلم عليهم؟^(١)»

قيل: «إن الإمامية^(٢) من الشيعة تجري عليهم هذه الألفاظ على ظواهرها، وتذهب إلى أن النبي ﷺ نص على أمير المؤمنين، وأنه غُصِبَ حقه، وأما أصحابنا فلهم أن يقولوا: إنه لما كان أمير المؤمنين هو الأفضل، والأحقُّ عدل عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف ساغ إطلاق هذه الألفاظ، وإن كان من وُسِمَ بالخلافة قبله عدلاً تقياً، وبيعه بيعة صحيحة». ^(٣) إلى آخر ما ذكره.

فلم يقل ابن أبي الحديد بنسبة الظلم إليهم كما وهم الراوي عنه، كيف وهو مترض عنهم، وقائل بخلافتهم، وإنما استشعر ذلك في السؤال، ثم أجاب عليه، والأمر ظاهر في ذلك.

* * *

(ثناء من الإمام يحيى بن حمزة على الشيخين)

وفي «نهج البلاغة» ما لفظه في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

(١) في الشرح المطبوع «للنهج» (١٥٦/١) هكذا: «طعنتم في المتظلم المتكلم عليهم».

(٢) في الشرح نفسه (١٥٦/١) هكذا: «قيل: أما الإمامية».

(٣) شرح النهج (١٥٧/١).

لعثمان بن عفان رضي الله عنه: «إن الناس ورائي وقد استفزونني بينك وبينهم، ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء، ولا خلونا بشيء فنبلغك هو، وقد رأيت كما رأينا، وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبتنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بعمل الخير منك... إلخ».

قال الإمام يحيى بن حمزة في شرح النهج عند هذا الكلام ما لفظه: «وفي كلام أمير المؤمنين هذا دلالة على إتيانهم الحق، وعلمهما به...»، قال: «وأنا أقول: اللهم إني أحبهما وأتولاهما وأبرأ إليك من بغضهما، وأحبك بحبهما وموالاتهما، وإن كنت تعلم مني خلاف ذلك فلا تغفر لي ذنوبي»^(١)، انتهى كلام الإمام يحيى بلفظه من شرح النهج له، فانظر هذه الملاطفة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان، والتعظيم والأدب البالغ، فأين هذا من أساء^(٢) أدب الآخذين فيه؟ الله المستعان.

(أقوال منسوبة للإمام علي والإجابة عليها)

إن قيل: قد روي عن علي رضي الله عنه، أنه قال عند قتل عثمان: «والله لا رضيت ولا كرهت ولا أمرت ولا نهيت؟».

قيل له: هذا لا أصل له، فإن صح عنه فمحمول على ما يوافق الرواية الأولى، إنه دافع عن عثمان، ولعن قاتله، فيقال: قوله: «ولا كرهت» أي ما كرهت عثمان، لا أنه ما كره قتل (عثمان)^(٣) حاشا علي أن يريد هذا لأنه ينافي الموالاتة، وقد جاء

(١) انظر إلى كلام الإمام يحيى بن حمزة رحمه الله، فقد دل على حسن وصفاء سريرته من أي حقد وغل على صحابة رسول الله ﷺ، وحب الصادق لهم، في هذه العبارة المضيئة الرائعة، فيا ليت الذين يتفاخرون بالنسب الهاشمي وبالانتماء إلى مذهب الزيدية الهادوية ويدعون ويتشدقون به، ينظرون إلى كلام هذا الإمام بعين العدل والإنصاف ويتأسون به في هذه المسألة، فله دره من إمام جليل رحمه الله وطيب ثراه، تمنى هذا للذين يسيؤون إلى الصحابة؛ أما المنصفون الفضلاء فلهم أسوة بمثل هذا الإمام الجليل.

(٢) لعلها: (من إساءة).

(٣) في الأصل ضرب من الناسخ على كلمة: (عثمان) و (لا).

في رواية ابن قتيبة^(١) معنى هذا التأويل مصرحاً به في أصل ذلك .

إن قيل: فما يقال في حق صاحب «النهج» في كتابه إلى مصر لما ولي عليهم مالك بن الأشتر، حيث قال: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين عصوا الله حين عصي في أرضه، وذهب بحقه، وضرب الجور سرادقه على البر والفاجر...» إلى آخره؛ فإن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان وألبوا عليه؟ .

قيل له: قال ابن أبي الحديد: المراد بالذين عصوا من ولاته، لا من عثمان نفسه، بل من المتصرفين معه، فذلك هو العصيان الواقع منهم، لا من عثمان إذ المعلوم أن علياً رضي الله عنه، ما خلع موالاته الإيمان لعثمان، فلو كان هو العاصي لما ولاه ولا تبرأ من قتله، ولا لعن قاتله، وقد ثبت في «النهج» أنه لعن قاتله، وأنه أرسل أولاده للدفاع عنه، فموالاته كموالاته أبي بكر (وعمر)^(٢) كما عرف، وقوله: «ولا نهيت»، أي: ولا نهيت عثمان عن الأمور التي طعن فيها عليه غوغاء^(٣) الناس وضعفاء الأحلام؛ لعلم أمير المؤمنين رضي الله عنه أن ذلك غير قادح في الدين، ولا مخرج من الإيمان والموالات؛ لئلا ينافي أقواله، ويعارض في موالاته للصحابه رضي الله عنهم، وهو واضح للمنصف غير المكابر المتعجرف، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

* * *

(قول منسوب لعلي رضي الله عنه في نهج البلاغة في مدح عمر رضي الله عنه)

قال في نهج البلاغة: ومن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لله درّ فلان، فلقد قوم الأود، وداوى العمد»^(٤)، وأقام السنة، وخلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرّها، أدى إلى الله طاعته واتباعه»،

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ)، من أئمة الأدب والمصنفين الكثيرين، انظر: «الأعلام» (١٣٧/٤).

(٢) في (أ) «عثمان»، والصواب ما أثبتناه، كما في (ب)، (ج).

(٣) الجراد أول ما يكون برودة، فإذا تحرك فهو (دبى) قبل أن ينبت جناحه، ثم يكون (غوغاء)، وبه سمّي (الغوغاء) من الناس، «المصباح» ص (٤٥٧).

(٤) مرض الرجل الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يُعمد من جوانبه بالوسائد، ابن فارس - «مقاييس اللغة» ص (٧٠٠).

قال ابن أبي الحديد: وجدت النسخة التي بخط الرضي جامع «نهج البلاغة»، وتحت (فلان): عمر، وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي يزيد العلوي^(١)، فقال لي: هو عمر، فقلت له: أثنى عليه أمير المؤمنين هذا الثناء؟ فقال: نعم، وما روي في (شمس الأخبار)^(٢)، من طريق المناقب عن أبي ذر^(٣) عن النبي ﷺ، أنه قال: «من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي فهو كافر»^(٤)، فهذا الحديث إن صح إسناده فالمراد به بعد دخول علي في الخلافة، وقد تناوله من ناصبه المحاربة كالخوارج، ويحتمل أنه كفر نعمة لا كفر جحود؛ لأن الخارج عن الإمام الحق الباغي لا يبلغ إلى ذلك كما عرف بالإجماع.

* * *

(جمهور الزيدية لم ينقل عنهم الوقوع في الصحابة)

وقال السيد إدريس^(٥) في (كنز الأخبار) ما لفظه: «الزيدية لم يرو عن أحد من أئمتهم وقوع في أي أحد من الصحابة، بل عندهم: إن أمير المؤمنين كان أولى الناس بمقام رسول الله ﷺ، وأنه أفضل الخلق بعده، وأن النص على إمامته

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) «شمس الأخبار» كتاب مطبوع في جزء أو جزأين مؤلفه علي بن حميد القرشي، توفي بعد (٦٠٨هـ) جمع فيه مؤلفه أحاديث في الترغيب والترهيب، ويشتمل على أحاديث غريبة ومنقطعة الأسانيد وواهية، وبعضها كما سمعت شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني ثابتة صحيحة كما قال، ترجم له صاحب «طبقات الزيدية» (٧٣٧/٢).

(٣) أبو ذر الغفاري، قيل: اسمه: جندب بن جنادة، روى عن النبي ﷺ مرفوعاً: «ما أطلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»، مات بالربذة سنة ٣٢هـ، وصلى عليه ابن مسعود ثم مات بعده، «تهذيب التهذيب» (٥١٩/٤).

(٤) هذا الحديث من الأحاديث التي ذكرنا ما فيها من وضع جاءت في كتاب (شمس الأخبار) فأين إسناده؟

(٥) إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة، من أشراف اليممن وأمرائها، من أهل صنعاء، كان فارساً أديباً عالماً بالتاريخ، ولي إمارة (القحمة) سنة ٦٩٩هـ، واختصر تاريخ ابن الأثير، وأضاف إليه أخبار العراق ومصر والشام إلى سنة ٧١٣هـ، وأخبار اليممن إلى سنة ٧١٤هـ، وسماه (كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار)، مخطوط توفي سنة ٧١٤هـ، «الأعلام» (٢٨٠/١).

استدلالي . . » إلى آخر ما ذكره، وقد ذكر الإمام المهدي في (الغايات) كثيراً من أهل البيت المتقدمين، الذين يصرحون بالترضية والثناء عليهم كعلي بن الحسين والباقر والصادق، وزيد بن علي، وعبد الله بن الحسن، والناصر، والحسن بن إسماعيل الجرجاني^(١)، بعد أن ذكر عن علي وأولاده، ثم قال الإمام المهدي ما لفظه: «في الوجه الرابع إن قد تواتر الثناء من علي والصالحين من ذريته معاملتهم معاملة المؤمنين الخُلص في تروك وأفعال . . .» إلى آخر كلامه، وشرح الإمام المهدي كثيراً من الأخبار في الثناء من النبي ﷺ؛ كحديث: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(٢) ونحوه، ثم قال آخرها: فالمخالف لا يخلو إما أن ينكر ما روينا من الثناء عليهم، فذلك وإن أمكنه في الأحاديث لا يمكنه في المتواترات، وإلا لزم كفره، فلا سبيل له إلى إنكاره، وردود الثناء عليهم ودخولهم في العمومات المذكورة، وإما أن يعترف بوروده، ولكن يدّعي أنه مشروط استمرارهم على تلك الأحوال، فحينئذ نقول للمتوقفين: أنتم أعلم أم الله ورسوله؟ فإنه قد وقع الثناء المشروط، والشرط مضمّر غير مظهر في كلام الله ورسوله، فهلا استحسنتم ما استحسنت الله ورسوله وتأسّيتم برسول الله ﷺ على الثناء على الصحابة والدعاء لهم، وإضمار الشرط، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، انتهى كلامه.

* * *

(من مناقب الصحابة أن الله امتدح أهل الشجرة)

وأيضاً إن ثناء الله قد وقع، وهو لا يكون إلا بالعاقبة لعلم الله بها، فلا يشني تعالى على من يعلم سوء خاتمته أصلاً؛ إذ هو إخبار لنا بعلمه السابق، وإلا لزم

(١) هكذا أورد في نسخ هذه الرسالة (الإيضاح لما خفي)، ولكن ترجمته في كتاب مطبوع نشر له حديثاً بعنوان:

(الاعتبار وسلوة الأحرار)، تحقيق الأستاذ عبد السلام الوجيه، وفي ترجمته أنه (الحسين) لا الحسن، وهو الموفق

بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني، توفي سنة ٤٣٠ هـ.

(٢) تقدم تخريجه.

انقلاب علمه جهلاً، وهو محال، وإخبار النبي ﷺ إنما يكون بوحى، وما ينطق عن الهوى، فكان تزكية الصحابة أهل الشجرة ﷺ، تزكية صحيحة، كما يخبر تعالى بسوء خاتمة شخص فإنه يكون كما يخبر به، ولا يمكن أن يكون مؤمناً أصلاً بعد أن أخبر الله تعالى بخاتمته كأبي لهب وغيره، وأيضاً إن قول المخالف بأن الشاء للوقت والحال لا للمآل والعاقبة باطل؛ لأنه يلزم منه أن يكون الله تعالى ورسوله قد جهلاً ذلك، وما أدى إلى ذلك فهو محال؛ لأن الله تعالى عالم بكل شيء قطعاً ضرورة، وإن تعجرف^(١) المتعجرف، وتعسف المتعسف^(٢)، فقال: آية الشجرة^(٣) مقيدة للمؤمنين في علمه السابق الكاملين الإيمان دون من عداهم في علمه؟ .

قيل له: الإيمان إذا أطلق في العرف فالمراد به الإيمان الصحيح الذي به تتم الموالاة، وهذا وصف لمن صدرت منهم البيعة تحت الشجرة؛ لأنه ذكر بقوله تعالى: ﴿إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فكان الرضا تعلقه بذات المبايعين هذا معلوم، فإن قال: «إذ» في اللغة ظرف للحال، فجوابه أن الحالية للمبايعة نفسها، وهذا لا نزاع فيه، ثم بعد ذلك قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، والفاء للتعقيب والترتيب، فإنه تعالى علم بعد المبايعة ما في قلوبهم من الإيمان؛ لأنه قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، ثم إن سلم المخالفة تسليم جدل، فقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وهذه الآية نزلت في غزوة تبوك،

(١) فلان يتعجرف على فلان: إذا كان يركبه بما يكره ولا يهاب شيئاً، وقال الأزهري: العجرفة: جفوة في الكلام،

وخرق في العمل، وتعجرف فلان علينا: أي تكبر، ورجل فيه تعجرف، «مختار الصحاح» ص (٤١٣) .

(٢) العسف: الأخذ على غير الطريق، من باب: (ضرب)، وكذا التعسف، والاعتساف، والعسوف: الظلوم،

والعسيف: الأجير، المصدر نفسه ص (٤٣٢) .

(٣) آية الشجرة هي قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] .

وأخرج معه ﷺ المهاجرين والأنصار، وصحابته الأخيار الذين (فيهم) (١) أبو بكر وعمر وعثمان (٢) ﷺ، وأنفق عثمان فيها النفقة العظيمة وسائر المهاجرين الأولين السابقين كانوا معه فيها، وقد أخبر تعالى بالتوبة عليهم، والتوبة والرحمة هو الرضا، والرضا والتوبة إنما يكون بالعاقبة قطعاً، فظهر الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

مسألة فذك وكلام المصنف فيها)

وأما (فذك) فاختلف الناس فيه، فبعض أهل البيت قال: هو خطأ كالهادي (٣)، وبعضهم قال: إنه صواب، وهو قول الإمام يحيى بن حمزة، والإمام المهدي أحمد ابن يحيى، وأن هذه المسألة اجتهادية، وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (٤) النمل: ١٦،

(١) ما بين المعقوفين كلمة ضرب عليها الناسخ مطموسة فوضعا مكانها كلمة مناسبة للسياق.

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد العزى القرشي أبو عمر أمير المؤمنين ذو النورين ﷺ، أسلم قديماً، وهاجر الهجرة، وتزوج ابنتي رسول الله ﷺ، واحدة بعد أخرى، ولد بعد الفيل بست سنين، وهو أول من هاجر إلى الحبشة، ولم يشهد بدرًا لتخلفه على تمرير زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قال علي ﷺ: كان عثمان أوصلاً للرحم، وقد حمل عثمان في جيش العسرة (١٠٠٠) بعير و(٧٠) فرساً، ببيع له بالخلافة بعد دفن عمر بثلاثة أيام في غرة المحرم الحرام سنة ٢٤هـ، وقتل في وسط أيام التشريق سنة ٣٥هـ، وفصله كثيرة، «تهذيب التهذيب» (٣ / ٧٢-٧٣).

(٣) هو الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي إمام زيدي ولد بالمدينة سنة ٢٢٠هـ، ونشأ وتعلم وصنف كتباً، جاء إلى اليمن سنة ٢٨٣هـ في أيام المعتضد، ونشر دعوته، وتلقب بالهادي إلى الحق، وملك صنعاء سنة ٢٨٨هـ، توفي سنة ٢٩٨هـ، «الأعلام» (٨ / ١٤١).

(٤) قال القرطبي في تفسيره: (٨١ / ١١): «قال النحاس: للعلماء فيه ثلاثة أجوبة:

١ - قيل: هي وراثة نبوة.

٢ - وقيل: هي وراثة حكمة.

٣ - وقيل: هي وراثة مال.

فأما قولهم: وراثة نبوة فمحال؛ لأن النبوة لا تورث، ولو كانت تورث لقال قائل: الناس ينتسبون إلى نوح عليه السلام، وهو نبي مرسل، ووراثة العلم والحكمة مذهب حسن، وفي الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء»، وأهدى إلي الأستاذ الفاضل الكريم محمد الصادق - جزاه الله خيراً - من خلال اطلاعه على هذا الكتاب قبل طبعه ما يلي: ويمكن أن يضاف هنا ما قاله له بعض العلماء من أنه: لو كانت الوراثة للمال لما اختص بذلك سليمان وحده، بل سيشارك في الوراثة جميع إخوته أولاد داود.

فليس المراد إرث المال بل العلم والحكم، ولو كان ذلك باطلاً لنقضه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبنو هاشم أيام خلافتهم، وروي عن زيد بن علي أنه لما سئل عن ذلك قال: لو كنت إياه ما قضيت إلا بما قضى به أبو بكر، وقد أخرج زيد ابن علي في «مجموع الفقه الكبير» الحديث عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه، قال: «العلماء ورثة الأنبياء، لم يخلفوا ديناراً ولا درهماً، إنما تركوا العلم ميراثاً بين العلماء»^(١)، وذكر أبو داود في سننه أن (فدكاً) كان باقياً يستنفق منه في حياته عليه السلام، وأن فاطمة رضي الله عنها طلبته فلم يعطها، أو ما هذا معناه^(٢)، وأما بنو النضير^(٣): فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرجعه إلى العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فتصرفا فيه، كما رواه البخاري ومسلم^(٤) والبيهقي.

* * *

رد المصنف على الحسن بن بدر الدين

وذكر الحسن بن بدر الدين^(٥) صدر كتابه (أنوار اليقين)، مع تحامله على الصحابة، ما لفظه: «اختلف الناس في الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب الزيدية الجارودية والإمامية إلى أن الإمام بعده بلا فصل هو أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/ ١٣٠) شارحاً ما أورده البخاري في كتاب (العلم): «وأن العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر»، قال الحافظ: من حديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء، وحسنه حمزة الكناني وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده لكن له شواهد يتقوى بها.

(٢) «سنن أبي داود» مع «عون المعبود» (٨/ ١٩١)، برقم (٢٩٥٢).

(٣) في (١): «النظير»، والصواب بالضاد، وبنو النضير هم حي من يهود خيبر، والنسبة نظري - محركة - ترتيب القاموس (٤/ ٣٨٧).

(٤) صحيح البخاري الحديث برقم (٣٨٠٩)، ومسلم (٥ / ١٥٠ - ١٥٣)، وفي الحديث إقرار من علي والعباس رضي الله عنه لما نشدهما عمر رضي الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نورث، ما تركناه صدقة» فأقرا بذلك وقالوا: (نعم).

(٥) هو الحسن بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن الناصر العلوي الزيدي، من الأئمة الزيدية (ت ٦٧٠هـ)، له كتاب (أنوار اليقين في فضائل أمير المؤمنين)، ومنظومة في فضل أهل البيت، (هدية العارفين وآثار المصنفين) من كتاب «كشف الظنون» (٥/ ٢٨١).

طالب ﷺ، وأن طريق إمامته النص، ثم (اختلف: هؤلاء)^(١): فقالت الإمامية: إن النبي ﷺ نص عليه نصاً جلياً، يعلم كل واحد ممن سمعه قصد النبي ﷺ فيه ضرورة، ومالت الزيدية الجارودية بأن النص على إمامة علي ﷺ مما يحتاج في معرفة المراد إلى تأمل ونظر، وما هذا حاله فقد يجوز أن يخطئ فيه البعض ويصيب البعض، ويجوز أن يكون بعضهم قد اضطر إلى قصد النبي ﷺ في ذلك، ولم يضطر الباقون، ومن اضطر منهم كتم بعضهم، وسكت بعضهم، ومن لم يضطر منهم في ذلك يجوز أن يكون قد استدل بعضهم على قصد النبي ﷺ، فلهذا لا يقطع على فسق من هذا حاله، ما لم يظهر من بعضهم ما يوجب الفسق، هذا مذهب الزيدية الجارودية، وإن كان يؤخذ من كلام أمير المؤمنين وكلام غيره من الأئمة من التوجع والتألم على المشايخ الثلاثة ما فيه». انتهى، كلام الحسن بن بدر الدين بلفظه، وروايته عن الجارودية خلاف ما يرويه غيره عنهم.

وفي رواية السيد حميدان^(٢) ما يقضي بأن الجارودية يفرقون إلى فرقتين: منهم متوقفة، ومنهم من يطعن ويسب، وأن الزيدية يرون رأي المتوقفين من الجارودية، حيث قال ما لفظه: «الزيدية على الحقيقة هم الجارودية...»، حتى قال: «وأكثر ما نقل وصح عن السلف هو ما قلنا من التوقف على تلفيق واجتهاد، وإن كان الطعن والسب من بعض الجارودية ظاهراً، وأن هذا رأي غير المخلصين منهم» انتهى.

ورواية من صحفه من جارودية الزمان، فحذف من نسخته التي كتبها لفظ (غير)، قال: وهذا رأي المخلصين منهم؛ فقاتله الله ما أجرأه على الكذب والتحريف!! .

(١) في المخطوطة (أ) ما بين المعقوفين هكذا: (اختلفوا أو لا)، ولعل الصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) هو العلامة حميدان بن يحيى بن حمدان بن القاسم، عالم زيدي من أعلام المائة السابعة، من مؤلفاته: (التصريح بالمذهب الصحيح)، و(تعريف التطريف) و(تنبيه أولي الألباب على تنزيه ورثة الكتاب)، وكتب أخرى، لم يعرف تاريخ وفاته، ولكنه توفي في القرن الثامن، في سودة (شطب) في حاشد، «هجر العلم ومعاقله» (١٣٤٣/٣)، و«طبقات الزيدية» (٤١٣/١).

(رأي صاحب الشفاء في الإمامة)

وقال الأمير الحسين^(١)، صنو الحسن بن بدر الدين في كتابه (الشفاء) ما لفظه: «الذي نختاره إن النص الوارد في علي^{عليه السلام} وقع على وجه يحتاج في معرفة المراد به إلى تأمل، ولا نكفر من دافعه، ولا نفسقه وتخطئة^(٢) من تقدمه يحتمل أن تكون صغيرة؛ لأن لمن تقدم عليه من المشائخ أعمالاً حسنة وأفعالاً زكية صالحة، وقد قال علي^{عليه السلام}: «لأن أخطئ في العفو أحب إليّ من أن أخطئ في العقوبة، ونقول كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»^(٣) [البقرة: ١٤١] انتهى كلامه. (٤)

* * *

(كلام حسن للعلامة المقرائي في ذلك)

وللقاضي العارف يحيى بن حميد المقرائي رحمه الله^(٥)، كلام حسن في كتابه (النزهة)، فقال القاضي: «ينبغي ألاّ يُخطأ أبو بكر وعمر وعثمان ومن قدّمهم على علي؛ إذ أقل الأحوال استواء الأنظار والاجتهاد، وأن كلاً طلب الحق، ويكون كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^{عليه السلام}: «لأن أخطئ في العفو أحب إلي من أن

(١) هو الأمير الحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى من نجل الإمام الهادي يحيى بن الحسين، فقيه من علماء الزيدية، من مؤلفاته كتاب (شفاء الأوام المميز بين الحلال والحرام)، مطبوع، طبعته وزارة الأوقاف اليمنية مع حاشيته المسمى (وبل الغمام) للإمام الشوكاني، توفي سنة ٦٦٢هـ، «الأعلام» (٢/ ٢٥٥).

(٢) في (الشفاء) المطبوع (٣/ ٤٩٤): «ولا نفسقه ونقطع على تخطئة من تقدمه».

(٣) في المخطوط (١): (ما كانوا يعملون).

(٤) انظر عبارة صاحب «الشفاء» (٣ / ٤٩٥-٤٩٧)، وتعليق الإمام الشوكاني في الحاشية عليه.

(٥) هو العلامة يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي، عالم مبرز في الفقه والفرائض، محقق في الفقه والتفسير وعلوم العربية مؤرخ، رحل إلى مكة، ولقي ابن حجر المكي وأخذ عنه وعن جماعة من العلماء هنالك، أقام في شبام وكبان وفي حصن كوكبان ثم سكن في حصن (ذي مرم)، مولده في الأبناء في آخر سنة ٩٠٨هـ، وتوفي بصنعاء في شهر رجب سنة ٩٩٠هـ، من مؤلفاته: (نزهة الأنظار في ذكر أئمة الزيدية الأطهار) وغيرها، انظر: «مجر العلم» (١ / ٣٠-٣١)، و«البدر الطالع» (٢/ ٣٤١).

أخطئ في العقوبة» وقد ذكر في الغايات عن القاسم أنه قال: نقول كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١] .

(كلام لجماعة من علماء الزيدية في ذلك)

وذكر الديلمي في كتاب (عقائد آل محمد)^(١) ما لفظه: «اعلم أن مذهب سادات الزيدية من العترة الزكية بل مذهب جميع الطهرة من الذرية وأتباعهم وأشباعهم دون من تسمى باسمهم، وليس منهم التوقف في أمر الشيخين لوجوه ذكروها في كتبهم، خصوصاً ما ذكره المؤيد بالله والإمام المنصور بالله، وما ذكره الشيخ أحمد الكني^(٢)، والقاضي جعفر^(٣) وغيرهم من العلماء»، ثم قال: «قال: من طعن فيهم ممن سبهم وتسمى باسم الزيدية فقد أخطأ الخطأ العظيم، وجاوز في أمره الصراط المستقيم، ولعل ذلك منه لما سمع من خرافات الرافضة من الإمامية^(٤) وغيرهم من

(١) محمد بن الحسن الديلمي (ت: ٧١١هـ) فقيه زيدي أصله من الديلم، انتقل إلى اليمن وسكن صنعاء وتوفي بوادي «مر» في رجوعه إلى بلاده، له كتاب (قواعد آل محمد) ط، وهو من أصول كتب الزيدية، (الصراط المستقيم)، (المشكاة من الموانع المردية) في الزهد، «الأعلام» (٨٦/٦).

(٢) هو أحمد بن أبي الحسن الكني الأردستاني بلد على (١٨) فرسخاً من (أصبهان)، له كتاب (كشف الغلطات) ذكر فيه غلطات الشيوخ في عصره، توفي في حدود سنة ٥٦٠هـ تقريباً، «طبقات الزيدية» (١/١٠٥).

(٣) هو القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى التميمي البهلولي الزيدي، له مؤلفات منها: (اللالي المضئية) وغيرها، (ت: ٥٧٣هـ)، «طبقات الزيدية» (١/٢٧٣).

(٤) الإمامية: هم القائلون باتباع الاثني عشر إماماً؛ ونظراً لاجتماع جميع فرقها على هذا القول سُموا الإمامية، ويدخل في عمومها أكثر مذاهب الشيعة في العالم الإسلامي في إيران والهند وباكستان، فهم قائلون بأن الإمامة ثبتت في علي عليه السلام، وكذلك نص علي عليه السلام على الحسن والحسين، وقد افترقت الإمامية فرقاً كثيرة، بلغت كما ذكره بعض المؤرخين إلى (٢٤) فرقة، والإمامة في نظرهم ركن من أركان الإسلام، ويعتقدون عصمة الإمام، «الرد على الرافضة»، لأبي حامد المقدسي ص (٦٩) .

الإسماعيلية^(١)، ولا يغتر مسلم عاقل بذلك؛ لأنه طعن في أصل الإسلام، وتحصل بسببه قدح في سنة الرسول ﷺ، وإذا انتهى الأمر إلى الحد الذي تذكره الإمامية وغيرهم، وصححنا قولهم لم يبق من أخبار الصحابة ورواياتهم شيء بخروجهم عن الإسلام، ويلزم إبطال الشريعة بالكلية؛ لأنها مروية عن جميعهم، منقولة من سندهم، وكيف وقد لعن النبي ﷺ من سب أصحابه؟! وأما الهادي فإنه جلد من سب أبا بكر وعمر» انتهى ما ذكره؛ فأفاد أن الطعن فيهم ﷺ طعن في الإسلام والشريعة، وهو يؤدي إلى أمر عظيم من رد كثير من الأحكام الشرعية^(٢)، وفيه ما لا يخفى على المنصف، نعم: وقد يغتر من يغتر بما في كتاب (المناقب والمثالب) لأبي حنيفة النعمان بن محمد^(٣)، والمذكور هو من الإسماعيلية العبيدية كان قاضياً بمصر أيام دولة العبيدية فيه، وهو من كبار الرافضة كما حققه أهل التاريخ وأكثره أكاذيب.

* * *

(١) الإسماعيلية: فرقة الباطنية، خارجة عن فرق الإسلام، يقول البغدادي: ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس، ولهذه الفرقة ألقاب كثيرة، مثل: (القرامطة) و(المزديكية)، ويسمون الباطنية لاعتقادهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً، وصدر كتاب حديث مطبوع عنوانه (الإسماعيلية المعاصرة- الأصول- المعتقدات- المظاهر الدينية) تأليف محمد أحمد الجوير، نشر دار طيبة سنة ١٤٢٣هـ ط ٢ / المصدر السابق ص (١٤١).

(٢) في (ج): (الشريعة)، والصواب ما أثبتناه.

(٣) قال الحافظ الذهبي في ترجمته له في «سير أعلام النبلاء» (١٦/١٥): النعمان المارق قاضي الدولة العبيدية أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي، كان مالكيًا فارتد إلى مذهب الباطنية، وصنف له أس الدعوة، ونبذ الدين من وراء ظهره، وألف في المناقب والمثالب، ورد على أئمة الدين، وانسلخ من الإسلام، فسحقاً له وبعداً، وناقى الدولة لا بل وافقهم، وكان ملازمًا للمعز أبي تميم، منشئ القاهرة، وله يد طولى في فنون العلم والفقه والاختلاف، ونفس طويل في البحث، فكان علمه وبالاً عليه، وصنف في الفقه وعلى مالك والشافعي، وانتصر لفقه أهل البيت - كما يزعم- وله كتاب اختلاف العلماء، وكتبه كبار مطولة، وانتقل إلى غير رضوان الله بالقاهرة في رجب سنة ٣٦٣هـ، انتهى.

(النظر في قول منسوب للقاسم العياني)

إن قيل: إن القاسم بن علي العياني^(١)، روي عنه أنه شبه المخالفين لعلي بالسامرية؟ قيل له: ذلك يحتمل لمن شاقق علياً وحاربه كالخوارج، وحكى الديلمي في عقائد آل محمد عن القاضي أحمد بن مسعود الريعاني^(٢)، من قضاة المنصور بالله عبد الله بن حمزة أن الهادي جلد قومًا بصنعاء سبوا أبا بكر وعمر^(٣)، وأن رسول الله ﷺ لعن من سب الصحابة، وبوب لذلك بابًا آخر في تزكيتهم فيما ورد في ذلك عن ذرية الرسول ﷺ، مثل ما روي عن علي رضي الله عنه، وولديه من المتابعة، والمناصرة، والصلاة خلفهم، وإظهار القول الجميل في حقهم، وأنه لم يرو عن أحد من أهل النقل أنهم لعنوا أو فسقوا، بل ولا أساءوا القول فيهم، وبوب لذكر علي وذريته بابًا ووفى لهم بما يستحقون من القضايا، ولم يخل منه شيء، كما قد فعله غيره.

وذكر عن الحسين^(٤)، وعلي بن أبي طالب وزيد بن علي مثل ما ذكرناه آنفاً عنهم في شأن الصحابة، قال: وعبد الله بن الحسين بن الحسين^(٥)، وأولاده على

(١) هو القاسم بن علي العياني، الملقب المهدي لدين الله من أئمة الزيدية باليمن أقام بصنعاء، ولادته في سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٠٤هـ، قاتله بعض معارضيه وقتل في البون شمالي صنعاء، الأعلام (٢/ ٢٧٤).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) في (أ) (وعمر) والصواب ما أثبتناه.

(٤) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، ولد للنصف من رمضان سنة ٣هـ، كان الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ من وجهه إلى سترته، عن عقبة ابن الحارث، قال: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال، وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبي شبيه بالنبي
ليس شبيهًا بعلي

قال: وعلي يضحك، وفضائله ومناقبه كثيرة، قيل: توفي مسمومًا سنة ٥٠هـ، والحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا مناقبه جمة، قتل الحسين رضي الله عنه، وهو ابن ثمان وخمسين في يوم عاشوراء سنة ٦١هـ، تهذيب التهذيب (١ / ٤٠٣، ٤٢٦).

(٥) لم أجد له ترجمة بهذا الاسم، ولم أجد اسمه في النسب من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب، ولعله عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكن لم أجد له ترجمة، والله أعلم.

موالاة الشيخين، وروى الصباح بن عباد^(١) أن عنده بخط الناصر للحق^(٢) الترحم عليهما.

(الناصر يأمر كاتبه بالترضي عن الصحابة)

وقال بعض فقهاء المؤيد: سمعت عمر الصوفي^(٣) يقول: سمعت نيفاً وسبعين شخصاً ممن حضر مجلس الناصر يقول: أملى الناصر عن الشيخين شيئاً، ثم قال: رضي الله عنهما، فكف المستملي أن يكتب الترضية، وكان الناصر ينظر إليه، فقال: لم لا تكتب الترضية؟ فإن مثل هذا لا يؤثر إلا عنهما وعن أمثالهما، وعن الكني عن الناصر بنحو ذلك، وقول أبي عبد الله الحسن بن إسماعيل الجرجاني^(٤) في ما حكم من خالف هذه النصوص الدالة على إمامة أمير المؤمنين، أنه كان مخطئاً غير مفسق.

(من عقيدة الزيدية موالاة الصحابة)

وذكر القاضي حميد بن أحمد المحلي الشهيد^(٥) في كتاب «عقيدة أهل البيت» ما

(١) الصباح بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني، وزير شيعي معتزلي، قال الذهبي: مبتدع تياً صلفاً جباراً، قيل: إنه ذكر له البخاري، فقال: ومن البخاري؟ حشوي لا يعول عليه، غلب عليه الأدب، ولد سنة ٣٦٦هـ، له مؤلفات أدبية كثيرة، توفي سنة ٣٨٥هـ، كان وزيراً للملك مؤيد الدولة البويهية بن ركن الدولة، «سير أعلام النبلاء» (٥١١/١٦)، و«الأعلام» (٣١٦/١).

(٢) الناصر للحق هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر العلوي أبو محمد، ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان، ولد بالمدينة سنة ٢٢٥هـ، وولي الإمامة بعد مقتل سلفه محمد بن زيد سنة ٢٨٧هـ، ولقب مغلقاً، علامة في الفقه والدين، توفي سنة ٣٠٤هـ، «الأعلام» (٢٠٠/٢).

(٣) لم أجد له ترجمة، وقصة الإمام هذه ذكرها الإمام يحيى بن حمزة في «الرسالة الوازنة» ص (١٩).

(٤) هكذا في نسخ المخطوط (الحسن)، والصواب: الحسين بن إسماعيل.

(٥) هو القاضي حميد بن أحمد المحلي الهمداني أبو عبد الله حسام الدين، المعروف بالقاضي الشهيد، مؤرخ فقيه زيدي يمني من أهل صنعاء، كان من كبار أصحاب الإمام المهدي بن أحمد بن الحسين القاسمي، وحضر معه معركة الحصيات بينه وبين المظفر الرسولي يوسف، فقتل القاضي بها، قتله الأشراف بنو حمزة سنة ٦٥٢هـ، «الأعلام» (٢٨٢/٢).

لفظه: «ويعتقدون الموالة للصحابة والترضية عليهم إلا الذين لم يوالهم علي رضي الله عنه، كمعاوية^(١) وأحزابه، فأما الزبير وطلحة وعائشة في حربهم لعلي يوم الجمل فقد تابوا، ونقل عن علي رضي الله عنه الترضية عليهم، وأما المتقدم على علي رضي الله عنه، فتظلم عليهم في تقدمهم عليه، ولم ينقل عنه ناقل أنه سبهم حاشا له، ولا هلكهم، ومن العترة من رأى التوقف في حالهم ووكلمهم إلى خالقهم، مع اعتقاد أن علياً رضي الله عنه هو أهل للخلافة، والأحق بها بعد النبي ﷺ، وهذه عقيدة أهل البيت أئمة العترة النبوية، ومشايخ الزيدية التي قضوا بها ومضوا عليها، وكانوا يعدلون إليها، ويميلون عن غيرها» انتهى كلام حميد الشهيد.

* * *

(قصة حكاها أبو الفرج الأصبهاني^(٢) عن عائشة رضي الله عنها وما نسب إليها أنها قالت عند موت علي رضي الله عنه)

إن قيل: إنه روي أن عائشة رضي الله عنها -عند موت أمير المؤمنين- كما في كتاب (مقاتل الطالبين) لأبي فرج الأصبهاني، بإسناده من طريق عثمان بن أبي شيبة^(٣) عن جرير^(٤) عن الأعمش^(٥) عن عمرو بن مرة^(٦) عن أبي البختري^(٧) عن عائشة رضي الله عنها أنها: سجدت لما جاء خبر قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أسلم يوم الفتح، ولاء عمر بن الخطاب الشام، كان معاوية أميراً عشرين سنة، توفي في رجب سنة ٦٠هـ، «تهذيب التهذيب» (١٠٧/٤).

(٢) أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد الأموي، من أئمة الأدب، ولد بأصبهان سنة ٢٨٤هـ، من تصانيفه كتاب (الأغاني)، قال الذهبي: والعجيب أنه أموي شيعي، ومن كتبه هذا الكتاب (مقاتل الطالبين) وهذا الخبر ورد في ص ٥٤-٥٥ وهو مطبوع.

(٣) عثمان بن أبي شيبة، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/١٥١)، وقد أغفل المصنف هنا اسم راو آخر مجهول ورد في السند هو (عاصم بن عامر) مجهول لم توجد له ترجمة.

(٤) جرير هذا ليس كما ذكر المصنف، فهو وهم منه رحمه الله، وإنما هو جرير بن حازم، ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٢٩٤/١)، روى له جماعة.

(٥) الأعمش: هو سليمان بن مهران، ترجمته في «تهذيب التهذيب» أيضاً (٢/١٠٩)،

(٦) عمرو بن مرة الجهني، مات في خلافة معاوية، وقيل: في خلافة عبد الملك، «تهذيب» (٣/٣٠٤).

(٧) أبو البختري هنا ليس كما قال المصنف ونقل عن الذهبي جرحه، بل هو أبو البختري سعيد بن فيروز من رجال التهذيب، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤/٢٧٩)، وهو ثقة، وترجمته أيضاً في «تهذيب التهذيب» (٢/٣٨).

قيل له: في إسناده أبو البختری المذكور، قال الذهبي^(١) في الميزان: هو شيخ لا يعرف، كذبه أبو نعيم، وفي إسناده أيضاً جرير عن الأعمش، وهو جرير بن أيوب البجلي الكوفي، قالوا: مشهور بالضعف، وقال أبو نعيم: كان يضع الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي^(٢): متروك، وذكره أبو حاتم الرازي^(٣) في الضعفاء.

(١) هو الحافظ الناقد محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ)، شمس الدين صاحب التصانيف الكثيرة في التاريخ وعلم الحديث، من تصانيفه: «سير أعلام النبلاء»، «تذكرة الحفاظ»، و«تاريخ الإسلام»، وغيرها، «الأعلام» (٣٢٦/٥).

(٢) النسائي: الحافظ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، صاحب السنن، استشهد في دمشق من قبل الخوارج سنة ٢٣٣هـ، «تذكرة الحفاظ» (٦٩٨/٢).

(٣) أبو حاتم الرازي: الإمام الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي صاحب الرحلات الطويلة والمصنفات، ولد سنة ١٩٥هـ، وتوفي في شعبان سنة ٢٧٧هـ، المصدر السابق (٥٦٧/٢).

وهذه القصة سندها ضعيف وواه، للوجه الآتية:

١ - أن في سندها: عاصم بن عامر، وهو مجهول لم توجد له ترجمة.

٢ - أن أبا البختری سعيد بن فيروز لم يلق عائشة ولم يرو عنها، كما ذكره الحافظ في ترجمته، وهو انقطاع بين أبي البختری وعائشة عليها السلام.

٣ - أن أبا الفرج الأصبهاني ص ٥٥ من كتابه «مقاتل الطالبين» قد أوقع نفسه في تناقض، فإنه ذكر الشخص الذي جاء بنعي موت أمير المؤمنين إلى عائشة عليها السلام، فقال: «وكان الذي جاءها بنعيه سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس بن أبي وقاص هذا أو نحوه»، وهذه العبارة تقتضي التأمل فيما تتضمنه من اضطراب وتناقض وتغويه، ونبدأ باسم هذا الشخص الوهمي الذي جاء بالنعي، فاسمه عند أبي الفرج هو: «سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس بن أبي وقاص»، وأصحاب التراجم كالذهبي في السير وغيره لم يذكره، والسمعاني في «الأنساب» لم يذكره، أما الحافظ ابن حجر في «الإصابة» برقم (٣٣٠٤) فقد ذكره في موضعين:

أ - فقال في اسمه: «سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس القرشي»، انظر إلى هذا الاختلاف بين الاسمين.

ب - الموضع الثاني، قال الحافظ أيضاً في «الإصابة» رقم الترجمة (٣٣١٧): أن اسمه: «سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص الزهري»، وفي هذه الترجمة ينقل الحافظ ابن حجر عن الحافظ ابن عساكر قوله في هذا الشخص المبهم: «لم أجد له ذكراً في كتب الأنساب ولا التاريخ»، وهي عبارة صريحة جلية لها وزنها وقيمتها من الحافظ الكبير ابن عساكر دلت على جهالة هذا الشخص، أولاً، وتؤثر تأثيراً شديداً على صحة هذه القصة وأنها واهية وضعيفة ثانياً: وناهيك بالحافظ ابن عساكر، ناهيك به في مجال التاريخ والأنساب والعلم الواسع، فقد أراحنا بقوله هذا القاطع، وقد كشف الستار، وأراحنا من الاغترار بهذه القصة المنسوبة إلى أم المؤمنين بموت أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ - وما يزيد الطين بلة - كما يقال - في ضعف هذه القصة، أن أبا الفرج ختم عبارته السابقة ص (٥٥) في وصف هذا الشخص الذي جاء بالنعي، فقال: «وهذا أو نحوه»، و«أو» هنا للشك، مما يدل على أن أبا الفرج نفسه قد اضطرب في اسم هذا الشخص عنده فأتى بحرف الشك «أو».

وسيزيد المصنف رحمه الله تعالى هذه المسألة توضيحاً وجواباً عن هذا الموقف، ويبحث له محملاً على فرض صحة القصة، والله أعلم.

وأما ما رواه أبو الفرج بإسناده أنها^(١) تمثلت بقولها شعراً:

فأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ^(٢)

فهذا إن صح إسناده إشارة منها إلى قرار العرب، وأنهم لا يخشون بعده مثله، كما دل عليه رواية السيد المرشد بالله^(٣) في أماليه، بإسناده عن عائشة أنها قالت: «الآن تفعل العرب ما شئت، وتمثلت بالبيت المذكور، يعني لعدم الخليفة الضابط، وهذا قد يقول به كثير عند موت الخليفة والسلطان، ولا خلل فيه، وقد ذكر مثل هذا لقول عائشة رضي الله عنها صالح النمازي الشافعي في شرح العقيدة له».^(٤)

(١) أي: عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذا البيت سيأتي الحديث عنه وعن القصة وسندها قريباً.

(٣) المرشد بالله: ولد سنة ٤١٢ هـ، وتوفي سنة ٤٧٩ هـ، هو العلامة الإمام الزيدي يحيى بن الحسين بن إسماعيل ابن حرب بن زيد الجرجاني الشجري ابن الموفق بالله الحسين بن إسماعيل، «أعلام المؤلفين الزيدية»، رقم الترجمة (١١٨٣)، جمع عبد السلام الوجيه.

(٤) هو الشيخ صالح بن صديق النمازي - بالنون والزاي - الخزرجي الشافعي، رحل إلى زييد فأخذ من علمائها، ثم عاد إلى وطنه مدينة (صبيبا)، ثم ذهب إلى الإمام شرف الدين، ومات بمدينة جبلة سنة ٩٧٥ هـ، «البدر الطالع» (٢٨٤/١).

(البيت الذي تمثلت به عائشة كما في القصة):

أولاً: الحديث عن البيت المذكور: هذا البيت مشهور، وهو للمعقر بن حمار البازقي الأزدي شاعر مجاني من فرسان قومه في الجاهلية، كان حليف بني نمير بن عامر، وشهد يوم (جبلة) - قبل الإسلام بـ ٥٩ سنة - وهو صاحب هذا البيت، الأعلام (٢٧٠/٧)

وفي اللسان (٢٩٨٠/٤) مادة (عصا)، قال: وألقى المسافر عصاه، إذا بلغ موضعه وأقام؛ لأنه إذا بلغ ذلك ألقى عصاه فخيم أو أقام وترك السفر، وهذا البيت قاله معقر البارقي يصف امرأة كانت لا تستقر على زوج، كلما تزوجت رجلاً فارقت، واستبدلت آخر به، وقال ابن سيده: كلما تزوجها رجل لم تواته فلم تكشف عن رأسها، ولم تلق خمارها، وكان ذلك علامة إياها، وأنها لا تريد الزوج، ثم تزوجها رجل فرضيت به، وألقت خمارها وكشفت عن قناعها:

فأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ .

وقال ابن بوتي: هذا البيت لعبد ربه السلمي، ويقال: لسليم بن ثمامة الحنفي، وكان هذا الشاعر سيّر امرأته من اليمامة إلى الكوفة، وأول الشعر:

تَذَكَّرْتُ مِنْ أُمِّ الْخَوِيرِ بَعْدَمَا مَضَتْ حِجْجٌ عَشْرُ وَذُو الشَّوْقِ ذَاكِرُ

قال: وذكر الأمدى أن البيت لمعقر بن حمار البارقي، وقبله:

وَحَدَّثَهَا الرُّوَادُ أَنْ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَرَى نَجْرَانَ وَالشَّامِ كَافِرُ

كافر: أي مطر، وقال آخر:

فَأَلَقْتُ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمْتُ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ بَيْضِ مُحَاوِرُ

وقيل: ألقى عصاه: أثبت أوتاده في الأرض ثم خيم. انتهى.

وقد ذكر توبة عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير المنصور بالله عبد الله بن حمزة في كتابه (الشافعي) و(العقد الثمين)^(١)، وصححها، وقال القاضي عبد الله بن زيد^(٢) عند ذكر هذه الرواية عن عائشة: «إذا تعارضت رواية المدح والذم، عمل بالمدح، على أن ابن أبي الحديد ذكر أن توبة أهل الجمل متواترة مشهورة»، وفي حكاية حميد الشهيد لعقيدة أهل البيت دلالة على أن ما ذكر عن أحمد بن سليمان في (حقائق المعرفة) مدسوس عليه، ليس من عقيدته، في تفسيقه للصحابة رضي الله عنهم؛ لأجل قرب عصر الشهيد من عصر أحمد بن سليمان، وقد حكى عقيدة جميع أهل البيت، فلو كان أحمد بن سليمان مخالفاً لذكره مع قرب مدته، فانعقد الإجماع بين أئمة الزيدية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، فلله الحمد على الاتفاق.

= ثانياً: سند هذه القصة الثانية: فقد أوردها أبو الفرج في كتابه «مقاتل الطالبين» (ص ٥٤-٥٥): «عن طريق محمد ابن الحسين الأشنائي عن موسى بن عبد الرحمن المسروقي عن عثمان بن عبد الرحمن، عن إسماعيل بن راشد. . .» القصة أن عائشة رضي الله عنها تمثلت بهذا البيت حين جاءها نعي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أما سند هذه القصة ففيه ما يأتي:

١ - عثمان بن عبد الرحمن: فهذا الاسم مشترك بين خمسة أشخاص، وهم:

أ - عثمان بن عبد الرحمن بن عبيد الله التيمي، كما في «تهذيب التهذيب» (٦٨/٣)، قال: له صحبة، ويعيد أن يروي عنه المسروقي، فيبينهما مفاوز.

ب - عثمان بن عبد الرحمن بن سعد بن أبي وقاص الزهري، «تهذيب التهذيب» (٦٩/٣)، و (٧٠) وإه بكرة، ويكفي ما قاله فيه ابن معين: ضعيف ليس بشيء.

ت - عثمان بن عبد الرحمن بن مسلم الحرائي الطرائفي، قال البخاري: روى عن قوم ضعاف، وقال الحاكم أبو أحمد: يروي عن قوم ضعاف، ليس بالقائم، «تهذيب» (٦٩ / ٣-٧٠).

ث - عثمان بن عبد الرحمن الجمحي أبو عمر البصري، قال البخاري: مجهول، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به، «تهذيب» (٧٠ / ٣) . . . إلخ.

ج - في «تهذيب» (٧٠ / ٣) قال الحافظ: يحتمل أن يكون عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي السابق. اهـ.

فقد عرفت ما قيل في الطرائفي السابق وهذا يلتحق به، فهؤلاء الأربعة - كما ترى - في غاية الضعف والسقوط، فمهما وضعت واحداً منهم في سلسلة السند انبتر وتقطعت أوصاله؛ فلهذا لا فائدة من ذكر المصنف رحمه الله توبة عائشة، فإن كان مما ذكر في هاتين القصتين الواهيتين عنها فقد عرفت سقوطهما، وأما ما جرى بينهما في وقعة الجمل، فسأيتي الحديث عن ذلك في كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(١) الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان، ولد سنة ٥٦١هـ، وتوفي سنة ٦١٤هـ، أحد أئمة الزيدية في اليمن ومن علمائهم وشعرائهم، بوع له سنة ٥٩٣هـ، واستولى على صنعاء وذمار في أيام الملك المسعود، وحصل بينهما حروب سنة ٦١٢هـ، واستمرت الوقائع حتى موت المنصور، وكانت وفاته في كوكبان، ونقل إلى (ظفار ذي بين)، له مصنفات قد طبع بعضها، «الأعلام» (٨٣/٤).

(٢) القاضي عبد الله بن زيد بن أحمد العنسي المزحجي الزيدي النقيب العلامة، له مؤلفات في علم الكلام، وفي أصول الفقه، توفي في شعبان سنة ٦٦٧هـ، «حاشية شافي العليل»، للنجري ص (٨٢)، و«هجر العلم» (٤/ ١٨١٠).

(النظر في قول ورد في كتاب لأحد الزيدية)

إن قيل: إن أبا العباس الحسني^(١) ذكر في كتابه (المصابيح) في التاريخ مثل قول الإمامية.

قيل له: المذكور كان في الابتداء على رأي الإمامية، ثم خرج عنه إلى مذهب الزيدية، وما ذكره من أن عمر رضي الله عنه أراد إحراق بيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة رضي الله عنها، إن لم يخرجوا للبيعة، وما ذكره مما هم به أبو بكر رضي الله عنه من الإيقاع بعلي رضي الله عنه، على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه، فروى ذلك بأسانيد مقطوعة، لم تعرف الرواة لها، إنما رواها عن أبي جعفر الصادق عن زيد بن أسلم^(٢)، ولم يذكر الوساطة بينه وبينهم، ومسألة الموالة والمعادة لا بد فيها من العلم والصحة والتواتر، ولا يعمل فيها بالآحاد، وكما ذكره الفقيه العارف عبد الله بن زيد العنسي في كتابه (المحجة البيضاء) وفرق بين رواية المدح ورواية الذم، فقال في الخلاف في رواية الذم فلا يقبل إلا التواتر، ثم ما ذكره زيد بن علي في كتابه (المراتب)^(٣)، أنه لم يصح ما روي في شأن ذلك، وما رواه ابن أبي الحديد في شرح «النهج» من عدم صحة هذه الرواية وغيرها، وسيأتي ذكره قريباً.

* * *

(تقسيم الاثني عشرية عند بعضهم)

وفي الحديث عنه عليه السلام، كما في صحيح مسلم وغيره: «سباب المسلم فسوق»^(٤) و«قتاله كفر»^(٥)، قال في «روضة المشتاق» (في أصناف الإمامية في الإمامة)^(٦) معرفة ما بين الزيدية والاثني عشرية من الافتراق» للشيخ أبي القاسم

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) لم أجد اسم هذا الكتاب في تراجم الإمام زيد، رحمه الله.

(٤) ما بين المعوفين في (أ) هكذا: فسق، والصواب ما أثبتناه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) ما بين المعوفين في (ب).

محمد بن حسين الحميري^(١) نزيل الحرم الشريف، ما لفظه: الإمامية مبنية على فعل عليّ وهم في ذلك على أربعة أصناف:

١ - فصنف زعموا أنهم لم يعلموا أن الإمامة له دون غيره، فلذلك بايعوا أحدهم، وائتموا به، ولم يكن الإمام أظهر للناس إمامته، وبيّن لهم زعامته عليهم، ولا تصرف في الأمور التي لا يتصرف فيها إلا الأئمة، ولا صدعهم ببينة تظهر لهم، لا تحتمل التأويل أنه أولى بها، وأن الائتصاص بغيره باطل مع وجوده، بل ادعاها، وأتى بحجة لهم منها تأويل، وإن كان عند النظر ربما يزول، ولكنهم لم ينظروا، واعتقدوا صحة ما فعلوا، وأنهم ناجون فيما عليه أقدموا، والإمام يعتقد أنهم مخطئون في التأويل، فحكمهم عنده عدم التكفير وعدم القطع بالتفسيق، ومناذتهم منه ومحاربتهم لهم موكل إلى نظر الإمام، وما يعلم به صلاح المسلمين، فإن علم أن محاربتهم تفرق شمل المسلمين وتضعفهم، ولم يكن النقص في تأويل غيره للإمامة إلا على نفسه خاصة المشايخ الثلاثة، الذين تقدموا على عليّ عليه السلام، ومن تبعهم واعتقد إمامتهم من الصحابة، ولا طريق لنا في القول فيهم إلا طريق علي، ولم يرو مخالفا ولا مؤالفا ولا منصف ولا خائفا أن علياً عليه السلام سبهم، بل أكثر ما روي عنه فيهم قوله: إنهم تقلدوها وهم يعلمون أنه محلها، وأنهم دفعوه عن مقامه، وخافوا في الذي سبق له، ونحو ذلك من القول الذي قاله فيهم لا فوقه ولا دونه، والظلم قد يكون غير كبيرة، ولم يقل عليٌّ إن فعلهم كبيرة.

ولذلك قال كثير من أئمة العترة فيهم كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]، فنحن على ذلك وهو الصراط المستقيم، وكذا نقول فيمن قام من أئمة أهل البيت بعد قيام غيره ممن يصلح للإمامة، إلا أن الأول لم يظهر للناس قيامه، ولم تثبت له بينة بما ادعاه، فإن قامت له بينة ولكن علم أن الأمة لا تحببه سوى إجابة الأخير، أم لا، فهذا يجب عليه أن يسلم الإمامة للأخير، ويعتزلها؛ لأنها شرعت لصلاح الأمة، لا لأجل الشخص نفسه.

(١) لم أعر على ترجمته في المراجع التي تسرت لي.

٢ - وصنف قد علموا أن الإمامة حق لهذا الإمام، وقد قام بها ودعا الناس إليها ثم نازعوه إياها، وجعلوا لهم إماماً منهم سمّوه بأمر المؤمنين، فهؤلاء فسقة ظلمة قاموا للدنيا، وتبعوا حظوظ أنفسهم، وآثروا الهوى.

٣ - وصنف ائتموا بإمام الحق، وبايعوه، ثم نكثوا بيعته، واعتزلوه، فهؤلاء قد بطلت شهادتهم، وطرحت عدالتهم، فيعرض الإمام عنهم وحسابهم على الله.

٤ - وصنف قعدوا عن الائتتمام بالإمام، ولم يدخلوا له فيما دخل فيه سائر أهل الإسلام، فهؤلاء ينظر في حالهم» انتهى كلامه.

(أقوال لبعض علماء الزيدية المنصفين .. في الصحابة)

وروى السيد الهادي بن إبراهيم^(١) عن الإمام علي بن محمد^(٢) وصلاح الدين^(٣)، في كتابه: (كفاية القانع بمعرفة الصانع)، القول الجميل في الصحابة رضي الله عنهم: «واعلم أنه لا يطلق على المتقدم لعلي اسم البغي كما يتوهمه الرافضة وبعض الجارودية؛ لأن البغي ينضم إليه الخروج على الإمام والمحاربة له، والمشايخ ما جرى منهم ذلك أصلاً كما ذكره الإمام المهدي في الغايات وغيره»، قال القرشي^(٤): ومراد الهادي في الأحكام، أن من أنكر النص على أمير المؤمنين فهو كذا.. فمراده من

(١) هو العلامة الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير أخو إمام السنة (محمد بن إبراهيم الوزير) ولد في هجرة (الظهاوين) سنة ٧٥٨هـ، ورحل إلى صعدة ومكة، له مؤلفات كثيرة، كان شديد التمسك بالمذهب الزيدي الهادي، ولكنه مال - كما يراه القاضي إسماعيل الأكوع في (الهجر) - في آخر عمره إلى السنة والتمسك بالدليل متأثراً بأخيه محمد، «الأعلام» (٥٨/٨).

(٢) هو الإمام علي بن محمد بن المنصور من أئمة الزيدية في اليمن دعا إلى نفسه بالإمامة بعد والده سنة ٧٩٣هـ، وملك صنعاء، وطالت أيامه وعظم شأنه وأضاف إلى صنعاء صعدة بعد حصار عدة سنين، واستولى على حصون الإسماعيلية وأخرجهم من حصن ذي مرمر، وكانت ولادته سنة ٧٧٥هـ، وتوفي في صنعاء سنة ٨٤٠هـ.

(٣) هو الإمام محمد بن علي بن محمد علي بن صلاح الدين، من أئمة الزيدية في اليمن دعا إلى نفسه في (ظفار) بعد وفاة والده المهدي سنة ٧٧٣هـ، وملك من صعدة إلى (عدن) واستولى على صنعاء، ولد سنة ٧٣٩هـ، وتوفي بصنعاء سنة ٧٩٣هـ، من آثاره مسجده المعروف بمسجد صلاح الدين وهو الذي قتل عالم السنة أحمد بن زيد الشاذلي وابنه ظلمًا، «الأعلام» (٢٨٧/٦) بتصرف.

(٤) هو العلامة يحيى بن الحسن القرشي الصعدي صاحب (المنهاج لتقويم الاعوجاج) أصول دين، توفي سنة ٧٨٠هـ، «طبقات الزيدية» (٦٧٢/٢).

أنكر الأدلة من الأصل، وأنها لم تقع إذ لم ينكر أحد من المؤلف والمخالف، وقرر هذا القول الإمام عز الدين بن الحسن^(١) في (المعراج) شرح (المنهاج)، وقال الفقيه يوسف رحمه الله تعالى^(٢) في (الاستبصار): «إن الإقدام على التفسير للصحة دخول في الجهالة، وحمق ونقصان في الدين، وجزاؤه على الله...» في كلام طويل، والإمام المهدي أحمد بن يحيى قد وسع في الاحتجاج على إيمانهم، والترضية عليهم، وتحريم سبهم في كتابه «الغايات» وذكر شبه المخالفين، و(مد)^(٣) القول في بيان كون النص في علي خفياً غير جلي، قال السيد صارم الدين إبراهيم ابن محمد في (مسائل الإجماع)^(٤) التي اتفق عليها الزيدية، وعليها خط القاضي جعفر بن عبد السلام، والإشهاد عليه ما لفظه: «وأجمعوا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلوات الله عليه في الجنة، وأنه لا يجوز سب أبي بكر وعمر وغيرهما من أصحاب النبي صلوات الله عليه، وذلك بمسجد الجامع بدمار، بين يدي زيد بن عمر بن عرفة^(٥)، وذلك بجمادى سنة ٥٦٩هـ»، وللكميت^(٦):

أَهْوَى عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا
اللَّهُ أَعْلَمُ مَا قَدْ يَأْتِيَانِ بِهِ
أَرْضَى بِسَبِّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُدْرٍ إِذَا حَضَرَ

(١) هو الإمام عز الدين بن الحسن بن علي المؤيد، نشأ في هجرة (فللة) وانتقل إلى صعده، ثم تهامة، ودعا إلى نفسه إماماً من سنة ٨٧٩هـ، إلى أن توفي سنة ٩٠٠هـ، صنف من الكتب (المعراج في شرح المنهاج)، للقرشي، «الأعلام» (٢٢٩/٤).

(٢) هو الفقيه العلامة يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان اليماني الزيدي كان مستقراً بهجرة (العيني) من (ثلا) والطلبة يرحلون ويأخذون منه، من مؤلفاته (الثمرات) في تفسير آيات الأحكام، توفي في جمادى الآخرة سنة ٨٣٢هـ، (والاستبصار)، هو (الاستبصار في مختصر الانتصار) للإمام يحيى بن حمزة، مخطوط في مكتبة الجامع بصنعاء، «البدر الطالع» (٢/٣٥٠)، و«أعلام المؤلفين الزيدية» ص (١١٧٢).

(تنبيه) وكتاب «الغايات» للإمام المهدي اسمه: (غايات الأفكار ونهايات الأنظار المحيطة بعجائب البحر الزخار)، عدة نسخ خطية منها نسخة تاريخها سنة (١٠٤٨هـ) في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، «أعلام المؤلفين الزيدية».

(٣) ما بين المعكوفين كلمة في المخطوط غير واضحة ضرب عليها الناسخ وكتب فوقها بالخط الصغير، فحاولنا أن نضع كلمة (مد) باجتهاد منا، والله أعلم.

(٤) لم أجد اسم هذا الكتاب في «أعلام المؤلفين الزيدية»، في ترجمة الإمام المهدي، وظاهر العبارة أنه لصارم الدين، أي الكتاب.

(٥) لم أجد له ترجمة، ولعله كان أميراً على دمار، أو من الشخصيات المشهورة في ذلك العصر أيام حكم الدولة الأيوبية، والله أعلم.

(٦) هو الشاعر الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي شاعر الهاشميين، من أهل الكرم، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١٢٦هـ، «الأعلام» (٢٣٣/٦)، و«الشعر والشعراء»، لابن قتيبة (٥٨١/٢).

فأكثر ما كان من الأئمة ما تقدم، وأخبار أن علياً أقدم وأولى، فكف وكفوا، وأي إنصاف في حق الصحابة من الأمثال كقول علي رضي الله عنه في آخر حديث المناشدة: «وإذن أسمع وأطيع...» كما سيأتي ذكره إن شاء الله.

ونحو ذلك، ولم تسمع منه تخطئة مؤثمة، وإنما كان منه التجرّم وأخذ حقه وكذا أولاده وشيعتهم، بل قالوا: إن تقدمهم لم يكن جرأة وضلالة، ومصادمة لما ورد فيه من الأدلة على إمامته في شاه، وحاشاهم من ارتكاب ذلك، بل لعله خفي لهم المراد مع ما روي من الأخبار المعارضة في خلافتهم، وتقديم أبي بكر في الصلاة، ونحو ذلك مما يدل على أن هناك مستنداً لهم، وإن كان يعارضه غيره؛ لأن النبي ﷺ قد شهد لهم بالجنة.

* * *

(رجوع عالم كبير من علماء الزيدية إلى الترضي عن الصحابة)

وقد ذكر السيد الهادي بن إبراهيم في كتابه «السلاسل الذهبية»^(١)، لما سئل عن رجل يقول بصحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وفيمن يقول بإمامة علي رضي الله عنه، ويخطئ المذكورين، في كلام طويل، قال في الجواب: «وكنيت قد أحبت عليها جواباً طويلاً، وفيه قعقعة على الصحابة، وأنا ممن لا يرى القعقعة عليهم، بل أنا ممن يتولاهم، ويذهب إلى الترضية عليهم، والقول فيهم بمجرد الخطأ، والمعتبرون من أهل البيت يحومون حول الحمى، ولم يقعوا فيه، فالأجمل تحسين الظن، واتباع أمير المؤمنين في أفعاله وأقواله، وهو صاحب الحق، فلو أهلكهم اتبعناه»^(٢) انتهى كلامه بلفظه، وفيه فائدة عظيمة بأن السيد قد رجع عما صنفه في الرسالة التي سماها

(١) اسمه: «السلاسل الذهبية في جواب المسائل الهنية»، في مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير، مخطوط، «أعلام المؤلفين الزيدية» ص (١٠٧١).

(٢) على الرغم من أن كلام هذا العالم الهادي هنا يدل على الإنصاف والتسامح والميل إلى الحق، في الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم، إلا أننا نفهم من ختام كلامه هنا التقليد الذي طبع عليه كثير من المقلدين، فهل الحكم عند المسلم هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والأسوة الحسنة لنا في رسول الله ﷺ واتباع أقواله وأفعاله: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؟» أم أن الحكم هو الصحابي كعلي رضي الله عنه وغيره؟ (تأمل).

بـ «نهاية التنويه في إزهاق التمويه»^(١) كما ترى؛ لأنه أشار بذلك إلى ما ذكره فيها؛ لأن فيها قعقعة على الصحابة كما ذكر، وهو قد رجع عنه كما صرح به، فله الحمد على الاتفاق، وكان السيد الهادي صنف هذا الكتاب قبل انبساط يده في العلم، وانشرح صدره، ومطالعة البساط في عنفوان شبابه، وابتداء طلبه، فلذلك رجع بعد رسوخ قدمه.^(٢)

(١) هو نظم على خلاصة (الرصاص) في ثمان صفحات، مخطوط، منه نسخة بمكتبة خاصة بالعلامة محمد بن يحيى المطهر رحمه الله بتعز، «أعلام المؤلفين الزيدية» ص (١٠٧٠).

(٢) كلام المصنف رحمه الله هذا يؤيد ما ذهب إليه المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي بن الأكوع في «هجر العلم»، من أن هذا العلامة الكبير الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله قد مال في أخريات عمره إلى السنة تأثراً بأخيه عالم السنة صاحب «العواصم والقواصم» محمد بن إبراهيم الوزير، وإعجاباً بهذا الكتاب تأليف أخيه، وبالقصيدة التي ختم بها أخوه محمد بن إبراهيم مختصر «العواصم والقواصم»، المسمى بـ «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم»، والقصيدة هي:

تجد عندهم كل الهدى والفَضائل
فأدعو إليهم في الضحى والأصائل
سَخَتْ بالتَّوَالِي بيننا والرسائل
عن الجمع للأشباح ذات الهياكل
متى نلتقي بعد النوى المتطاوُل
الثَّقَى بدور نورهم غير أقل
وقد لبسوا منه نفيس الغلائل
معارفَه في الممتعَاتِ الحوافل
وهم في مغانيهم شمسُ المحافل
بالسنة مثل السيوفِ الفواصل
وذلك يوم الفصلِ أقوى الدلائل
لأَقَمَعَ برهانٍ لكل مُناضل
دِمَاغٍ ألدَّ في الخصام مُجَادِل
من العلم في أعلى بروج المنازل
من الصحب في مهوى من الجهل نازل
لهم منهجاً كالقَدَحِ ليس بمائل
الوليدُ بصُولِ الأحوذِي المجادل
من السجدة الآياتِ ذاتِ الفواصلِ

عليكَ بأصحابِ الحديثِ الأفاضلِ
أحِثُّ إليهم كلما هَبَّتِ الصَّبَا
لئن شَحَّتْ الأيامُ في الجمعِ بيتنا
وقد تلتقي الأرواحُ والبُؤُنُ نازِحُ
فيا ليتَ شِعْري والأمانِي ضَلَّةُ
شيوخُ حديثِ المصطَفَى ومعادِنُ
شَفَوْا عللَ الأكبادِ منه فأصبحوا
هُمُو نصحوا منه الصحيحَ وبينوا
فهم في مَبَانِيهِم جبالُ منيعةُ
يذبُّون عن دينِ النبيِّ محمد
دليلُهُم قولُ الرسولِ وفعلُهُ
ومُدْرَسُهُم أيُّ الكتابِ وإنه
هُمَا حجةُ الإسلامِ لا ما يطيش من
ولولا هُما كان ابنُ سينا منزلاً
وكان ابنُ مسعودَ وأعلامُ عصرِهِ
فلا تَقْتَدُوا إلا بهم وتيمُّمُوا
ألم تَرَ أن المصطَفَى يوم جَاءَهُ
تَجَنَّبَ مِنْهُمُ المَرَا وتَلَّا له

إذا لم تُقَدِّمهُ دروسُ الأوائلِ
لاصْحَمَةَ بينِ الخصومِ المقاولِ
بها بشهادَاتِ الدموعِ الهواطِلِ
وعادوا إليه بَعْدَ بُعْدِ المراحلِ
الإمامُ الجَوَيْنِي الذي لم يَمَاتِلِ
غَدَاً وهو معقولٌ لبعضِ العقائلِ
عن الخَوْضِ فيه واكْتَفُوا بالسَّوْاحِلِ
مَوَارِدَكُمْ مُسْتَعَذِبَاتِ المَنَاهِلِ
وما عَاقِلٌ عَمَّا يَقُولُ بَعَادِلِ
كما شَقِيتُ بِالصَّدِّ عَنْهُ عَوَازِلِ (١)

ولم تَجْعَلِ القرآنَ خَيْرَ مُصَدِّقٍ
كَبَدًا فَعَلَ الطَّيَارُ يَوْمَ خَطَايِهِ
تلا لهم آيَ الْكِتَابِ فَأَيَقَنُوا
إِلَى ذَاكَ صَارَ الْأَذْكِيَاءُ مِنَ الْوَرَى
أبو حَامِدٍ وابْنُ الْخَطِيبِ وهكذا
كَذَا ابْنُ عَقِيلٍ وهو أَبْرَعُ عَاقِلِ
فلا تَسْبَحُوا فِي لَجَةِ الْبَحْرِ وابْعُدُوا
فإن لم يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْخَوْضِ فَاجْعَلُوا
عَلَيْكُمْ بِقَوْلِ الْمُصْطَفَى فهو عَصَمَةٌ
سَعِدْتُ بِذَبٍّ عَنْ حِمَاهُ وَحَبِّهِ

فقال الهادي رحمه الله لأخيه مؤكداً ومؤيداً هذا النهج ومجيباً لأخيه:

تَرَقَّى لَهُ شَوْقًا قُلُوبُ الْأَفْضَلِ
وَحَامِي حَمَى أَقْوَالِهِ غَيْرِ نَاكِلِ
وَيُثِقِ الْمَبَانِي فِي فَنُونِ الْمَسَائِلِ
سَجْدَنَ لَهُ طَوْعًا جِبَاهُ الْمَنَاصِلِ
بِجَوْهَرِهِ عَنقُ الرِّقَابِ الْعَوَاطِلِ
وإن لَجَجُوا مِنْ عِلْمِهِمْ فِي جَدَائِلِ
فَأَنْشَدْتُ بَيْتَ الْأَبْطَحِيِّ الْمَوَاصِلِ
عَلَيْكَ بِشِكٍّ أَوْ مَلَحٍ بِبِطَائِلِ
بِقَوْلِ فَصِيحٍ نَابِهٍ الْقَوْلِ الْفَاضِلِ
وَأَيْنَ الثُّبْرِيَا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاطِلِ
لِدُرَّةٍ عَقِيدِ الْمَفْرَدَاتِ الْكَوَامِلِ
بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
لِأَمْرٍ جَلِيٍّ ظَاهِرٍ غَيْرِ خَامِلِ
عَلَيْهِ وَدَعَّ مَا شُنْتُ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ
عَلَيْهِ مَضَى خَيْرُ الْقُرُونِ الْأَوَائِلِ
وَهُمْ بِهَجَّةِ الدُّنْيَا وَنُورِ الْقَبَائِلِ
عَلَى الْخَلْقِ أَدْنَى مَا لَهُمْ بِالْوَصَائِلِ

وَقَفْتُ عَلَى سِمَطٍ مِنَ الدَّرِّ فَاصِلِ
لَتُتَبِعَ مِنْهَا جِ أَحْمَدُ جَدِّهِ
بِدِيْعِ الْمَعَانِي فِي بَدِيْعِ نِظَامِهِ
إِذَا لَزِمَتْ يَمْنَاهُ نَصْلُ يَرَاعِيهِ
وإن خَاضَ فِي بَحْرِ الْكَلَامِ تَزَيَّنَتْ
تَبَارَى وَقَوْمٌ فِي الْجِدَالِ فَاصْبَحُوا
أَسْمَتْ عِيُونَ الْفِكْرِ فِي رَوْضِ قَوْلِهِ
(أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
وَتَنَبَّأْتُ لَمَّا أَنْ تَصَفَحَتْ نَظْمَهُ
(يُرْوَمُ أَنَاسٌ يُلْحَقُونَ بِشَأْوِهِ
وَتَلَثُّتُ بِالْبَيْتِ الشَّهِيرِ وَإِنَّهُ
(وَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي
عَلَامٌ افْتَرَأَقَ النَّاسُ فِي السِّدِّينِ إِنَّهُ
عَلَيْكَ بِمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
هُوَ الْمَسْلَكُ الرُّضِيُّ وَالْمَذْهَبُ الَّذِي
فَدِنَ بِالَّذِي دَانَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ
وَأَرْفَعُ مَا تُدْلِي بِهِ مِنْ فَضَائِلِ

واعلم أن هذه المسألة قد ابتلي بالشطح فيها من لم يرسخ في العلم، أخذًا بظاهر التجرّعات والإطلاقات، من غير معرفة بالمقيدات، ولا يُعَلِّمُ بأحد من العلماء الكبار روى شيئًا من ذلك، لا نقول في الصحابة إلا القول الحسن، وفي «كفاية القانع بمعرفة الصانع» للسيد الهادي المذكور ما لفظه: «أما من عدم البصيرة وأقدم على سبّ القوم فقد طاح وضل، وأقدم من الحظر على أمر جَلَل، واقتحم بنفسه في مهواة الخطل^(١)، وكان له بنفسه شغل شاغل» إلى آخر ما ذكره، انتهى.

(تفسير آية الشجرة من كتاب الثمرات مع نقول أخرى)

وذكر الفقيه يوسف بن أحمد بن عثمان رحمه الله تعالى، في كتابه «الثمرات»^(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فقال ما لفظه: «للآية ثلاث ثمرات:

إلى الحق في نهج السبيل يواصل
وأصحابه أهل النهى والفواصل
إلى مشرع الحق الروي السلاسل
عليها مشار النفع من كل صائل
وقامت ببرهان من الحق فاضل
مشيدة في أمرها بعوائل
تحف بها في خيلها في قنابل
من الجيش إلا أنها لم تُقاتل
عن الحرب بل شاد الهدى بجحافل
وسار بهم في الحق سيرة عادل
وعمّ جميع المسلمين بنائل
علي فأمسى الدين راسي الكلاكل
وتعلو بهم في الفوز أعلى المنازل^(١)

فقد فاتك الخط السني ولم تكن
رضيت بدين المصطفى ووصيه
هم قادة القادات بعد نبئهم
إلى السنة البيضاء والملة التي
ولكنها عزت بدعوة أحمد
مؤيدة في حريها بملائك
عصابة جبريل الأمين جنودها
أقامت مع الرايات حتى كأنها
ولم يعجز الصديق بعد وفاته
وتابعه الفاروق فاشتد ركنه
وتم ذو النورين سعيًا مباركًا
وقام بأعباء الخلافة بعدهم
عليك بهدي القوم تنج من الردى

(١) يقال: الأخطل من منطقته ورأيه خطأ: من باب (لعب): أخطأ، المصباح (١/ ١٧٤).

(٢) اسمه: «الثمرات اليانية من أي القرآن المجتناة من كلام الرحمن في تفسير آيات الأحكام»، حقق قسمًا منه باحث، وهو مخطوط منه (١٢) مجلدًا في مكتبة الأوقاف الغربية القرية من الجامع الكبير بصنعاء.

— منها: الحكم بعدالة من بايع هذه البيعة؛ لأنه تعالى سماهم مؤمنين.

— وأخبر بحسن سرائرهم، ومدحهم بإنزال السكينة عليهم، وهي طمأنينة قلوبهم، واللفظ المقوي لقلوبهم.

— وهذا يلزم منه وجوب موالاتهم، فالمحبة لهم، فتكون الترضية أرجح من التوقف، ويلزم حسن الظن بهم.

قال الحاكم^(١): «والرضى من الله إرادة تعظيمهم وإثابتهم»، وفي كتاب «النزهة»، ليحيى بن حميد الكني في كتاب «كشف الغلطات»، في كتاب «السير» فيما حكاه عن أهل البيت في حق الصحابة، ما معناه: «إنه لم يؤثر عن أحد منهم السب والتصريح بالفسق»، وروي عن كثير منهم الترضية والترحم والمدح مثل زيد ابن علي، وجعفر الصادق، والناصر الكبير والمؤيد بالله^(٢)، في كلام طويل، والبستي^(٣)، رحمه الله تعالى، لا يرى فسق الصحابة، ولا سبهم، وحكاه عن أئمة أهل البيت، وذكر الإمام شرف الدين^(٤) كلاماً طويلاً حيث تكلم على الإمامة في شرح مقدمة (الأثمار)^(٥)، قال: «وجملة ما يختص به المحققون من الزيدية تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، على كل من عنده بعد رسول الله ﷺ، وتخطئة من تقدم عليه إجماع أهل الكساء، ومن بعدهم من الأئمة السابقين» إلى آخر ما ذكره، وذكر الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الناصري^(٦)، في كتاب «الزيادات» من

(١) هو الحاكم المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، عالم زيدي، عالم بالأصول والكلام معتزلي، يقال: إنه شيخ الزمخشري، ولد سنة ٤١٣هـ، له مؤلفات كثيرة، توفي مقتولاً بمكة سنة ٤٩٤هـ، «الأعلام» (٢٢٩/٥).

(٢) هو أحمد بن الحسين بن هارون الأقطع من أبناء زيد بن الحسن، إمام من أئمة الزيدية، مولده في أمل بطبرستان، ودعوته الأولى سنة ٣٨٠هـ، بويع له بالحكم في الديلم، ولقب بالسيد المؤيد بالله، ومدة ملكه (٢٠) سنة، توفي سنة ٤٢١هـ، له كتاب (الزيادات) نسخة بالجامع الكبير بصنعاء، انظر: الفهرس ص (٢٥٩).

(٣) صاحب كتاب (التحقيق)، أبو القاسم لعله إسماعيل بن علي بن أحمد البستي الزيدي، متكلم فقيه، توفي في حدود (٤٢٠هـ)، معجم المؤلفين الزيدية (٧٠/١).

(٤) الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى، من أئمة الزيدية في اليمن، ولد سنة ٨٧٧هـ، وبويع له في صنعاء سنة ٩٤٣هـ، كانت له وقائع مع الترك، له مؤلفات، «الأعلام» (٨/١٥٠).

(٥) في المخطوط (١): «الآثار»، والصحيح ما أثبتناه.

(٦) لم أجد له ترجمة.

رواية فضيل^(١) عن زيد مثل ما قدمناه آنفاً، أنه لم يعد إلى التبري من المشايخ لما طلبه الرافضة للتبري منهم، ونص زيد بن علي في مجموع الفقه الكبير بأن الإمامة في جميع قريش أيضاً، وعليه الصاحبة، والحرورية^(٢) من الزيدية، وبه تنتقض رواية من روى إجماع الزيدية على أن الإمامة لا تصح في قريش، وذكر في تفسير الحاكم في سورة «الحشر»، عند قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ...﴾ الآية: ٨٠، قال: «وهو يدل على فضل الصحابة، وعظيم شأنهم ومحلهم في الإسلام، وأن الواجب موالاتهم والاقتداء بهم وبطرائقهم، وأن البراءة منهم من الكبائر»، واعترض هذا بعضهم، فقال: إجماع أهل البيت على ثبوت النص في الإمامة على علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنما المفروض هل هم أقدموا عمداً أم خطأ؟ وأما المعصية فلا شك فيها.

والجواب: ما أضعف هذا الاعتراض الذي تمجّه الأسماع، ولا يوجد له أصل ولا مساع، النص الذي ذكرت قد تقرر باتفاق من يعتبر به من أهل البيت وغيرهم أنه خفي يحتمل وجوهاً كثيرة، وأن دلالة ظنية مع ذلك، فإذا بطل هذا الأصل بطل ما فرّعت عليه من المعصية؛ لأن المعصية الكبيرة لا تكون إلا في الدلالة القاطعة التي ليست خفية، على أن في كلامه مناقضة على قول مذهبه، حيث حكم بالمعصية بعد أن حكم بأن إقدامهم خطأ، والخطأ بالإجماع من الأمة مرفوع ليس فيه معصية والله أعلم، وذكر الحسن البصري^(٣)، قال: أدركت ثلاثمائة من الصحابة منهم سبعون بدرياً كلهم حدثوني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»^(٤)، ألا لا تسبوا أصحابي^(٥)، ولا تماروا في الدين،

(١) هو فضيل بن مرزوق من تلاميذ زيد بن علي، انظر: «زيد بن علي المقتدى عليه» ص (٦٦)، الشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب.

(٢) لعله تصحيف لكلمة (الحرورية).

(٣) هو الحسن بن يسار أبو سعيد، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة، تابعي، وهو أحد العلماء والفقهاء، ولد سنة ٢١هـ، وتوفي سنة ١٤٠هـ، وكانت ولادته بالمدينة، مناقبه كثيرة، «الأعلام» (٢/ ٢٢٦).

(٤) صحيح لغيره، وردّ أوله في مسند أحمد (٢١٥٦٠)، بلفظ: «من خالف الجماعة شبراً، خلع ربة الإسلام من عنقه»، من حديث أبي ذر، وقد ساق المحقق الشيخ شعيب طرقة، وقال: صحيح لغيره.

(٥) في (١): من الصحابة.

ولا تكفروا أحداً من أهل التوحيد بذنب»، قال عبد الله بن زيد^(١): فلقيت أبا أسامة^(٢)، وأبا الدرداء^(٣)، ووائلته بن الأسقع^(٤)، وأنساً^(٥)، كلهم حدثوني عن رسول الله ﷺ، مثل حديث الحسن.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، قال: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» انتهى ما ذكره يحيى بن حميد في كتابه «النزهة».

(أقوال أخرى لبعض أئمة الزيدية)

قال في شرح «البسامة» الصغير ما لفظه: «وفضل المشايخ الثلاثة لا يجهله إلا من أعمى الله بصيرته، ولنا من سلف أئمتنا منذ علي رضي الله عنه، إلى الآن حسن أسوة وأشرف قدوة^(٦)، ولم نسمع عن أحد منهم السب لأي الثلاثة، بل هم بين مترض ومتوقف» انتهى.

وهذا الشرح قيل فيه: إنه لبعض سادة بني الوزير، وقال القاضي عبد الله ابن حسن الدواري^(٧) في كتاب: السير آخر (الديباج) شرح (اللمع)^(٨) ما لفظه:

(١) عبد الله بن زيد الخزرجي الأنصاري أبو محمد المدني، شهد العقبة وبدراً والمشاهد، وهو الذي أرى النداء للصلاة في النوم، قال الترمذي عن البخاري: لا يعرف له إلا حديث الأذان، مات سنة ٣٢هـ، «تهذيب التهذيب» (٣٣٩/٢).

(٢) زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة المدني، قال ابن معين: لم يسمع من جابر ولا من أبي هريرة، مات سنة ١٣٦هـ، «تهذيب» (٦٥٨/١).

(٣) أبو الدرداء عويم بن مالك الخزرجي الأنصاري، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً وأبلى فيها، ومناقبه كثيرة، مات سنة ٣٢هـ، «تهذيب» (٣ / ٣٤٠-٣٤١).

(٤) وائلة بن الأسقع بن كعب بن عامر أبو شداد الليثي، أسلم قبل تبوك وشهدها، مات بدمشق سنة ٨٣هـ، «تهذيب» (٣٠٠ / ٤).

(٥) في المخطوط (وأنس)، وهو خطأ نحوي.

(٦) انظر في هذه العبارة، وإن كان قائلها- رحمه الله- في غاية الإنصاف في حق الصحابة إلا أن رائحة التقليد الجامد تنبعث منها، فحسّن الأسوة وأشرف قدوة رسول الله ﷺ، وأما غيره كالصحابي ومن بعده من الأئمة فليسوا القدوة إلا تبعاً وليسوا وحدهم أسوة بنص القرآن، والحديث السابق: «لا تذهب هذه الأمة...» قد تقدم تخريجه.

(٧) هو القاضي العلامة عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي، ولد سنة ٧١٥هـ، ودرس عند علماء عصره، وصنف التصانيف، ولم يذكر له وفاة في «البدر الطالع» (٣٨١ / ١)، وفي رسالة «أصول المذهب الزيدي» ص (٣٨)، للسيانجي أن وفاته سنة ٨٠٠هـ، وشرحه هذا اسمه (الديباج النضير).

(٨) «اللمع» كتاب للأمير الحسين بن محمد (ت ٦٧٠هـ)، المصدر السابق.

«والجمهور من الزيدية على التخطئة من غير ذم ولا فسق، وهذا هو رأي فضلائهم وأهل التورع منهم، وسلوكوا فيمن يقدم أمير المؤمنين ما سلكه، ونهجوا نهج فضلاء أولاده»^(١) انتهى.

على أن الإمام عز الدين بن الحسن قد ذكر أن الإمامة من حيث هي أدلتها ظنية، وروى ذلك أيضاً عن الإمام المهدي، وقال: إن المهدي قال: «حديث: «الأئمة من قريش»^(٢) وإن حكمنا بتواتره فليس دلالة قطعية؛ إذ لا تصريح فيه بتحريمها في غيرهم، ويحتمل الأولوية في كلام طويل، ذكره الإمام عز الدين في كتاب له في الإمامة سماه: «العناية في أحكام الإمامة»^(٣)، والمهدي إمام الهدوية المعتمدين كتبه في الأصول والفروع، وإذا كانت الإمامة ظنية فكيف يكون حكم التفسير؟ والله المستعان.

وقال الزحيف في شرح «البسامة» ما لفظه: «اعلم أن فضل المشايخ الثلاثة لا يجهله إلا من أعمى الهوى بصره»^(٤)، وأضاع في هدم حمل أعلام الدين على التأويلات المناسبة لسوابقهم» إلى آخر ما ذكره.

فتقرر من هذا كله إجماع أهل البيت كلهم على تحريم سب الصحابة؛ لأنهم بين متوقف ومتراض كما ذكرنا، والمتراضي أكثر^(٥)، وأما الإمام أحمد بن سليمان فإنه وجد ما وجد له في (حقائق المعرفة)، وآخر كتابه (الحكمة الدرية)، فقل: إنه رجع عن ذلك، وما يدل عليه أنني رأيت ورقة في نسخة قديمة يذكر فيها قوله بعدم التكفير، وقيل: هو مدسوس عليه، ولا يقول به، وهو صحيح، يدل على الدس ما تقدم لحמיד الشهيد، وما ذكره المنصور بالله عبد الله بن حمزة في جوابه على من

(١) في هامش (١) ما يلي: «فإنه لم يعلم عن أي منهم أنه لعن ولا فسق و... بهم وأحبه».

(٢) أخرجه الطيالسي من حديث أنس، وإسناده صحيح، ذكره الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «شرح السنة» (٢٠٦/١)، وعزاه أيضاً إلى «فتح الباري» (١٣ / ١٠١-١٠٧).

(٣) ذكره الشوكاني في «البدور الطالع» (٤١٥/١)، في ترجمته ثم قال: «وتكلم بالصواب مع كونه إماماً إذ ذاك».

(٤) سبقت عبارة مشابهة لهذه العبارة قريباً.

(٥) ينبغي أن يعلم المتتمون إلى مذهب الزيدية والهادوية أن جمهورهم كما ذكر المصنف هنا والعلامة الزحيف يترضون عن الصحابة عليهم السلام.

سب الصحابة، حيث قال ما لفظه: «والجواب أن الصحابة عندنا أفضل الأمة قبل إحداثهم، وبعد الإحداث لنا أئمة نرجع إليهم في أمور ديننا، فنقدم حيث أقدموا، ونحجم حيث أحجموا»^(١)، وهم علي وولده، ولم يعلم من أحد منهم أنه سب أحداً من الصحابة، ولا لعنه، ولا شتمه في مدة حياتهم ولا بعد وفاتهم» انتهى.

وما سيأتي أيضاً للمنصور بالله إن شاء الله تعالى، فحينئذ انعقد الإجماع لأهل البيت على ذلك، وفي شرح الخمسمائة آية للنجري^(٢)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ {النساء: ٥٩}، ما لفظه: قيل: المراد بأولي الأمر الصحابة، وقيل الخلفاء الأربعة، وروى الثعلبي خبراً مسنداً، قال: «الخليفة بعدي في أمتي أربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وإن لي وزيرين في السماء ووزيرين في الأرض، فبالسما جبريل وميكائيل، وبالأرض أبو بكر وعمر، هما عندي بمنزلة الرأس من الجسد»^(٣) انتهى كلام الفقيه عبد الله النجري في شرح الآيات.

(من كلام الإمام جعفر الصادق)

وأخرج الطبراني عن جرير^(٤) عنه عليه السلام: «من يكن الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه من الناس فكن له بغيضاً، اللهم إني لا أجد أحداً أستودعك في الأرض بعد العبدین الصالحين غيرك فاقض عني فيه بالحسنى»^(٥) انتهى، والمراد بهما أبو بكر وعمر.

(١) رائحة التقليد ظاهره في هذا الكلام، مع أن هذا الإمام من أكابر مجتديهم فكيف عنونه، فرحم الله الإمام يحيى ابن حمزة الذي نفى غبار التقليد ودافع عن أعراض الصحابة، معتمداً على الكتاب والسنة أولاً ثم ما جاء عن الأئمة.

(٢) النجري نسبة إلى (نجرة) تابع لواء حجة من تهامة هو العلامة عبد الله بن محمد النجري الزيدي العسبي، ولد في سنة ٨٢٥هـ ونشأ بهجرة حوث، وأخذ عن علمائها وعن أخيه محمد ثم رحل للحج، ثم رحل إلى مصر، ثم عاد إلى بلده، وصنف التصانيف، توفي سنة ٨٧٤هـ، «البدر الطالع» (١/٣٩٧).

(٣) لم أجد مصدر هذا الحديث.

(٤) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي القسري أبو عمر البجلي، كان إسلامه في السنة التي توفي فيها النبي ﷺ، ونزل الكوفة، مات سنة ٥١هـ، «تهذيب التهذيب» (١/٢٩٦).

(٥) في (المجمع): «فاقض له بالحسنى»، قال الحافظ الهيثمي في هذا الحديث «مجمع الزوائد» (٩/١٠٦): رواه الطبراني، وفيه بشر بن حرب وهو لين، ومن لا أعرفه.

وفي كتاب «المصباح» من كلام جعفر الصادق ما لفظه: «لا تدع اليقين بالشك، والمكشوف بالخفي، ولا تحكم على ما لم تره بما يروى لك عنه، وقد عظم الله تعالى أمر الغيبة، وسوء الظن بإخوانك المؤمنين، فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد بزور وبهتان، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وما دمت تجد إلى تحسين القول واعتقاد الخير في إخوانك في المحفل والغيب سيلاً، فلا تتخذ إلى غيره سيلاً، قال الله عز وجل إخباراً لنبيه ﷺ: ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، واعلم أن الله عز وجل اختار لنبيه ﷺ طائفة أكرمهم بأجل الكرامات، وحلّاهم بحلى التأييدات، وخلعهم بخلع التأييد والنصر والاستقامة والصحة على المحبوب والمكروه، وأنطق محمداً ﷺ بفضائلهم ومناقبهم، فاعتقد محبتهم واذكر فضائلهم، واحذر مجالسة أهل البدع؛ فإنها تنفذ في القلب ضلالاً مبيئاً، وإن اشتبه عليك فضيلة بعضهم، فكلهم إلى علام الغيوب، وقل: اللهم إني محب من أحببت ورسولك، ومبغض لمن أبغضته ورسولك؛ فإنك لن تكلف فوق ذلك» انتهى.

* * *

(توضيح ما يقال عن العلامة حميدان)

إن قيل: إن السيد حميدان ذكر أن الزيدية إنما هم الجارودية، ومن ليس بجارودي فليس بزيدي، قيل له: قد قدمنا أنه قسم الجارودية إلى فرقتين: فرقة تفسق، وفرقة توقف منهم، وقرر أن المتوقفة هي قول أهل التحصيل من الزيدية الجارودية، وضعف قول الفرقة الأخرى كما أشرنا إليه فيما سبق بنصه من مجموع^(١)، فالذي أراد بذلك هو من يقول من الجارودية بالتوقف، وكذلك الحسن بن بدر الدين ذكر عن الجارودية التوقف عن أحد فرقها^(٢)، وأنه رأى الزيدية، فلم يبق حينئذ من يقول في مذهب الزيدية بالسب، وبمقالة الرافضة أصلاً كما ترى.

(دفع أوهام في كتاب شرح أنوار اليقين)

أما ما نقل عن الإمام الحسن بن بدر الدين في «شرح أنوار اليقين»، فإنما هو في الفضائل، والتجربات من أمير المؤمنين لا غير ذلك، ولذلك ذكر خبر الجاثليق، وصرح فيه أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بالوداعة للصحابة، والعفو عن أمرهم كما سنذكره إن شاء الله تعالى قريباً، وما ذكر في أنوار اليقين في بعض القصائد من ذكر الكفر فهو موضوع مدسوس؛ لأنه ينافي كلامه أول كتابه، وكذلك في أثنائه، وقد يتوهم من لا معرفة عنده أن الرافضة من الاثني عشرية هم والزيدية قد اتفقوا، وهذا غلط؛ فإنهم مختلفون، وكذلك ذكر النقيب ابن عنبه^(١) في (عمدة الطالب في نسب أبي طالب) ما لفظه: «وأما أبو الحسن علي بن محمد الناصر^(٢)، فكان يذهب مذهب الأئمة الاثني عشرية، وهو الذي ناقض عبد الله بن المعتز^(٣) في قصائده على العلويين، وكان يهجو الزيدية، ويضع لسانه حيث شاء من الناس، ولما مات الناصر الأطروش الحسن بن علي أرادوا أن يبايعوا ابنه أبا الحسين أحمد بن الحسن بن علي فامتنع من ذلك» انتهى.

(ثناء زيد بن علي على الصحابة نقل متواتر)

إن قيل: إنه يخرج على مذهب زيد بن علي بأن قوله في الصحابة الذين تقدموه كقول الإمامية من التكفير؛ لأن المعصية عنده تقتضي الكفر، كما ذكره في بعض مسائله.

(١) ابن عنبه: هو أحمد بن علي بن حسين بن عنبه الداودي الطالبي الحسني، مؤرخ نسابة عراقي، توفي ببلدة (كرمان) سنة ٨٢٨هـ، له كتاب «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، «الأعلام» (١/١٧٧).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل المعتصم والشاعر المبدع خليفة يوم وليلة، ولد ببغداد سنة ٢٤٧هـ، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء العرب، ويأخذ عنهم، وصنف عدة كتب، وله ديوان شعر، أكت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه المرتضي بالله، وبايعوه بالخلافة فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس فخنقه سنة ٢٩٦هـ، وللشعراء فيه مرات كثيرة، «الأعلام» (٤/١١٨).

قيل له: الإمام زيد بن علي قد اشتهر النقل عنه وتواتر بالتصريح، حسن الشاء عليهم وامتناعه من سبهم كما سبق، وكما يأتي إن شاء الله تعالى، فالتخريج لا يعمل به بالإجماع، ثم إن زيد بن علي إنما أراد بالمعصية مطلقاً عليها اسم الكفر أي كفر نعمة مع بقاء الإسلام لا كفر الجحود، فلم يردّه زيد بن علي أصلاً؛ لأن ذلك القول إنما هو مقالة الخوارج، وزيد بن علي أعلى وأرفع شأنًا من موافقتهم، حاشاه عن القول بذلك، وقد ذكر مثل هذا أن زيد بن علي أراد كفر نعمة^(١)، الشيخ أحمد ابن الحسن الرصاص^(٢)، وغيره، وقد نص زيد بن علي في مجموع الفقه الكبير له بما لفظه: «وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي أنه أتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أكفر أهل الجمل وصفين؟ وأهل النهروان؟ قال: لا بل هم إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم؛ حتى يفيئوا إلى أمر الله عز وجل» انتهى بلفظه.

ثم إن التخاريج إنما يعمل بها في مسائل الفقه الفروعية الظنية الاجتهادية على قول من قال بصحة التخريج ليس بقول لأحد، وقد حققه الإمام القاسم^(٣) بن محمد في كتابه (الإرشاد) وأبطل التخاريج في الفقه، وأما التخاريج في المسائل العلمية الأصولية فلم يقل بها أحد من علماء الإسلام أصلاً، وهذا الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة كرر في مصنفاته تقرير التوقف في المشايخ، وتحريم سبهم، واحتج على ذلك بحجج ظاهرة، في مثل كتابه (الشافعي) في مواضع منه عديدة، وكتاب (العقد الثمين في تبين الأئمة الهادين)، وسنذكر شيئاً من ذلك آخر الكتاب إن شاء الله، والسيد إبراهيم ابن محمد عدّ سب الصحابة من الكبائر في كتابه (الفصول).

(١) كذا في المخطوط، ولعلها سقطت هنا كلمة (ذكر هذا) والله أعلم.

(٢) هو العلامة أحمد بن الحسن الرصاص الجهني الصنعاني، جارودي المذهب، له مؤلفات منها كتاب (الثلاثون مسألة) في عقيدة الزيدية وغيرها، توفي سنة ٦٢١ هـ، «هجر العلم» (٤٩/١).

(٣) الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد، ولد ليلة الاثنين ١٢ من شهر صفر سنة ٩٦٧ هـ، ثم اشتغل بطلب العلم على شيوخ ذلك العصر، فبرع في الفنون الشرعية، وله مصنفات، دعا لنفسه بالإمامة سنة ١٠٠٦ هـ - وهو جدّ المصنف يحيى بن الحسين - في جبل قارة، كان ذلك أيام دولة الأتراك التي كانت حينئذ تبسط نفوذها وتسيطر على اليمن، وفي وقت قوتها وحكمها، فاشتد طلب الأتراك للإمام القاسم في كل مكان، فصار ينتقل من مكان إلى آخر، وجرّت له حروب معهم وخطوب، وكانت الحرب بينه وبينهم سجلاً، وكان آخر الأمر أنه وقع بينه وبين الأتراك صلح على بقاء حكمه فيما استولى عليه، وهو غالب الجبال، حتى توفي سنة ١٠٢٩ هـ بشهارة، «البدر الطالع» (٢ / ٤٧-٤٩).

(أعلام أهل البيت وترضيهم على الصحابة)

واعلم أن القائلين بالترضية عليهم من أهل البيت هم أمير المؤمنين والحسن والحسين، وزين العابدين علي بن الحسين، والباقر، والصادق^(١)، وعبد الله ابن الحسن^(٢)، ومحمد بن الحسن^(٣)، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية^(٤)، وإدريس ابن عبد الله^(٥)، وزيد بن علي، وكافة القدماء من أهل البيت، ومن المتأخرين سادة الجيل المؤيد بالله وصنوه أبو طالب، والناصر الحسن بن علي الأطروش، والإمام موفق بالله، وولده السيد المرشد بالله، والإمام يحيى بن حمزة، ومن المتأخرين باليمن: الإمام المهدي أحمد بن يحيى، والسيد محمد بن إبراهيم^(٦)، وصنوه الهادي، والإمام أحمد بن الحسين، والإمام عز الدين بن الحسن، وولده الحسن بن عز الدين^(٧)، والإمام شرف الدين، وغيرهم، وسائر الأئمة يتوقف، كالهادي، والقاسم، مع أن في رواية للهادي الترضية عنهم، والمنصور بالله عبد الله بن حمزة

(١) سبقت تراجمهم.

(٢) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، تابعي من أهل المدينة، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، ولد بالمدينة سنة ٧٠هـ، وحبسه المنصور لمدة سنوات، ونقله إلى الكوفة فمات بها سجيناً سنة ١٤٥هـ، «الأعلام» (٧٨/٤).

(٣) محمد بن الحسن هو أخو عبد الله السابق، مات معه في السجن سنة ١٤٥هـ، «الرياض المستطابة» للعامري ص (٢٩١).
(٤) محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن عبد الله بن الحسن السابق أبو عبد الله الملقب بالأرقط، وبالمهدي، وبالنفس الزكية، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ، ونشأ بها، كان غزير العلم فيه شجاعة وحزم وسخاء، عاصر آخر الدولة الأموية، وأول الدولة العباسية، ثار في المدينة ضد المنصور العباسي فأرسل إليه المنصور جيشاً، قتل سنة ١٤٥هـ، «الأعلام» (٢٢٠/٦).

(٥) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج على دولة العباسيين سنة ١٧٣هـ في المغرب، وعظم أمره حتى توفي مسموماً سنة ١٧٧هـ.

(٦) علامة اليمن وإمام السنة صاحب كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) محمد بن إبراهيم الوزير، ولد بهجرة (الظهرأوين) سنة ٧٧٥هـ، من بلاد الأهنوم، ونبح في شتى العلوم والفنون، ولقى الشيوخ، وفاق أهل الرسوخ، ونشر السنة النبوية، ولاقى الكثير من الأذى من خصوم السنة، ومقلدة المذاهب الجامدة، وصنف التصانيف، ثم انقطع للعبادة، وتوفي سنة ٨٤٠هـ، «البدر الطالع» (٢ / ٨١-٩٣)، و«الأعلام» (٣٠٠ / ٥).

(٧) الحسن بن عز الدين بن الحسن الناصر للدين من أئمة الزيدية باليمن، ودعا لنفسه في حصن كحلان بعد وفاة والده سنة ٩٠٠هـ، وناوأه خصوم له، فلفقوا عليه قصة أوجبت حكم القضاء بفسخ إمامته، توفي سنة ٩٢٩هـ، وكان فقيهاً فاضلاً من مؤلفاته (القسطاس المقبول شرح معيار العقول) في الأصول ورسائل، مات في هجرة (فللة) في شعبان سنة ٩٢٩هـ، «الأعلام» (١٩٩/٢)، و«ملحق البدر الطالع» ص (٧٢).

له قولان: التوقف: كما في كتابه (الشافعي)، والترضية: كما في «الجوابات التهامية»، وكثير منهم لا حاجة بنا إلى تعداد أعيانهم؛ لأنه يكفي في ذلك القول الجلي أن أئمة أهل البيت كافة بين متوقف ومترض، لا يرى أحد منهم السب للصحابة أصلاً، يعرف ذلك من عرف.

(شبهة في أن علياً وادع الثلاثة مكرهاً، ورد المؤلف)

موافقة أمير المؤمنين للمشايخ إنما كان على جهة الإكراه، وبيعته لهم ليس باختيار؟

قيل له: يكفيك حديث المناشدة الذي أخرجه المؤيد بالله في أماليه بإسناده وغيره؛ فإنه ذكر فيه قوله: «إنكم بايعتم أبا بكر فسمعت وأطعت، وبايعتم عمر فسمعت وأطعت، وإنكم تبايعون عثمان فإذن أنا أسمع وأطيع، ولكني أناشدكم...» الخبر إلى آخره، فصرح فيه بأنه سمع وأطاع في ذلك، وقد ذكر صاحب (الرياض النضرة)^(١) أن علياً رضي الله عنه امتنع من البيعة لأبي بكر أياماً، وأبو بكر ما زال يرأسله حتى جاء إليه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وبايع، ورواه مسلم^(٢) في صحيحه أيضاً، وروى ابن حجر في (الصواعق)^(٣) وغيره، أنه كان بايع أولاً، وهذهبيعة أخرى، وذكر ابن أبي الحديد في شرح «النهج» أن البيعة الأولى إنما هي مجرد اتفاق وعتاب حصل بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه، ثم كانت البيعة بينه وبين أبي بكر بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، فقد حصل الاتفاق أنه بايع مع أنه لو لم يبايع لما كان خطأ في جانب أبي بكر؛ لأن البيعة غير متعينة على جميع الناس، كما ذكره النووي في شرح مسلم، بل المتعين هو ترك شق العصا، وترك التفريق لجماعة المسلمين، وبالضرورة أن علياً في زمان الثلاثة ما فرق ولا خالف، والله أعلم.

(١) لم أجده في الرياض المطبوع.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١١/١٢)، كتاب الجهاد والسير برقم (١٧٥٩).

(٣) «الصواعق المحرقة» ص (١١، ١٣، ١٤، ١٥، ٦٢)، وكان الصواب أن يقال: ذكر ابن حجر لا (روى)، والله أعلم.

(تعجب المؤلف من تناقض الرافضة)

والعجب من الرافضة حيث حكموا بأن بيعته بالإكراه، وأنه كان مبيئاً مع ما في «نهج البلاغة» من المشاورة من عمر بن الخطاب، والرجوع منه إلى علي في المشورة لفتح العراق وفارس، وأن عمر كان أراد السير إليه بنفسه حتى أشار عليه علي بأنه ردءٌ للمسلمين، ويجهز من رآه، هذا مذكور في النهج، فهل ينصح ويشاور ويستشير من كان مبيئاً؟، هذا خلاف المعلوم.

بل روى الإمام المهدي أحمد بن يحيى في (الغايات) أن علياً أرسل مع جيش الشام ولديه الحسن والحسين للجهاد، فلي نصف العاقل ما يتوجه.

وفي «نهج البلاغة» ما لفظه: «ومن كلام له ﷺ لما عزموا على بيعة عثمان: لقد علمتم أنني أحق بها من غيري، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولو لم يكن فيها جور إلا عليّ وحدي خاصة؛ التماساً لأجر ذلك وفضله وزهده فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة»^(١).

(من كذب الرافضة على عمر في الاعتداء على بيت علي وفاطمة والانتحال في الخطبة الشقشقية)

وما يروى أن عمر أحرق بيت علي بن أبي طالب، وأن فاطمة لطمت، فهو كذب من وضع الرافضة، ومثله: ذكر النجري في شرح (القلائد)، وهو من كبار علماء الهدوية، وقال: موضوع، وروى عن سلمة بن كهيل وغيره بإسناده إلى يحيى ابن سلمة^(٢)، قال: أخبرني أبي عن زيد بن علي، قال: قلت له: يزعمون أن

(١) «نهج البلاغة» المطبوع ص(١٢٩)، وفيه (ووالله) -بواوين- وفيه: (أمور) بدلاً من (بأمر)، وفيه (علي خاصة) بدون كلمة (وحدي)، وفيه: (زهداً) بدلاً من: (وزهده)، والزبرج -بكسرتين- بينهما سكون: أصله: الذهب، ثم أطلق على عمه مزور، وأغلب ما يطلق على الزينة من وشي أو جواهر.

(٢) يحيى بن سلمة بن كهيل الحضرمي، أبو جعفر الكوفي:

قال الدوري عن ابن معين: ضعيف الحديث، وقال نصر بن محمد عن ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: منكر الحديث ليس بالقوي، وقال البخاري: في حديثه مناكير، وقال الترمذي: تضعف في الحديث، وقال النسائي: =

فاطمة لُطِمَتْ؟ قال زيد: كانت أكرم على أهلها من ذلك -يا أبا يحيى- انتهى، فترى زيدا أنكروا صحة الرواية لذلك، وهو إمام الزيدية.

ومن أعظم ما يحتاج به، ما روي عن أمير المؤمنين في «النهج»: «والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا» في الخطبة الشقشقية، فقد ذكر ابن أبي الحديد وعبد الله ابن الإمام شرف الدين^(١)، في شرح خطبة (الأثمار) أن المراد بذلك الأولوية، وأبو بكر يعلم أن علياً محل للإمامة مع اعتقاده أن إمامة المفضول صحيحة، كما هو قول أكثر العلماء.

وروي عن السيد محمد بن عز الدين المفتي^(٢) (أن)^(٣) مصنف «النهج» الشريف الرضي إمامي، والإمامية من الرافضة، فقد يكذبون، فهذه الخطبة يحتمل أنها موضوعة من الشريف الرضي، أو بعضها؛ لأن في كلام أمير المؤمنين ما يدل على خلاف ذلك من الثناء والوصف بخصال الخير، ثم (إنه)^(٤) قد ذكر ابن أبي الحديد الخلاف في صحتها، فروى عن الشيخ مصدق^(٥) أنها منحولة، أما ما ذكر أنه وجد أكثرها قبل أن يخلق الرضي، فهو قد صرح أنه وجد بعضها لا كلها؛ وذلك قاض باختلالها، قد تأولها -إن صحت- ابن أبي الحديد، والإمام يحيى بن حمزة، ومما

= ليس بشقة، وذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال: في حديث ابنه منه مناكير، وذكره ابن حبان أيضاً في (الضعفاء)، وقال: منكر الحديث جداً، لا يحتاج به، وقال النسائي في الكنى: متروك الحديث، وقال ابن عمير: ليس ممن يكتب حديثه، وقال الدارقطني: متروك، وقال مرة: ضعيف، وقال ابن سعد: كان ضعيف جداً، وقال البخاري في الأوسط: منكر الحديث، وذكره يعقوب بن سفيان في (باب من يرغب عن الرواية عنهم، وكنت أسمع أصحابنا يضعفونهم، وقال الآجري عن أبي داود: ليس بشيء، وقال حطّين: مات سنة ١٧٢هـ، «تهذيب التهذيب» (٤ / ٣٦١-٣٦٢).

(١) عبد الله بن الإمام شرف الدين، هو من العلماء المحققين من علماء الهاديوية في اليمن، برز في عدة فنون، وله مصنفات، منها شرح قصيدة والده المسماة (القصص الحق)، وله في الأدب يد طولى نقل الشوكاني في (البدر الطالع) نماذج من شعره، توفي في شهر ربيع الآخر سنة ٩٩٣هـ، ودفن بمدينة (ثلاث)، «البدر الطالع» (١ / ٣٨٣-٣٨٤).

(٢) محمد بن عز الدين المفتي هو من كبار أعيان علماء القرن العاشر، من علماء الزيدية الهاديوية في اليمن، عاصر الإمام شرف الدين وابنه المطهر، شرح مقدمة (الأزهار) توفي سنة ٩٧٣هـ، «البدر الطالع» (٢ / ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) في النسخ الثلاث بدون (أن) فزادها ليستقيم المعنى.

(٤) ما بين المعقوفين أثبتناها من (ج) وفي (أ) هكذا (أن).

(٥) لم أجد له ترجمة حسب المصادر والمراجع التي بين يدي، فالله أعلم.

حكم ابن أبي الحديد بوضعه من خطب النهج: «ذم الفتيا» و «اختلاف العلماء»، فقال: لا يصح عن علي.

(هل تصح رواية الرضي لنهج البلاغة؟)

إن قيل: إن جميع ما في النهج من رواية الرضي، فكيف يصح البعض دون البعض؟

قيل له: كما جاء الصحيح برواية غيره صحح ذلك، دون ما تفرد به المذكور، فإن اتفق له شواهد تلحق بها عمل بما تفرد به، وإلا فهو محل نظر.

إن قيل: إن قد روى (ابن عنبه في كتابه: العمدة في أنساب أهل البيت: أن الرضي زيدي)^(١) المذهب، وكذلك^(٢) روى المنصور بالله عبد الله بن حمزة، والإمام يحيى أول شرح النهج، ودليله ما روي في النهج مما ينقض قول الرافضة؟

قيل له: ابن عنبه^(٣) استند إلى ظاهر أبيات قالها، وهي قوله شعراً:
هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَطَابَ الْمُحْتَدُ
أَوْ مَا كَفَّاكَ بَأْنَ أُمِّكَ فَاطِمٌ وَأَبُوكَ حَيْدَرَةٌ وَجَدُّكَ أَحْمَدُ^(٤)

قال: وأظنه إنما نسب إلى أنه زيدي لكون في أشعاره هذا المعنى، وأنه يدعي الإمامية» انتهى؛ فالأمر محتمل مع هذا في الرضي نفسه، أما أخوه المرتضي^(٥)، فذكر ابن عنبه في ترجمته أنه من علماء الإمامية، وله مصنفات في مذهبهم، وللرضي صاحب «النهج» ديوان كبير، والله أعلم.

(١) ما بين المعقوفين أثبتها من (ج). (٢) في (ب): وكذا. (٣) سبقت ترجمته.
(٤) في ديوان الرضي (٤٠٩/٢) هذان البيتان، والشرط الثاني من البيت الأول هو: (كرمت مَعَارِسُهُ وَطَابَ الْمَوْلِدُ) والشريف الرضي هنا يمدح نفسه ويفتخر بنسبه، وبعده:
يُوسِي وَيَنْزِلُ ضَيْفَهُ لَا يُحْتَوَى كَرَمًا وَبَيْتَ نَضَارَةٍ لَا يُقْلَدُ

الأرومة: الأصل، والمحتد: الأصل أيضاً، النضار: الذهب.

(٥) الشريف المرتضي: هو علي بن الحسين بن موسى، شريف إمامي رافضي ولد سنة ٣٥٥هـ، وهو أكبر من أخيه الرضي، وكان يلقب بالمرتضي، وشعره حسن، وكان داعية إلى مذهبه، مذهب الإمامية، نقل عنه ابن الجوزي في (المنتظم) عجائب من مسائل الفقه الإمامي عنده منها: أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض من نبات الأرض، كالصخور والجلود والوبر، ومنها أن الاستجمار لا يجزئ في البول بل في الغائط، ومنها أن الطلاق المعلق على=

(الكلام على ما قيل من إغضاب أبي بكر رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها)

إن قيل: إن قد جاءت أحاديث في الصحيحين عن النبي ﷺ، أنه قال: «أنا فرطكم على الحوض، يُرفعن إليّ رجالٌ منكم، إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(١). قيل له: هذا في أهل الردّة، من بني حنيفة، والمارقين من الخوارج، فلا حجة لما ثبت من الدلائل بخروج كبار الصحابة كما ذكرناه فيما سبق، وسيأتي إن شاء الله.

إن قيل: قد روى البخاري وغيره أن النبي ﷺ، قال: «فاطمة بضعة مني، يربيني ما يربها، ويغضبني ما يغضبها...» الحديث، أو معناه، وأبو بكر أغضبها^(٢).

= شرط لا يقع وإن وجد شرطه، ومنها أن المرأة إذا جزّت شعرها فعليها كفارة قتل خطأ، ومنها أن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه أن يتصدق بخمسة دراهم، إلى غير ذلك من عجائب هذه المسائل التي ذكر منها ابن الجوزي قدرًا كبيرًا، ومن أقبحها وأشدّها فحشًا ومنكرًا الوقوع في أعراض الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وقد كانت لهذا الشريف خاتمة سيئة في حالة موته نتيجة لسبب الصحابة رضي الله عنهم، روى ابن الجوزي بسنده إلى أبي القاسم بن برهان، قال: دخلت على الشريف المرتضي في مرض موته، وإذا قد حوّل وجهه إلى الجدار، فسمعتة يقول: أبو بكر وعمر وليا فعديلا، واسترحما فرحما، أما أنا أقول: ارتدا بعدما أسلما، فقمتم فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، المنتظم (١٥ / ٢٩٤ - ٣٠٠).

(١) رواه البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر (كتاب الفتن) مع «الفتح»، وقد رد على هذه الشبهة الحافظ في «فتح الباري» (٣٢٤/١١)، فقال: قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»: هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر، يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر، وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا تعرف له في الدين نصرة، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين، ويدل قوله: «أصحابي» - بالتصغير - على قلة عددهم، وزاد الحافظ الرد على هذه الشبهة بالتفصيل فارجع إليه، ومعنى اختلجوا: اقتطعوا، أو انتزعوا مني.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٥٦٠) من حديث المسور بن مخرمة، ولفظه: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»، فضائل الصحابة، باب: مناقب رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفي صحيح البخاري، من حديث المسور بن مخرمة، أيضًا في سياق قصة برقم (٣٥٢٣) قال: «إن عليا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعتة حين تشهد يقول: «أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإنني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ، وبنت عدو الله عند رجل واحد» فترك علي الخطبة، وعزاه ابن حجر المكي في «الصواعق المحرقة» ص (١٩٠) إلى أحمد والترمذي والحاكم من حديث ابن الزبير بلفظ: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذني ما آذاها، ويغضبني ما أنصّبها».

قيل له: قد روى الطبري الكبير محمد بن جرير في تاريخه، كما روى صاحب «أنوار اليقين»، أن أبا بكر رضي الله عنه، ندم من ثلاث خصال، عدّ منها لفاطمة رضي الله عنها، وروى الطبري الصغير في «الرياض النضرة في فضل العشرة»، من طريقين عن الأوزاعي^(١) وغيره: «أن أبا بكر جاء إلى فاطمة حين اشتد مرضها يزورها ويطلب منها طيبة النفس والرضا، فاستأذن عليها، فقال علي بن أبي طالب: هذا أبو بكر على الباب يستأذن، فإن شئت فأذني له، قالت: أو ذاك أحب إليك؟ قال: نعم، فدخل فاعتذر إليها وكلمها فرضيت»^(٢).

وأخرج الطبراني^(٣) عن عبد العزيز بن عوف، قال: دخلت على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «ثلاث، وددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته، وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في (عق)^(٤) أحد الرجلين

= وهذا الحديث له محامل عند علماء السنة، فلا يمس مناقب علي رضي الله عنه وفضائله، قال الحافظ في الفتح (٦٩/٧): «وكان علي رضي الله عنه أخذ بعصم الجواز، فلما أنكر النبي ﷺ أعرض علي عن الخطبة، فيقال: تزوجها عتاب ابن أسيد، وإنما خطب النبي ﷺ ليشيع الحكم المذكور بين الناس، ويأخذوا به، إما على سبيل الإيجاب، وإما على سبيل الأولوية»، هذا محمل حسن من محامل أهل السنة فيما يليق بعلي رضي الله عنه، ولأن الرافضة من شأنهم إنكار السنة النبوية، واقتراء الأعداد الهائلة من الأحاديث لضلالهم على رسول الله ﷺ واقتراثهم على أهل البيت أحاديث موضوعة، فقد انتدب أحد شيوخهم لرد هذا الحديث الأخير، وهو الشريف المرتضي، فزعم أن حديث المسور بن مخرمة موضوع، واقتري على هذا الصحابي بقوله: «كان فيه انحراف عن علي»، ولم يكتف الشريف المرتضي الرافضي بالإساءة إلى المسور بن مخرمة، بل تجاوز هذه الإساءة إلى ابن الزبير، فزعم أنه أشد في ذلك، ورد كلامه، مع أن هذا الحديث قد أطبق أصحاب الصحيح على تخريجه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» (١٧٠/٢) رد عظيم على المرتضي في هذا الحديث الذي اتهمت الرافضة فيه أبا بكر أنه أذى فاطمة وأغضبها، وفند شيخ الإسلام شبهاتهم ودحضها، وجاء من الأدلة بما يشفي ويكفي فارجع إليه.

(١) الأوزاعي: شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمر بن محمد الدمشقي الحافظ، ولد سنة ٨٨هـ، سكن في آخر عمره بيروت مرابطاً، وبها توفي، مناقبه كثيرة حدث عن خلق، وحدث عنه خلق، قال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعي كأنه عمي من الخشوع، دخل حماماً في بيته، وأدخلت زوجته فيه فحماً ليدفأ وأغلقت عليه الباب فمات مختنقاً، ووجد متوسداً ذراعيه إلى القبلة سنة ١٥٧هـ، «تذكرة الحفاظ» (١ / ١٧٨-١٨٣).

(٢) ذكر هذه القصة الطبري في «الرياض النضرة» (١٧٦/٤) وعزاه إلى ابن السمان في كتابه «الموافقة»، كما ذكرها الزمخشري في «المختصر» من كتاب «الموافقة بين أهل البيت والصحابة» ص ٦٧.

(٣) الصواب: «الطبري» في تاريخه، وعبد العزيز بن عوف وهم، والصواب أنه حميد بن عبد الرحمن بن عوف، كما سيأتي.

(٤) في (أ) و (ج): «في عنقه»، والصواب ما أثبتناه.

أبي عبيدة^(١)، أو عمر، وكان أمير المؤمنين، وكنت وزيراً، وودت أني سألت رسول الله ﷺ فيمن هذا الأمر، فلا ينازعه أهله»^(٢) انتهى.

(١) أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري أمين الأمة، وأحد العشرة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ، مناقبه كثيرة، مات سنة ١٨هـ في طاعون عمواس، وهو ابن (٥٨) سنة، «تهذيب التهذيب» (٢ / ٢٦٧ - ٢٦٨).

(٢) هذه القصة لم تثبت عن أبي بكر رضي الله عنه أنه ذكر ثلاث خصال في مرض موته، وقال في كل واحد منها: «وددت» لما يأتي:

أولاً: أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد رد هذه القصة في «منهاج السنة» (٣ / ١٢١)، وذكر أن هذا الكلام غير ثابت، فارجع إلى «منهاج السنة».

ثانياً: أن هذه القصة أوردها أبو جعفر الطبري في تاريخه (٣ / ٤٣٠)، فقال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، قال: حدثنا الليث بن سعد، قال: حدثنا علوان، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنه دخل على أبي بكر في مرضه، وأورد القصة. وأورد الطبري للقصة طريقاً أخرى، فقال: وحدثني محمد بن إسماعيل المرادي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح المصري، قال حدثني الليث عن علوان بن صالح عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أبا بكر الصديق قال: ثم ذكر نحوه، ولم يقل: «عن أبيه».

النظر في سند القصة:

- يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفي، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يوثقه، ويرفع من شأنه، ووثقه النسائي، «تهذيب التهذيب» (٤ / ٤٩٦ - ٤٩٧).

- يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي: مختلف في تضعيفه وتوثيقه، قال الحافظ في تهذيب التهذيب (٤ / ٣٦٨):

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ضعيف، وقال في موضع آخر: ليس بثقة، وقال مسلمة ابن قاسم: تكلم فيه، وقال في «التقريب» (٢ / ٣٥١): ثقة في الليث بن سعد.

- الليث بن سعد: ثقة.

- علوان بن صالح: مضطرب في اسم أبيه، فمنهم من قال: ابن صالح، ومنهم من قال: ابن داود، قال الحافظ في «لسان الميزان» (٤ / ١٨٨): علوان بن داود البجلي مولى جرير بن عبد الله، ويقال: علوان بن صالح، قال البخاري: علوان بن داود - ويقال ابن صالح - منكر الحديث، وقال العقيلي: له حديث لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به، وساق القصة هذه نقلاً عن العقيلي الحافظ في: «لسان الميزان»، وقال: ابن يونس: وقال ابن يونس: منكر الحديث، ثم نقل الحافظ عن العقيلي، قوله: «لا يعرف علوان إلا بهذا مع اضطرابه في حديث أبي بكر، قال: وأخبرنا يحيى بن عثمان أنه سمع سعيد بن عفير يقول: «كان علوان بن داود زاقولياً من الزواقيل» انتهى كلام الحافظ في «لسان الميزان».

قال في ترتيب القاموس (٢ / ٤٦١ - ٤٦٢) في مادة (زقل): والزواقيل: اللصوص.

فهذا علوان بن صالح أو ابن داود من رجال سند القصة من اللصوص، فكيف تصح القصة؟ صالح بن كيسان المدني: ثقة.

حميد بن عبد الرحمن بن عوف: قال العجلي وأبو زرعة وابن خراش: ثقة.

قال ابن معين: مات حميد سنة ١٠٥هـ، علق الحافظ في «تهذيب التهذيب» (١ / ٤٩٧) على تاريخ هذه الوفاة، فقال: «قلت: وإن صح ذلك على تقدير صحة ما ذكر من سته فروايته منقطعة قطعاً، وكذا عن عثمان وأبيه» =

(ما ورد في كتاب «الإمامة والسياسة» من دعوى الاعتداء على بيت علي وإغصاب فاطمة رضي الله عنها وبطلان نسبة الكتاب لابن قتيبة)

وقد ذكر عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في كتابه «الإمامة والسياسة» ما لفظه: وأن أبا بكر أخبر بقوم تخلفوا عن بيعته عند علي، فبعث إليهم عمر ابن الخطاب، فدعا عمر بالخطب، فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها عليكم على ما فيها، ف قيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة، فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا علياً، فإنه قال: جعلت ألا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقف فاطمة على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا سوء محضر منكم، تركتم جنازة رسول الله ﷺ بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لا تستأمرون، ولم تروا لنا حقاً، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر: يا قنفذ -وهو مولى له- اذهب فادع علياً، قال: فذهب قنفذ إلى علي، فقال: ما حاجتك؟ قال: يدعوك خليفة رسول الله ﷺ، قال علي: لسريع ما كذبتهم على رسول الله ﷺ، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، ثم ساق القول في ذلك، وذكر وصول علي إلى أبي بكر... ما لفظه: فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، واستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه، فأرسلهما عليها، فلما قعدا عندها حوَّلت وجهها إلى حائط، فسلما عليها فلم ترد عليهما، فتكلم أبو بكر، فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وإنك لأحب إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعده، أفترانك أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك، وميراثك

= فهذه حال سند هذه القصة المنسوبة إلى أبي بكر رضي الله عنه، والآفة في سندها جاءت من طريق علوان بن داود، وقد عرفت تلف وضعف هذا الرجل، وجرح رجال الحديث له، ولو لم يكن إلا جرح الإمام البخاري فيه بقوله: «منكر الحديث» لكفى بذلك جرحاً، فكيف باجتماع عيوب أخرى فيه، ونسبته إلى اللصوصية؟! وأما حميد ابن عبد الرحمن بن عوف، فقد عرفت تعليق الحافظ ابن حجر في لسان الميزان على سنّه واحتمال انقطاع روايته عن أبيه بل عن عثمان رغم تأخر عثمان في الوفاة على أبيه، وما سبق من الإشارة إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيها، والعلم عند الله.

من رسول الله ﷺ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة»، فقالت: أرايتما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ، أتعرفانه، تعقلانه؟ قالوا: نعم، قالت: أنشدتكما بالله، ألم تسمعا من رسول الله ﷺ، يقول: «رضا فاطمة رضاي، وسخط فاطمة سخطي، ومن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟»، قالوا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت رسول الله ﷺ لأشكونكما إليه، فقال أبو بكر: عائذاً بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر باكياً يكاد أن نفسه تزهق، وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة، وأبو بكر يبكي، ويقول: والله لأدعون لك في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: أييت كل رجل منكم معانقاً لخليله مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم، أقبلوني بيعتي، قال: ولم يبايع علي حتى ماتت فاطمة، ثم بايع^(١)، هذا محصول كلام ابن قتيبة عن صورة ما وقع، فلم يقع أكثر

(١) هذه القصة المختلفة بل الكتاب نفسه المطبوع المنسوب إلى ابن قتيبة ص(٢٤-٢٥)، قال محقق هذه الرسالة الفقير إلى الله عبد الرحمن: ما كان أغنى المصنف رحمه الله من أن يذكر وينقل هذه القصة المختلفة، بل نسبة الكتاب هذا الذي احتوى على هذه القصة نسبة غير صحيحة، وقد تكلم فيه العلماء، وإليك ما قالوه:

١ - قال القاضي أبو بكر بن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) في كتابه «العواصم من القواصم» ص(٢٤٨): «ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل، أو مبتدع محتال، فأما الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتابه «الإمامة والسياسة» إن صح عنه جميع ما فيه، وكالمبرد في كتابه الأدبي، وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه؛ فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة، وأما المبتدع المحتال المسعودي، فإنه يأتي معه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه بعض الأدلة الآتفة الذكر».

٢ - وقال الكاتب الإسلامي المشهور: محب الدين الخطيب رحمه الله، معلقاً على كلام القاضي ابن العربي في كلامه السابق: «لم يصح عن ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) لم يصح عنه شيء مما فيه، ولو صحت نسبة هذا الكتاب للإمام الحجة ابن قتيبة، لكان كما قال عنه ابن العربي؛ لأن كتاب الإمامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة والكذب والتزوير».

٣ - وقال العلامة ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه «تطهير الجنان» ص(٤٣-٤٤): «ومع تأليف صدرت من بعض المحدثين كابن قتيبة مع جلالته القاضية بأنه كان ينبغي له ألا يذكر تلك الظواهر، فإن أبي إلا ذكرها، فليبين جريانها على قواعد أهل السنة حتى لا يتمسك مبتدع، أو جاهل بها، فإنهم ذكروا في تلك التأليف كل ما وقع من صحيح وغيره، فأبقوها على ظواهرها، فأضر بمن عدا أكابر علماء السنة من ليس له قدم راسخ في العلوم؛ لاعتقاده تلك الظواهر المستلزمة، لثريته آثارها عليها من نقص كثير من الصحابة، وما يتبع ذلك مما يخل بكمال الإيمان، ويوجب التمادي في الغي والبهتان».

- ٤ - الأستاذ الكبير أحمد محمد شاكر، محقق كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة، قد ذكر في مقدمة الكتاب ترجمة للمؤلف ابن قتيبة (١ / ٤٨ - ٢٥٠) وسرد فيها مؤلفاته التي تبلغ (٣٣) كتاباً، وليس فيها ذكر هذا الكتاب المنحول «الإمامة والسياسة».
- ٥ - والإمام الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٩٧) ترجم لابن قتيبة ترجمة وافية، وسرد فيها مؤلفات ابن قتيبة، وليس فيها أي إشارة إلى هذا الكتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة.
- ٦ - والأستاذ الزركلي صاحب كتاب «الأعلام» (٤/ ١٣٧) في ترجمته لابن قتيبة أشار إلى ذكر كتاب «الإمامة والسياسة»، وقال: «وللعلماء نظر في نسبة الكتاب إليه».
- ٧ - قال الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان في كتابه «كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٥٥) في ص (٢٩٩): والأدلة على عدم صحة نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة كثيرة، منها:
- أ - أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا هذا الكتاب، اللهم إلا القاضي الثوري المعروف بابن الشباط، فقد نقل عنه في الفصل الثاني من الباب (٣٤) من كتابه (صلة السمت).
- ب - أن الكتاب يذكر أن مؤلفه كان بدمشق، وابن قتيبة لم يخرج من بغداد إلا إلى دينور.
- ج - أن الكتاب يروي عن أبي ليلى، وأبو ليلى كان قاضياً بالكوفة سنة ١٤٨هـ، أي قبل مولد ابن قتيبة بـ (٦٥) سنة.
- د - أن مؤلف الكتاب يذكر فتح موسى بن نصير لمراكش، ومع أن هذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة ٤٥٥هـ، وابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦هـ.
- هـ - أن هذا الكتاب مشحون بالجهل والغباء والرقة والكذب والتزوير ففيه أبو العباس والسفاح شخصيتان مختلفتان، وهارون الرشيد وهو الخلف المباشر للمهدي، وأن الرشيد أسند ولاية العهد للمأمون، وهذه الأخطاء يتجنبها صغار المؤرخين، فضلاً عن هو مثل ابن قتيبة، الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقعة فيه يتهم بالزندقة، ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه».
- و - أن مؤلف (الإمامة والسياسة) يروي كثيراً عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر، ولا أخذ من هذين العالمين، فدل ذلك على أن الكتاب مدسوس عليه، وقد جزم بوضع الكتاب على ابن قتيبة غير واحد من الباحثين، من أشهرهم:
- ١ - محب الدين الخطيب في مقدمة كتاب ابن قتيبة (الميسر والقдах) ص (٢٦، ٢٧).
- ٢ - ثروت عكاشة في مقدمة كتاب ابن قتيبة (المعارف) ص (٥٦).
- ٣ - عبد الله عسيان في رسالة صغيرة مطبوعة بعنوان (كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي) ساق فيها (١٢) دليلاً على بطلان نسبة الكتاب لابن قتيبة.
- ٤ - عبد الحليم عويس في كتابه (بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهايار الداخلي) ص (٩-١٠).
- ٥ - سيدة إسماعيل الكاشف في كتابه (مصادر التاريخ الإسلامي) ص (٣٣).
- ٦ - وقد قدمت في الجامعة الأردنية كلية الآداب عام (١٩٧٨م) رسالة ماجستير، عنوانها (الإمامة والسياسة دراسة وتحقيق)، قال الباحث فيها: «وعلى ضوء هذه الدراسة، فقد تبين أن ابن قتيبة الدينوري بعيد عن كتاب الإمامة والسياسة، وبنفس الوقت فإنه لم يكن بالإمكان معرفة مؤلف الكتاب، مع تحديد فترة وفاته بحوالي أواسط القرن الثالث الهجري»، وقال قبل ذلك في نفس الصفحة: «إن النسخ المتوفرة من الكتاب والمخطوطة منها، وهي عشر نسخ وقف عليها الباحث والمطبوعة تنسب إلى ابن قتيبة».
- ٧ - وقد جزم ببطلان نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة أيضاً السيد أحمد صقر في مقدمة تحقيقه لـ «تأويل مشكل القرآن» ص (٣٢)، فقال: «كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه»، ثم قال بعد أن ساق بعض الأدلة الأتفة الذكر: «إن هذا وحده يدفع نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، فضلاً عن قرائن وأدلة أخرى، كلها تثبت تزوير هذه النسبة»، وإلى هذا ذهب الحسيني في رسالته ص (٧٧-٧٨)، والجندي في كتابه عن ابن قتيبة (١٦٩-١٧٣)، وفاروق حمادة في (مصادر السيرة النبوية) ص (٩١)، وشاكر مصطفى في «التاريخ العربي والمؤرخون» (١ / ٢٤١-٢٤٢)، ولله الحمد.

من ذلك، ولم يقع حريق كما تقول الرافضة، مع أن ابن قتيبة ربما قد زاد في روايته هذه بعض شيء لا يثبت عند غيره من الرواة، والرجل مختلف فيه، بل قد كذبه الحاكم وغيره^(١)، فمبايعة علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه، ورضا فاطمة عنه، كما سبق برواية الطبري مزيل لسبب الغضب بحصول الرضا، ويكون ما رواه ابن قتيبة قبل ذلك؛ لأن الطبري مؤرخ، ذلك بأنه كان الرضا من فاطمة رضي الله عنها عند مرض موتها كما مضى والله أعلم.

وقد روى ابن أبي الحديد في شرح «النهج» ما يقرب من ذلك في قصة البيعة، وإرسال عمر لعلي فقال ما لفظه: فلما بايع علي والزبير، وهدأت الفورة مشى إلى فاطمة أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر، وطلب إليها فرضيت عنه.^(٢)

(رأيان وجيهان للإمام يحيى بن حمزة في دعوى إغصاب فاطمة رضي الله عنها)

وقد ذكر الإمام يحيى عنه هذا في «الشامل» حديث البخاري حيث روى أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كان أراد النكاح على فاطمة فكرهت، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا آذن لعلي بن أبي طالب بذلك، إلا أن يطلق ابنتي وينكح؛ فإنما ابنتي بضعة مني، يربيني ما يربيهما»^(٣)، قال: فكان ظن علي واجتهاده، أن ذلك مباح؛ لقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ النساء: ٣، فلما نهى النبي صلى الله عليه وسلم تركه، وأما أبو بكر كان ظنه أنه قد قضى بما رآه حسبما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم من الخبر، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «إنا لا نورث، ما تركناه صدقة»^(٤) الحديث، ولو علم أن النبي صلى الله عليه وسلم ينهاه عنه لتركه، على أن أبا بكر قد أغضب ابنته عائشة؛ لأنها وارثة من جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يورثها ذلك ولا غيرها، قال

(١) ذكر هذا الحافظ في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٩٩)، قول الحاكم: «أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب» ورد عليه الذهبي: بأن هذه مجازفة وقلة ورع، وقال: فما علمت أحداً اتهمه بالكذب قبل هذه القولة.

(٢) وهذه قصة أخرى كان المصنف غنياً عن ذكرها ولا يقبل قول ابن أبي الحديد راويها.

(٣) تقدم الكلام عن هذا الحديث وكلام الحافظ في شرحه.

(٤) من حديث طويل من حديث مالك بن أوس بن الحدثان، رواه البخاري في فرض الخمس، وفي المغازي، باب:

حديث بني النضير، وفي تفسير سورة الحشر، باب: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...﴾ وفي النفقات،

وفي الفرائض، وفي الاعتصام، وأخرجه مسلم (١٧٥٧) في الجهاد.

العلامة السيوطي في الخصائص: «ومن خصائصه ﷺ ألا يتزوج أحد على بناته»^(١)، ولذلك فإن علياً ما تزوج عليها في حياتها حتى ماتت، فتزوج بالحنفية أم محمد بن الحنفية من بني حنيفة.

* * *

(من مناقب أبي بكر رضي الله عنه)

ويؤكد ذلك ما نزل من الآيات في أبي بكر، وتعظيم شأنه ما يقشعر منه الجلد، ويتصاغر له العبد؛ لأن ثناء الله تعالى وتركيبته ما وراءها شيء من ذلك، وكفى بذلك؛ فمنها قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦]، فهذه في سورة الأحقاف، قال الإمام أبو الفتح الديلمي في تفسيره (البرهان)، وهو من كبار أئمة الزيدية، ما لفظه: «هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه»^(٢)، وقال الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي في «تفسير التهذيب»: هذه الآية نزلت في أبي بكر، وقال في «الدر المنثور» في التفسير

(١) «الخصائص»، للسيوطي اسمه: «أتمودج اللبيب في خصائص الحبيب» مطبوع، وهذه المسألة وردت ص (١٩٧) وعلى هذا الكتاب شرح للعلامة محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، سماه: (فتح الكريم القريب)، وقد استدلل الشارح على هذه المسألة معللاً بقوله: أي لا يجوز كما عبر به أبو علي، وهل يبطل النكاح؟ لم أر من ذكره، وذلك لخبر الشيخين: «أما بني المغيرة استاذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب؟» وجوابه: «فلا أذن ثم لا أذن إلا أن يريد علي أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذيها ما آذاها». انتهى.

(٢) في تفسير ابن كثير (٢٧٣/٧)، (٣٦٦) أورد أثراً عن ابن أبي حاتم بسنده إلى محمد بن حاطب، قال: وظهر على علي رضي الله عنه أهل البصرة، فقال لي يوماً: لقد شهدت أمير المؤمنين علياً وعنده عمار وصعصعة والأشتر ومحمد بن أبي بكر، فذكروا عثمان رضي الله عنه، فنالوا منه، وكان علي رضي الله عنه على السرير، ومعه عود في يده، فقال قائل منهم: إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه، فقال علي: كان عثمان من الذين قال الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦] قال: والله عثمان وأصحابه، قالها ثلاثاً، قال يوسف لمحمد بن حاطب: آله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه؟ قال: آله لسمعت هذا من علي. وقال القرطبي (١٦/١٩٤): وقال علي رضي الله عنه: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٩/١٨): نزلت في أبي بكر الصديق، وذكر الطبري في «الرياض النضرة» (١/١٧٨) عن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر الصديق، وفي «الصواعق المحرقة» ص (٦٧)، لابن حجر المكي: «روى ابن عساكر عن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر». انتهى، وهي في «الدر المنثور» (٧/٤٤٤).

بالمأثور، للسيوطي: هذه الآية نزلت في أبي بكر، وقال الضحاك^(١): نزلت في أبي بكر وعمر، وقوله تعالى بعدها^(٢): ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]، قال أبو العالية^(٣): الذي جاء بالصدق: رسول الله ﷺ، وصدق به: أبو بكر وعمر وغير ذلك مذكور في التفاسير، ومنها قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ^(٤) مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، نزلت في أبي بكر، ومن قاتل معه، كما أجمع المفسرون، وكان علي رضي الله عنه من جملة المعينين لأبي بكر، وسبى منهم

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، تابعي قال أحمد: ثقة، مات سنة ١٠٦ هـ، «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٢٦).

(٢) هذه الآية ليست بعد الأولى، وإنما هي في سورة الزمر، كما هو ظاهر

(٣) أبو العالية الرياحي، رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرئ، مولى امرأة من بني رياح بطن من تميم، روي عنه أنه قال: كان ابن عباس يرفعني على سريريه، وقرش أسفل منه، ويقول: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس الملوك على الأسرة، قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية ثم سعيد ابن جبير، مات سنة ٩٠ هـ، «تذكرة الحفاظ» (١ / ٦١-٦٢).

قال ابن كثير في تفسيره (٧ / ٨٩-٩٠): «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: هو الرسول ﷺ، وقال السدي: هو جبريل عليه السلام، «وَصَدَّقَ بِهِ» يعني محمداً ﷺ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» قال: من جاء بلا إله إلا الله «وَصَدَّقَ بِهِ» يعني رسول الله ﷺ، وقرأ الربيع بن أنس: «وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ» يعني الأنبياء، «وَصَدَّقُوا بِهِ» يعني التابع، وقال مجاهد: «الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ» قال: أصحاب القرآن المؤمنون، يحيئون يوم القيامة فيقولون: هذا ما أعطيتونا فعملنا فيه بما أمرتونا، وهذا القول من مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» هو رسول الله ﷺ «وَصَدَّقَ بِهِ» المسلمون، وقال القرطبي (١٥/ ٢٥٦):

واختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به، فقال علي رضي الله عنه: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» النبي ﷺ، «وَصَدَّقَ بِهِ» أبو بكر رضي الله عنه، وذكر ابن حجر المكي في «الصواعق» ص (٦٦) عن ابن عساكر والبخاري أن علياً رضي الله عنه، قال: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ» هو محمد ﷺ، «وَصَدَّقَ بِهِ» هو أبو بكر رضي الله عنه.

(٤) هكذا في المخطوطة بفك الإدغام، وهي قراءة نافع وإبراهيم، انظر: «حجة القراءات» لأبي زرعة ص ٢٣٠، قال ابن كثير (٣/ ١٣٧): «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ»، قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه، رواه ابن أبي حاتم، وقال أبو بكر بن عياش: هم أهل القادسية، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: هم قوم من سبأ، ونقل عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس: أنهم ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون. وأورد عن ابن أبي حاتم بسنده عن الأشعري، قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا».

وقال القرطبي (٦/ ٢٢٠): قال الحسن وقتادة: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه، وقال السدي: نزلت في الأنصار، وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة ومن أشجع، وقيل: إنها نزلت في الأشعريين، ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله ﷺ، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن، هذا أصح ما قيل في نزولها.

امراً، وهي أم ولده محمد بن الحنفية، هذا مشهور ولا عبرة بتحريف الرافضة، ونزل في صحبته لرسول الله ﷺ يوم الغار^(١) قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)، وهذه الصحبة له ﷺ في الغار من الشرف العظيم الذي اختص به عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، ونزل أيضاً في عمر وعثمان آيات مشهورات ولا ينزل الثناء من الله تعالى على أحد إلا وخاتمة حسنة؛ لأن علمه سبحانه محيط بالماضي والمستقبل، لا يعزب عنه مثقال ذرة.

(الصحابة في مقدمة السابقين المذكورين في سورة الواقعة)

ويكفيك عموم ما نزل من القرآن الكريم في الصحابة السابقين، وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٠-١٤)، وفيها دلالة على فضل السابقين على من بعدهم، حيث قال فيها: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، فإن المقرب منهم الأولون لسبق درجتهم أكثر من الآخرين، ولذلك ساوى أهل اليمين، حيث قال فيهم تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٣٩-٤٠)، لما كان (أهل) (٢) الجزاء يستوي فيه أهل اليمين، بخلاف السبى والقرب، فلذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ لفضل السابقين، قال صاحب الكشف^(٣): «فإن قلت: كيف قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾؟»

قلت: هذا في السابقين، وذاك في أصحاب اليمين، وإنهم يتكاثرون من الأولين

(١) قال ابن حجر المكي في «الصواعق» ص(٦٦): أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر، ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعاً، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن الضمير في ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ لأبي بكر، أي ولا ينافيه: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾ إرجاعاً للضمير في كل إلى ما يليق به، وجلالة ابن عباس قاضية بأنه لولا علم في ذلك نصاً لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له.

(٢) ما بين المعقوفين أثبتناها من (ب).

(٣) هو العلامة الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، نجار الله، من أئمة العلم بالدين، معتزلي، ومن أئمة التفسير والفقه والأدب، ولد في زمخشري، قرية من قرى خوارزم سنة ٤٦٧هـ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فسمي جارا لله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى خوارزم، فتوفي بها سنة ٥٣٨هـ، وله (الكشاف) من أشهر كتبه، و(أساس البلاغة)، و(المفصل) وغير ذلك، «الأعلام» (١٧٨/٧).

والآخرين جميعاً»^(١) انتهى كلام صاحب الكشاف، ومعناه: أن التكاثر باعتبار التقريب في الجنة اختص السابقين لفضلهم على الآخرين.

(رد المؤلف لمطاعن قيلت في عثمان رضي الله عنه)

إن قيل: فما تقول في المطاعن التي طعنوا بها على عثمان بعد توليته للوليد بن عقبة^(٢) الكوفة وهو فاسق، وكان نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وغير هذا من المطاعن؟ والجواب: ما ذكره ابن أبي الحديد عن قاضي القضاة^(٣)، وغيره إجمالاً، وتفصيلاً، أما الإجمال: فإن هذا يكون من الصغائر، وأما التفصيل: فكان حال الوليد حال التولية مستوراً، فلما قامت الشهادة بعد ذلك عزله عثمان، وأقام الحد عليه، وسائر ما طعن عليها جوابات مبسطة قد ذكرها ابن أبي الحديد، في الجزء الثاني من شرح «النهج» وغيره، وهي ظاهرة لا حاجة هنا إلى ذكرها، قال السيد الهادي بن إبراهيم في (كريمة العناصر)، ما لفظه: «لنا أن عبد الله بن العباس رضي الله عنه، استخلف زياد بن أبيه^(٤) الفاسق المشهور بالفسق والبطالة على البصرة، فكان زياد بن أبيه والياً عليها، وأقر علي بن أبي طالب رضي الله عنه استخلاف ابن عباس لزياد بن أبيه على البصرة، ومن كلامه في «نهج البلاغة» إلى زياد بن أبيه ما لفظه: «وإني أقسم قسمًا صادقًا لئن بلغني أنك خنت^(٥) في المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل

(١) الكشاف (٥٣/٤)، وقال القرطبي (١٧/٢٠٠)، قال الحسن: ثلثة ممن قد مضى قبل هذه الأمة وقليل من أصحاب محمد صلی الله علیه و آله، اللهم اجعلنا منهم بكرمك، وسموا قليلاً بالإضافة إلى من كان قبلهم؛ لأن الأنبياء المتقدمين كثروا فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أبو وهب الأموي القرشي وال من فتیان قریش وشعرائهم وأجوادهم، وهو أخو عثمان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، وبعثه النبي صلی الله علیه و آله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، مات فيها سنة ٦١هـ.

(٣) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني: أبو الحسين الملقب قاضي القضاة، أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه بهذا اللقب السابق، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة ٤١٥هـ، له تصانيف كثيرة، «الأعلام» (٣/٢٧٣).

(٤) زياد بن أبيه: أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه، أدرك النبي صلی الله علیه و آله ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى أيام إمارته على البصرة، ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس، ثم ولي معاوية البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة ٥٣هـ، «الأعلام» (٣/٥٣).

(٥) في «نهج البلاغة» المطبوع ص (٤٥٧): «من فيء المسلمين الوفرة: المال، والضئيل: الضعيف النحيف.

الوفر ثقیل الظهر ضئیل الأمر، والسلام»^(١)، هذا كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى زياد الفاسق يحذره من الخيانة ويقرر له الولاية، وفي هذا الكلام أوفى دلالة على ولاية الفاسق. انتهى.

قلت: ويحتمل هذه التولية للمذكور كما حملت تولية عثمان للوليد بن عقبة قبل مجاهرته بالفسق.

(من مواقف أكابر الزيدية في الثناء على الصحابة)

وفي مجالس أحمد بن موسى الطبري من أصحاب الهادي، أنه قال له رجل: أنتم يا معشر الشيعة تقعون في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقلت له: أنت تعرفني، وأنا أعرفك منذ دهر، فهل سمعتني أقع في أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: أما أنت فلا، وأما أصحابك ف نعم، قلت له: يا هذا، أنا غير أصحابي، وأصحابي غيري، انتهى.

وفي مجموع الهادي في جوابه لأهل صنعاء، ما لفظه: «ولا أنتقص أحداً من الصحابة الصادقين والتابعين بإحسان المؤمنات منهم والمؤمنين، أتولى جميع من هاجر، ومن آوى منهم ومن نصر، فمن سب مؤمناً عندي استحلالاً فقد كفر، ومن سبه استجاراً فقد ضل عندي وفسق، ولا أسب إلا من نقض العهد والعزيمة، وفي كل وقت له هزيمة من الذين بالنفاق تفردوا على الرسول مرة بعد مرة، تمردوا على أهل بيته، اجتروا وطعنوا»، انتهى بلفظه.

قال الفقيه عبد العزيز بن بهران^(٢): وأما ما ذكره أول كتاب الأحكام، أنه قال: «من أنكر النصوص على أمير المؤمنين فقد كذب الله ورسوله، ومن كذب الله ورسوله فهو كافر»، معناه: من أنكر ورود هذه النصوص، وليس المراد من أنكر دلالتها على الإمامة؛ لأن المعلوم من حاله عدم التكفير للصحابة رضي الله عنهم، وهذا مثل ما سبق للقرشي، وقد وسع الحاكم المحسن بن كرامة الجشمي الشيعي الكلام في الجزء الثاني من السفينة في النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم، وذكر فضائل الخلفاء الأربعة

(١) «النهج» ص (٤٥٧).

(٢) ترجم له زيارة في «ملحق البدر الطالع» (١٢٢/٢)، فقال: القاضي العلامة عبد العزيز بن محمد بهران الصعدي التميمي البصري، ولد عام ٩٤٨هـ، وتوفي في رجب سنة ١٠١٠هـ.

بكلام طويل، وذكر فصلًا فيما جاء في ذم الرافضة، حتى قال آخره ما لفظه: «إنما سمو رافضة لأن أبا الخطاب^(١) دخل على زيد بن علي، فقال له: ما تقول في هذين الرجلين الظالمين؟ قال: ومن هما؟ قال: أبو بكر وعمر، قال: لا أقول فيهما إلا خيرًا، فتركوه فسموا الرافضة لتركهم زيد بن علي، فكل من شتم الصحابة فلا يقول بإمامة زيد بن علي، ويقول بإمامة المعينين وبالنص، والمعجز فهو رافضي» انتهى بلفظه من السفينة.

وقال حميد الشهيد في (الحدائق الوردية) في ترجمة الإمام الحقيني^(٢) من أئمة أهل البيت أنه قال في وصيته ما لفظه: «وأشهد أن أمير المؤمنين إمام المسلمين بعد رسول الله ﷺ؛ لما خصه الله بمجموع الفضائل والمناقب ووضع في أشرف المناصب بمنصوص من التنزيل المعرض للتأويل لتقابل الأشباه والأمثال، وتعارض المعاني والأشكال سميناه نصًّا خفيًّا، وإن كان معناه عند الرساخ واضحًا جليًّا، وأما كبار الصحابة الذين تصدوا للإمامة ونهضوا بالخلافة فلا أغص^(٣) نفوسهم وأعراضهم، ولا أقابل بالشتم أعراضهم بل أجد موجدة الرازي عليهم؛ لتمسكهم بالمحتملات، وتعلقهم بالمتأولات»، وقال المنصور بالله في كتابه (الشافي) ما لفظه: «ولا نقول: إن الله تعالى قد سخط عليهم بعد رضاه عنهم، بل نقول: إن هذه الخطيئة إلى الله سبحانه يحكم فيها بما شاء ولا نقطع على أمر بغير دلالة، وأما من خرج عليه وحاربه فإنه قد عصى الله وارتكب الكبير من الإثم، لكن الراوية قد رويت بتوبة الأكابر من الصحابة كطلحة والزبير وعائشة» انتهى كلامه.

وقال في الشافي ما لفظه: «ولا نقول بأن النص جليٌّ؛ فإنهم علموا قصد الرسول ﷺ ضرورة وخالفوا عنوة بل هذا إنما يلزم من قال: إن النبي ﷺ نص

(١) أبو الخطاب: هو محمد بن مقلص أبو زينب الأسدي الكوفي يكنى أبا الخطاب وبأبي الضبيان، وأبي إسماعيل، وقد كان يقول: إن لكل شيء من العبادات باطنًا، وقد ظل على ضلاله ومخرقة حتى قتله عيسى بن موسى والي الكوفة من قبل العباسيين سنة ١٤٣هـ، الإسماعيلية المعاصرة ص(٢٦)، لمحمد بن أحمد الجوير.

(٢) في «طبقات الزيدية» (١٣٠٤/٣) الحقيني الكبير وهو محمد بن الحسن بن الحسين بن علي، نسبة إلى حقيقته، قرية من بلاد المغرب، ترشح للإمامة في أرض الديلم، وقتل يوم الاثنين من شهر رجب سنة ٤٩٠هـ، والحقيني الصغير هو ولد أخي السابق، واسمه: علي بن جعفر بن الحسين، ولم تعرف وفاته، انتهى.

(٣) غصصت بالطعام غصصًا من باب (تعب) فأنا غاص وغصان، والغصّة بالضم: ما غُصّ به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه، والجمع غُصَص، «المصباح» ص(٤٤٨).

على علي نصًّا جليًّا، اضطر الكل من الصحابة إلى معرفة المراد منه، وهؤلاء هم الإمامية وتابعهم على غوايتهم في ذلك عن الحق الباطنية، توصلًا إلى الطعن على أصحاب رسول الله ﷺ، وأما عند فضلاء الزيدية، ومن شاركهم من علماء البرية، فهو نص محتمل للتأويل، بل محتاج إلى النظر من الدليل» إلى آخر كلامه رحمه الله.

وذكر صاحب «سيرة المنصور بالله» في المجلد الثاني عن المنصور بالله، أنه قال: «رافضة الشيعة هم المطرفية^(١) والحسينية والقاسمية يسبون الصحابة، وذكر حميد الشهيد أول كتاب (محاسن الأزهار): وإذا كان المقصود هو ذكر فضل علي لم يكن لأحد أن يسبنا إذا كشفنا عن فوائد الأخبار، وبالغنا فيها، إلا أن نعتقد أن نفسق

(١) المطرفية: فرقة تنسب إلى مطرف بن شهاب، من أعلام أواخر المائة الرابعة، وأوائل المائة الخامسة للهجرة، وكانوا من شيعة الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأتباع مذهبه في الفروع، ولا يرون جواز الخروج عنه، ويعتقدون الحق في الاجتهادات مع واحد، فلذلك حظروا الخروج عن مذهبه، ولما تبين لهم أن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة قد خالف مذهب الهادي في بعض مسائل الفروع، أنكروا عليه ذلك فكان هذا الإنكار من أسباب الشقاق بينه وبينهم، مع أنه القائل: «إننا نهاب نصوص الهادي كما نهاب نصوص القرآن»، وكانت المطرفية على جانب عظيم من الإقبال على العلم والاشتغال به والإخلاص في الطاعة والعبادة ولهم زهد زائد على الناس في زمانهم، وفي الأصول كان المطرفية على مذهب المعتزلة متابعين في ذلك الهادي وأبا القاسم البلخي، ولهم مسائل في الاعتقاد ضلال محض، وخالفوا الزيدية في أهم مبادئهم وأصولهم وهي الإمامة، فإنهم لم يشترطوا النسب في من يتولاهما كالزيدية، ورأيهم مع من قال: إن الإمامة جائزة في جميع الناس لا يختص بها قوم دون قوم، وإنما تستحق بالفضل والطلب، وإجماع كلمة الشورى، وهو مذهب النظام وغيره من المعتزلة وغيرهم، مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وهذا القول هو الذي أثار حفيظة الإمام عبد الله بن حمزة، فكفرهم بالإلزام، واعتبر حكمهم حكم الحراة، واستحل دماءهم وأموالهم، وأخرب ديارهم ومساجدهم وسماهم روافض الشيعة، مع أنهم كانوا من شيعة، وكانوا ممن بايعه عند إعلان نفسه إمامًا.

والحسينية: نسبة إلى الحسين بن القاسم بن علي العياني الذي دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ٣٩٣هـ، وتلقب بالمهدي، وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه أفضل من النبي، وأن كلامه ومصنفاته أفضل من القرآن، وأجمل في ظهور المعنى، وقطع كلام الخصم، وكان يطلب من الناس الأخماس كالعبودية الفاطمية في كل شيء منها الحلي، وثلاث الزروع والتجارة حتى في العبيد والإماء، وتوفي مقتولاً في وادي عرار من حقل البون شمال صنعاء سنة ٤٠٤هـ. وانظر: مزيداً من التفصيل في كتاب (الزيدية) للقاضي إسماعيل الأكوح ص (٧٦، ٧٥).

والقاسمية: هم المنسوبون إلى القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي الحسيني العلوي المعروف بالرسي، فقيه شاعر من أئمة الزيدية، كان يسكن جبال «قدس» من أطراف المدينة، وأعلن دعوته بعد موت أخيه سنة ١٩٩هـ، ومات في (الرس) وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة، له عدة مؤلفات، وكانت ولادته في سنة ١٦٩هـ، ووفاته سنة ٢٤٦هـ، «زيد بن علي المقتري عليه» ص (٢٦٨)، و«الأعلام» (١٧١/٥).

الصحابة، أو أنا قصدنا النقص عليهم؛ فإننا بالغنا في تفصيل مناقبه التي خُصَّ بها دونهم، وحققنا من مزاياه التي تفرد بها عنهم، ونحن مع ذلك نعوذ بالله من المعصية، التي تقود إلى الضلال» انتهى.

وقال المنصور بالله في كتابه (العقد الثمين) ما لفظه: «وإننا نعلم أن علياً لم يكن يعاملهم معاملة الفاسق، بل يعاتبهم ويثني عليهم أفعالهم، ولا يسبهم، ولا تُعلم منه البراءة منهم، كما كان يظهر البراءة من الفساق والمنافقين، وذلك معلوم من ذريته الطاهرة، والأئمة والعلماء إلى يومنا هذا، ألا ترى أحداً يحكي عنهم حكاية صحيحة بسب ولا براءة، بل وكلوا أمرهم إلى الله»، هذا لفظ المنصور بالله دال على أن الإمام أحمد بن سليمان لا يقول بما نسب إليه في (حقائق المعرفة) من التفسير للصحابة حاشاه لقرب عهد المنصور بالإمام أحمد بن سليمان، فإنه نفى أن أحداً من أهل البيت يسب أو يفسق، والإمام أحمد بن سليمان أقرب الأئمة في عصره إليه^(١)، فكيف لو كان صحيحاً ما في «الحقائق»، فهل يجهله المنصور بالله؟ هذا بعيد، فقوي قول من قال: إن ما في «الحقائق» مدسوس ملحق بآخرها؛ لأنه لا مناسبة هناك لذكره فيها، إذ هي في حدٍّ آخر، يعرفها من طالعها، ولا سيما لمخالفة إجماع أهل البيت، فلا يمكن مخالفة إجماعهم مع أنه قد روي أن المنصور بالله صرح بالترضية عن المشايخ في كتابه: «المجموع المنصوري»، وحكى العامري في (الرياض المستطابة) عن المنصور بالله مثل ذلك^(٢)، نعم، وما عزي عن المنصور بالله

(١) أي إلى عصر المنصور عبد الله بن حمزة.

(٢) نص ما نقله العامري من (المسائل التهامية) في (الرياض المستطابة ص ٣٠٠) من كلام الإمام عبد الله بن حمزة، قال: «فهم خير الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، فرضي الله عنهم، وجزاهم عن الإسلام خيراً»، ثم قال: «فهذا مذهبنا لم نخرجه غلطة، ولم نكتنم سواء تقية، ومن هو دوننا مكاناً وقدره» (*) يسب ويلعن ويذم ويظعن، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء، وهذا ما يفضي علم آبائنا منا إلى علي كرم الله وجهه... إلى قوله: «وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء سب الصحابة ﷺ، والبراء منهم، فيبرأ من محمد ﷺ من حيث لا يعلم، وأنشد:

«وإن كنت لا أرضى وترمى كناتي

تصب جاثحات النبل كشحي ومنكبي» (**)

(*) لعلها: وقدة.

(**) هذا البيت من أربعة أبيات منسوبة لأحد العرب وقد ضرب بنو عم له مولى له اسمه حوشب وبعده:

أفيقوا بني حَزَنٍ وأهواؤنا معاً
وأرحامنا موصولة لم تقضب
فإن تبعثوها تبعثوها ذميمةً
قبيحة ذكر الغب للتلغيب
سأخذ منكم آل حزن بحوشب
وإن كان مولى لي، وكنتم بني أبي

انظر: «التذكرة السعدية في الأشعار العربية» ص (٣٥).

مما يوهم خلاف هذا، مثل (النصيحة المنظومة) المضافة، فلا تصح، بل هي كذب؛ لمخالفتها نصوصه في كتبه المشهورة، مثل: (الشافعي) و (العقد الثمين)، وغير ذلك. (١)

(١) أنت ترى هنا في كلام المصنف رحمه الله، أنه ينفي نسبة منظومة الإمام عبد الله بن حمزة إليه، ويعلل هذا النفي ما تتضمنه المنظومة من إساءة وجرح للصحابة، لكن المنظومة التي وصلت إلينا لا نجد في أبياتها تصريح بشتن أو تجريح للصحابة، اللهم إلا إذا حذف من أبياتها ما يتضمن ذلك، وقد ذكر القاضي إسماعيل الأكوخ في هجر العلم (١٢٩٢/٣) نبذة منها فيما يلي:

ذي الطول والعـزة والـسلطان
واختصنا بفضله ورحمته
ملك أعناق ذوي الإيمان
بين يدي فرعون أو هامان
ووجد الله تعالى وعبد
وقام بالطاعة بالعزم الأشد
وقال: لست تابعاً مأموراً
لكان ملعونا بها مشهوراً
وأمة فيها يقيناً هاوية
نار تصليه بها الزبانية
بذا لهم رب السماوات حكم
من عنده الدر سواء والحمم
أعني به بيت النبي المختار
ليس لحكم الله علينا إنكار
وهو إلى نيل العلا أقوى سبب
لا يتسوي الرأس لدينا والذنب
موحد مجتهد قوام
وذكره قبح شعاع في الأنام
إلا وقد أنسى له ذا فهم
محكم الرأي صحيح الجسم
ولا إلى آل الخوارج المؤمنين المؤتمن
قد استوى السر لديه والعلن
لنفسه المؤمنة القوامنة
وانفذت أسلافه أحكامه
واستل للعاصين سيفاً قاضياً
وبث في أرض العدا الكتابيا
لما تناءى أصله عن أصلي
أهل الكسب موضع علم الرسل
فقطعون لسنه من فيه
إذ صار حق الغير يدعيه
بهذه الدعوى الشنع الفاضحه
بالحجج الكبار اللاتحاه (١)
إننا أخذنا عن رواة سواده
وحبهم من أفضل العباد
يفعل ما شاء تعالى ومجد
فاطرحوا ثوب العناد والحسد
ولا النضار الإبرزي كالخجر
فحاذروا من قولكم من سقر

الحمد للمهيمن المئان
حمداً لمن أيدنا بعصمته
صبرنا بحكم الواحد المئان
ومن عصانا كان في النيران
لو أنه صام وصلى واجتهد
وصبر الثوب نظيفاً والجسد
ثم عصى قائمنا المشهوراً
محتسباً لأمركم مقهوراً
وكان من أهل الجحيم الخاميه
وما الذي يدري الجاهل ما حيه
إن بني أحمد سادات الأمم
من أنكر الفضل لأذنيه الصمم
قد قال من أنكر فضل الأخيار
مقالة يغضب منها الجبار
أنكر فضل الفاضلين بالنسب
نقول هذا إن شكا وإن عتب
ما قولكم في مؤمن صوام
حبر بكل غامض علام
لم يبق فن من فنون العلم
وهو إلى الدين الخفيف ينتمي
وما له أصل إلى آل الحسن
بل هو من أرفع بيت في اليمن
ثم انبرى يدعوا إلى الإمامة
ثمت أجرى بالقضا أقلامه
وقطع السارق والمحاربا
وقاد نحو ضده المقانيبا
ما حكمه عند ثقات الفضل
ولم يكن من معشري وأهلي
أما الذي عند جددودي فيه
ويؤمن ضحوة بنييه
وأحبط الأعمال تلك الصالحه
وهي لأرباب العقول واضحه
فقلت: مهلاً يا أخا الزهاد
بأنهم للمسلمين قتاده
ليس على ربى اعتراض لأحد
لم يجعل الكلب سواء والاسد
يا قوم ليس الدر قدراً كالبحر
كلا ولا الجوهر قدراً كالدر

وأما الرسالة فإنني وقفت عليها، وهي نثر، وفيها آثار وأخبار، ليس فيها شيء من الصحابة أصلاً^(١).

(الرد على القاسمي في زعمه أن الإمام يحيى بن حمزة خالف إجماع العترة في الترضية عن الصحابة وبيان أنهم مجمعون على الترضية)

لا يغتر أحد بما لقّقه السيد محمد بن يحيى بن الحسن القاسمي^(٢)، في كتابه (اللآلئ الدرّية شرح الأبيات الفخرية) حيث ذكر تفسيق الصحابة، وأن الإمام يحيى ابن حمزة خالف إجماع العترة في الترضية عليهم، وأنه لما راجع الإمام يحيى ابن حمزة، وكان معاصراً له في هذه المسألة، واحتج عليه بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ {الأحزاب: ٥٨}، والمشايخ آذوا عليّاً، قال السيد: فأجاب عليه الإمام: أن الأولى التوقف، فهذا كله باطل غير صحيح؛ لأن الإمام يحيى بن حمزة في جميع مصنفاته مصرّح بالترضية ما لا يمكن جرده عنه أصلاً، ثم إنه إن صح ذلك فعله كان ذلك أول مدة الإمام يحيى؛ لأنه ذكر في كتابه (الشامل) في الجزء الرابع: أنه كان أولاً يميل إلى التوقف، ثم اتضح له الدليل، ورجع عنه إلى الترضية، وأما قوله: «لمخالفة الإجماع للعترة»، فنحن نقول: المخالف للإجماع القائل بالسب للصحابة؛ إذ لا قائل به، كما هو معلوم، وأما الاحتجاج بالآية على أذيتهم فلم يتعمّدوا الأذية له حاشاهم، ثم إن سلّم ذلك، فقد خصهم الله بالعفو ووالاهم أمير المؤمنين وأثنى عليهم، وترحم وترضى، وكفى به قدوة^(٣)، وفي (بيان ابن مظفر)^(٤) ما لفظه: قال الإمام

(١) لم تصل إلينا هذه الرسالة النثرية التي ذكرها المصنف للإمام عبد الله بن حمزة.

(٢) هو العلامة: محمد بن يحيى القاسمي، أثنى عليه زبارة حين ترجم له وأطراه فوق ما يستحق في «ملحق البدر الطالع» ص (٢٠٩)، فقال: هو المعروف بمؤمن آل القاسم الرثي، وأشار إلى شرحه للأبيات الفخرية، ولم يذكر تاريخ وفاته، بل ذكر فراغه من شرح الأبيات في شهر ربيع الأول سنة ٧٧٩هـ.

(٣) بل القدوة لكل مسلم هو رسول الله ﷺ؛ لأنه المعصوم والصحابي ليس بمعصوم.

(٤) ابن مظفر: هو العلامة يحيى بن أحمد بن مظفر مؤلف كتاب (البيان)، أحد العلماء المبرزين من الزيدية في علم الفقه، وهو تلميذ الفقيه يوسف صاحب «الثمرات الجنية»، توفي سنة ٨٧٥هـ، «البدر الطالع» (٢/ ٣٢٥).

يحيى بن حمزة: ولا يصلى خلف من يفسق الصحابة، قال في (شرح البستان)^(١): «لأن من فسق الصحابة فهو فاسق تأويل؛ لأنه اعتقد ذلك لشبهة طرأت عليه^(٢)، وهي تقدمهم على علي، ولا تصح الصلاة خلف من يسبهم؛ لأنه جرأة على الله، واعتداء عليه مع القطع بتقدم إيمانهم واختصاصهم بالصحبة لرسول الله ﷺ، والفضائل الجمة، وكثرة الثناء عليهم من الله تعالى، ومن رسول الله ﷺ، ومن أكثر العلماء، وعلماء الأمة...»، إلى أن قال: «وأي جرأة وضلالة أعظم من اعتقاد سوء في مَنْ له الفضل والسبق إلى الإسلام، وإحراز الفضائل، والمراتب العلية، والإنفاق في الجهاد، وبذل النفوس والأموال لله تعالى ولرسوله ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(٣)، فنعوذ بالله من الجهل والخذلان» انتهى كلام البستان^(٤) شرح «البيان»، لابن مظفر.

إذا عرفت هذا فاعلم أن ما جاء من الروايات عن أحد من أئمة الزيدية يخالف ما ذكرناه فلا يصح، أو تكون من قبيل التجرّم، نحو ما رواه السيد حميدان في كتابه (منتزع الأقوال) من مجموعته، وليس فيه ما يخالف ما قلناه؛ إذ قد صرح فيه بتحريم السب من جميع أهل البيت، حيث قال فيه ما لفظه: «ذكر المؤيد بالله أنهم لا يسبون، وأن سبهم لا تصح روايته عن أحد من السلف الصالح» انتهى.

وأما ما ترويه الرافضة عن الباقر والصادق وغيرهم فلا يصح ذلك عنهم، وإذ قد رويناه عن الأئمة المتقدمين ما رويناه، ويزيد عن الأئمة المتقدمين ما رويناه، ويزيد هنا من طريق صاحب (الرياض النضرة)^(٥)، فقال ما لفظه: «عن زيد بن علي، قال: «البراءة من أبي بكر وعمر براءة من علي، فمن شاء فليستقدم ومن شاء فليتأخر»، وعنه قد قيل له: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أتولاهما، قيل: فكيف تقول فيمن تبرأ منهما؟ قال: أنا برئ منه حتى أموت»^(٦).

(١) «البستان شرح كتاب البيان» المذكور آنفاً، وهذا الشرح لأحد أحفاد ابن مظفر، المصدر السابق (٢/ ١٢٤).

(٢) في المخطوطات الأربع هكذا (طرت)، والصواب: ما أثبتناه.

(٣) تقدم تخريجه. (٤) أي كلام صاحب البستان.

(٥) هو العالم محب الدين الطبري (٦١٥-٦٩٥هـ) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري أبو العباس، شافعي متفنن من أهل مكة مولداً ووفاء، وكان شيخ الحرم فيها، له مصنفات منها هذا الكتاب، «الأعلام» (١/ ١٥٩)، وفي المخطوط (النظرة) والصواب (النضرة).

(٦) ذكر هذه القصة الطبري في «الرياض النضرة» (٢/ ٦٨)، ونسبها إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن زيد بن علي.

(الإمام زيد يرد الرافضة صاغرين)

وعن أبي الجارود حسين بن المغيرة الواسطي^(١) أن رهطاً اجتمعوا إلى زيد ابن علي، قالوا: يا بن رسول الله، إذا خرجت تظهر البراءة من أبي بكر وعمر فيضرب منا معك بالسيف ستون ألفاً؟ قال: فلما قاموا ليخرجوا وتبين منهم، قال: ارجعوا، لأحدثكم حديثاً، فرجعوا، قال: حدثني أبي عن جدي عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «يا علي أبشر أنت وشيعتك في الجنة إلا أن ممن يحبك قوم لهم نبي يعرفون به يقال لهم: الرافضة، فإن أدركتهم يا علي؛ فإنهم مشركون»، قال زيد: هم أنتم، اللهم إن هؤلاء حربي في الدنيا والآخرة، ثم دعا عليهم.

وقد ذكر راوي هذا الخبر الهادي في كتاب الطلاق من الأحكام بإسناد صحيح^(٢) عن آبائه وأعمامه، ورواه صاحب جامع آل محمد، والإمام المهدي رحمه الله ذكره في (الغايات)، وكذلك الإمام يحيى بن حمزة.

(حديث: الرافضة قوم نبي^(٣))

وأخرج ابن أبي عاصم^(٤) في السنة، وابن شاهين^(٥) عن علي رضي الله عنه، قال: قال

(١) لم أجد له ترجمة حسب المراجع التي بين يدي.

(٢) أرود هذا الحديث الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه (إشار الحق على الخلق) ص (٤٢٢) وعزاه كما عزاه المصنف هنا ولفظه فيه: وفيهم ما حدثني أبي وعماي محمد والحسن عن أبيهم القاسم عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام عن النبي ﷺ، أنه قال: «يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبي يعرفون به يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله تعالى؛ فإنهم مشركون» انتهى بحروفيه، ثم علق الإمام محمد بن إبراهيم، قائلاً: «ولا أعلم في الأحكام إسناداً متصلاً سلسلاً بأهل البيت عليهم السلام سواه»، ثم قال: «وقد أحبيت سياق هذا الإسناد الشريف لهذا المتن لجلالة رواته انتهى».

(٣) نَبَزَ: على وزن: حُمِرُ، جمع: نَبَزَ - بفتحين -: اللمز، ورجل نَبَزَ: كهمزة: يُلقَّب الناس كثيراً، «ترتيب القاموس» (٣١٣/٤).

(٤) ابن أبي عاصم: الحافظ الكبير الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل الشيباني الزاهد قاضي أصبهان، له الرحلة الواسعة والتصانيف النافعة، ولي قضاء أصبهان (١٦) سنة، ذهب كتبه بالبصرة في فتنة الزنج، فأعاد من حفظه (٥٠) ألف حديث، كان من حفاظ الحديث والفقه، مات في ربيع الآخر سنة ٢٨٧هـ، تذكروا الحفاظ (٢/ ٦٤٠).

(٥) ابن شاهين: الحافظ الإمام المفيد المكثر محدث العراق أبو حفص عمر بن عثمان البغدادي الواعظ صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٩٧هـ، قيل: صنف (٣٣٠) مصنفًا، منها التفسير الكبير (١٠٠٠) جزء، توفي في ذي الحجة سنة ٣٨٥هـ، «التذكرة» (٣/ ٩٨٧).

رسول الله ﷺ: «سيأتي بعدي قوم نبر، يقال لهم: الرافضة، إن لقيتهم فاقتلهم؛ فإنهم مشركون»، قلت: يا نبي الله: ما العلامة فيهم؟ قال: «يقرضونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي ويسمونهم»^(١)، هكذا ذكره السيوطي في سند علي من قسم الأفعال من الجامع الكبير له، وأخرجه أيضاً الآجري في (شريعة الإسلام)، من طرق عنه ﷺ^(٢).

قال الإمام يحيى بن حمزة: «وهذا هو السبب في تسميتهم رافضة؛ لرفضهم الإمام زيد بن علي وكبار الصحابة، وفي مخاطبة إبليس نعوذ بالله منه، أنه قال: يوسوس فيقول: ظلم أبو بكر وخاب عمر وفعل عثمان كذا وكذا، ويمدح علياً عند طائفة منهم حتى يحبوه حباً مفرطاً، حتى يفضلوه على الأنبياء، ويغلوّن فيه، ولهذا إن بعض فرق الرافضة قال: إن جبريل غلط بالوحي إلى محمد ﷺ، وأنه كان إلى علي رضي الله عنه، وغير ذلك من غلوهم».

قال ابن مظفر في «الترجمان»^(٣): «اعلم إنما سموا الرافضة رافضة؛ لأنهم دخلوا

(١) هذا الحديث أورد له الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠ / ٢١-٢٢)، وساق عدة طرق باللفاظ متقاربة، من حديث أم سلمة وفاطمة، ولابن عباس طريقان نوردها كما يأتي:

١ - عن أم سلمة، قالت: كانت ليلتي، وكان النبي ﷺ عندي، فأتته فاطمة فسقتها علي، فقال له النبي ﷺ: «يا علي أنت وأصحابك في الجنة إلا أنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يرفضون الإسلام، ثم يلفظونه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم لهم نبر، يقال لهم: الرافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون»، قلت: يا رسول الله، ما العلامة فيهم؟ قال: «لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف الأول»، قال الحافظ: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن غانم، وهو ضعيف.

٢ - وعن فاطمة بنت محمد، قالت: نظر النبي ﷺ إلى علي، فقال: «هذا في الجنة، وإن من شيعته يلفظون الإسلام يرفضونه، لهم نبر يشهدون الرافضة، من لقيهم فليقتلهم فإنهم مشركون»، قال الحافظ: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، إلا أن زينب لم تسمع من فاطمة فيما أعلم.

٣ - عن ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: «يكون في آخر الزمان قوم يبنزون - الرافضة - يرفضون الإسلام ويلفظونه، قاتلوهم فإنهم مشركون»، قال الحافظ: رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف.

٤ - عن ابن عباس، قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده علي، فقال النبي ﷺ: «يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت، لهم نبر يسمون الرافضة، قاتلوهم فإنهم مشركون»، قال الحافظ: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) «الشريعة» (٢ / ٣٩٠-٣٩١)، وزاد في بعض طرقه بعد قوله (مشركون)، قال: وما العلامة فيهم؟ قال: «لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف الأول»، وعزاه محقق كتاب «الشريعة» إلى (العلل المتناهية) لابن الجوزي وأبي يعلى.

(٣) الترجمان: اسم كتاب للعلامة ابن مظفر (سبقت ترجمته)، قال الشوكاني، «البدر» (٣ / ١٢٤): وفيه فوائد، ووصف فيه حادثة وقعت له عند وصول السلطان عامر بن عبد الوهاب إلى صنعاء... إلخ.

على زيد بن علي، فقالوا له: ما تقول في هذين الرجلين؟ فقال: من هما؟ فقالوا: أبو بكر وعمر، فقال: لا أقول فيهما إلا خيراً، فتركوه، فسموا رافضة؛ لتركهم زيد ابن علي، فكل من يشتم الصحابة ويرفض إمامة زيد، ويقول بإمامة المعينين والنص والمعجزة فهو رافضي» انتهى كلامه.

فالإمامية رافضة، قال صاحب (الرياض النضرة): «وعن زيد بن علي أنه قال: من سب أبا بكر وعمر فقد تبرأ منهما، فقليل له: لعلك تقول هذا تقية، قال: إذن أنا بريء من الإسلام، ولا نالني شفاعة محمد ﷺ»^(١)، قال: «وعن موسى بن جعفر عن محمد بن علي بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «من جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السنة»^(٢)، وعنه، وقد سئل عن قوم يسبون أبا بكر وعمر، قال: «أولئك المُرَّاق»^(٣)، إلى غير ذلك من الروايات في الكتب المشهورة عن أئمة أهل البيت السابقين^(٤).

* * *

(جواب المصنف على اعتراض من متعصب)

إن قال متعصب: هذه الروايات عن زيد لا تعمل بها، وأنا أعلم بروايات أهل البيت كما قيل؟

فجوابه - والله الموفق - أن رواية المسلم العدل مقبولة من غير تخصيص، كما نقول في الشهادة سواء بسواء، وإلا لزم ألا يعمل بشهادة أحد من المسلمين إلا أن يكون من أهل البيت، وهذا خلاف إجماع المسلمين كافة ومخالف لما علم من الدين ضرورة، ثم إذا سلم للمخالف، فنقول: قد تقدمت رواية أهل البيت عن زيد ابن

(١) «الرياض النضرة» ص (٩٦)، وذكر أن هذا النص منسوب لجعفر بن محمد لا لزيد بن علي.

(٢) «الرياض النضرة» (٦٧/١).

(٣) المُرَّاق: أي المارقون من الدين، انظر: «الرياض النضرة» (٦٧/١)، وقد نسب هذا النص فيه إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٤) قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢/١٠): عن عاصم بن بهدلة، قال: قلت للحسن بن علي: الشيعة يزعمون أن علياً يرجع، قال: كذب، أولئك الكذابين، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه، قال الحافظ الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد، وإسناده جيد.

علي، وهم: الإمام يحيى بن حمزة، والإمام المهدي وغيرهم، فإن قال: هم قد تبعوا المعتزلة؟ قلنا: الله المستعان، والمعتزلة رواياتهم معمول بها أيضاً، إن أهل البيت قد تفرقوا في الأرض تحت كل كوكب، وهم قد قرروا ذلك، وعملوا به، ثم نتنزل مع المخالف، فنقول: قد نص زيد بن علي في كتابه (ترتيب الاعتقاد)^(١)، فقال في آخره ما لفظه: «قال زيد بن علي: وليس تفضيلنا لعلي بن أبي طالب ينقص بحال الصحابة الذين درجوا على سنة رسول الله ﷺ، ولم يبدلوا ولم يغيروا، فأما من نكص على عقبيه وحارب خليفة رسول الله ﷺ، ثم مضى، ولا أقنع ولا رجع فنحن منه بريئون». انتهى بلفظه من غير تحريف، والإنصاف أولى من المكابرة، فالله عند لسان كل قائل.

وفي الصفي، وشرح القاضي أبي مضر^(٢): حكى القاضي يوسف عن الأخوين، أنهما سئلا عن تفسيق المشايخ الثلاثة؟ قال: لم ينص أصحابنا في شيء من كتبهم على تفسيقهم، ثم قال المؤيد بالله: كل من قال: إنه قد ذكر في كتب أصحابنا من لدن زيد بن علي إلى يومي هذا فسقهم فهو كاذب، وكذا نقلته من (آخر الروضة) للفقيه محمد بن أبي الرجال^(٣)، ثم إن أهل البيت صاروا يروون عن غيرهم، ويحتجون به كما علم ضرورة، وهو الواجب علي كل مسلم في الإخبار عن النبي ﷺ، وجميع الروايات؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤) [الحشر: ٧]، وقد ذم الله تعالى من يؤمن ببعض دون بعض للتشهي والهوى، قال الإمام القاسم محمد بن علي في رسالته ما هذا لفظه: «إنما حصل ظن فقط أن ذلك حصل منهم عمداً، والظن لا يعمل به في هذه المسألة وأشباهاها؛ لأن^(٥) من المسائل العلمية، فوجب الوقف» انتهى بلفظه، وقال فيها أيضاً: «مع أنهم قد ادعوا أنهم محقون» انتهى، وذكر حديث: «الأئمة من قریش»^(٦)، وفي (الأساس) للإمام

(١) هذا الكتاب من الكتب المفقودة اليوم التي اعتمد عليها المصنف.

(٢) لم أجد لأبي مضر ترجمة.

(٣) لم أجد له ترجمة بحسب المراجع التي عثرت عليها.

(٤) تمام الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

(٥) لعل الصواب هكذا: «لأنها من المسائل العلمية».

(٦) سبق تخريجه.

القاسم ما لفظه: «والحق أنهم لم يعلموا استحقاقه دونهم بعد التحري، فلا إثم عليهم»، ثم قال: «ولعل من توقف من أئمتنا لعدم حصول العلم بأنهم علموا أو جهلوا» انتهى بلفظه، وفي آخر «نهج البلاغة» ما لفظه: عن علي بن أبي طالب: «يهلك في رجلان محب مضر، وباهت مفتر»^(١)، قال الشريف الرضي: وهذا مثل قولك: يهلك في محب غال ومبغض قال. قال ابن أبي الحديد في شرح «النهج» ما لفظه: «الهالك فيه المفرط، والمفرط، أما المفرط: فالغلاة، ومن قال بتكفير أعيان الصحابة ونفاقهم وفسقهم، وأما المفرط: فمن استنقص به ﷺ، أو أبغضه أو حاربه، أو أضمر له غلا...» إلى آخر كلامه.

(آيات كريمة فيها الثناء على الصحابة)

وقد قال الله تعالى في المهاجرين والأنصار: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٣]، وقال تعالى: ﴿السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى...﴾ [الحديد: ١٠]، إلى غير ذلك من الآيات، وهذه الآيات صريحة بالثناء عليهم.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ (٣) وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾ [التوبة: ١١٧]، قال في الثمرات: «نزلت في غزوة تبوك، وما

(١) «نهج البلاغة» ص (٢٣٧).

(٢) تمام الآية: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

(٣) في (١): «على المؤمنين والمهاجرين»، والصواب ما أثبتناه.

لحق المسلمين فيها من العسر، قال الفقيه يوسف رحمه الله^(١): وثمرة هذه الآية بيان فضل المهاجرين والأنصار، وقال الحاكم: وعلى فضل عثمان خصوصاً؛ لأنه جهز جيش العسرة بمال لم يبلغ غيره سلفه، وقد جمع الله تعالى بين ذكر النبي ﷺ وبين ذكرهم، ووصفهم باتباع النبي ﷺ، فوجب القطع على صفاء سريرتهم ووجوب موالاتهم، انتهى كلام الحاكم، قال الفقيه يوسف: فتكون الترضية أولى؛ لئلا يخل بالموالاة ﷺ، انتهى ما ذكره

إن قيل: هذا مشروط بسلامة العاقبة؟

قيل له: إن الله عالم بالمستقبل كما يعلم الماضي لا يعزب عنه مثقال ذرة، فعلمه محيط بكل شيء، وفي (الرياض النضرة) عن علي رضي الله عنه، وقد سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: «والله كانا إمامي هدى راشدين مرشدين مفلحين خرجا من الدنيا خميصين»^(٢)، وعنه أنه قال: «إن أبا بكر كان أواهاً منيباً، وإن عمر ناصح لله فتصحه»^(٣)، أخرجه الحافظ السمان في (الموافقة).

* * *

(أحاديث وآثار عن علي رضي الله عنه في فضائل الثلاثة)

وعنه كان يقول: «سبق رسول الله ﷺ، وثنى أبو بكر، وثالث عمر حتى خبطتنا فتنة يعفو الله فيها عمن يشاء»^(٤)، أخرجه خيثمة بن سليمان^(٥)، وخرجه

(١) هو نفسه صاحب «الثمرات»، في التفسير، والكتاب لا يزال مخطوطاً في مكتبات يمنية.

(٢) لم أجده في «الرياض النضرة»، وهو في كتاب: «المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة»، للزمخشري ص (١١٠)، وخميصين: الخمص: خماسة البطن، وهو دقة خلقته، ورجل خمصان وخميص الحشا: أي ضامر البطن، والمراد: أنهما خرجا من الدنيا ورعين زاهدين غير منعمين.

(٣) هذا النص في «مختصر الموافقة»، للزمخشري ص (١١١)، والأواه: أوه، كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع، ورجل أواه: كثير الحزن، وقيل: الدعاء إلى الخير، قاله ابن الأثير.

(٤) رواه أحمد في المسند (٨٨٥)، قال الشيخ شعيب: صحيح لغيره، وانظر: المسند رقم (١٢٩٤).

(٥) خيثمة بن سليمان بن حيدرة: الإمام محدث الشام أبو الحسن الطرابلسي أحد الثقات، رحل إلى الحجاز والعراق واليمن، وجمع وصنف، ولد سنة ٢٥٠هـ، وقيل سنة ٢٢٧هـ، قال الخطيب فيه: ثقة ثقة، قد جمع فضائل الصحابة، أسره الفرنج، قال ابن أبي كامل: سمعت خيثمة يقول: ركبت البحر، وقصدت بلدة جبلة، لأسمع من يوسف بن بحتر، ثم خرجت إلى إنطاكية، فلقينا مركباً، فقاتلناهم، ثم تسلّم مركبنا قوم من مقدمه، فأخذوني ثم ضربوني، وكتبوا أسماعنا، فقالوا:

السمان في الموافقة، وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته، وحملني إلى الهجرة، وصحبني في الغار، وأعتق بلالاً من ماله، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرأاً، ترك الحق^(١) وما له صديق، رحم الله عثمان يستحي منه الملائكة^(٢)، رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار»، أخرجه الترمذي^(٣)، والخلعي^(٤)، وابن السمان، قال السيوطي في قسم الأفعال من جامعه: أخرجه أبو نعيم في الحلية عن زيد بن وهب^(٥) إن سويد ابن غفلة^(٦) دخل على علي رضي الله عنه في إمارته، فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل، فنهض المنبر فقال: «والله الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما إلا شقي مارق، فحبهما قرابة وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ، ووزيره وصاحبيه وسيدي قريش، وأبوي المسلمين، فأنا بريء ممن يذكرهما، وعليه معاقب»^(٧)، وأخرج أيضاً الحاكم وعبد الله بن أحمد بن حنبل في الزيادات، وابن

= ما اسمك؟ قلت: خيثمة.

فقال: اكتب حمار بن حمار، ولما ضربوني أغمي عليّ، وتمت فرأيت كأني أنظر إلى الجنة، وعلى بابها جماعة من الحور العين، مات في شعبان سنة ٣٤٣هـ، «تذكرة الحفاظ» (٥٥٨/٣).

(١) في «سنن الترمذي»: «ترك الحق» (٥٩٢/٥).

(٢) في «السنن» أيضاً (٥٩٢/٥): «تستحيه».

(٣) «سنن الترمذي» برقم (٣٧١٤)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والمختار بن نافع شيخ بصري كثير الغرائب، وأبو حيان التميمي كوفي، وهو ثقة.

(٤) الخلعي: الشيخ الإمام الفقيه القدوة مسند الديار المصرية القاضي أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الموصلني الأصل، صاحب (الفوائد العشرين)، وتسمى (الخلعيات)، وراوي «السيرة النبوية»، ولد بمصر أول سنة ٤٠٥هـ، له تصانيف، ولي القضاء، وحكم يوماً واحداً واستعفى، كان يبيع الخلع للملك مصر، مات بمصر في ٢٦ من ذي الحجة سنة ٤٩٢هـ، رحمه الله، «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٧٤-٧٩).

(٥) زيد بن وهب الجهني الكوفي إمام مخضرم، قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ بأيام، وكان ثقة كثير العلم، احتج به أصحاب الصحاح، مات قريباً من سنة ٨٤هـ رحمه الله، «تذكرة الحفاظ» (٦٦/١).

(٦) سويد بن غفلة النخعي: الكوفي المعمر، ولد عام الفيل أو بعده بعامين، وأسلم وقد شاخ، فقدم المدينة وقد فرغوا من دفن المصطفى ﷺ، وشهد اليرموك وكان ثقة نبيلاً عابداً زاهداً قانعاً باليسير، كبير الشأن، رحمه الله، مات سنة ٨١هـ، «التذكرة» (٥٣/١).

(٧) هذا الحديث في «تاريخ دمشق الكبير» (٣٢ / ٢٥٢-٢٥٣) لابن عساكر، وفي لفظه قوله: «لا يحبهما إلا مؤمن تقي ولا يبغضهما إلا منافق رديء...».

عدي^(١)، والدورقي^(٢)، وابن أبي عاصم، وابن شاهين في المسند، وابن الجوزي^(٣) في الواهيات عن علي^{رضي الله عنه}، قال: «ألا إنه يهلك في رجلان: محب مطر يتوصى^(٤) بما ليس في، ومبغض مقتر يحمله شاني^(٥) على أن يبهتني، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما استطعت، فما من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم^(٦)، وما أمرتكم بمعصية الله^(٧)، أنا وغيري فلا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف^(٨)».

وأخرج ابن عساكر وخيثمة واللالكائي^(٩) وأبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي^(١٠)، في «فضائل أبي بكر» والشيرازي^(١١) في «الألقاب»، وابن منده^(١٢) في «تاريخ أصفهان» عن سويد بن غفلة نحو ما سبق في الأثر الماضي، وزيد فيه الشاء الجميل غير ما ذكر في الأثر الأول.

(١) ابن عدي: الإمام الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي بن مبارك الجرجاني، صاحب كتاب (الكامل) في الجرح والتعديل، أحد الأعلام ولد سنة ٢٧٧هـ، وارتحل، كان ثقة، وكان عديم النظر حفظاً وجلاله، توفي في جمادى الأولى سنة ٣٦٥هـ، «التذكرة» (٣ / ٩٤٠ - ٩٤٢).

(٢) الدورقي: أحمد بن إبراهيم بن كثير الحافظ الكبير أبو عبد الله العبدي البغدادي الدورقي، مات في شعبان سنة ٢٤٦هـ، «التذكرة» (٢ / ٥٠٥).

(٣) ابن الجوزي: الإمام العلامة الحافظ، عالم العراق وواعظ الآفاق، أبو الفرج عبد الرحمن المفسر صاحب التصانيف السائرة في فنون كثيرة من العلم، ولد تقريباً سنة ٥١٠هـ، توفي يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ، «التذكرة» (٤ / ١٣٤٢ - ١٣٤٨).

(٤) في «المستدرک» (٣ / ٢٣): «يفرطني». (٥) في «مستدرک الحاكم»، أيضاً: «يحملة شتاني».

(٦) فيه أيضاً: «أوكرهتم». (٧) فيه أيضاً: «بمعصية».

(٨) الحديث في المستدرک (٣ / ١٣٣)، برقم (٤٦٢٢)، قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: فيه الحكم بن عبد الملك، وهما ابن معين، وعلى هذا فالحديث ضعيف.

(٩) اللالكائي: الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطري الرازي الحافظ الفقيه الشافعي محدث بغداد، صنف كتاباً في السنة وغيره، خرج إلى الدينور فأدركه أجله بها في رمضان سنة ٤١٨هـ، تذكرة الحافظ (٣ / ١٠٨٣).

(١٠) البغدادي: هو الشيخ المحدث الثقة أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي، ارتحل وسمع، توفي بعد سنة ٣٤٠هـ، «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٤٧٤).

(١١) الشيرازي: الحافظ الإمام الجوال أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفارسي، صاحب كتاب (الألقاب)، توفي سنة ٤١١هـ، «تذكرة الحفاظ» (٣ / ١٠٦٥).

(١٢) ابن منده: الحافظ الإمام الرحال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده، مات في رجب سنة ٣٠١هـ، «تذكرة الحفاظ» (٢ / ٢٧٤١).

وأخرج الخطيب^(١) في «المتفق»، وابن عساكر، وابن النجار، والضياء المقدسي، عن أسعد بن صفوان^(٢)، صاحب رسول الله ﷺ، قال: لما توفي أبو بكر سجدوه ثوبًا، وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعًا باكيًا مسترجعًا^(٣)، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر، ثم قال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأكثرهم يقينًا، وأعظمهم غنى، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحسنهم صحبة، وأكسبهم على أصحابه، وأكثرهم سوابق، حتى قال: خلفتهم بأحسن الخلافة حين ارتد الناس، وقمت بين يدي الله قيامًا لم يقمه خليفة...^(٤) إلى آخر الخبر، وهو طويل، ذكره^(٥) السيوطي في الجامع الكبير في مسند من قسم الأفعال، فالقدوة بعلي رضي الله عنه أولى من مخالفته ومخالفة جميع الصحابة.

وأخرج خيثمة واللالكائي والعشاري^(٦) في فضائل الصديق، وابن عساكر عن النزال بن سبرة^(٧)، قال: وافقنا من علي ذات يوم طيب نفس، فقلنا: يا أمير

(١) الخطيب البغدادي: الحافظ الكبير الإمام المحدث، ولد سنة ٣٩٢هـ، سمع الكثير، ولقي الشيوخ، ورحل وصنف المصنفات النافعة، مات في اليوم السابع من شهر رمضان ببغداد سنة ٤٦٣هـ، التذكرة (٣ / ١١٣٥-١١٩٦).

(٢) لم أجده بهذا الاسم، وهو تصحيف لاسم (أسيد) إلى (أسعد) كما هنا، وأسيد كما في «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٢)، أسيد بن صفوان، روى عن علي في الثناء على أبي بكر حين مات، وروى عنه عبد الملك بن عمير، روى له ابن ماجه في التفسير هذا الحديث الواحد، وذكره أبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة، ونسبه ابن قانع سلميًا، «تهذيب التهذيب» (١/ ١٧٥).

(٣) أي يقول: «إنا لله وإنا لله راجعون».

(٤) هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله هنا مختصرًا، وهو طويل ذكره الزمخشري في كتابه «المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة» ص (٥٢-٥٨).

وعزه ابن حجر الهيتمي في (الصواعق) ص (٨٤)، إلى ابن عساكر، والطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٢) إلى ابن السمان في كتاب «الموافقة»، وقال: «وخرج الإمام أبو بكر محمد بن عبد الجوزي من أوله إلى قوله: «وَأَلْذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ»... إلخ

(٥) في المخطوط (١): «ذكر» والصواب ما ذكرناه وأثبتناه؛ لأن السياق يقتضيه.

(٦) العشاري: الشيخ الجليل الأمين أبو طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي العشاري، قال الخطيب: كتبت عنه، كان ثقة صالحًا، ولد في أول سنة ٣٦٦هـ، قال الذهبي: كان فقيها عالمًا زاهدًا خيرًا كثيرًا، توفي في سنة ٤٥١هـ، «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٨).

(٧) حُرِّفَ وصحفه بعض النساخ في المخطوطة من (سبرة) إلى (صبرة)، وهو النزال بن سبرة الهلالي الكوفي من رجال التهذيب، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة من كبار التابعين، وذكره ابن حبان في «الثقات»، قال المزني: له صحبة، وقال ابن سعد: ثقة، وقال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: لا بأس به، وقال الدارقطني: تابعي كبير، وقال ابن عبد البر: ذكروه فيمن رأى النبي ﷺ، ولا أعلم له رواية إلا عن علي، وابن مسعود، وهو معدود من كبار التابعين، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢١٦).

المؤمنين حدثنا عن أصحابك، قال: كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي، قلنا: حدثنا عن أصحابك خاصة، فقال: ما كان لرسول الله ﷺ صاحب إلا كان لي صاحباً، فقلنا: حدثنا عن أبي بكر الصديق، قال: ذاك من سماه الله صديقاً على لسان جبريل ومحمد ﷺ، قلنا: حدثنا عن عمر بن الخطاب، قال: كان ذاك امرؤ سماه الله الفاروق، فرق بين الحق والباطل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أعني على الإسلام بعمر»، فقلنا: فحدثنا عن عثمان، قال: ذاك امرؤ في الملاء الأعلى، ذو النورين ختن رسول الله ﷺ على ابنته، ضمن له بيتاً في الجنة. (١)

وأخرج الآجري في (شريعة الإسلام) بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر فقال: «يا علي: هذان سيدا (٢) كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي»، قال: فما أخبرتهما حتى ماتا (٣) أخرجه من طرق، وأخرج الآجري في الشريعة عن أبي جحيفة: «لا يجتمع بغضي وحب أبي بكر وعمر في قلب مؤمن، ولا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن» (٤)، وأخرج

(١) ضعيف: رواه الحاكم في «المستدرک» برقم (٤٤٠٦) مختصراً، قال الذهبي في «التلخيص»: فيه هلال بن العلاء منكر الحديث.

(٢) هو في «الشريعة» (٢/ ٣١٠)، وفي المخطوط: (سيدان كهول) بنون المثني، وهو خطأ.

(٣) هو في «الشريعة» (٢/ ٣١٠)، وكلاهما من طريق الحارث الأعور الهمداني، قال الحافظ في «التقريب» (١/ ١٤١): كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض، وفي حديثه ضعف، وأورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري مختصراً، وعزاه للبخاري والطبراني في «الأوسط»، وقال: فيه علي بن عابد، وهو ضعيف وأورده أيضاً من حديث جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين لا تخبرهما يا علي»، وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدم بن داود، وقد قال ابن دقيق العيد: إنه وثق وضعفه النسائي وغيره، وبقيّة رجاله رجال الصحيح، «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٣).

(٤) أورده الحافظ الهيثمي من «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٣)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: الفضل بن المختار وهو ضعيف، وهو في «الشريعة» (٢/ ٣٩٧)، بسند فيه الفضل بن المختار المذكور، وقد سبق ما قاله فيه الحافظ الهيثمي قبل قليل، وقد أخرج أحمد في مسنده أثراً عن علي رضي الله عنه، أسانيداً صحيحة نحو هذا الأثر المذكور آنفاً، ففي «المسند» (٨٧١) عن أبي جحيفة، قال: خطبنا علي رضي الله عنه، فقال: «ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها ويعد أبي بكر؟ فقال: عمر»، وانظر الآثار في المسند نحو هذا: (١٧٩) و(٨٨٠) و(٩٠٨) و(٩٠٩) و(٩٢٢) و(٩٢٦) و(٩٣٢) و(٩٣٣) و(٩٣٤) و(١٠٣٠) و(١٠٣١) و(١٠٣٢) و(١٠٤٠) و(١٠٥١) و(١٠٥٤) و(١٠٥٩) و(١٠٦٠) و(٨٣٧) و(٨٣٣) و(٨٣٤) و(٨٣٥).

الطبراني عن عبد الله بن مسعود، قال: «إن عمر بن الخطاب كان أعلمنا بالله، وأقرأنا لكتاب الله، وأفهمنا لدين الله»^(١) كذا ذكره في «مجمع الزوائد»، للشيخ علي الهيثمي.

وفي «المستدرک» للحاكم بإسناده عن الأعمش عن أبي وائل: «أن عبد الله ابن الكوا^(٢) اليشكري^(٣)، وشبيب بن ربعي^(٤) وأناساً معهما اعتزلوا علياً بعد انصرافه من صفين إلى الكوفة؛ لما أنكر عليهم من سب أبي بكر وعمر فمن بعدهما من أصحاب رسول الله ﷺ فخالفوه، وخرجوا عليه فخرج عليهم علي رضي الله عنه وحاجهم، ورجع من غير قتال» انتهى.

وأخرج الآجري بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد سئل عن عثمان، فقال: «كان من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا»^(٥).

وقال العلامة الحافظ ابن عبد البر^(٦) في أول كتابه «الاستيعاب»، ما لفظه: «قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾ الآية [الفتح: ٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

(١) أورد هذا الأثر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٩/٩)، وعزاه إلى الطبراني، ولم يتكلم عليه، وعزاه صاحب «الرياض النضرة» (٣٢٢/١)، فقال: خرج به علي بن حرب الطائي، وأبو وائل هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها مخضرم جليل، يقال: أسلم في حياة النبي ﷺ، روي عنه أنه تعلم القرآن في شهرين، فهذا غاية الذكاء، قال إبراهيم النخعي: إني لأحب أبا وائل ممن يدفع عنا به، توفي سنة ٨٢هـ، «تذكرة الحفاظ» (٦٠/١).

(٢) لم أجد له ترجمة بحسب المراجع التي عثرت عليها، وهذا الأثر في «مستدرک الحاكم» برقم (٤٧٠٢)، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٣) لم أجد له ترجمة كذلك.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) هذا الأثر في «الشریعة» (١٧٠/٣)، أوردته الآجري، فقال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن خالد البردعي، قال: حدثنا محمد بن سليمان بن بنت مطر الوراق، قال: حدثنا أبو قطن عن شعبة عن أبي عون عن محمد بن حاطب... إلخ، هذا الأثر ضعيف لجهالة البردعي وابن بنت مطر الوراق وأبي قطن، أما محمد بن حاطب بن الحارث فله صحبة، ترجم له الذهبي في «السير» (٤٣٥/٣)، والله أعلم.

(٦) ابن عبد البر: الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ في ربيع الآخر وطلب الحديث، قبل مولد الخطيب بأعوام، ورحل إلى مكة ومصر، له مصنفات نافعة، مات ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ٤٦٣هـ، «تذكرة الحفاظ» (٣ / ١١٢٨-١١٣٢).

عنهم ورضوا عنه... ﴿التوبة: ١٠٠﴾^(١)، قال ابن عبد البر بإسناده عن الشعبي، قال: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان^(٢).

وأخرج المذكور بإسناده عن جابر، قال: جاء عبدُ لحاطب بن أبي بلتعة أحد بني أسد يشكو سيده، قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، قال له: «كذبت لا يدخلها أحد شهد بدرًا والحديبية»^(٣).

وأخرج بإسناده عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ، قال: «لا يدخلن»^(٤) النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»، وسرد أسانيد آخر عن جابر عن النبي ﷺ، وروى عن أبي سلمة عن أبي هريرة مثله.

وفي قسم الأفعال من الجامع الكبير، للسيوطي في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن أسعد بن صفوان^(٥) صاحب رسول الله ﷺ، قال: لما توفي أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ سجدوا ثوبًا وارتمت المدينة بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض رسول الله ﷺ، وجاء علي بن أبي طالب مسرعًا باكيًا مسترجعًا، وهو يقول: «اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر، ثم قال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأكثرهم يقينًا»^(٦)، وأعظمهم غنى^(٧)، وأحذرهم على الإسلام، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحسنهم صحبة، وأعظمهم^(٨) مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ، وأشبههم به هديًا وسميًا وخلقًا ودَلًا، وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين^(٩) خيرًا، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، فسمّاك رسول الله ﷺ صديقًا، قال

(٣) الاستيعاب (٣/١).

(٢، ١) الاستيعاب (٢/١).

(٤) المصدر نفسه المطبوع (٣/١)، وفيه: «لا يدخل النار أحد» بدون نون التوكيد.

(٥) قد سبق الكلام قريبًا أن أسعد تصحيف، والصواب: «أسيد» فارجع إليه.

(٦) في «مختصر الموافقة»، للزمخشري ص (٥٢): «وأشدّهم يقينًا».

(٧) في «المختصر» أيضًا: «وأعظمهم غناء».

(٨) في «المختصر» نفسه ص (٥٣): «وأكثرهم».

(٩) في المصدر نفسه ص (٥٣): «وعن المسلمين».

الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني: أبا بكر، آسيته حين بخلوا، وكنت معه حين قعدوا، وصحبته في الشدة، وأكرم صحبه ثاني اثنين في الغار والمنزل، رفيقه في الهجرة ومواطن الكره، خلفته في أمته بأحسن الخلافة حين ارتد الناس، وقمت بدين الله قياماً لم يقمه خليفة نبي قبلك، قومته حين ضعف أصحابه، وبررته حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ، وكنت خليفته حقاً لم تنازع برغم المنافقين، وطعن الحاسدين، وكره الفاسقين، وغيظ الكافرين، قمت بالأمر حين فشلوا، ومضيت بنور الله حين وقفوا، واتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قوماً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأشدهم يقيناً، وأشجعهم قلباً، وأحسنهم عقلاً، وأعرفهم بالأمور، كنت والله للدين يعسوباً^(١) حين تفرق الناس، وآخرًا حين قلّوا، كنت للمؤمنين رحيماً؛ إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقالاً عنها، ضعفوا وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمرت إذ خنعوا^(٢)، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذاباً صَبًّا، وللمؤمنين عيشاً وخصباً، ذهبت بفضائلها، وأحرزت سوابقها، ولم تعلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تمجن نفسك، ولات حين، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله الرواجف.

كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، مبرأً في الأرض، خليلاً عند المؤمنين، لم يكن قبلك لأحد مغمز^(٣)، ولا لأحد عندك هوادة، والذليل عندك أقوى عزيز حتى تأخذ له الحق، والقوي العزيز عندك ضعيف حتى تأخذ منه الحق، الغريب والقريب عندك في ذلك سواء، ينالك الحق والصدق، وقولك حكم وحتم، وأمرك غنم وعزم، ثَبَّتَ الإسلام، وسبقتَ والله سبقاً بعيداً، وأتعبتَ مَنْ بعدك تعباً شديداً، وفزتَ

(١) اليعسوب: أمير النحل وذكرها، ثم كثر ذلك حتى سموا كل رئيس يعسوب، «اللسان» (٨/ ٨٩).

(٢) الخنوع: الخضوع والذل، والخانع: الذليل، «اللسان» (٨/ ٧٩).

(٣) الغمز: الإشارة بالعين والجفن، «اللسان» (٥/ ٣٨٩).

بالخير فوزاً بيناً، فجلبت عن البكاء، وعظمت ذريتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، والله لا يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ مثلك، كنت للدين عزاً وكهفاً، وللمسلمين حصناً وأنساً، وعلى المنافقين غلظة وغيظاً وكظماً، فألحقك الله بنبيك ﷺ، ولا أحرمنك أجرك، ولا أضلنا بعدك، وإنا لله وإنا إليه راجعون»^(١)، أخرجه في التفسير، والشاشي^(٢)، وأبو زكريا^(٣) في «طبقات أهل الموصل»، وأبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي في «فضائل أبي بكر» في «أماليه»، والمحاملي^(٤) في «أماليه»، وابن منده، وأبو نعيم في «المعرفة»، واللالكائي في «السنة»، والخطيب في «المتفق»، وابن عساكر وابن النجار، والضياء المقدسي.

وفي قسم الأفعال من الجامع الكبير للسيوطي أيضاً في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما لفظه: عن ابن عباس، قال: «وضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فترحم على عمر، وقال: ما خلقت أحداً أحب أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن لي جعلتك الله مع صاحبك؛ وذلك أني كنت أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول: «ذهب أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»، وإن كنت لأظن لي جعلتك الله معهما»^(٥)، أخرجه أحمد

(١) هذا الأثر بطوله أورده الزمخشري في «مختصر الموافقة» ص (٥٢-٥٨)، قال المحقق: أورده الهندي في «كنز العمال»، ونسبه إلى العاملي في «أماليه»، وابن منده وأبو نعيم في «المعرفة»، واللالكائي في «السنة»، والخطيب في «المنفعة»، وفي كلام المصنف هنا (المتفق) وابن عساكر وابن النجار، وغيرهم وقد سبقت الإشارة إليه.

(٢) الشاشي: الحافظ المحدث الثقة أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل العقلي الشاشي، محدث ما وراء النهر، ومؤلف «المسند الكبير»، توفي في سنة ٣٣٥هـ، «تذكرة الحفاظ» (٨٤٨/٣).

(٣) أبو زكريا: الحافظ الإمام الفقيه القاضي أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي، مؤلف (تاريخ الموصل)، وقاضيهما، توفي قريباً من سنة ٣٣٤هـ، «سير أعلام النبلاء» (٣٨٦/١٥).

(٤) المحاملي: هو القاضي العلامة الإمام الحافظ شيخ بغداد ومحدثها أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي البغدادي ولد في أول سنة ٢٣٥هـ، وأول سماعه وهو ابن (٩) سنين، قال الخطيب: كان فاضلاً دينياً صادقاً ولي القضاء في الكوفة (٦٠) سنة كان يحضر مجلسه (١٠) آلاف رجل، ثم استعفى من القضاء، أملى مجلسه كعادته في (١٢) ربيع الآخر من سنة ٣٣٠هـ، ثم مرض، ومات بعد (١١) يوماً، رحمه الله، «تذكرة الحفاظ» (٨٢٤/٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب (فضائل الصحابة) باب (مناقب عمر بن الخطاب) برقم (٣٦٨٩)، ومسلم في كتاب «فضائل الصحابة»، باب (فضائل عمر بن الخطاب) حديث (٢٣٨٩) بشرح النووي، وقد ورد من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس، وهو في مستدرک الحاكم برقم (٤٤٢٧) ووافقه الذهبي بأنه على شرط الشيخين، وفي مسند أحمد (٨٩٨) بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر بن الخطاب على=

والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه^(١)، وابن جرير، وأبو عوانة^(٢)، وابن أبي عاصم، والحاكم، وفيه أيضاً عن ابن شهاب^(٣)، عن عبد الله بن كثير^(٤) عن علي رضي الله عنه، قال: سيكون في آخر الزمان قوم يتحلون محبتنا، والتشيع فينا، هم شرار عباد الله تعالى، الذين يشتمون أبا بكر وعمر، ولقد جاء سائل فسأل رسول الله ﷺ فأعطاه، وأعطاه أبو بكر، وأعطاه عمر، وأعطاه عثمان، فطلب الرجل من رسول الله ﷺ أن يدعو له فيما أعطوه بالبركة، فقال رسول الله ﷺ: «كيف لا يبارك ولم يعطك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، أخرجه ابن عساكر.

(ما جاء في الصحيفة المنسوبة لعلي بن الحسين رضي الله عنه)

وفي صحيفة زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، ما لفظه: «وكان من دعائه رضي الله عنه في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقهم: اللهم وأتباع الرسل ومصدقهم من أهل الأرض بالغيب على معارضة المعاندين لهم بالكذب والاستيثاق إلى المرسلين بحقائق الإيمان في كل دهر وزمان، أرسلت فيهم رسولاً، وأقمت لأهله دليلاً من لدن آدم إلى محمد ﷺ من أئمة الهدى وقادة أهل التقى على جميعهم السلام، فأذكركم منكم بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا

= سريره، فتكفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب، فترحم على عمر، فقال: ما خلقت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن لي جعلك الله مع صاحبك، وذلك أنني كنت أكثر أن أسمع رسول الله ﷺ يقول: «فذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» وإن كنت لأظن لي جعلك الله معهما»، وانظر المسند (٨٩٧، ٨٦٦).

(١) ابن ماجه: الحافظ الكبير المفسر أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، صاحب السنن والتفسير والتاريخ ومحدث تلك الديار، ولد سنة ٢٠٩هـ، وكانت وفاته لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٣هـ، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٦).

(٢) أبو عوانة: الحافظ الثقة الكبير يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفرائيني النيسابوري صاحب الصحيح المسند المخرج على الصحيحين له فيه زيادات عدة، طوف الدنيا، وعني بهذا الشأن، توفي سنة ٣١٦هـ، «التذكرة» (٣/ ٧٨٠).

(٣) ابن شهاب الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم المدني الإمام، ولد سنة ٥٠هـ، تابعي توفي في رمضان سنة ١٢٤هـ، «التذكرة» (١/ ١٠٨-١١٣).

(٤) عبد الله بن كثير بن عمرو بن زاذان بن فيروز، مقرئ مكة، مات سنة ١٢٠هـ، «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣١٨-٣٢٢).

الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصرته وتابعوه، وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقابلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به فكانوا منطوين على محبته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا إلى ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاسبوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، فاشكرهم على هجرهم فيك ديارهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كُثره في إعزاز دينك من مطلوبهم، اللهم إلى التابعين لهم بإحسان، الذين يقولون: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ خير جزائك..»^(١) إلى آخر ما ذكره، فهذه حجة على بطلان ما يعزوه الرافضة إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام؛ إذ زين العابدين هو أحد الأئمة الاثني عشر، وهذا نصه وقوله رحمه الله.

* * *

(أحاديث في فضائل أهل بيعة الرضوان)

وذكر السيوطي في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» أحاديث في أهل بيعة الرضوان، منها ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر، قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أنتم خير أهل الأرض»^(٢).

(١) هذه الصحيفة المنسوبة إلى علي بن الحسين رحمه الله، والأدعية التي نقل منها المصنف نبذة، وقد مرت بك، أوردها المصنف من باب الاحتجاج على الخصم بما يعتمد عليه ويعتقده، وإلا فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيها في «منهاج السنة» (٣/٢٠٩) في معرض حديثه عن أناس اغتروا بنسبة هذه الصحيفة لزین العابدين، فقال: «وقد وقع في هذا كثير من أهل الكلام والوعاظ، وكانوا يدعون بالأدعية الماثورة في صحيفة علي بن الحسين، وإن كان أكثرها كذباً على علي بن الحسين... انتهى».

(٢) رواه البخاري (٣٥٧/٧) مع «فتح الباري»، قال الحافظ: هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة، فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة والمدينة وبغیرهما، وعند أحمد بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري، قال: لما كان بالحديبية، قال النبي ﷺ: «لا توقدوا ناراً بليل» فلما كان بعد ذلك، قال: «أوقدوا واصطنعوا؛ فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مذكم»، وعند مسلم من حديث جابر مرفوعاً: «لا يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية»، وهو في مسند أحمد من حديث جابر أيضاً، برقم (١٥٢٦٣)، وروى مسلم أيضاً من حديث أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة»، وانظر: «الفتح» (٣٥٧/٧).

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن جابر عنه عليه السلام، قال: «لا يدخل النار أبداً من بايع تحت الشجرة».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، قال: إنما نزلت السكينة على من علم منهم الوفاء. ^(١)
وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة ^(٢)، قال: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» قال: الوقار والصبر، وهم الذين بايعوا زمن الحديبية، وكانت الشجرة فيما ذكروا سمرة، قال السمهودي في (خلاصة الوفاء) وغيره ^(٣): وموضعها التنعيم ^(٤)، مساجد عائشة (حيث) ^(٥) يهل الناس للعمرة اليوم من طرف الجبل معروف.

إن ^(٦) قيل: ما معنى قول ابن عباس: «إنما نزلت السكينة على من علم منهم الوفاء»، فهلا أوهم أن منهم من نكث؟

قيل له: المعنى فيه ظاهر أن السكينة نزلت على من علم منهم الوفاء، وهم أهل الحديبية؛ إذ كلهم وفوا للنبي صلوات الله عليه بالبيعة، ولم ينكث أحد على ألا يفروا، وفي رواية أنهم بايعوه على الموت، فالكل قد علم الله تعالى منهم الوفاء، وكلهم أنزل السكينة عليهم، لأجل ذلك الوفاء، وذكر القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال ^(٧)

(١) «الدر المنثور» (٢٣/٧).

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري: مفسر حافظ ضريب أكمه، قال الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان عظيم القدر، وقد يدلس في الحديث، مات بواسط سنة ١١٨هـ، وكانت ولادته في سنة ٦١هـ، «الأعلام» (١٨٩/٥).

(٣) السمهودي: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، مؤرخ المدينة في القرن العاشر ومفتيها، ولد بمصر سنة ٨٤٤هـ، واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي في سنة ٩١١هـ، من كتبه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى)، (وجواهر العقدين) وغيرها، «الأعلام» (٣٠٧/٤).

(٤) التنعيم: هو عند طرف حرم مكة من جهة المدينة والشام على ثلاثة أميال، وقيل: أربعة من مكة، سمي بذلك؛ لأن عن يمينه جبل يقال له: ناعم، والوادي نعمان، «تهذيب الأسماء واللغات»، للنووي (٤٣/٣)، وفي المخطوط (ب) و (ج) هكذا: (البيعة) والصواب ما أثبتناه كما في (أ).

(٥) في المخطوط (ب): (حتى).

(٦) في النسخ الثلاث: (قيل) والصواب: ما أثبتناه.

(٧) هو العلامة الأديب أحمد بن صالح بن أبي الرجال اليمني مؤرخ وافر الاطلاع، ولد في الأهنوم، ونشأ في صنعاء، وتوفي بها، من كتبه (مطلع البدور ومجمع البحور) مخطوط، ولد سنة ١٠٢٩هـ، وتوفي سنة ١٠٩٢هـ، «الأعلام» (١٢٧/١)، و«البدر الطالع» (٥٩/١).

في كتابه (الأعلام والموالي)، ما لفظه: «قوله ﷺ لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم» إنه يكون كبائر المعاصي في حقهم صغائر، ولا يعلم مقادير الثواب والعقاب إلا الله عز وجل» انتهى كلامه، وهذا منه خلاف الجارودية، وقال: «التخطية لا تمنع الترضية كما عرف»، وهذا رجوع منه عن رأي الجارودية، وقال المذكور: «والذي أراه لنفسى، ولمن يعتني بشأنه أن يترك السب والتبري، أما أولاً؛ فلأن أمير المؤمنين تركه، وسواء كان الوجه معروفاً أو لا؟ فإن الوجه بمعنى الحكمة لا يضر الجهل به...» إلى آخر كلامه.

إن قيل: إنه لا دليل على استمرار الرضا عنهم؛ لأنه مقيد بإذ، و«إذ» لما مضى من الزمان، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ...﴾ الآية (الفتح: ١٠)، فبين بذلك جواز النكث عليهم؟

قيل له: ذلك مسلم فيما مضى للبيعة ف «إذ»^(١) قيد للبيعة في ذلك الزمان الماضي، فأما العلم بالرضا منه تعالى فهو أمر آخر، ودليله قوله تعالى في الآية: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فأين هذا من هذا؟ وأما قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧)، وقوله في حق النبي ﷺ: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٢)... (الزمر: ٦٥)، ومن المعلوم عصمة النبي ﷺ، وعدم تقدير وقوع الشرك منه ﷺ، فكذلك قوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ بعد حكمه بالرضا عنهم، وعلمه بما في قلوبهم (شبيه) بحال إحباطه (عمله ﷺ)، وأنه لا يكون لعصمته، (فكذلك) لا بد من حسن خاتمتهم ونجاتهم من النار (لرضاه عنهم)، وإنما ذلك الشرط والجزاء والتخويف والتبليغ والتعريف بأنه إذا كان كذا فالحكم كذا فافهم، ومن الأدلة على منزلة الصحابة رضي الله عنهم

(٢) تمام الآية: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) في (أ): (فإذا).

وتحريم سبهم ما علم بالضرورة من ثناء النبي ﷺ ، وذكر فضائلهم ، وتوليتهم في حياته ، ولا شك أنه قد علم ﷺ بحالهم ، وما يصيرون إليه بعد وفاته^(١) ، ولذلك ذكر أشياء من ذلك في كلامه ﷺ ، فلم يكن ذلك مانعاً له عن توليتهم فكفى لنا قدوة به ﷺ واتباعاً^(٢) !! .

إن قيل : إن ذلك قبل صدور الأمر المستقبل .

قيل له : ليس بمانع ، فإننا إذا علمنا إصرار زيد وعزمه على أمر قبل فعله ، وكان مما يشارك المعزوم كان معصية ، بل العلم بنية المعصية شر من علمه وإن لم يفعلها إذا عزم عليها ، قال الكرمانى^(٣) في آخر شرح البخاري ما لفظه : «قال العلماء : من عزم على معصية ولو بعد عشر سنين ، وأصر عليه عصى»^(٤) ، فلما تولاهم النبي ﷺ (مع علمه بما يكون منهم وسعنا اتباعه ﷺ) ، وأن لهم خصوصية هناك خصوا بها ، وأن لهم ألقافاً في عاقبة حسن الخاتمة والإجابة ، والتوبة قد صحت عن كثير منهم ، والله أعلم .

(١) تأمل هذه العبارة التي ترفع من مكانة المصنف العلمية ، ودفاعه عن الصحابة ، فجزاه الله خير الجزاء ، وعلم النبي ﷺ بذلك هو عن طريق الوحي .

(٢) كلام المصنف هذا من الأدلة الدامغة على أنه من خيار المصنفين ، ومن الذين يدعون إلى العمل بسنة رسول الله ﷺ ، ويقتدون به ، ومن الذين ينبذون التقليد والجمود ويعملون بالدليل ، ويتحررون من التعصب المذهبي ، فرحمه الله رحمة واسعة .

(٣) الكرمانى : محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى ، عالم بالحديث أصله من كرمان ، ولد سنة ٧١٧هـ ، واشتهر في بغداد (٣٠) سنة ، وأقام بمكة مدة ، وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري) مطبوع ، وله كتب أخرى ، مات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد سنة ٧٨٦هـ ، ودفن بها رحمه الله ، ترجمته في «الأعلام» (١٥٣/٧) ، «الدرر الكامنة» (٤١٠/٤) ، «مفتاح السعادة» (١٧٠/١) .

(٤) عبارة الكرمانى في المجلد الأخير من شرح البخاري ص (١١٤) : «فإن قلت : لو أصر على العزم على المعصية يعاقب عليه لا عليها ، حتى قالوا : لو نوى ترك صلاة بعد عشرين سنة وجزم عليه مضى في الحال؟ . قلت : ذلك لا يسمى وسوسة ولا حديث نفس ، بل هو نوع من العمل يعني عمل القلب» .

ثم أحال الكرمانى الحديث في هذه المسألة على حديث له سابق في شرح البخاري في كتاب (العق) ، ورجعت إليه وهو في المجلد الخامس ص (٨٢) في شرحه لحديث أبي هريرة : «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم» ، قال الكرمانى : «فإن قلت : قالوا : من عزم على المعصية بقلبه وإن لم يعملها يؤاخذ عليها؟

قلت : لا شك أن العزم على المعصية وسائر أعمال القلوب كالحسد ومحبة إشاعة الفاحشة مؤاخذ عليها ، لكن إذا وطن نفسه عليه ، والذي في الحديث هو ما لم يوطن عليه ، وإنما مرّ بفكره من غير استقرار ، ويسمى هذا همّاً ، ويفرق بين الهم والعزم» ، ثم أطال الكرمانى الحديث عن هذه المسألة ، وقد عقب عليه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤٦٦/١١) فأرجع إليه .

(العشرة المبشرون بالجنة)

وقد جاءت أخبار بتزكية العشرة والشهادة بالجنة، مما هو وصف لحالة العاقبة، وهذا الخبر المتواتر من طرق كثيرة^(١)، إن العشرة من أهل الجنة، وقد رواه الإمام المهدي في «مقدمات البحر» وغيره، ورواه الطبري في (الرياض النضرة) من طرق كثيرة^(٢)، فالذي روى الحديث بأن جميع العشرة من أهل الجنة عنه ﷺ: عبدالرحمن بن عوف^(٣)، وسعيد بن زيد^(٤)، وأبو ذر، وابن أبي أوفى^(٥)، ومما يختص بالأربعة: ما رواه حذيفة، وأبو هريرة وأنس وابن عباس وجعفر بن محمد الصادق، وأبو موسى الأشعري^(٦)، وعائشة، وجابر، وأبو الدرداء، وابن عمر،

(١) أورد الإمام علامة اليمن المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه (العواصم والقواصم) قدراً كبيراً من الأحاديث في فضائل الصحابة العشرة المبشرين بالجنة (٩ / ١١-١٤)، وأورد الشيخ شعيب المحدث في الحاشية كثيراً منها، وسنورد هنا ما تيسر من إيرادها وهي هذه الأحاديث ومنها:

- منها ما أخرجه أبو داود (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٨، ٣٧٥٧)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١٦٢٩، ١٦٣٠)، والحاكم (٤ / ٤٤٠)، والنسائي في الفضائل (١٠٠، ١١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩٥/١)، ولفظه عن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص»، قال: فعُد هؤلاء التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور، من العاشر؟ قال: أنشدتموني بالله، «أبو الأعور» يعني نفسه في الجنة. (٢) انظر: الرياض النضرة (١ / ٣٤-٣٥).

(٣) عبد الرحمن بن عوف: الصحابي القرشي الزهري المدني كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الرحمن، ولد بعد الفيل بعشر سنين، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهو أحد العشرة المبشرين، وكان من المهاجرين الأولين، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد، فضائله كثيرة، توفي سنة ٣٢هـ، «تهذيب الأسماء واللغات» (١ / ٣٠١-٣٠٢).

(٤) سعيد بن زيد الصحابي بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي المكي المدني أحد العشرة المبشرين، وكان من المهاجرين الأولين، شهد المشاهد كلها بعد بدر، وشهد اليرموك وحصار دمشق، وكان مجاب الدعوة، توفي بالعقيق سنة ٥٠هـ، وصلى عليه ابن عمر ونزل في قبره سعد وابن عمر ﷺ، المصدر السابق (١ / ٢١٧-٢١٨).

(٥) ابن أبي أوفى الصحابي بن الصحابي، واسم أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث بن أسيد -بفتح الهمزة- الأسلمي شهد بيعة الرضوان وخيبر وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولم يزل بالمدينة حتى توفي رسول الله ﷺ، ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من توفي بها من الصحابة، «تهذيب الأسماء» (١ / ٢٦١).

(٦) أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس الأشعري الصحابي الكوفي، قدم على رسول الله ﷺ مكة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم، ثم هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ مع أصحاب السفيتين بعد فتح خيبر، له فضيلة خاصة عن أي صحابي، وهي أنه هاجر (٣) هجرات؛ هجرة من اليمن إلى رسول الله ﷺ بمكة، وهجرة من مكة إلى الحبشة، وهجرة الحبشة إلى المدينة، واستعمله النبي ﷺ على زيد وعدن وساحل اليمن، توفي بمكة، وقيل: بالكوفة سنة ٥٠هـ، «تهذيب الأسماء» (٢ / ٢٦٨).

وأنس، وعمر، ومما يختص به عمر: ما رواه ابن مسعود، وزيد بن أبي أوفى، وابن عمر، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وبريدة^(١)، ومما يختص به عثمان: ما رواه زيد بن أسلم^(٢)، كما ذكر جميع ذلك الطبري في «الرياض النضرة في فضائل العشرة»، فصح الذي رواه الطبري عن النبي ﷺ ثمانية عشر صحابياً كلهم رَوَوْا أن الثلاثة في الجنة^(٣)، فظهر تواتره.

وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة^(٤)، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فجعل يقلبها في يده، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين»^(٥)، الحديث إلى آخره، ولا يصلح أن تكون حكاية حال؛ لأن الحكاية بالجنة حكاية عاقبة، ثم أيضاً إن قد جاءت الأخبار من النبي ﷺ بالعفو عن الذين صدر منهم، كما أخرجه الحافظ ابن لهيعة^(٦) عن النبي ﷺ، أنه قال: «يكون لأصحابي من بعدي زلة يغفرها الله تعالى لسابقتهم معي»^(٧) الحديث، ورواه الطبري في «الرياض النضرة» وغيره.

(١) بريدة بن الحبيب: الصحابي رضي الله عنه، هو أبو عبد الله بن الحبيب بن عبد الله بن الحرب بن الأعرج الأسلمي، سكن المدينة ثم البصرة، ثم مرو، وتوفي بها سنة ٦٢هـ، وهو آخر من توفي من الصحابة رضي الله عنهم بخراسان، «تهذيب الأسماء» (١/١٣٣).

(٢) زيد بن أسلم القرشي العدوي المدني مولى عمر بن الخطاب، تابعي فقيه، توفي بالمدينة سنة ١٣٦هـ، «تهذيب الأسماء» (١/٢٠٠).

(٣) ذكر المصنف رحمه الله هنا أن عدد من روى من الصحابة في فضائل العشرة من الأحاديث (١٨) مع أن عددهم يزيد عن هذا القدر (تأمل).

(٤) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب: الصحابي أسلم يوم الفتح، وصحب النبي ﷺ، سكن البصرة، وغزا خراسان في زمن عثمان، وفتح سجستان وكابل سنة ٣٣هـ، توفي سنة ٥٠هـ، «تهذيب الأسماء» (١/٢٩٦).

(٥) كلام المصنف هنا يوهم أن الحديث الترمذي بقية، والحديث قد تم متنه عند قوله: (مرتين) ولعل المصنف كتبه من حفظه، والحديث في الترمذي برقم (٣٧٠١)، وقد حسنه الترمذي، وقال الشيخ شعيب في تحقيقه على «شرح السنة» (١٤/١١٠): وإسناده حسن.

(٦) هذا الاسم (لهيعة) ورد هكذا في المخطوط ولكنه تصحيف من النسخ لكلمة (الهشمي) وكان الأولى أن يقول المصنف، أوردته بدل كلمة (أخرجه).

(٧) الحديث ضعيف: أوردته الحافظ الهشمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٣٣)، وعزاه للطبراني في «الأوسط»، وقال: «فيه إبراهيم بن أبي الفياض، قال ابن يونس: يروي عن أشهب مناكير»، ثم قال: «قلت: وهذا مما رواه عن أشهب»، ولفظ الحديث في «المجمع»، وهو من حديث حذيفة: «يكون لأصحابي زلة يغفرها الله لهم بصحبتهم»

قصة علي رضي الله عنه والجاثليق

روى الحسن بن بدر الدين في كتابه (أنوار اليقين) في خبر الجاثليق الذي سأل علياً في مسائل، فقال فيه ما لفظه: «فقال الجاثليق لعلي رضي الله عنه: فهل عندك من نبيك ﷺ عهداً فيما أنت وهم فيه؟ فقال علي رضي الله عنه: نعم عندي عهد من رسول الله ﷺ بما هم عاملون، وإليه صائرون، وكيف يخفي عليّ أمر منه ومنزلتي منه كمنزلة هارون من موسى وشمعون من عيسى، وإني على بينة من ربي ونبيي، وعالم بما يصير إليه القوم، ولهم مدة وأجل معلوم؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]، وقد عفا عن هؤلاء القوم في بعض أحكامه وهو بالغ أمره، قال جل وعلا: ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]، فقد عفا عن هؤلاء، ووعدني رسول الله ﷺ كتاباً كتبه بخطي، وأملاه عليّ في المصالحة والمهادنة على ألاّ يحدثوا حدثاً فلهم الوفاء والعهد ما أقاموا على الوفاء بعدهم، وعلينا مثل ذلك، وليس هذا وأن نصبر (كحمل سبق) (١)، ولا قيام عليهم» (٢) انتهى، فهذا إخبار من أمير المؤمنين برواية

= وستأسى بهم قوم بعدهم، يكبهم الله على مناخرهم في النار»، وأورده الطبري في «الرياض النضرة» (١/٢٣)، وهو كعاداته يعتمد على جمع الأحاديث والآثار بدون أن يبين صحيحها من سقيمها، وعزاه الطبري إلى تمام الرازي في فوائده، وقد أفادني الأستاذ الفاضل محمد الصادق من خلال اطلاعه على هذا الكتاب قبل طبعه بهذا التعقيب: «وينبغي عن الحديث المذكور الأدلة الكثيرة التي تبين أن مصيرهم إلى الجنة، فلا يمكن دخولهم الجنة إلا برضا الله عنهم، ومغفرته لهم» فجزاه الله خيراً.

(١) ما بين المعرفين في (أ) و (ب): (كحمل سيف) وفي (ج) (بل سبق) وأنت ترى الاضطراب فيها.

(٢) هذه القصة في روايتها وما تتضمنه عن أمير المؤمنين نظر، فنقول:

أولاً: أن القصة غيب سندها ظاهر، وليس بأيدينا المصدر الذي اعتمد عليه المصنف، وهو كتاب «أنوار اليقين»، فنظر في سنده.

ثانياً: أن هذه القصة يظهر فيها أنها من نسج الرافضة بحيث تسربت إلى كتب الزيدية وصارت مدسوسة فيها، فينبغي أن تصان منها، فلعل العلامة الحسن بن بدر الدين تغافل عن تسربها إلى كتابه هذا من جهة الرافضة ومصادرها بدون تحرّ منه وتمحيص؛ لأنها تتعارض مع أدلة صحيحة عند أهل السنة ومعهم الزيدية.

ثالثاً: يفهم من القصة أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه كتب كتاباً أملاه عليه رسول الله ﷺ بخطه، فيظهر على القصة الوضع في هذه المسألة.

رابعاً: وردت أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما فيها كلام علي رضي الله عنه حين سئل: هل عهد إليّ الرسول ﷺ شيء فكان جوابه أن النبي ﷺ لم يعهد إليّ شيء لا بما هو مذكور، ولا في غيرها، وإنما أخرج علي رضي الله عنه لمن سألته كالاشتر النخعي وغيره صحيفة فيها ذكر مسائل معينة في أحكام فقهية لا تدل على ما في القصة هذه، ولا تدل على أن النبي ﷺ عهد إلى علي بالخلافة، أو بعهد ما، وهذا ما تدل عليه الأحاديث الآتية:

الحسن بن بدر الدين بالعفو عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، ولا يكون العفو إلا بالعاقبة، ومن عفا الله عنه فهو من أهل الجنة بلا شك، فلا تمتنع الترضية حينئذ، كما لا يخفى، والله أعلم.

= منها: ما روى البخاري (١٧٧١) عن علي رضي الله عنه، قال: «ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلوات الله عليه: «المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»، وقال: «ذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل».

قال الحافظ في «فتح الباري» (٦٨/٤) شارحاً هذا الحديث: «قوله: ما عندنا شيء: أي مكتوب، وسبب قول علي رضي الله عنه هذا يظهر مما أخرجه أحمد (٩٥٩) أن علياً كان يأمر بالأمر، فيقال له: قد فعلناه، فيقول: صدق الله ورسوله، فقال له الأشر: إن هذا الذي تقول، أهو شيء عهده إليك رسول الله صلوات الله عليه؟ قال: ما عهد إلي شيئاً خاصة دون الناس إلا شيئاً سمعته منه، فهو في صحيفته في قراب سيفي، فلم يزالوا به حتى أخرج الصحيفة، فإذا فيها: «... فذكر الحديث، وزاد فيه: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»، وفيه: «إن إبراهيم حرم مكة وإنني أحرّم ما بين حرتيها...» الحديث. ومنها: ما أخرجه الدارقطني من وجه آخر عن قتادة عن أبي حسان عن الأشر عن علي رضي الله عنه.

— ومنها: لأحمد (٥٩٩، ٦١٦، ٩٥٩، ٩٩٣، ١٠٣٧، ١٣٠٧)، وأبي داود (٢٠٣٥)، مختصراً، والنسائي (٢٤/٨)، من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن بن قيس بن عباد قال: «انطلقت أنا والأشر إلى علي رضي الله عنه...» الحديث نحوه.

— ومنها: لمسلم (١٣٧٠) من طريق أبي الطفيل، وفيه: «فأخرج صحيفة مكتوب فيها: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً».

قال الحافظ: والجمع بين هذه الأخبار أن الصحيفة المذكورة كانت مشتملة على مجموع ما ذكر فنقل كل راو بعضها، وأتمها سيقاً طريق أبي حسان، وفي الحديث رد لما تدعيه الشيعة بأن كان عند علي وآل بيته من النبي صلوات الله عليه أمور كثيرة أعلمه بها سراً يشتمل على كثير من قواعد الدين، وأمور الإمامة انتهى كلام الحافظ.

— ومنها: طرق لهذا الحديث المستفيضة استوفاهما الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٣٦/٢) فارجع إليه.

خامساً: هذا الحديث الذي تعددت طرقه وقد يصل إلى رتبة التواتر، الذي يقتضي التصريح من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أنه لم يعهد إليه النبي صلوات الله عليه، إلا ما في الصحيفة المحتوية على تلك المسائل، وهذا النهج هو ما سار عليه أهل السنة والجماعة، والذي ينبغي التعويل عليه، وهو النهج الذي لا غبار عليه.

سادساً: قد وردت هذه القصة، أي قصة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع رأس الجالوت (الجالليق) في بعض مصادر أهل الحديث من أهل السنة، فقد نقل الشيخ سلمان بن فهد العودة في كتابه (سلسلة رسائل الغرباء) (٢ / ٤٤ - ٥٠)، هذه القصة، فقال:

«وعن علي رضي الله عنه أنه دعا رأس الجالوت^(١)، وأسقف النصارى، فقال: إني سائلكم عن أمر -وأنا أعلم به منكما- فلا تكتمانني.

(١) الجالوت: اسم أعجمي، ومن خلال سياق الرواية أنه من كبار زعماء اليهود في بلاد الإسلام.

(رد على معترض)

اعترض على هذا بأن من رضي عنهم فقد رضي بفعالهم، ومن رضي بفعالهم فقد شاركهم فيها، وجوابه: أنه لا يلزم من الترضية المشاركة في جميع أفعالهم وأقوالهم، واجتهاداتهم وآرائهم قطعاً، كما لا يلزم فيمن رضي على عالم من

= يا رأس الجالوت: أنشدتك الله الذي أنزل التوراة على موسى، وأطعمكم المن والسلوى وضرب لكم في البحر طريقاً، وأخرج لكم من الحجر اثنتي عشرة عيناً، لكل سبط من بني إسرائيل عين، إلا ما أخبرتني: على كم افترقت بنو إسرائيل بعد موسى؟ .
فقال له: ولا فرقة واحدة.

فقال له علي: -ثلاث مرات- كذبت، والله الذي لا إله إلا هو، لقد افترقت على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة، ثم دعا الأسقف، فقال:
أنشدك الذي أنزل الإنجيل على عيسى، وجعل على رحله البركة، وأراكم العبرة، وأبرأ الأكمه، وأحيا الموتى، وصنع لكم من الطين طيوراً، وأنباكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم.
فقال: دون هذا أصدقك يا أمير المؤمنين.
فقال علي: كم افترقت النصارى بعد عيسى من فرقة؟ .

فقال: لا والله ولا فرقة.
فقال: -ثلاث مرات- كذبت، والله الذي لا إله إلا هو، لقد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة، فأما أنت يا يهودي فإن الله، يقول: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فهي التي تنجو.

وأما أنت -يا نصراني- فإن الله يقول: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].
وأما نحن، فيقول: ﴿وَمِنْ خَلْقِنَا أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وهي التي تنجو من هذه الأمة.
رواه الإمام المروزي في كتاب «السنن» ص: (١٨-١٩) من طريق يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبيرة عن أبي الصهباء، قال: سمعت علي بن أبي طالب (فذكره)، إلى أن قال: «فالإسناد ضعيف؛ لحال أبي صخر، واحتمال الانقطاع بين عمار وسعيد، وذكر ثلاثة طرق عن علي عليه السلام، ولكنها ضعيفة لا تثبت.

- وعن عبد الله بن قيس عليه السلام، قال: اجتمع عند علي عليه السلام جاثليق النصارى، ورأس الجالوت.
فقال الرأس: تجادلون على كم افترقت اليهود؟ .
قال علي عليه السلام: لتفترقن هذه الأمة على مثل ذلك، وأضلها فرقة وشرها الداعية إلينا -أهل البيت- آية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر عليه السلام.

رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»، باب: (ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة؟) رقم (٢٥٤)
من طريق أبي علي إسماعيل بن العباس الوراق، عن الحسن بن محمد الصباح الزعفراني، عن شبابة، عن سودة ابن سلمة، عن عبد الله بن قيس، فرجال الإسناد ثقات ما عدا سودة هذا، وهو يشبه الحديث السابق في قصة علي مع رأس الجالوت وأسقف النصارى انتهى ما ذكر الشيخ العودة.

العلماء موافقته ورضاه بقوله واختياره لما يختاره ويفعله؛ فإن الشافعي^(١) رحمه الله يترضى على أبي حنيفة^(٢) وهو يخالفه بحسب اجتهاده، وجميع العلماء يترضون على بعضهم البعض مع اختلافهم.

قال السيد الهادي بن إبراهيم في (كفاية القانع لمعرفة الصانع) ما لفظه: «الإمام الحسن بن بدر الدين له كتاب (أنوار اليقين)، ولا تصريح فيه بسب الصحابة» انتهى.

وهذا يدل أن ما في بعض النسخ من ذكر الكفر مدسوس عليه؛ لأن السيد إبراهيم ذكر أنه لا تصريح فيه بشيء من السب في النسخ الصحيحة، وهو كما قال، ومن الذين لا معرفة عندهم يقول: إنه في جانب الصحابة وحاشاه، ولكنه لما رأى ما يرويه في كتابه من التجرمات تشابه عليه الحال، وإلا فلو حقق النظر وجمع بين الروايات والخبر لظهر له الوجه وزال الإشكال، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وفي شرح «نهج البلاغة»، لابن أبي الحديد، في آخر الربع الأول، ما لفظه: «روى جعفر بن سليمان (العملي)^(٣) عن أبي هارون العبدى^(٤)، عن أبي سعيد الخدري، قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً لعلي رضي الله عنه ما تلقى بعدي من العنت، فأطال، فقال له علي رضي الله عنه: أنشدك الله والرحم يا رسول الله لما دعوت الله أن يقبضني إليه قبلك، فقال: كيف أسأله في أجل مؤجل، فقال: يا رسول الله فعلام أقاتل من أمرتي بقتاله؟ قال: على الحدث في الدين». (٥)

(١) الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد، وشهرته في العلم والفضل أكثر من أن تحصر، توفي سنة ٢٠٤هـ، رحمه الله، «الأعلام» (٢٦/٦).

(٢) أبو حنيفة: الإمام النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي إمام الحنفية، ولد ببغداد سنة ٨٠هـ ونشأ بها، وكان يبيع الخبز، ويطلب العلم في صباه، سيرته حافلة بالعلم والفضل، توفي سنة ١٥٠هـ رحمه الله، «الأعلام» (٣٦/٨).

(٣) ما بين المعقوفين في النسخ المخطوطة الثلاثة هكذا (العملي) وهو تصحيف لكلمة (الضبي)، وقد ترجمه الحافظ في «التقريب» (١٣١/١)، فقال: «جعفر بن سليمان الضبي -بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة- أبو سليمان البصري، صدوق زاهد لكنه يتشيع من الثامنة، مات سنة ٧٨هـ.

(٤) هو عمارة بن جوين -بجيم مصغراً- أبو هارون العبدى، مشهور بكنيته، متروك، ومنهم من كذبه، شيعي، من الرابعة، مات سنة ٣٤هـ، «تقريب التهذيب» (٤٩/٢).

(٥) الحديث ضعيف؛ لأن أبا هارون كذبه، وحاله كما عرفت، والمصنف رحمه الله هنا، قد أورده، وسكت عليه، ولا أدري لماذا أورده.

(كتاب نسبته إلى الغزالي غير صحيحة)

وذكر الغزالي في أول كتابه (سرّ العالمين) ما لفظه: «اعلم أن الملك عظيم وعقيم، وعليه وقع الاشتباك والمنافسة بين الصالح والطالح، والخاسر والرابح، فمنه تشعب الحسد»، حتى قال: «وقد مرّت بك قصص المتقدمين، فانظر أخبارهم وآثارهم، لما بلغ أحدهم درجة الملك بأب وأم غير قليل منهم، وكم نزع الملك من يد وارث يستحق من أهل بيت محمد ﷺ، وسواهم»، ثم قال: «اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها، فمنهم من زعم أنها بالنص، ودليلهم قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾^(١) الآية [الفتح: ١٦]، وقد دعاهم أبو بكر رضي الله عنه إلى الطاعة بعد رسول الله ﷺ، وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...﴾ [التحریم: ٣]، قال في الحديث: «إن أبا بكر هو الخليفة من بعدي يا حميراء»، وقالت: إذا فقدناك إلى من نرجع؟ فأشار إلى أبي بكر؛ لأنه إمام المسلمين، والإمامة عماد الدين، هذا جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص»، ثم قال: «والذين عدلوا عن هذه الطريق زعموا أن هذا التعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم، فقد وقع الميراث في الخلافة والأحكام مثل داود وزكريا وسليمان ويحيى، وهذا باطل؛ إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى، وأجمع الجماهير على متن الحديث في خطبته يوم غدیر خم باتفاق الجميع، وهو يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، فقال: عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن، فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى بحب الرئاسة، وحمل عمود الخلافة وعقود البنود، وخفقان الهوى، وقعقة الرايات، واشتباك وازدحام الخيول، وفتح الأمصار، وسقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون، ولما مات رسول الله ﷺ، قال قبل وفاته: «إتوني بدواة وبياض لأزِيل عنكم إشكال الأمر، وأذكر لكم من

(١) تمام الآية: ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

المستحق لها»، قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر، وقيل: يهدر، فإذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص فعدتم إلى الإجماع، وهذا منصوص أيضاً؛ فإن العباس وأولاده وعلياً وزوجته وأولاده لم يحضروا حلقة البيعة، وخالفكم أصحاب السقيفة في متابعة (الخزرجي)^(١)، ثم ساق الكلام، ومن الناس من زعم بأن الغزالي شيعي لأجل هذا القول، وإن كان سائر مصنفاته بخلافه، والذهبي في النبلاء، قال: «اختلفت أقواله وكلامه هنا محتمل حكاية القولين؛ لأنه ذكر القول الأول، واحتج له، والقول الثاني واحتج له حكاية عنهم»^(٢).

(١) كذا في المخطوطة (أ)، ولعل الصواب: «الخزرج».

(٢) هذا الكلام الذي نقله المصنف من كتاب ما يسمى (سرّ العالمين) المنسوب للإمام الغزالي، والكلام حول هذا الكتاب ينحصر في أمور:

أولاً: ترجمة الغزالي: هو الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي، ولد سنة ٤٥٠هـ له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى (٦ / ١٩١-٣٩٦)، ومؤلفاته كثيرة، أشار إليها صاحب «الأعلام» (٢٢/٧) إلى أنها تبلغ (٢٠٠) مصنف، وتوفي سنة ٥٠٥هـ.

ثانياً: أما نسبة كتاب (سر العالمين) إلى الإمام الغزالي، فهي نسبة غير صحيحة، وهي نسبة موضوعة ومكذوبة، ويطلقون على الكتاب (سر العالمين وسرّ ما في الدارين) ودليلنا على أن الكتاب مكذوب، الآتي:

١ - أن العلامة تاج الدين السبكي، صاحب كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) قد سرد مؤلفات الغزالي جميعها، ولم يذكر هذا الكتاب، بل لم يُشر إليه بأية إشارة، وهذا بالرغم من تشدد السبكي لأصحابه الشافعية، ودفاعه عنهم، ومن ترجم للغزالي من المؤرخين المعاصرين خيسر الدين الزركلي، صاحب «الأعلام» (٧ / ٢٢-٢٣)، وهي ترجمة موسعة، سرد فيها أسماء كثير من مصنفات الغزالي، ولم يشر إلى هذا الكتاب المسمى: «سر العالمين» بأية إشارة.

٢ - أن السبكي في «طبقاته» (٦ / ٢٣٠) ذكر عقيدة الغزالي وسردها، وجاء في نصوصها هذا النص: «وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنه، وأن يُحسن الظن بجميع الصحابة، ويثني عليهم، كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ عليهم أجمعين»، فهذا النص منقول بلفظه من عقيدة الغزالي، التي ذكرها السبكي في ترجمته في الطبقات.

٣ - وقد ترجم الحافظ الذهبي للغزالي في كتابه «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٣٢٢) ترجمة مفصلة، ونقل ما نسب إلى الغزالي في هذا الكتاب المزعوم ما قاله في عمر بمناسبة حديث: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» أن عمر قال لعلي: «بخ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة» قال أبو حامد: «وهذا تسليم ورضى...» إلى آخر كلامه الذي نقله المصنف هنا، ثم نقل الذهبي تعقيب سبط ابن الجوزي على كلام الغزالي المزعوم، وهو قوله: «وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسّل الذي تزعمه الإمامية، وما أدري ما عذره في هذا؟ والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق، فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم».

ولقد عقب الحافظ الذهبي على قول سبط ابن الجوزي الذي قاله آنفاً، فقال: «هذا إذا لم يكن هذا وضع هذا، وما ذاك ببعيد، ففي هذا التأليف بلايا لا تتطبّب، وقال في أوله: إنه قرأه على محمد بن تومرت المغربي سرّاً بالنظامية، قال: وتوسمت فيه الملك وإشارة الذهبي إلى وضع الكتاب وأنه منحول بقوله (وما ذاك ببعيد) تبعت الشك في نسبة الكتاب إلى الغزالي، انظر: «السير» (١٩ / ٣٢٢-٣٤٦).

(كلام منسوب للتفتازاني)

وقد روى السيد العارف محمد بن عز الدين المفتي^(١) في كتابه (منهج الإنصاف) وغيره عن العلامة سعد الدين التفتازاني^(٢)، أنه ذكر في شرح المقاصد ما لفظه: «ما وقع بين الصحابة من المشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور عن ألسنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد (جاء)^(٣) عن طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد والفساد والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسة، والميل إلى اللذة والشهوات؛ إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا (علي)^(٤) من لقي النبي ﷺ بالخير موسوماً، إلا أن العلماء لما حسن ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ ذكروا محامل وتأويلات مما يليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون مما يوجب التضليل والتفسيق؛ صوتاً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلال في كبار الصحابة سيما المهاجرين والأنصار منهم» انتهى كلامه، وهذا يحتمل أن المراد

٤ - وما يدل على وضع الكتاب المذكور ونسبته الباطلة إلى الغزالي ما جاء في كتاب «مختصر التحفة الاثني عشرية»، للشيخ العلامة: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي ص(٣٣)، قال رحمه الله في معرض حديثه عن إفك الرافضة وسرد مكائدهم ودسائسهم وافتراءاتهم، فقال: «ومن مكائدهم أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنة، وذلك مثل كتاب (سر العالمين) فقد نسبوه إلى الإمام الغزالي عليه الرحمة، وشحنوه بالهذيان، وذكروا في خطبته على لسان ذلك الإمام، وصيته بكتمان هذا السر، وحفظ هذه الأمانة، وما ذكره في غيره فهو للمداينة، فقد لبس ذلك على القاصرين، نال الله عز وجل العصمة من الزلل» انتهى كلام الإمام الدهلوي.

٥ - وإذا كان ابن قتيبة قد نسبوا إليه كتاب «الإمامة والسياسة» كذباً وزوراً، فإن الإمام أبا حامد لم يسلم من إفك الرافضة ودسائسهم وافتراءهم في نسبة هذا الكتاب إليه وهو منه بريء.

٦ - أقول: رحم الله المصنف العلامة يحيى بن الحسين، ولقد وقع في مثل هذه النقول من هذه الحكايات التي هو في غنى عنها، والعلم عند الله.

٧ - ولما اطلعت على ما جاء في كتاب «كشف الظنون» حصلت على دليل آخر في انتحال الكتاب المذكور على الغزالي، فقد ذكر صاحب الكشف شرطاً من اسم هذا الكتاب، ولم يذكر بقية اسم الكتاب، بل لم يذكر اسم مؤلفه قطعاً، فذكره مبتوراً اسماً ومؤلفاً، والله أعلم.

(١) ترجم له في «البدر الطالع» (٢/٢٠٣)، فقال: محمد بن عز الدين المعروف بالمفتي، قيل: إن وفاته في شهر شعبان سنة ١٠٥٠هـ.

(٢) سعد الدين التفتازاني: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان من بلاد خراسان سنة ٧١٢هـ، وتوفي في سمرقند سنة ٧٩٣هـ، له كتب كثيرة، «الأعلام» (٧/٢١٩).

(٣) هكذا في المخطوط، والصواب كما أفادنيه الأستاذ/ محمد الصادق حفظه الله أنها (حاد).

(٤) هكذا أيضاً، والصواب كما أفادنيه الأستاذ أحسن الله إليه أنها (كل).

بالبعض منهم من ظهر منه النزاع والمحاربة والشقاق، وهذا كما وقع في الفتنة مع عثمان بن عفان، والتعصب عليه، وهتك حرمة، ومنازعة ملكه حتى كان ما كان، ثم وقع بعده من النكت على أمير المؤمنين بعد البيعة، وحصل ما حصل يوم الجمل، ثم تاب من تاب، وندم على فعله كعائشة وطلحة والزبير؛ فإنهم ندموا على ما فعلوا وتابوا كما ثبت عنهم، قال ابن أبي الحديد: وتواترت توبتهم، وكما وقع من البغي والخروج على علي بن أبي طالب في أيام صفين، وكان الحق مع علي رضي الله عنه، بدليل الخبر المتفق عليه في الصحيحين عنه عليه السلام، أنه قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»^(١) فقتل يوم صفين، وكان من أصحاب علي، وما ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والأنصار، فقال: «ألا أخبركم بخياركم؟»، قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيعون إن الله يحب الخفي التقي»، قال: ومر علي بن أبي طالب، فقال: «الحق مع ذا، الحق مع ذا»، قال: رواه أبو يعلى، ورواه ثقات^(٢). انتهى.

وأخرج الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والجرجاني وأحمد والطبراني عن أبي هريرة، أنه قال عليه السلام لعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم»^(٣)، وذكر الشيخ محمد بن محمد ابن

(١) رواه مسلم في الفتن، ورواه جماعة من الصحابة، منهم أبو سعيد الخدري وهو في الصحيح، وقادة بن النعمان عند النسائي، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص، قال الحافظ: وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم، وفي هذا الحديث رد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه، وقد ذكر طرق هذا الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (٢ / ١١٤-٢١٠)، وذكر أقوال العلماء في شرحه، وانظر ما قاله الشيخ شعيب في «شرح السنة» (١٤ / ١٥٤-١٥٥)، في تحقيقه، وقد تغافلت عن التقصي والبحث عن هذا الحديث في صحيح البخاري حتى نبهني الأستاذ الفاضل محمد الصادق حفظه الله على موضعه في البخاري لما اطلع على الكتاب قبل الطبع وأنه في البخاري في كتاب الصلاة، باب: التعاون في بناء المسجد، فجاءه الله خيراً، وهو كما قال برقم (٤٤٧).

(٢) هو في «المجمع» (٧/٢٣٤) ورجاله ثقات كما قال الهيثمي، إلا أن كلمة (المطيعون) - كما في المجمع - قد تصحفت في المخطوط إلى كلمة: (المطيعون).

(٣) ضعيف، وهو في مسند أحمد برقم (٩٦٩٨) وقد ساق الشيخ شعيب الأرناؤوط طرقه وانتهى إلى تضعيفه، المسند (٤٣٦/١٥)، الموسوعة الحديثية.

محمد ابن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي البروي الشافعي في كتابه (كنوز الجواهر)^(١)، فقال - بعد ذكر خلافة المشايخ ما لفظه -: «وختم الله خلافتهم بقعود علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما قعدوا ودار عليه دائر الأمر، وانقاده أهل الدين ظهر الخلاف بين الناس، وأشعل نار الحرص قلوبهم، وصار بعضهم مولعاً بطلب الملك حتى أظهر المجادلة والمقاتلة، وهو وصي ابنه الحسن والحسين، وانتقل إلى جوار ربه» انتهى. وهذا المذكور غير الغزالي، وإنما اتفق الاسم وهو متأخر عن الغزالي، قرأ على تلميذ الغزالي كما ذكره قاضي شهبة^(٢)، في طبقات الشافعية، والله أعلم.

(رسالة الإمام يحيى بن حمزة في الذب عن الصحابة)

وللإمام يحيى بن حمزة رحمه الله مصنف مستقل سماه (أطواق الحمام)، ومنهم من يسميه (الوازية للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين) في ثلاث كراسات^(٣)، وروى عن جماعات من أهل البيت الترضية عليهم، فأولهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن والحسين وزيد بن علي، وعبد الله بن الحسن النفس الزكية، وإبراهيم ويحيى ابنا عبد الله، وجعفر الصادق، والناصر الحسن بن علي، والإمام الموفق بالله أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الجرجاني، قال: الهادي والقاسم متوقفون، ناهون عن السب لهم، وروى أيضاً عن غير هؤلاء^(٤)، وقد وسّع

(١) ذكر صاحب «كشف الظنون»، اسم هذا الكتاب بدون اسم مؤلفه.. والطوسي هذا الذي نقل المصنف له هذا الكلام هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد الطوسي البروي صاحب التعليقة المشهورة في الخلاف والمقترح في الجدل، وكان من أكبر أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، قال ابن خلكان: وله جدل مليح مشهور أكثر اشتغال الفقهاء به، وكان واعظاً فاضلاً مناظراً، ظهر له قبول، وكان فيه تشبيب في الاعتقاد وتحامل على الخنابلة، فيقال إن بعض جهلتهم دس إليه من أهدي إليه حلوى فيها سم، مات في رمضان سنة ٥٦٧هـ، «طبقات الشافعية» (١٨/٢)، لأبي بكر بن قاضي شهبة.

(٢) هو أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهابي الدمشقي تقي الدين فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمها من أهل دمشق اشتهر بابن قاضي شهبة (٧٧٩-٨٥١هـ) توفي فجأة وهو جالس يصف ويكلم ولده، «الأعلام» (٦١/٢).

(٣) الرسالة مطبوعة، وقد تم طبعها في مصر سنة ١٣٤٨هـ، بالمطبعة النيرية بالعنوان الأخير.

(٤) المصنف هنا، ينقل من الرسالة المذكورة ص (١٥-٢١).

المهدي بن أحمد بن يحيى في شأنهم، ووجوب الترضية عليهم وتحريم سبهم، وقد ذكر كثير من العلماء في عقائد أهل البيت أنهم يعتقدون تولي الصحابة، وعدم السب، والذين خرجوا على علي كالزبير وطلحة وعائشة، قد صحت توبتهم رضي الله عنهم، ونقل عن علي رضي الله عنه الترضية عليهم والترحم، قال الإمام المهدي في «الغايات»: وذلك (يفيد)^(١) الظن بتوبتهم، وهو يكفي كما أفاد الظن في الباطن بصحة توبة التائب، فلا يفيدنا إلا الظن بما في الباطن، وقال عبد الله بن زين العنسي في كتابه (المحجة): ولأنها رواية مدح نُعمِلُ فيها الظن، بخلاف رواية الدم فلا بد منها^(٢) من التواتر. انتهى. والمدح راجع إلى الأصل وذلك الفطرة فعمل به فيها، والذم يرجع إلى الانتقال عن الأصل، ويترتب عليه التفسير، ولا بد فيه من دليل قاطع، على أنه ذكر العلامة ابن أبي الحديد في «شرح النهج» تواتر الرواية في توبة عائشة واستفاضتها بعد موت علي رضي الله عنه استفاضة ظاهرة، وعبد الله بن عمرو ابن العاص^(٣)، ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» توبته وندمه من خروجه على علي رضي الله عنه من ثلاث طرق^(٤)، وأما عبد الله بن عمر فلم يدخل في شيء مما جرى لا في الجمل ولا في صفين، وإنما توقف عن هذا وهذا، ثم ذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب»، ندمه بعدم النصرة لأمر المؤمنين رضي الله عنهم، وثبت رجوع كثير من الذين كانوا مع معاوية بعد قتل عمار بن ياسر، فإنه ظهر لهم عند ذلك أن الحق مع علي رضي الله عنه لأجل الحديث الصحيح، كما في البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم، قال: «تقتل عماراً الفئة الباغية»^(٥)، وكان القاتل له

(١) في (ب) يفيدنا.

(٢) لعل الصواب: (فلا بد فيها) تأمل.

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص: العالم الرباني رضي الله عنه أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح، وأبوه أسن منه بـ (١١) عاماً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل على والده، مناقبه كثيرة، توفي بمصر سنة ٦٥ هـ ليالي حصار القسطنطين، «تذكرة الحفاظ» (٤١/١).(٤) في «الاستيعاب»، لابن عبد البر مع «الإصابة» (٢/٣٤٠): «واعتذر رحمه الله من شهود صفين، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم، وأنه إنما شهد لها لعزمة أبيه عليه في ذلك، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «أطع أباك»، إلى أن قال: «إنه كان يقول: مالي ولصفين؟ مالي ولقتال المسلمين، والله لوددت أني مت قبل هذا بعشر سنين، ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم» إلى آخر كلامه رضي الله عنه.

(٥) الحديث لم يوجد في صحيح البخاري، وقد وهم المصنف في عزوه إليه، ولكنه في صحيح مسلم وغيره، وقد سبق تخريجه، ولم يهم المصنف رحمه الله وأنا الذي وهمت، انظر: ص (٢٩٠)، وأما عبد الله بن عمر فقد ذكر أسفه عن عدم حضور صفين مع علي، الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/٣٣٧)، قوله: «ما آسى على شيء إلا أنني لم أقاتل مع علي الفئة الباغية».

أصحاب معاوية، واحتج عمرو بن العاص على معاوية بذلك، وقال الشيخ أحمد ابن تيمية^(١): عثمان بن عفان تاب توبة ظاهرة من الأمور التي جاؤوا ينكرونها عليه، ويظهر لهم أنها منكر، وهذا مأثور مشهور عنه، وكذلك عائشة ندمت على سيرها إلى البصرة، وكانت إذا ذكرته تبكي حتى تبلّ خمارها^(٢)، وكذلك طلحة ندم على تفريطه في نصر عثمان وعلي، والزبير ندم على مسيره يوم الجمل، وذكر جماعة آخرين، ثم قال: وعلى الجملة ليس علينا أن نعرف أن كل واحد تاب، لكن نحن نعلم أن التوبة مشروعة لكل عبد، وأن الله تعالى يبدل السيئات حسنات بالتوبة، والذنب يوجب لصاحبه بالتوبة الخشوع والتواضع والدعاء والاستحقار للنفس، ولهذا قالت طائفة من السلف: إن العبد ليفعل الذنب فيدخل الجنة، ويفعل الحسنة فيدخل النار، لا يزال بين عيني الذنب، إذا ذكره تاب إلى الله تعالى ودعاه وخشع فيدخل به الجنة، ويفعل الحسنة فيعجب بها فيدخل النار، وفي الأثر: «لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو أعظم من الذنب وهو العجب»، وقد نقل عن جماعات كثيرة من السلف من الصحابة وغيرهم من (المتعارضين والمتأخرين)^(٣) التوبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وفي «نهج البلاغة»، ما لفظه: «ومن كلامه^(٤) وقد سمع قومًا من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم: إني أكره أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ

(١) شيخ الإسلام: الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع أحمد بن عبد الحليم الحراني، ولد في ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، وقدم مع أهله سنة ٦٧٠هـ فسمع من الشيوخ وخرج وبرع في الرجال والحديث وشتى العلوم، وكان من بحور العلم، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس بمصر والإسكندرية وبقلعة دمشق، وتوفي مسجونًا بها في العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٩٦-١٤٩٨).

(٢) المصنف رحمه الله هنا لم يعين الكتاب الذي نقل منه كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. كما هي عادة المصنف في هذه الرسالة في عزو كلام العلماء وتسمية كتبهم حين ينقل، وهذا الكلام لشيخ الإسلام هو من كتابه «منهاج السنة» (١٨٥/٢)، والسبب في عدم ذكر المصنف لهذا الكتاب منهاج السنة؛ لئلا يثير غضب الرافضة، والمتعصين من أهل زمانه، وتجنبًا لما سيلقيه منهم من أذى وشتم وبهتان، فلعل هذا هو السبب -والله أعلم- في ترك المصنف لاسم الكتاب.

(٣) ما بين المعقوفين كما ترى، وفي (ب): «المشاجرين»، ولعل الصواب هكذا: «من المتقدمين والمتأخرين».

(٤) أي: المنسوب لعلي عليه السلام.

في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا^(١) ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالهم...»^(٢) إلى آخره.

جمهور علماء الإسلام ينهون عن اللعن

ذكر جمهور علماء الإسلام أن اللعن قد نهى عنه النبي ﷺ للمعين^(٣)، ولذلك لم تجئ آية في القرآن بلعن المعين أصلاً، وإنما جاء بلعن المجهول^(٤)، ونزلت الآية في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٥) [إل عمران: ١٢٨]، لما كان النبي ﷺ يلعن أقواماً بأعيانهم في قنوت الصلاة، فنزلت فترك النبي ﷺ اللعن لهم، وهم كفار فكيف بالمسلمين؟^(٦) الله المستعان!!.

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم»^(٧)، وأخرج الطبراني عن عائشة أن

(١) كذا في (أ) و(ب) و(ج) هكذا: «دمانا»: جمع دم بدون همزة.

(٢) في «النهج» المطبوع ص(٣٩٩): «ضلاتهم»، وبقية العبارة في النهج ص(٣٩٨): «حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»، ولهج به: أولع به.

(٣) للإمام العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله كلام جيد في «العواصم والقواصم» (٨ / ٧١-٧٣) تحدث فيه عن أهل السنة وكراهيتهم اللعن والسب على الإطلاق، ولعل المصنف هنا اعتمد على النقل من كلام الإمام ابن الوزير من العواصم.

(٤) أي: اللعن بالصفة التي يتصف بها هذا الشخص، مثل: ألا لعنة الله على الكاذبين، والظالمين، صفة الكذب، وصفة الظلم مثلاً.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره (٢/٩٦): قال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، ثم ذكر بقية الأقسام، فقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: مما هم فيه من الكفر، ويهديهم بعد الضلالة، ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، أي: في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

(٦) هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب التفسير رقم (٤٢٣٨) عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه في الركوع في الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «اللهم اليعن فلاناً وفلاناً وفلاناً» بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، والمصنف هنا قد أورده بالمعنى.

(٧) «صحيح» مسلم بشرح النووي (٢٦٢٣)، قال النووي (١٦/٤١٣): روى «أهلكهم» على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، وفي «شرح السنة» (١٣/١٤٥): قال الخطابي: معنى هذا: ألا يزال الرجل يعيب الناس، ويذكر=

النبي ﷺ، قال لمعاوية: «كيف لو قد قمصك الله قميصاً -يعني الخلافة-؟»، فقالت أم حبيبة: يا رسول الله، وإن الله قمص أخى قميصاً؟ قال: «نعم، ولكن فيه هنات وهنات وهنات»^(١).

وأخرج أبو يعلى^(٢) والحاكم والبيهقي^(٣) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «رأيت في النوم بني الحكم ينزون على منبري كما تنزو القردة» قال: فما رأيي النبي ﷺ ضاحكاً مستجمعاً حتى توفي^(٤).

وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن عمرو بن مرة الجهني^(٥)، وكانت له صحبة، قال: جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله ﷺ، فقال: «ائذنوا له حية ولدت حية، لعنه الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين، وقليل ما هم يشرفون في الدنيا، ويوضعون في الآخرة، ذو مكر وخديعة،

= مساوئهم، ويقول: قد فسد الناس وهلكوا، ونحو ذلك من الكلام، وإذا فعل الرجل ذلك، فهو أهلكهم وأسوأهم حالاً فيما يلحقه من الإثم في عيبتهم والازدراء بهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه، ويرى أن له فضلاً عليهم وأنه خير منهم فيهلك.

قلت: وروى معنى هذا عن مالك، قال: إذا قال ذلك تحزناً لما يرى في الناس يعني من أمر دينهم، فلا أرى به بأساً، فإذا قال ذلك عجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهى عنه.

وقيل: هم الذين يؤيسون الناس من رحمة الله، يقولون: هلك الناس، أي استوجبوا النار والخلود فيها لسوء أعمالهم، فإذا قال ذلك فهو أهلكهم -يفتح الكاف- أي: أوجب لهم ذلك، «شرح السنة»، للبيهقي (١٤٥/١٣).

(١) الحديث ضعيف، وهو في «مجمع الزوائد» (٣٥٦/٩)، وهو حديث طويل، قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه السري بن أبي عاصم وهو ضعيف، وقوله في الحديث (هنات...) ثلاث مرات، قال القاضي عياض في «مشارك الأنوار على صحاح آثار» (٢٧١/٢): «وفي الطلاق الثلاث هنات من هناتك أي: من أخبارك المكروهة وفتاويك المنكرة، ويقال: في فلان هنات، أي: أشياء مكروهة، ولا يقال ذلك في الخير، إنما يقال فيما يكتنى عنه» انتهى.

(٢) في المخطوط (أ) (علي)، وأبو يعلى: هو أبو يعلى الموصلي الحافظ الثقة أحمد بن علي بن المثنى صاحب «المسند الكبير»، كان من أهل الصدق والأمانة والدين والحلم، غلقت أكثر الأسواق يوم موته، ولد في شوال سنة ٢١٠هـ، وتوفي سنة ٣٠٧هـ، «تذكرة الحفاظ» (٧٠٧/٢).

(٣) البيهقي: الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٨٤هـ، صنف كتباً لم يسبق إلى تحريرها، وهي كثيرة، كان على سيرة العلماء قانعاً باليسير، حضره الأجل في عاشر جمادى الأولى سنة ٤٥٨هـ، «التذكرة» (٣ / ١١٣٢-١١٣٥).

(٤) أورده ابن حجر المكي في «تطهير الجنان» ص (٦٥)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٤٤/٥): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله وهو ثقة.

(٥) عمرو بن مرة الجهني: أبو طلحة من رجال التهذيب، صحابي مات بالشام في خلافة معاوية، روى له الترمذي، «تقريب التهذيب» (٧٩/٢)، رقم الترجمة (٦٧٨).

يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق»^(١)، هكذا ذكره السيوطي في «الخصائص والمعجزات» معزواً إلى من ذكر من أهل الحديث، والله أعلم.

ومن أراد استيفاء مناقب العشرة أجمع فعليه بكتاب «الرياض النضرة في مناقب العشرة»، فإنه جمع فيه كثيراً مما يفيد مجموعته العلم، وإن كان في بعض ما يرويه ضعيف، فهو يحتاج به في المتابعات، ومع كثرة طرقه في مرتبة الحسن كما عرف على أن الشيخ أحمد بن محمد الهيثمي^(٢) ذكر في الهمزية^(٣) له ما لفظه:

(١) ورد في «مجمع الزوائد» (٢٤٢/٥) بلفظ: «اتذنبوا له فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وما يخرج من صلبه إلا الصالحين منهم، وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويرذلون في الآخرة، ذو مكر وخديعة»، قال الهيثمي: فيه أبو الحسن الجزري وهو مستور ببقية رجاله ثقات، قال محقق هذه الرسالة الفقير إلى ربه: هذا الحديث لا دليل فيه على المسألة التي اشتهرت عند العلماء رحمهم الله، وهي: «أنه لا يجوز لعن المعين» فهذه المسألة لا تزال على عمومها وتقرير ذلك وتوضيحه يتضمن أموراً كما يلي:

١ - أن في سند الحديث راوياً مستوراً هو أبو الحسن الجزري كما مر، وقال الحافظ في «تقريب التهذيب» (٤١١/٢): أنه مجهول، وهذه علة قاذحة في الاحتجاج بالحديث.

٢ - أقول: إن صح الحديث، فالجواب عنه من وجوه:

أ - النهي العام عن لعن المعين كما في الحديث الصحيح من حديث ابن مسعود: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه أحمد (٣٨٣٩) وغيره وقد سرد طرقه محققو المسند.

ب - إذا تعارض القول والفعل يقدم القول، كما قال أهل الأصول، وهو النهي كما في حديث ابن مسعود.

ج - أن لعن المعين كما في قصة الحكم بن أبي العاص خاص بالنبي ﷺ، ويندرج في المسائل التي هي من خصائصه، ولذلك عدّها الإمام السيوطي منها كما أشار المصنف إلى ذلك، وقد أوردها السيوطي في «مختصر الخصائص» ص (١٧٨)، فقال: ولعن من شاء بغير سبب وتكون له الرحمة.

د - لقد علق شارح «الخصائص» العلامة: محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، فقال: لخبر الشيخين، وذكر حديث أبي هريرة في الصحيحين، وفيه: «فأما أحد من المؤمنين آذنته أو شتمته أو لعنته، فاجعلها له زكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»، وانظر: شرح الحافظ في «الفتح» (١١ / ١٤٣-١٤٤)، وسرد طرقه، فيأبها الرافضي إذا كان لعن المعين سائغاً للنبي ﷺ - كما في الحديث إن صح - فإنه لا يسوغ لك ذلك، فأياك إياك أن تتعدى حدود الله، فتطلق لسانك العنان باللعن على المعين، فليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء، كما حذر رسول الله ﷺ، وسيأتي مزيد من الأحاديث التي يوردها المصنف في النهي عن اللعن ص (٢٢٣) في هذا الباب قريباً، والله أعلم.

(٢) هو العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، فقيه باحث مصري، ولد بمصر في سنة ٩٠٩هـ، وتلقى العلم في الأزهر، وله تصانيف كثيرة، توفي بمكة سنة ٩٧٤هـ، الأعلام (٢٣٤/١).

(٣) الهمزية: منظومة للشاعر البوصيري محمد بن سعيد الصنهاجي المصري، مدح بها النبي ﷺ، ولد سنة ٦٠٨هـ، وتوفي سنة ٦٩٦هـ، وله قصيدة منظومة أخرى تسمى (البردة)، وهاتان المنظومتان وإن كانت لهما قيمة في اللغة والأدب إلا أن ناظمهما أدخل فيهما استغاثات بغير الله تعالى^(*)، وهذا ينبئ عن سوء اعتقاد، ويخل بعقيدة التوحيد، خصوصاً قصيدة (البردة) وتوسلات غير شرعية، انظر: إلى غلوّه في قوله في البردة:

«والضعيف يعمل به في المناقب، وقال بعض المتأخرين اتفاقاً كالفضائل» انتهى، قلت: ومراده الضعيف غير الموضوع، فأما الموضوع فلا يجوز العمل به مطلقاً في المناقب ولا غيره أصلاً. (١)

وقد صنّف في مناقب الصحابة ﷺ مصنفات كثيرة ومجلدات عديدة، ويتوجه على المنصف أنه يعرفها جميعها؛ لئلا يعمل ببعضها دون بعض، ومن أحسنها وأوسطها فيما بين الاختصار والبسط: «الرياض النضرة في فضائل العشرة» في مجلدين. قال ابن واضح في تاريخه (٢): «لما خرج (علي) (٣) عمر بن عبد العزيز (٤) -رحمه الله- شوذب الخارجي، أرسل إليه شوذب رجلين يناظرانه، فقالا له: إنك أظهرت أفعالاً حسنة وأعمالاً جميلة، ومما ينكر عليك ترك لعن أهل بيتك والبراءة

لو ناسبتُ قدره آياته عظمًا	أحیی اسمهُ حين يُدعی دارس الرمم
وكل أي أتى الرسل الكرام بها	فلإنما اتصلت من نوره بهم
وكلهم من رسول الله ملتمس	غرفًا من البحر أو رشقًا من الدیم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به	إلا ونلت جوارًا منه لم يضم
ولا التمسست غنى الدارين من يده	إلا استلمت الندى من خير مستلم
ومن يكن برسول الله نصرته	إن تلقه الأسد في آجامها تجم
يا أكرم الخلق مالم ي من ألوذ به	سواك عند حدوث الحادث العَم
ولن يضيق رسول الله جاهك لي	إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا ضررتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

هذه الأبيات كافية وغنية عن التعليق، وما فيها من الغلو الفاحش، حيث إن هذا الناظم يخاطب رسول الله ﷺ، وقد انخدع أناس من أهل العلم بشروحها فزلوا ومنهم ابن حجر المكي، والله المستعان.

(١) قال السيوطي رحمه الله في «تدريب الراوي» ص (١٩٦)، نقلاً عن الحافظ ابن حجر في مسألة هل يجوز العمل بالحديث الضعيف؟ وذكر الحافظ له ثلاثة شروط:

١ - أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفراد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلظه، نقل العلائي الاتفاق عليه.

٢ - أن يندرج تحت أصل معمول به.

٣ - ألا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط. انتهى.

(٢) هو اليعقوبي المؤرخ أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، وهو شيعي توفي بعد سنة ٢٩٢هـ، «الأعلام» (٩٥/١).

(٣) في (أ) بدون (علي) وقد أثبتناها من (ب).

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي الخليفة الصالح والملك العادل، وربما قيل له: خامس الخلفاء الراشدين، ولد بالمدينة سنة ٦١هـ، ونشأ بها وولي إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، ثم ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ، توفي سنة ١٠١هـ رحمه الله، «الأعلام» (٥٠/٥).

منهم، فقال: وكيف تلزمني لعنهم؟ قالوا: لأنهم من أهل المعاصي وأنه لا يسعك غير ذلك، فقال: متى عهدكم بلعن فرعون؟ فقالوا: ما نذكر متى لعنناه، فقال: يسعكم ترك لعنه، أنتم أردتم شيئاً فأخطأتموه، فأقام أحدهما وانصرف الآخر.

وذكر العامري^(١) في «بهجة المحافل»: «المنتسبون إلى سب الصحابة؛ لهنات^(٢) صدرت منهم، مما تقدم إليهم من النبي ﷺ بالكلام فيها، وأخبر بوقوعها منهم، ثم نهى عن سبهم على الإطلاق، فقال: «لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(٣)، وقال: «خيركم قرني...»^(٤)، وقال ﷺ: «لا يبلغني عن أحد أصحابي شيئاً؛ فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر»^(٥)، واعتذر عن حاطب، وقد بدرت منه عزيمة، وعن مالك ابن الدخشم^(٦) وقد تعرض قوم لسبه على ظاهر الحال، ولم يرخص لبعضهم من بعض

(١) هو العلامة يحيى بن أبي بكر العامري الحرصي اليماني الشافعي، ولد سنة ٨١١هـ، وذهب إلى مكة وأخذ عن علمائها، وتفقه بأبيه، واستفاد منه طلبة العلم، ورحلوا إليه، وله مصنفات نافعة، مات بحرض سنة ٨٩٣هـ، ودفن بها، «البدر الطالع» (٢/٣٢٧).

(٢) فسرها شارح «بهجة المحافل» العلامة الأشعر: بهاء فنون مفتوحتين، وهي الخصلة، وهي هنا الأمور التي جرت بين الصحابة رضياً، وفي النهاية (٥/٢٧٩): «ستكون هنات وهنات، فمن رأيتموه يمشي إلى أمة محمد ﷺ ليفرق جماعتهم فاقتلوه» أي: شرور وفساد، يقال: في فلان هنات، أي خصال شر، ولا يقال في الخير، وواحدها: هنت، وقد تجمع على هنوات، وقيل: واحدها: هنة، تأنيث هن، وقد سبق شرح هذه الكلمة قريباً.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) هو في الصحيحين من حديث عمران بن حصين، وتمامه: «ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، وقال: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويندرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن» «البخاري» حديث (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٨٥٧)، واللفظ له.

(٥) «شرح السنة»، للبيهقي (٣٥٧١) من حديث ابن مسعود، قال الشيخ شعيب (١٣/١٤٨): وأخرجه أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٢)، والوليد بن هشام مجهول، وزيد بن زائدة -وقد حُرّف إلى زيد بن ثابت في «أخلاق النبي»- لم يوثقه غير ابن حبان.

(٦) ترجم له الحافظ في الإصابة برقم (٧٦٢٦)، فقال: وهو مالك بن الدخشم، على وزن (بلبل) من بني عوف ابن عمرو الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا عند الجميع، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو بن عدي يومئذ، وفي صحيح البخاري (الدخيشن) مصغراً بالنون، ثم أرسله النبي ﷺ مع معن بن عدي فأحرقا مسجد الضرار، وأنشد المرزباني في أسر سهيل، وسبقه إلى ذلك الزبير بن بكار:

أسيراً به من جميع الأمم
سهيلاً فتأها إذا تصطلم

أسرت سهيلاً ولن أبغى
وخندف تعلم أن الفتى

خندف: اسم امرأة.

أبدأ، وقال تعالى بعد أن أثنى عليهم أحسن الثناء: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ {الحشر: ١٠}، وليت من جاء بعدهم إذا لم يستغفروا، ويترحموا عليهم لم يسبّوهم، وليتهم إذا لم يصيبوا أجرحهم لم يتقوا في شرهم ووكّلوا أمورهم إلى عالم سرائرهم، فهو أعلم بهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {البقرة: ١٤١}، وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ {طه: ٥١-٥٢}، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ الشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ {الزمر: ٤٦}، وقوله ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»^(١)، وقد حذر العلماء المحتاطون لدينهم من النظر في الكتب الحاكية تشاجر الصحابة؛ لما فيه من المفسدة لمن لم تكن له معرفة وبصيرة»^(٢)، وساق الغامري الكلام حتى قال: «والفرقة»^(٣) المتوقفة سالمة على كلا الحالين؛ فإنك لو لم تلعن وتسب من علم كفره وشقاوته في دهره لما خفت أن تعاقب على ذلك، ولا خطر فيه، إنما الخطر والوبال أن تصوب ضالاً في ضلاله، وتحسن فعله، وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»^(٤) انتهى كلام

= وفي الصحيح عن عتب بن مالك، في حديثه الطويل في صلاة النبي ﷺ في بيته، فذكروا مالك بن الدخشم، فقال بعضهم: ذاك منافق، فقال النبي ﷺ: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله» الحديث، صحيح البخاري رقم (٤١٥)، وتماه: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجهه الله»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجهه الله»، وقال الحافظ: وهذه القصة غير التي وقعت في بيت عتب بن مالك حين صلى النبي ﷺ في بيته.

(١) رواه البخاري (١٣٩٣)، من حديث عائشة، وعن ابن عمر عند أبي داود (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩)، والطبراني (١٣٥٩٩)، والحاكم (٣٨٥١)، وصححه ابن حبان (٣٠٢٠).

(٢) سبق حديث: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»، وهو عند الطبراني، وفي صحيح الجامع.

(٣) في «بهجة المحافل» (٣٧٣/١): (والفرق) بدلاً من: الفرقة.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود (١٩٧٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٥٥)، قال الشيخ شعيب وإسناده قوي، وصححه ابن حبان (٤٨)، والحاكم (١٢/١)، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد (٣٨٣٩).

العامري^(١)، وفي «الرياض»^(٢) للمقرئ في الوصايا: «إذا أوصى لأجهل الناس فهو الذي يسب الصحابة».

قلت: ويشهد له ما روى السيوطي في الجامع الكبير، قال: أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء»^(٣) عن بكر بن حسن مرسلاً عن النبي ﷺ، قال: «عقلاء أمتي الذين لا يلعنون شيئاً أبداً»، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ، أنه قال: «لعن المؤمن كقتله»^(٤)، وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون للعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة»^(٥)، وقد ذكر السيد إبراهيم بن محمد الوزير في (الفصول)^(٦)، والسبكي^(٧)، وابن حجر الهيثمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر»^(٨): إن سب الصحابة كبيرة، فاتفق العلماء على الكبيرة في سب الصحابة، وذلك أعظم خطر، وأما ما تقدم من اللعن للحكم ابن أبي العاص^(٩)، كما روى عنه ﷺ فلعله لخصوصيته به، فإنه كان يكتب بأسرار

(١) «بهجة المحافل وبغية الأمثال» (١ / ٣٧٣-٣٧٧).

(٢) الصواب: «الروض» وهو مختصر «روضة الطالين»، لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ اليمني الشافعي الزبيدي الشاوري (ت: ٨٣٧هـ)، صاحب كتاب «عنوان الشرف الوافي»، انظر: «كشف الظنون» (١ / ٩١٩).

(٣) ابن أبي الدنيا: العالم المحدث عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، الأموي مكث من التصنيف، ولد سنة ٢٠٨هـ، أدب الخليفة المعتضد العباسي في حديثه، وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام، توفي ببغداد سنة ٢٨١هـ، «الأعلام» (٤ / ١١٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهى من السب واللعن، رقم (٥٧٠٠) من حديث ثابت بن الضحاك، وكنت قد زعمت أن هذا الحديث انفرد به البخاري، ولم أعر عليه في صحيح مسلم، حتى أرشدني إليه الأستاذ/ محمد الصادق جزاء الله خيراً، حين اطلع على صورة الكتاب قبل طبعه أنه في صحيح مسلم في كتاب (الإيمان)، ورواه أحمد وأصحاب السنن، (فجل من لا عيب فيه وعلا).

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٨)، و«شرح السنة»، للبغوي (٣٥٥٦)، قال البغوي: قوله: «ولا يكونون شهداء»، أي: لا يكونون في الحملة التي يستشهدون يوم القيامة على الأمم التي كذبت أنبياءها عليهم السلام؛ لأن من فضيلة هذه الأمة أنهم يشهدون للأنبياء عليهم السلام بالتبليغ إذا كذبهم قومهم.

(٦) اسمه: (الفصول اللؤلؤية) في أصول الفقه، انظر: «البدر الطالع» (١ / ٣)، و«طبقات الزيدية» (١ / ٨٠)، والكتاب لا يزال مخطوطاً.

(٧) لم يعين المصنف هنا السبكي، فهذا لقب لعدد منهم، كتقي الدين، وابنيه تاج الدين، وبهاء الدين، كما لم يعين الكتاب، والله أعلم.

(٨) «الزواجر» المطبوع (٢ / ١١٢-١٢٠).

(٩) ترجم له الذهبي في «السير»، المجلد الثاني، وقال: هو ممن له أدنى صجة، وقال: وقد وردت أحاديث في ذمه لم تصح - كذا قال - وكلام المصنف هنا وجيه وفيه إشارة إلى الحديث في لعن النبي ﷺ للحكم، وأن لعن المعين من خصائص النبي ﷺ كما سبق ما قلناه ص (٣١٩).

النبي ﷺ إلى الكفار، كما ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب»^(١)، فنفاه ﷺ إلى الطائف من المدينة، والمذكور ليس من السابقين الأولين، إنما كان إسلامه عام الفتح، وهو عم عثمان بن عفان، وأبو مروان، وكان من أولاده الوليد بن يزيد ابن عبد الملك، أجمع المسلمون على ضلاله وسوء أفعاله، وتهتكه وفسقه، وغير ذلك من أفعاله التي تجاهر بها، والله أعلم.

* * *

خاتمة سوء لرجل سب الصحابة

وفي تاريخ ابن خلكان^(٢): أبو الحسين أحمد بن مفلح بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور^(٣)، له ديوان، وكان ينشد الأشعار ويغني في أسواق طرابلس، ونشأ أبو الحسين المذكور وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة والأدب، وقال الشعر، وقدم دمشق وسكنها، وكان رافضياً كثير الهجاء خبيث اللسان، ولما كثر ذلك منه سجنه بوري بن بابك طغتكين صاحب دمشق، وعزم على قطع لسانه، ثم شفّعوا فيه فنفاه، وكان بينه وبين أبي عبد الله بن محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيس مكاتبات وأجوبة ومهاجاة، وكانا مقيمين بحلب، قال: وذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، فقال في ترجمته: «حدث الخطيب أبو عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماه، قال: رأيت أبا الحسين الشاعر في المنام بعد موته وأنا على قرنة بستان مرتفعة، فسألته عن حاله، وقلت له: اصعد إلى عندي، فقال: ما أقدر من رائحتي، فقلت: بشرب الخمر؟ فقال: شر من الخمر، فقلت: ما هو؟ قال: تدري

(١) «الاستيعاب» المطبوع مع «الإصابة» (١ / ٣١٦-٣١٨).

(٢) هو المؤرخ القاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي أبو العباس، أديب مؤرخ ماهر، صاحب كتاب: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ولد في إربل سنة ٦٠٨هـ، وتوفي في دمشق سنة ٦٨١هـ، «الأعلام» (١ / ٢٢٠).

(٣) هو الشاعر المشهور باسم (الرفاء)، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٠ / ٢٢٣)، وقد وهم المصنف في اسمه، فقال: أحمد بن مفلح بن منير، والصواب: أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الأطرابلسي، ولد سنة ٤٧٣هـ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ، نقل د/ محمد علي الخوفي في «شعر الجهاد في الحروب الصليبية» ص (٢٥٥): أنه أجمع المؤرخون القدامى على أنه كان شيعياً مغالياً هجاء.

ما جرى علي من هذه القصائد التي قلتها في مثالب الناس؟ فقلت له: ما جرى عليك منها؟ فقال: لساني قد طال وثنخ وصار مدّ البصر، وكلّما قلت قصيدة منها صارت كلاباً تتعلق في لساني، وأبصرته جاثياً عليه ثياب رثة إلى غاية، وسمعت قارئاً يقرأ: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ {الزمر: ١٦} الآية، ثم انتبهت مرعوباً».

(أبو عبد الله الداعي وثنأؤه على الصحابة)

وفي «تاريخ النبلاء»، للذهبي عند ترجمة الإمام أبي عبد الله الداعي، قال ما لفظه: «ابن الداعي الكبير الرئيس المعظم الشريف أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن القاسم بن الحسن العلوي الديلمي المولد، ولد سنة ٣٠٤هـ، وحج في بضع وثلاثين، فبرع في الرأي على الإمام أبي الحسن الكرخي^(١)، وأخذ علم الكلام على حسين ابن علي البصري^(٢)، وأفتى ودرّس، وولي نقابة الطالبين في دولة بني بويه، فعدل وحُمد، وكان معز الدولة يبالغ في تعظيمه ويقبل يده لعبادته وهيبته، وكان فيه تشيع بلا غلو، قال أبو علي التنوخي: أخبرنا أبو الحسن الأزرق، قال: كنت بحضرة الإمام أبي عبد الله بن الداعي، فسأله أبو الحسين المعتزلي عما يقول في طلحة والزبير، فقال: أعتقد أنهما في الجنة، فقال: ما الحجة؟ قال: قد رويت توبتهما والذي هو عمدتي أن الله يبشرهما^(٣) بالجنة، قال: فأنكر على من زعم أنه عليه السلام، قال: إنهما من أهل الجنة، وقت مقالته، فلو ماتا لكانا في الجنة، فلما أحدثا زال ذلك، قال: هذا لا يلزم وذلك أن نقل المسلمين أن بشارة النبي ﷺ سبقت لهما، فوجب أن تكون موافقاتهما القيامة على عمل يوجب لهما الجنة، وإلا لم

(١) أبو الحسن الكرخي: ترجم له الذهبي في «السير» (٥/٤٢٦)، فقال: الإمام الزاهد مفتي العراق شيخ الحنفية عبد الله بن دلال البغدادي الكرخي الفقيه (ت: ٣٤٠هـ).

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن علي البصري الجعل، على وزن (زحل) الفقيه المتكلم صاحب التصانيف، معتزلي، مات في ذي الحجة سنة ٣٦٩هـ، و«السير» (١٦/٢٢٤).

(٣) في (أ، ب، ج): (يبشرهما)، والصواب: (بشرهما) كما في «السير» (١٦/٢٢٤).

يكن ذلك بشارة، فدعا له المعتزلي واستحسن ذلك، ثم قال: ومحال أن نعتقد هنا فيهما ولا يعتقد مثل هذا في أبي بكر^(١)؛ إذ البشارة للعشرة^(٢)، قال الذهبي: وكان يمتنع من الترحم على معاوية، ولا يشتم الصحابة^(٣) انتهى كلامه.

وإذا تقرر ما ذكرناه وعرفت أقوال أئمة الزيدية على تحريم سب الصحابة؛ لتواتر ذلك عنهم، والعلم به؛ فما خالف ما علم ضرورة فلا يعمل به؛ إذ أهل الشجرة والمهاجرون والأنصار، الله تعالى رضي عنهم، وتاب عليهم، وكل من رضي عنه وتاب عليه لا يدخله النار ينتج (أن)^(٤) أهل الشجرة والمهاجرين^(٥) والأنصار لا يدخلون النار، فالمجادلة في إنكار ذلك مكابرة، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، والله يأخذ بنواصينا إلى الخير ويختم به أمين.

(١) في «السير» (١١٥/١٦): «ولا يعتقد مثله في أبي بكر وعمر».

(٢) وذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد (١٦٢٩) و(١٦٣٠)، وأبو داود (١٦٤٨) و(٤٦٤٩) و(٤٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٩) و(٣٧٥٨)، من حديث سعيد بن زيد. الحديث، وقد سبق.

(٣) انظر: ترجمته كاملة في «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ١١٤-١١٦).

(٤) في (ب) زيادة (أن).

(٥) في المخطوط: (والمهاجرون)، والصواب: أنه منصوب معطوف على اسم (أن).

● السبب في تأليف هذا الكتاب ●

وقد أنشأت هذا الكتاب لأمرين مهمين:

١ - أحدهما: الذب عن صحابة رسول الله ﷺ .

٢ - الأمر الثاني: إزالة الوهم والتزويه لأئمة الزيدية عن السب الذي صار ينسب إليهم من لم يعرف أصولهم، وأقوالهم الصحيحة وكتبهم، وإنما الأعمال بالنيات، وقد رأيت أن أختتم الكتاب بهذه الآيات الأولية^(١) للبهاء زهير^(٢)، حيث يقول شعراً:

أَنقَدَحُ فِيمَنْ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ	وما زال مخصّوصاً به طيبُ الثَّنَا
لَعَمْرُكَ مَا أَحْسَنْتَ فِي ذَاكَ كُلَّهُ	وليس قبيحُ القولِ في الناسِ هيناً
فِيَا قَائِلًا قَوْلًا يَسُوءُ سَمَاعُهُ	بحقِّكَ نَزَّهْنَا مِنَ الْفَحْشِ وَالْحَنَأِ ^(٣)
نَطَقْتَ فَلَمْ تَحْسِنْ وَلَمْ تَلْقَ سَاكِنًا	لَقَدْ فَاتَكَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ أَحْسَنًا
دَعِ الْقَوْمَ إِنْ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَعَزِلٍ	وإنك عن هذا الحديثِ لفي غنى
رَجَالَ لَهُمْ سِرٌّ مَعَ اللَّهِ خَالِصٌ	وما أنتَ من ذاكِ الْقَبِيلِ وَلَا أَنَا
تَكَلَّفْتَ أَمْرًا لَمْ تَكُنْ مِنْ رَجَالِهِ	لكَ الْوَيْلُ مِنْ هَذَا التَّكَلُّفِ وَالْعَنَاءِ
تَمِيلُ مَعَ الدُّنْيَا وَتَبْدِي تَزْهَدًا	ولا أنتَ معدودُ هُناكَ وَلَا هُنَا ^(٤)

انتهت الآيات، وهذه للسيد العلامة شمس الدين أحمد بن علي المعافى التهامي

(١) كذا في المخطوط، والأولى أن يقال: «الأولى».

(٢) هو الشاعر بهاء الدين زهير أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلب المعروف ببهاء الدين، ينتهي نسبه إلى المهلب ابن أبي صفرة، ولد بمكة بوادي نخلة في ٥ من ذي الحجة سنة ٥٨١هـ، وشب وتوجه إلى مصر، واتصل بالسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم توجه من خدمته إلى البلاد الشرقية، ثم انتقل إلى دمشق، ولما مات الملك الصالح انقطع الشاعر في داره بمصر إلى أن حدث به مرض عظيم لعله الطاعون، وأصيب البهاء به، ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ، ودفن بالقرافة، ديوانه من المقدمة ص(٦).

(٣) الحنا: الفحش، وقد خنى عليه وأخنى عليه في منطقه: أي أفحش، وأخنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه، «مختار الصحاح» ص(١٩٢).

(٤) ديوانه ص(٣٤٤).

رحمه الله^(١): من جملة قصيدة طويلة، ذكر فيها فضائل أهل البيت، ثم قال في أثنائها ما لفظه شعراً:

ولسنا نرى للسب فضلاً وإننا
وما المرء بالعان^(٢) إن كان مؤمناً
ولسنا بجهال تضرُّ غيونا
ولسنا بلا علم فتبع الهوى
وإن لنا أخبار علم أئمة
وألستهم في الاحتجاج لدينهم
لهم من علي نور علم يقودهم
نرى من عظيم الجهل قبح التعاصب
ومن شيم الجهال نشر المثالب^(٣)
لموع سراب في بقاع السباب^(٤)
ونخب في خبط عشوا الغياهب^(٥)
ذوي سعة في علمهم والمناقب
كأسيا فيهم يوم الوغى^(٦) في المضارب
ولولاه ما نالوا قصارى المارب^(٧)

إلى آخرها وهي طويلة، وقال ابن سحبان التهامي^(٨) في ديوانه شعراً، من جملة قصيدة له:

(١) هو العلامة أحمد بن علي المعافى، قال العلامة: محمد بن إسماعيل الكبسي في «اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية» ص(٢٠١): في حوادث سنة ١٠٠٠هـ: وفي هذه السنة أو التي قبلها توفي السيد العلامة أحمد بن علي المعافى بوادي ضمدا، وكان رحمه الله عالماً ورعاً فصيحاً مفوهاً، تولى القضاء من جهة الصلاحية مدة طائلة حتى لقي الله سبحانه، وكان صلباً في دين الله، يصدع بالحق، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم.

(٢) إشارة إلى الحديث الصحيح الذي تقدم تخريجه قريباً.

(٣) المثالب: جمع مثلبة، من ثلبه: صرح بالعيب فيه وتنقصه، وبابه: ضرب، والمثالب: العيوب، الواحدة مثلبة - بفتح اللام - «مختار الصحاح» ص(٨٥).

(٤) السباب: جمع سبب، وهي المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة، بلد سبب وسباب، «ترتيب القاموس» (٥٠٥/٢).

(٥) الغياهب: جمع غيب: الظلمة، المصدر السابق (٣٣٧/٣).

(٦) الوغى: الجلبة والأصوات، ومنه قيل للحرب: (وغى) لما فيها من الصوت والجلبة، «مختار الصحاح» ص(٧٢٩).

(٧) المارب: جمع ماربة - بفتح الراء وضمها -: الحاجة، المصدر السابق ص(١٣).

(٨) هو الشاعر اليمني المفلح منصور بن عيسى بن سحبان، ترجم له الزركلي في «الأعلام» (٣٠١/٧) ترجمة قصيرة لقللة المصادر لديه، فقال: شاعر يمني كان فصيحاً بليغاً مداحاً هجاء حسن البدء جيد المعاني، توفي في (صيا) مقتولاً بيد الأشراف سنة ٧٢٥هـ، وترجم له موفق الدين علي بن الحسن الخنزرجي في (ج٢) من «العقد الفاعر الحسن في طراز أعلام اليمن» - مخطوط - ص(١٩٨)، فقال: «أبو محمد منصور بن عيسى بن سحبان الشاعر البليغ أحد شعراء الدولة المؤيدية، وكان شاعراً فصيحاً لسناً مفوهاً هجاء، خيب اللسان حسن الشعر مدح عدة من الأكابر وهجاءهم، ومن جملة من مدحه السلطان الملك المؤيد، والإمام محمد بن مطهر، وموسى ابن =

هم السابقون الأولون ومن لهم

(بذا)^(١) السبق والمجد المنيف المعظم

وهم برسول الله في الضيق والرخا

أبر وأحنى يا جنة^(٢) وألزم

نسبتهم إليهم ظلم بنت محمد

وأنتم أحق الأقربين وأظلم

=عيسى الخزامي صاحب «حلي ابن يعقوب»، وأشرف المخلاف السليمانى وغيرهم، وقال: فلما انتشرت القصائد عنه من الأشراف وتوجعوا من هذه الأهاجي قتل بعضهم، وكان قتله في آخر سنة ٧٢٥هـ رحمه الله، ولم أجد له شعراً آخر ولا ندرى أين ذهب ديوانه، وربما أنه مفقود، وقد ذكر المؤرخ عبد الملك العصامي في كتابه «سمط النجوم العوالي» (٤ / ٢٢٧-٢٢٨) قصيدة لهذا الشاعر يمدح بها شريف مكة (رميثة)، فقال: وللأديب أبي عامر منصور بن عيسى بن سبحان الزبدي فيه من قصيدة أولها:

إلا شرفتُ بدمعي المترقرق
غصن ويرد شبيبتي لم يخلق
وبكأس فتنته سقيت وما سقي
لا أرض فيه وللصباة ما بقي

ما أومضت سحرًا بروق الأبرق
صنم شغفت به وغصن شبابه
شقت عرى كيدي شقائق خده
ما فات من عمر فلغيد الدمى

ومنها قوله:

بجلال صورته وحسن المنطق
بالمغرب الأقصى وقلب المشرق
كرم الفروع له وطيب المعرق
ليلاً ويُرزق منه من لم يرزق
عزّ الدليل بها وأمن المفرق
ولسان حكمتها وصدر الفيلق
وبه بمكره الحوادث يتقي

رجل إذا اشتبه الرجال عرفته
ومظفر الحملات يرقص منه قلد
علم يدل على كمالات صفاته
يلقى بوجه البشر طارقاً بأبه
عزت بنو حسن بدولته التي
هو صبح ليلتها وبدر ظلامها
لا يتقي من كل حادثة بها

وله فيه أيضاً:

وعصى لاثمame أم أطاعا
أم وهى بالفراق قلب ورأعا
بعد يوم النوى أذم الوداعا
وغدا حبنا لديكم مضاعا
قادر أن يقدر الاجتماعا
فيك حتى أسبلت دوني القناعا

حفظ العهد بعدنا أم أضاعا
ورعى جرمة الجوار ورأعى
من يكن يحمد الوداع فلاني
جبرتي ما لنا حفظنا هواكم
إن من قدر الفراق علينا
قل لذات القناع هل جئت ذنباً

(١) في الثلاث: (مدى).

(٢) جنة: جمع جان من الجنابة، وصدق الشاعر فأى جنابة بعد الشرك أقبح من سب الصحابة؟

وَقُلْتُمْ أَبُو السَّبْطَيْنِ (١) نَامَ عَلَى الْقَدَى (٢)

وَلَيْسَ أَبُو السَّبْطَيْنِ يُؤَدَى وَيُهْضَمُ (٣)

إِلَى آخِرِهَا .

وهذه الأبيات للسيد إسماعيل بن محمد صلاح جحاف (٤) وأنشأها في هذه الأيام عند أن حصل التعرض لجانب الصحابة رضي الله عنهم بما لا يعينهم، فقال المذكور ردًّا عليهم وأجاد وأحسن:

رَأَيْ طَرًّا عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ مَعْدُولُ

وَمَذْهَبٌ حَادِثٌ لَاشِكٌّ مَجْهُولُ

مَنْ خَالَفَ النَّاسَ طَرًّا فِي مَذَاهِبِهِمْ

فَإِنَّهُ بِسَيُوفِ الْعَذْلِ مَجْدُولُ

النَّهْجُ أَبْلَجُ مَعْرُوفٌ طَرَائِقُهُ

فَمَنْ تَعَامَاهُ قَادَتُهُ الْبَاطِلُ

أَفَرِطْتُمْ فِي سَبَابِ الصَّحْبِ هَلْ لَكُمْ

فِي ذَا دَكِيلٍ عَلَى مَا قِيلَ مَعْقُولُ

جُرِّتُمْ وَمِلْتُمْ عَلَى الْحَقِّ الْقَوِيمِ وَعَنْ

نَهْجِ السَّبِيلِ فَذَا لَا شَكَّ تَضْلِيلُ

اللَّهُ أَتَنَى عَلَيْهِمْ فِي مُنَزَّلِهِ

وَحَبَّلْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ مَوْصُولُ

مَا قَالَهُ اللَّهُ مِنْ قَوْلٍ وَنَزَّلَهُ

فَإِنَّهُ عُنْدَنَا بِالرَّحْبِ مَقْبُولُ

(١) السبطان: الحسن والحسين، وأبوهم علي رضي الله عنهم .

(٢) يقال: نام فلان على القذى: إذا صبر عن الظلم والظيم.

(٣) هضمه حقه: من باب ضرب، واحتضمه: ظلمه فهو هضم ومهضم أي مظلوم.

(٤) هذه القصيدة لهذا العلامة الذي لم أجد له ترجمة حتى كتابة هذه الأسطر، وقد أورد القاضي إسماعيل الأكرع هذه

الأبيات في كتابه «هجر العلم»، ولم يورد له ترجمة، وقد سألت عن هذا العالم، فأجاب بأنه لم يعرف عنه شيئاً! وعلى أية حال فإن كان هذا العالم ممن يتمسك بالسنة والدليل وينبذ التقليد الجامد، ويدافع عن الصحابة - وهو الظاهر في هذه القصيدة - فإنه قد أصابه الإهمال والأذى من جهة متعصب زمانه، والحكم لله العلي الكبير. هذا وبحر هذه القصيدة هو البسيط على وزن قصيدة (بانت سعاد) ويظهر الاقتباس فيها جلياً.

وقد أتى عن رسول الله فضلهم
نص كثير عن الأخيار منقول
فطمس ذلك لا يستطيع من رجل
هل يستطيع ماء البحر ت قليل
لولا همو لعري الإسلام لانقطعت
وكان حق رسول الله مبذول^(١)
لولا مصاييح نور منهم غلبت
على الظلام وجنح الليل مسدول
لما استبان وجه الرأي وانكشفت
حجب الضلال وشخص الحق مهزول
قاموا بأمر رسول الله واجتهدوا
وليس منهم لأمر الله تحويل
قفوا^(٢) الطريق التي قد سنّها لهم
نبيهم ما جرى حيف^(٣) ولا ميل^(٤)
ولأؤهم واجب حق وملّتهم
وكل ما قدر الرحمن مفعول
انتهت القصيدة الفريدة.

* * *

(١) مبذول: هنا اسم كان مؤخر، وحق: خبرها مقدم.

(٢) من قفا يقفوا: بمعنى: تبع: أي: اتبعوا، ومنه القافة في الطريق عن العرب.

(٣) الحيف: الظلم.

(٤) الميل: مال يميل ميلاً وهو العدول عن الشيء، وهذا البيت ينتهي بعيب من عيوب القافية عند العروضيين، وهي

الفتحة في كلمة (ميل)، ويسمى عندهم (سناد الحذو) ومثلوا بقول الشاعر:

لقد ألج الخباء على جوار
كان عيونهن عيون عين
كأنني بين خافتي عقاب
تريد حمامة في يوم غين

وهو اختلاف ما قبل الياء، «مجموع مهمات المتن» ص (٥٧٠).

خاتمة في حب أهل بيت رسول الله ﷺ والصحابة:

خاتمة فيما جاء في الحب للصحابة رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ، ما جاء من الأحاديث في الحب لأهل بيته، فعن زر بن حبيش^(١)، قال: سمعت علياً رضي الله عنه، يقول: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ الأمي إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»^(٢)، أخرجه مسلم والنسائي والترمذي.

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء^(٣)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٤).

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس، قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ، وقال: «والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إليّ مرتين»^(٥)، وفي رواية ثلاث مرات.

وأخرج البخاري عن رفاعه بن رافع الزرقني^(٦)، وكان من أهل بدر، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: «ما تعدّون أهل بدر فيكم؟» قال: «من أفضل المسلمين»، أو كلمة نحوها، قال: «فكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»^(٧).

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة»^(٨).

(١) زر بن حبيش: الإمام القدوة أبو مريم الأسدي الكوفي، عاش (١٢٠) سنة، كان من أعرب الناس، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية، مات سنة ٨٢هـ، «تذكرة الحفاظ» (٥٧/١).

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، والنسائي (٨/١١٤)، والترمذي (٣٧١٧) من حديث أم سلمة.

(٣) البراء بن عازب بن الحارث الأوسي أبو عمارة المدني الصحابي ابن الصحابي، روى له الجماعة، نزل الكوفة ومات بها زمن مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ، «تهذيب التهذيب» (٢١٥/١).

(٤) البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (١٢٩)، وأحمد (١٨٥١٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٩٦٧).

(٥) البخاري (٣٥٧٥)، ومسلم (٢٥٠٩).

(٦) أبو معاذ: رفاعه بن رافع بن مالك بن عجلان بن عمرو الزرقني الأنصاري المدني، شهد مع رسول الله ﷺ العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق، ويبعة الرضوان، والمشاهد كلها، توفي في أول خلافة معاوية، «تهذيب الأسماء واللغات» (١٩٠/١).

(٧) البخاري (٣٧٧١)، (٣٧٧٢).

(٨) تقدم تخريجه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة، وأحبوني حب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»^(١) أخرجه الترمذي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن أبا بكر، قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته» أخرجه البخاري^(٢).

وأخرج الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا - أهل البيت - أحدٌ إلا أدخله الله النار»^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي البلاغ ألا يعذبهم»، أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعن جُمَيْع بن عمير^(٤)، قال: دخلت مع أمي على عائشة رضي الله عنها فسمعتها من وراء الحجاب، وهي تسألها عن علي رضي الله عنه، فقالت: «تسأليني عن رجل ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من علي رضي الله عنه، ولا في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته»، أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد^(٥).

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه^(٦)، قال: كان أحب الناس إلى رسول الله

(١) الترمذي (٣٧٨٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي، «فيض القدير» (٢٢٤).

(٢) البخاري (٣٥٠٩)، (٣٥٤١) فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

(٣) «المستدرک» (٤٧١٧) سكت عنه الذهبي في «التلخيص».

(٤) سيأتي كلام الحافظ الذهبي فيه قريباً.

(٥) «المستدرک» (٤٧١٨) وقال الحاكم عقيب الحديث: قال عمر بن سعيد الأبح: ومات سعيد بن أبي عروبة يوم الخميس، وكان حدث بهذا الحديث يوم الجمعة مات بعده بسبعة أيام في المسجد، فقال قوم: لا جزاك الله خيراً صاحب رفض وبلاء، وقال قوم: جزاك الله خيراً صاحب سنة أدبت ما سمعت، وهذا الحديث قال الذهبي في التلخيص: بل منكر لم يصح.

(٦) عبد الله بن بريدة بن الحُصَيْب الأسلمي: روى له الجماعة، تابعي كوفي نزل البصرة، ولد لثلاث خلون من خلافة عمر، ومات بقرية من قرى مرو سنة ١١٥هـ، «تهذيب التهذيب» (٣٠٧/٢)، وأبوه بريدة بن الحُصَيْب ابن عبد الله الأسلمي، روى له الجماعة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدا وشهد خيبر وفتح مكة واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، توفي سنة ٦٣هـ، المصدر السابق (٢١٩/١).

عائشة رضي الله عنها: فاطمة، ومن الرجال علي رضي الله عنه» أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال: صحيح الإسناد^(١).

وعن سلمان^(٢)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن والحسين (ابني)^(٣) من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله تعالى، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً بإسناد آخر أنها سألت أي (الناس)^(٥) كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: «فاطمة»، قيل: فمن الرجال؟ قالت: «زوجها، إن كان ما علمته صوَّاماً قوَّاماً» أخرجه الحاكم في مستدرکه، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٦)، والله أعلم.

انتهى نقل هذا الكتاب الجليل (رفع الخطأ عن صحابة المصطفى ﷺ) يوم الجمعة، لعله ثاني عشر شوال سنة ١٢٨٩ هـ، تمت وما بعدها بخير آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم آمين، والحمد لله رب العالمين.



- (١) «المستدرک» (٤٧٣٥) قال الذهبي في التلخيص: صحيح.
 - (٢) سلمان الفارسي: أبو عبد الله ابن الإسلام، أصله من أصبهان، أسلم بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، وأول مشاهده الخندق، روى له الجماعة، مات سنة ٣٧ هـ، «تهذيب التهذيب» (٦٨/٢).
 - (٣) في «المستدرک» (ابن أبي).
 - (٤) «مستدرک الحاكم» (٤٧٧٦)، قال الذهبي في «التلخيص»: هذا حديث منكر، وإنما رواه بقي بن مخلد بإسناد آخر واه عن زاذان عن سلمان.
 - (٥) في (ب) ما بين المعقوفين: (الناس).
 - (٦) «المستدرک» (٤٧٤٤) حذفه الذهبي من «التلخيص» لضعفه، «المسند» (١٧١/٣).
- يقول العبد الفقير محقق هذه الرسالة/ عبد الرحمن بن عبد القادر العلمي: كان الفراغ من كتابة متن هذا الكتاب والتعليق عليه بعد عصر يوم الأحد ١٥ من شهر رجب الفرد سنة ١٤٢٣ هـ، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً كما يحب ويرضى، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

● الفهارس ●

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الأعلام.
- ٤ - فهرس الأماكن والبلدان.
- ٥ - فهرس المراجع والمصادر.
- ٦ - فهرس الموضوعات.

١ - فهرس الآيات القرآنية :

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم...﴾.	٢٩	الفتح	٢٧٢-٢٨
﴿إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم...﴾.	١٥	النور	٢٣٦
﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا...﴾.	٤٠	التوبة	٢٥٣
﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا...﴾.	١٦	الأحقاف	٢٥١
﴿أولئك المقربون﴾.	١١	الواقعة	٢٥٣
﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...﴾.	٦	الحجرات	٢٥٤
﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد...﴾.	٨٥	القصص	٣١
﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله...﴾.	١٠	الفتح	٢٧٩
﴿إن نعف عن طائفة منكم نغذب طائفة...﴾.	٦٦	التوبة	٢٨٣
﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...﴾.	٥٥	المائدة	١٩٩-١٩٨
﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون﴾.	٩	الحجرات	٢٩
﴿تلك أمة قد خلت لها ما كبت ولكم ما كسبتم...﴾.	١٤١	البقرة	٢٩٩-٢٢٤-٢١٥-٢١٤
﴿ثلة من الأولين. وقليل من الآخرين﴾.	١٤-١٣	الواقعة	٢٥٣
﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي...﴾.	١٥	الأحقاف	٢٥١
﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء...﴾.	٣	النساء	٢٥٠
﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾.	١٢١	طه	٤٩-٤٥
﴿قال فما بال القرون الأولى﴾.	٥١	طه	٢٩٩
﴿قل للمخلفين من الأعراب سندعون إلى قوم...﴾.	١٦	الفتح	٢٨٧
﴿قل اللهم فاطر السماوات والأرض...﴾.	٤٦	الزمر	٢٩٩
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾.	١١٠	آل عمران	٢٨
﴿لئن أشركت ليحبطن عملك...﴾.	٦٥	الزمر	٢٧٩-١٨٠
﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح...﴾.	١٠	الحديد	٢٦٦
﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن...﴾.	١٢	الحجرات	١٧١
﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾.	١٨	الفتح	٢٧٨
﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم...﴾.	٨	الحشر	٢٣٢
﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار...﴾.	١١٧	التوبة	٢٦٦-٢١٠
﴿ليس لك من الأمر شيء...﴾.	١٢٨	آل عمران	٢٩٤
﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله...﴾.	٢٠	التوبة	٢٦٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿من يرد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم...﴾.	٥٤	المائدة	٢٥٢
﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً...﴾.	٣	التحریم	٢٨٧
﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين...﴾.	١١١	الأنبياء	٢٨٣
﴿والسابقون السابقون... أولئك المقربون...﴾.	١١-١٠	الواقعة	٢٥٣
﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار...﴾.	١٠٠	التوبة	٢٧٢-٢٦٦
﴿وقولوا للناس حسناً...﴾.	٨٣	البقرة	٢٣٦
﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...﴾.	٢٩	الفتح	٢٧٢
﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا...﴾.	١٠	الحشر	١٧٨-١٩١
﴿والذي جاء بالصدق وصدق به...﴾.	٣٣	الزمر	٢٧٤-٢٥٢
﴿ولله ميراث السماوات والأرض...﴾.	١٨٠	آل عمران	٢٨
﴿ولله على الناس حج البيت...﴾.	٩٧	آل عمران	٢٧٩
﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾.	٧	الحشر	٢٦٥
﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً...﴾.	٤٧	الحجر	١٩٠-١٨٨-١٨٧
﴿همأز مشاء بنميم...﴾.	١١	القلم	١٧١
﴿يبشروهم ربهم برحمة منه ورضوان...﴾.	٢١	التوبة	٢٦٦

٢ - فهرس الأحاديث النبوية :

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٧٩	«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»	٢٦٥	«الأئمة من قریش».
٢٨١	«عشرة في الجنة»	٣١٠	«أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة».
٣٠٠	«عقلاء أمتي الذين لا يلعنون»	١٧٥	«احفظوني في أصحابي فأصهاري».
٢٤٤	«فاطمة بضعة مني»	٣١١	«الحسن والحسين ابناي».
٣٠	«قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي»		«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».
٢٩٥	«كيف لو قد قمصك الله قميصاً»	١٣١-١٢٨	
٢٨٦	«كيف أسأله من أجل مؤجل»	٨٥	«إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة».
١٩٥	«لعل الله قد اضطلع على أصل بدر»	١٧١-٨٦	«إذا لعن آخر هذه الأمة أولها».
٢٣٢	«من فارق الجماعة قيد شبر».	٢٩٩-١٧٥	«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا».
٢٠٨	«من ناصب علياً الخلافة بعدي».	١٧٨	«إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي».
٨٧	«من يأخذ مني خمس خصال».	٢٩٤	«إذا قال الرجل هلك الناس».
٢٣٥	«من يكن الله ورسوله مولاة».	١٧٨	«أكرموا أصحابي ثم الذين يلونهم».
٢٦٣	«هذا في الجنة وإن من شيعته».	٢٩٠	«ألا أخبركم بخياركم».
٣١٠	«وعندي ربي في أهل بيتي».	٢٩٩	«المؤمن ليس بالطعان ولا اللعان».
٣٠٩	«والذي نفسي بيده إنكم لأحب».	٢٧١	«اللهم أعني على الإسلام بعمري».
٣١٠	«والذي نفسي بيده لا يغيظنا».	١٧٢	«الله الله في أصحابي».
٢٦٢	«يا علي أبشر أنت وشيعتك».	٢٤٤	«أنا فرطكم على الحوض».
	«يا علي يكون في أمتي قوم ينتحلون»	٢٧٧	«أنتم خير أهل الأرض».
٢٦٣	«حب أهل البيت».	٢٩١	«أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم».
٢٧١	«يا علي هذان سيदा كهول أهل الجنة».	١٧٢	«إن الله تبارك وتعالى اختارني».
٢٦٣	«يكون في آخر الزمان قوم ينزون».	٢٥٠-٢٤٨-٢١٢	«إنا لا نورث ما تركناه صدقة».
	«يا علي يكون في آخر الزمان قولم لهم	١٧٣	«إن الناس يكثررون وأصحابي يقلون».
٣٣	«نبز».	٣٠	«بدأ الإسلام غريباً».
		٢٩٠	«تقتلك الفئة الباغية».
		٢٨	«خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم».
		٢٧٦-٢٧٥	«ذهبت أنا وأبو بكر وعمر».
		٢٩٥	«رأيت في النوم بني الحكم ينزون».
		٢٦٨	«رحم الله أبا بكر زوجني ابنته».
		١٩٢	«سألت الله يا علي فيك خمساً».

٣ - فهرس الأعلام :

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
(١)		أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني .	٢١٢
آدم .	٤٥	أحمد بن علي النقيب ابن عتبة .	٢٣٧
إبراهيم الجمل .	١٥٤	أحمد بن علي الأنسي .	٥٤
إبراهيم السحولي .	٩١	أحمد بن سليمان الإمام .	١٧٠
إبراهيم محمد المؤيد .	١٢٣	أحمد بن عز الدين السلفي .	١٤٣
إبراهيم بن محمد الوزير .	٢٩٤-١٨٢	أحمد بن علي المعافى .	٣٠٥
أحمد بن إبراهيم الدورقي .	٢٦٩	أحمد بن علي ، أبو يعلى .	٢٩
أحمد بن إسحاق يعقوبي .	٢٩٧	أحمد بن حنبل .	٢٨
أحمد البدوي .	١٥٥	أحمد بن حجر المكي الهيثمي .	٢٩٦
أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن .	٧٧-٦٧	أحمد بن محمد السياغي .	١٦٥
أحمد بن الحسن الرصاص .	٢٣٨	أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة .	٢٩١
أحمد بن الحسن بن القاسم .	٦٧	أحمد بن مفلح الطرابلسي الشاعر .	٢٧٨
أحمد بن خلكان .	٣٤	أحمد بن موسى بن مردويه .	١٨٩
أحمد بن الحسين البيهقي .	٨٧	أحمد بن يحيى الإمام المهدي .	١٩٤
أحمد بن شعيب النسائي .	٢٢٠	إدريس بن علي بن عبد الله .	٢٠٨
أحمد بن سعد الدين المسوري .	٥١	إدريس بن عبد الله .	٢٣٩
أحمد بن صالح العنسي .	٧٢	اسيهندوست الديلمي الشاعر .	٦٢
أحمد بن صالح بن أبي الرجال .	١٣٦	أسماء بنت أبي بكر .	١٣١
أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية .	٣٧	إسماعيل بن أبي بكر المقرئ .	٣٠٠
أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي .	٢٦٩	إسماعيل بن علي الأكوع .	٣٠٧-٤٤
أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم .	٢٦٨	إسماعيل بن علي أبو القاسم البستي .	١٩٤
أحمد بن القاسم بن محمد .	١١٤	إسماعيل بن علي السمان .	١٧٧
أحمد بن عبد الحق الحيمي .	٥٦	إسماعيل بن عمر ابن كثير .	٦٠-٣٩
أحمد بن عبد الله المحب الطبري .	٢٦١	إسماعيل بن القاسم الإمام المتوكل .	٤٣
أحمد الكاتب .	٦٤	إسماعيل بن محمد الحميري .	٦٠
أحمد الكسروي .	٦٤	إسماعيل بن محمد بن صلاح جحاف .	٣٠٧
أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم .	٢٦٢	الأشتر النخعي .	٢٨٣
أحمد بن علي الخطيب البغدادي .	٢٧٠	أنس بن مالك .	٢٩

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
(ب)		حسين عبد الله العمري .	٨٣
البراء بن عازب .	٣٠٩	الحسين بن علي بن أبي طالب .	١٨٠
بريدة بن الحبيب .	٢٨٢	الحسين بن القاسم بن محمد .	٦٧
(ج)		الحسين بن محمد التهامي .	٩٨
جابر بن عبد الله .	١٧١	الحسين بن مسعود البغوي .	٢٩٨
جرير بن أيوب البجلي .	٢٢٠	حسين الموسوي .	٣١
جرير بن عبد الله البجلي .	٢٣٥	الحكم بن العاص .	٣٠٠
جعفر بن أحمد بن عبد السلام .	٢١٥	حمد الخطابي .	٢٩٤
جعفر بن سليمان الضبيعي .	٢٨٦	حميدان بن يحيى .	٢١٣
جعفر بن محمد الصادق .	١٨٠	حميد المحلى الشهيد .	٢١٨
جندب بن جنادة أبو ذر .	٢٠٨	(خ)	
(ح)		خالد بن الوليد .	٢٢٣
حاطب بن أبي بلتعة .	٢٧٣	خزيمة بن ثابت .	٢٩٠
الحجاج بن يوسف .	٣٤	خيثمة بن سليمان .	٢٦٧
الحسن بن أحمد الجلالى .	١٢٣	خير الدين الزركلى .	٧٧
الحسن بن بدر الدين .	٢٣٧	(ر)	
الحسن البصري .	٢٣٢	رفاعة بن رافع .	٣٠٩
الحسن بن شمس الدين .	٩٢	رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة <small>رضي الله عنها</small>) .	٢٩٥
الحسن بن عز الدين .	٢٣٩	رفيع بن مهران .	٢٥٢
الحسن بن علي ، الناصر الأتروش .	٢٠٠	(ز)	
الحسن بن علي بن أبي طالب .	٣٢	الزبير بن العوام .	١٨٦
حسن بن علي الهبل .	٥٤	زر بن حبيش .	٣٠٩
الحسن بن القاسم بن محمد .	٥١	زهير بهاء الدين الشاعر .	٣٠٤
حسن الفضلي الأنسي .	٥٤	زيد بن أسلم .	٢٢٣
الحسن بن يحيى بن الحسين .	٧٣	زيد بن أبي أوفى .	٢٢٣
الحسن بن يحيى حابس .	٩٨	زيد بن أبي صوحان .	٣٢
الحسين بن إسماعيل الجرجاني .	٢٠٩	زيد بن علي .	٣٥
الحسين بن إسماعيل المحاملي .	٢٧٥	زيد بن وهب .	٢٦٨
الأمير الحسين صاحب الشفاء .	٢١٤	زين العابدين العيدروس .	٥١

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
(س)		(ع)	
سالم بن أبي الجعد.	٢٠٣	عائشة بنت أبي بكر.	١٧٢
سالم بن أبي حفصة.	١٨٨	عامر بن شراحيل الشعبي.	٣٦
سعد بن أبي وقاص.	٤٨	العباس بن عبد المطلب.	٢٨٨
سعد بن مالك أبو سعيد الخدري.	١٧٦، ٢٨٦	عبد الجبار الهمداني القاضي.	٣٤
سعيد بن جبير.	٢٨٥	عبد الحميد بن هبة الله بن أبي	
سعيد بن زيد.	٢٨١	الحديد.	١٩٢، ٤٤
سعيد بن فيروز أبو البخري.	٢١٩	عبد الرحمن بن أبي حاتم.	١٨٩
سلمة بن كهيل.	٢٠٢	عبد الرحمن بن الجوزي.	١٧٢
سليمان بن أحمد الطبراني.	١٧٧	عبد الرحمن بن سالم بن عويم.	٢٨٢
سليمان بن الأشعث أبو داود.	٢٩٨	عبد الرحمن بن سمرة.	٣٢
سليمان بن مهران الأعمش.	٢١٩	عبد الرحمن بن عديس التجيبي.	٢٤٥
سودان بن حمدان.	٣٢	عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي.	٢٨١
سويد بن غفلة.	٢٦٨	عبد الرحمن بن عوف.	١٧٥
سلمان الفارسي.	٣١١	عبد الرحمن بن عياض.	٧٢
(ش)		عبد الرحمن بن محمد الحيمي.	١٣٤
شاه عبد العزيز الدهلوي.	٢٨٩	عبد الرحمن الناصر.	٩٨
شريك بن عبد الله.	٣٤	عبد الرحيم شاه الهندي.	١٨٩
شعيب الأرناؤوط.	٢٩٩	عبد الرازق الصنعاني.	٢٥٥
شوذب الخارجي.	٢٩٧	عبد العزيز بن بهران.	١٢٣
(ص)		عبد القادر المجيرسي.	٢٨١
الصاحب بن عباد.	٢١٨	عبد الله بن أبي أوفى.	٢٠٢
صالح بن أحمد الخطيب.	٢٣٢	عبد الله بن أحمد بن حنبل.	٣١٠
صالح بن حسن العنسي.	٩٩	عبد الله بن بريدة.	٢٣٣
صالح بن صديق النمازي.	٢٢١	عبد الله بن حسن الدواوي القاضي.	٢٢٢، ٢١٧
صالح المقبلي.	٥٦	عبد الله بن حمزة الإمام المنصور.	٢٠١
صلاح القاعي.	٦١	عبد الله بن الزبير.	٣٢
(ط)		عبد الله بن زيد الخزاعي.	٢٢٣
طلحة بن عبيد الله.	١٨٥	عبد الله بن زيد الخزرجي.	٢٢٢

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
عبد الله بن سبأ.	٣١	علي بن عبد الله السمهودي.	١٩٦، ٢٧٨
عبد الله بن عباس.	١٧٤	علي بن عمر بن أحمد الدارقطني.	١٨٩
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.	٣٠	علي بن موسى الرضا.	١٧٩
عبد الله بن عدي.	٢٦٩	علي بن هبة الله ابن عساكر.	١٧١
عبد الله بن علي الوزير.	١٢٩	عمار بن ياسر.	٢٩
عبد الله بن عمر.	٢٩	عمر بن الحسين الخرقى.	٣٩
عبد الله بن عمرو.	٢٩٢-٢٩	عمر بن الخطاب.	١٨١
عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري.	٢٨١	عمر بن عبد العزيز.	٢٩٧
عبد الله بن كثير.	٢٧٦	عمرو بن الأصم.	٣٢
عبد الله بن محمد بن عبد الواحد،		عمرو بن العاص.	٢٩٠
الضياء المقدسي.	١٨٩	عمرو بن مرة الجهني.	٢٩٥
عبد الله بن محمد، أبو العباس السفاح.	١٩٣	عويمر بن عبد العزيز أبو الدرداء.	٢٣٣
عبد الله بن مسعود.	١٧٥-٢٨	القاضي عياض السبي.	٢٩٥
عبد الله بن مسلم بن قتيبة.	٢٤٧، ٢٠١	(ف)	
عبد الله بن مغفل.	١٧٢	فاطمة بنت محمد.	٢٦٣
عبد الله النجري.	٢٣٥	(ق)	
عبد الملك العصامي.	٢٠٠	القاسم بن علي الحريري.	١٣
عبد الوهاب السبكي.	١٢٨	القاسم بن علي العياني.	٢١٧
عثبان بن مالك.	٢٩٩	القاسم بن محمد بن علي.	٢٣٨
عثمان بن عفان.	٢١١، ٢٢٨	قانصوه - الباشا.	١٥٥
عروة بن الزبير.	١٧٨	قتادة بن دعامة السدوسي.	٢٧٨
علي بن أبي طالب.	٢٩	(ك)	
علي بن أبي بكر الحافظ الهيثمي.	١٧٥	الكميت بن زيد الشاعر.	٢٢٦
علي بن الحسن الخزرجي.	٣٠٥	كنانة بن بشر التجيبي.	٣٢
علي البغدادي أبو الحسن.	٢٦٩	(ل)	
علي بن الحسن بن الحسين الخلعي.	٢٦٨	لطف الله بن علي بن لطف الله شرف	
علي بن الحسين زين العابدين.	١٨٠	الدين.	٦١
علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني.	٢١٩	أبو مخنف لوط بن يحيى.	٢٠٠
علي بن حميد القرشي.	٢٠٨		

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
(م)		محمد بن طلحة.	٢٠١
مالك بن أنس.	٢٩٥	محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري.	١٧٨
مالك بن الدخشم.	٢٩٨	محمد بن عبد الله، النفس الزكية.	٢٣٩
محب الدين الخطيب.	٢٤٨	محمد بن عبد الله، أبو بكر ابن العربي.	٢٤٨
محمد بن إبراهيم الوزير.	٢٣٩	محمد بن عبد الله ماضي.	٣٩
محمد بن إبراهيم ابن المنذر.	١٨٩	محمد بن عبد الملك الآنسي.	١٦٦
محمد بن إبراهيم السحولي.	١٤٤	محمد بن عز الدين المفتي.	٢٤٢
محمد بن أحمد القرطبي المفسر.	٢٥٤	محمد بن علان المكي الشافعي.	٩٢
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.	٢٢٠	محمد بن علي الباقر.	١٨٠
محمد بن إدريس بن المنذر أبو حاتم.	٢٤١	محمد بن علي الزحيف.	١٨٣
محمد بن إدريس الشافعي.	٢٨٦	محمد بن محمد المالكي.	١٩١
محمد بن إسماعيل الكيس.	٣٠٥	محمد بن علي الشوكاني.	٨٢
محمد بن إسماعيل البخاري.	١٧٦	محمد بن علي الصوري.	٦٤
محمد بن إسماعيل الأمير.	٤٤	محمد بن علي الغرياني.	١١٦
محمد أمين المجبي.	١٣٧	محمد بن علي قيس،	٩٨
محمد بدر الدين الحيمي.	١٤٦	محمد بن عمر، فخر الدين الرازي.	١٩٦
محمد بن جرير الطبري.	١٨٩	محمد بن عيسى الترمذي.	١٧٦
محمد بن جعفر الخرائطي.	٨٧	محمد بن القاسم، الإمام المؤيد.	١١٤
محمد بن حبان، ابن حبان.	٢٤١	محمد بن قيم الجوية.	٦٠
محمد بن الحسن الديلمي.	٢١٥	محمد بن المتوكل إسماعيل.	٥٦
محمد بن الحسن بن القاسم.	١١٨	محمد بن محمد زبارة.	١٥٩
محمد بن الحسين الآجري.	١٧١	محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد.	٢٨٨
محمد بن الحسين، الشريف الرضي.	٢٤٢	محمد بن محمد الطوسي.	٢٩١
محمد بن الحسن العلوي الداعي.	٣٠٢	محمد بن محمود، ابن النجار.	١٧٧
محمد بن الحسين الحقيني.	٢٥٦	محمد بن مسلم الزهري.	٢٧٦
محمد بن الحسين بن القاسم بن محمد.	٧١	محمد بن منده.	٢٦٩
محمد بن الحنفية.	٢٠٣	محمد بن موسى الدميري.	٦٠
محمد بن سعيد البوصيري.	٢٩٦	محمد بن يحيى القاسمي.	٢٦٠
محمد بن صالح العجمي الرافضي.	٦١	محمد بن يعقوب الفيروزابادي.	١٩٨

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
محمد بن يوسف الكرمانى .	٢٨٠	يحيى بن شرف النووي .	٢٩٤
المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجشمي		يحيى ، الإمام شرف الدين .	٢٣١
المعتزلى .	٢٣١	يحيى العامري الحرضي .	٢٩٨
محمود الزمخشري .	٢٥٣	يحيى بن مظفر صاحب البيان .	٢٦٠
مروان بن الحكم .	٢٠١-٢٩	يحيى بن معين .	٢٧٠
مسطح بن أثانة .	١٩٧	يحيى بن يعمر .	٣٤
مسلم بن الحجاج القشيري .	١٧٨	يعقوب بن إسحاق أبو عوانة .	٢٧٦
المسور بن مخزومة .	٢٤٤	يوسف بن أحمد عثمان التلالي .	٢٢٦-٢٣٠
معاذ بن جبل .	١٧١	يوسف بن عبد الله ، ابن عبد البر .	١٧٨-٢٧٢
معاوية بن أبي سفيان .	٢١٩	يوسف بن علي الهادي الكوكباني الأديب .	١٤٦
المعافى بن زكريا .	٣٣	يونس بن عبد الأعلى .	٢٤٦
معقر البارقي الأزدي .	٢٢١	(الكنى)	
مقلد بن المسيب العقيلي .	٦٠	أبو بكر الصديق .	١٨١
منصور بن عيسى بن سحبان اليمنى الشاعر .	٣٠٥	أبو الحسن الأصفهاني .	٦٤
المهلب بن أبي صفرة .	٣٠٤	أبو طالب بن عمر العلوي .	٦٤
موسى بن جعفر .	١٨٠	أبو عبيدة بن الجراح .	٣٠
موسى الموسوي .	٦٤	أبو الفتوح الديلمي .	٢٥١
ميمون بن مهران .	١٧٤	أبو القاسم البلخي .	٣٤
(هـ)		أبو هريرة الدوسي .	٢٩٠
الهادي بن إبراهيم الوزير .	٢٢٥-٢٢٨	ابن غانم المقدسي .	١٥٤
هبة الله بن الحسن اللالكائي .	٢٦٩	أم سلمة .	١٧٨
الهيثم بن كليب ، الشاشي .	٢٧٥	أم كلثوم .	١٥٦
(ي)			
يحيى بن أحمد الصابوني .	٩٢		
يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد .	٢٨٩-٣		
يحيى بن الحسين ، المرشد بالله .	٢٢١		
الإمام الهادي يحيى بن الحسين .	٢١١		
الإمام يحيى بن حمزة .	١٨٤		
يحيى بن حميد المقراني .	٢١٤		
يحيى بن حميد الكتي .	٢٣١		

٤ - فهرس الأماكن والبلدان :

الصفحة	المكان / البلد	الصفحة	المكان / البلد
	(الجيم)		(الهمزة)
٢٦٧	جبله.	٣٣	آب.
١٢٠	جبل صبر.	١٨٠	الأبواء.
١١٥	الجوف.	٣٠٩	أحد.
٤٢	الجيل.	٣٠١	إربل.
	(الحاء)	١٧٨	أشيونة.
٥٢	حبور.	٢٩٣	الأسكندرية.
٢٨١	الحبشة.	٢١٥-١٨٩-٢٦٢	أصبهان.
١٢٠	الحجرية.	١١٦-١٧٨	الأندلس.
٢٠١	الحجاز.	٢٦٧	أنطاكية.
٢٧٧	الحديبية.	٢٣٩-٢٧٨	الاهنوم.
١٤٩	حراز.	٢١٥	إيران.
٢٩٨	حرض.		(الباء)
١١٥	حضر موت.	٢١٥	باكستان.
٣٠١	حلب.	٣٠٩	بلر.
٣٠٦	حلي ابن يعقوب.	٢٨١	البصرة.
٣٠١	حماء.	١١٧	برط.
٦٩	حوث.	١٨٩-١١٦-٣٠٠	بغداد.
١٧٠	حيدان.	٢٤٥	بيروت.
	(الحاء)		(التاء)
٢٨٩-٢٨١	خراسان.	٨٥	تبريز.
٣١١-٣٠٩	الخنديق.	٢٦٦	تبوك.
٢٥٣	خوارزم.	٢٢٨	تعز.
١١٥	خولان.	٢٨٩	تفتازان.
٢٨١	خيبر.	٢٧٨	التنعيم.
	(الدال)		(الشاء)
٢٩٣	دمشق.	٢٢٦	ثلا.
٤٢	الديلم.		

الصفحة	المكان / البلد	الصفحة	المكان / البلد
	(الضاد)		(الذال)
٣٠٥	ضمـد .	١٨٤-٦٩	ذمار .
١١٥	ضوران .	٢٥٧	ذو الحليفة .
	(الطاء)	٢٢٢	ذي بين .
٣٠١	الطائف .	٢١٤	ذي مرمر .
٢١٨	طبرستان .		(الراء)
٣٠١	طرابلس .	٢٠٨	الريذة .
١٧٩	طوس .	١٧٤	الرقعة .
	(الظاء)	٢٥٤	الري .
٢٢٢	ظفار .		(الزاي)
١٩٤	ظفير حجة .	٢٨١	زبيد .
٢٣٩	الظهاوين .	٢٥٣	زمنخشر .
	(العين)		(السين)
١١٦-٢٨١	عدن .	٢٨٢	سجستان .
١٢٢	العدين .	٢٨٩	سمرقند .
٢٠١	العراق .	١٩٦	سمهود .
٢٨١	العقيق .		(الشين)
١٩٣	العوالي .	٢٠١	الشام .
	(الغين)	٢١٤	شيام .
١٥٧	الغراس .	٢١٣	شطب .
٢٨٦	غزة .	٦٩-١١٥	شهارة .
	(الفاء)		(الصاد)
٨٥	فارس .	٣٠٥-٢٢١	صبيا .
٢١١-١٩٣	فدك .	٦٩	صعدة .
٢٩٢	الفسطاط .	١٩١	صفافس .
٢٣٩-٢٢٦	فللة .	٢١٥-١٤٩-٢٧٨	صنعاة .
	(القاف)		
٢١٦	القاهرة .		

الصفحة	المكان / البلد	الصفحة	المكان / البلد
	(الهاء)		(الكاف)
١٨٩	هراة .	٢٨٢	كابل .
١٨٤	هران .	٢٣٩	كحلان .
٢١٥	الهند .	٢٨٠	كرمان .
	(الياء)	٢٨١	الكوفة .
١١٥	يافع .	٢٢٢	كوكبان .
٢٨١	اليمن .		(اللام)
		١٤٩	الliche .
			(الميم)
		١١٥	مالطة .
		١١٦	المخا .
		٣٠٦	المخلاف السليماني .
		١٩٢	المدائن .
		٢٨١	المدينة .
		١٨٩-٢٧٨	مصر .
		٢٧٨	مكة .
		١٥٥	المنصورية .
		١٥٠	موزع .
		٢٧٥	الموصل .
			(النون)
		١٧٠	نجران .
		٢٣٥	نجرة .
		١٨٩	نيسابور .
			(الواو)
		٢١٥	وادي مر .
		٣٠٤	وادي نخلة .
		٢٧٨	وادي نعمان .

٥ - فهرس المراجع والمصادر :

- ١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: لابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ٢- إرشاد الأريب: لياقوت الحموي.
- ٣- إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي: للإمام محمد بن علي الشوكاني.
- ٤- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: للحافظ ابن عبد البر.
- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٦- أطواف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ: للدارقطني، تأليف: أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي القدسي (ت ٥٠٧هـ): تحقيق: محمود بن محمد ابن محمود حسن نصار والسيد يوسف.
- ٧- الأعلام: للزركلي.
- ٨- أنباء الزمن في أخبار اليمن: تصحيح وتقديم وتعليق: محمد عبد الله ماضي.
- ٩- الإمامة والسياسة: المنسوب لابن قتيبة.
- ١٠- أئودج اللبيب في خصائص الحبيب: للسيوطي.
- ١١- إيثار الحق على الخلق: للإمام محمد بن إبراهيم الوزير.
- ١٢- البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير.
- ١٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للإمام محمد بن علي الشوكاني.
- ١٤- بصائر ذوي التمييز في مزايا الكتاب العزيز: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
- ١٥- بهجة الزمن من أخبار اليمن: للعلامة يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، تحقيق: الأستاذ عبد الله محمد الحبشي، نشر المجمع الثقافي (أبو ظبي)، باسم: يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر.
- ١٦- بهجة المحافل وبغية الأمائل: للعلامة يحيى بن أبي بكر العامري الحرصي، بشرح العلامة جمال الدين محمد الأشخر اليمني.
- ١٧- تاج العروس شرح القاموس: للمرتضى الزبيدي.
- ١٨- التاريخ الإسلامي: لمحمود شاكر.
- ١٩- تاريخ دمشق الكبير: للحافظ ابن عساكر، تحقيق: أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي.
- ٢٠- تاريخ اليمن الحديث والمعاصر: د/ حسين عبد الله العمري.
- ٢١- تدريب الراوي: للسيوطي.
- ٢٢- تذكرة الحفاظ: للحافظ الذهبي، تحقيق الشيخ/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.
- ٢٣- ترتيب القاموس: الطاهر أحمد الزاوي.
- ٢٤- التفسير الكبير: للإمام فخر الدين الرازي.
- ٢٥- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي.

- ٢٦- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير.
- ٢٧- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام النووي.
- ٢٨- تهذيب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٢٩- الجامع الصغير: للسيوطي مع فيض القدير، للمناوي.
- ٣٠- حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير، وكيف شوه المغرضون سيرتهم: محب الدين الخطيب.
- ٣١- حياة الحيوان: للدميمري.
- ٣٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي.
- ٣٣- ديوان بهاء الدين زهير.
- ٣٤- ديوان الشريف الرضي.
- ٣٥- ديوان العلامة الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الوهاب.
- ٣٦- الرد على الرافضة: لأبي حامد المقدسي: تحقيق/ عبد الوهاب خليل الرحمن.
- ٣٧- الرسالة المستطرفة لبیان مشهور كتب السنة المشرفة: لمحمد بن جعفر الكتاني.
- ٣٨- الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين: للإمام يحيى بن حمزة.
- ٣٩- الروض الباسم في الذب عن ستة أبي القاسم: للإمام محمد بن إبراهيم الوزير.
- ٤٠- الرياض النضرة في مناقب العشرة: للمحب الطبري.
- ٤١- زهر الكمام في الحكم والأمثال: للحسن اليوسي، تحقيق/ د. محمد حجي، د. محمد الأخضر.
- ٤٢- زيد بن علي المفترى عليه: تأليف: الشريف صالح بن أحمد الخطيب.
- ٤٣- الزيدية: القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ.
- ٤٤- سلسلة رسائل الغرباء: تأليف: سليمان العودة، نشر مركز الصديق، صنعاء.
- ٤٥- سمط السجود العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: لعبد الملك العصامي، تحقيق/ محب الدين الخطيب.
- ٤٦- سنن أبي داود مع عون المعبود.
- ٤٧- سنن الترمذي: تحقيق: أحمد شاکر.
- ٤٨- سنن ابن ماجه.
- ٤٩- سنن النسائي.
- ٥٠- سير أعلام النبلاء: للحافظ الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين.
- ٥١- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: للإمام الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
- ٥٢- شافي العليل شرح الخمسمائة آية من التنزيل: للعلامة: عبد الله النجري، تحقيق الأستاذ: أحمد بن علي الشامي، الجزء الأول.
- ٥٣- شرح السنة: للإمام البغوي، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط.
- ٥٤- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٥٥- الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق/ أحمد شاکر.

- ٥٦- صحيح البخاري.
- ٥٧- صحيح مسلم.
- ٥٨- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ويليهِ كتاب تطهير الجنان، كلاهما للشيخ/ أحمد بن حجر الهيتمي المكي.
- ٥٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للعلامة محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- ٦٠- طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى: للعلامة/ عبد الله بن علي الوزير، تحقيق/ محمد عبد الرحيم حازم.
- ٦١- طبقات الزيدية: للعلامة إبراهيم بن القاسم بن محمد (ت بعد ١١٤٠هـ)، تحقيق بعضهم.
- ٦٢- طبقات الشافعية الكبرى: للعلامة تاج الدين السبكي، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الخلو، د. محمود محمد الطناحي.
- ٦٣- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن قاضي شعبة، تحقيق/ عبد العليم خان.
- ٦٤- العقد الفاخر الحسن في طراز أعلام اليمن: الجزء الثاني، مخطوط، لموفق الدين علي بن الحسن الخزرجي.
- ٦٥- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق/ محب الدين الخطيب.
- ٦٦- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: للإمام العلامة/ محمد ابن إبراهيم الوزير، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط.
- ٦٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٦٨- فضائل الصحابة: للإمام النسائي: تحقيق/ د. فاروق حمادة.
- ٦٩- الفضائل: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ رضى الله بن محمد عباس، نشر جامعة أم القرى.
- ٧٠- كتب حذر منها العلماء: لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.
- ٧١- كشف الظنون في أسامي كتب العلوم والفنون: الحاجي خليفة.
- ٧٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للهندي.
- ٧٣- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: للعلامة محمد بن يوسف الكرمانى.
- ٧٤- لسان العرب: لابن منظور.
- ٧٥- لسان الميزان: للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- ٧٦- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية: للعلامة/ محمد بن إسماعيل الكبسي.
- ٧٧- لله ثم للتاريخ: لحسين الموسوى.
- ٧٨- مجمع الأمثال: للميداني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٧٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ الهيتمي.
- ٨٠- مختصر التحفة الاثنى عشرية: للشيخ/ شاه عبد العزيز غلام الدهلوي، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- ٨١- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة: لأبي القاسم جار الله محمود

- الزمخشري، تحقيق: السيد إبراهيم صادق.
- ٨٢- المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري.
- ٨٣- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، الموسوعة الحديثية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين.
- ٨٤- مشارق الأنوار: للقاضي عياض السبتي اليحصبي.
- ٨٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للرافعي، تأليف العلامة: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي.
- ٨٦- معالم السنن: للإمام الخطابي.
- ٨٧- معجم المؤلفين الزيدية: جمعه بعضهم.
- ٨٨- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة.
- ٨٩- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية.
- ٩٠- مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصبهاني.
- ٩١- ملحق البدر الطالع: للعلامة/ محمد بن محمد زبارة.
- ٩٢- المنتظم: لابن الجوزي.
- ٩٣- منتهى الأرب وأدب الطلب: للإمام الشوكاني، تحقيق/ محمد عثمان الخشت.
- ٩٤- منهاج السنة: لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٩٥- الميزان: للحافظ الذهبي.
- ٩٦- نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٧٥هـ: للعلامة محمد بن محمد زبارة.
- ٩٧- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: للأديب: محمد أمين المجي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو.
- ٩٨- النهاية: لابن الأثير.
- ٩٩- نهج البلاغة.
- ١٠٠- هجر العلم ومعاقله في اليمن: للقاضي إسماعيل بن علي الأكوغ.
- ١٠١- هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين من كتاب كشف الظنون: لإسماعيل باشا البغدادي.
- ١٠٢- وبل الغمام: حاشية الإمام الشوكاني على شفاء الأوام.

٦ - فهرس الموضوعات :

الصفحة	المحتوى
٩	مقدمة التحقيق
١٥	كلمة لا بد منها
	الفصل الأول: بدعة سب الصحابة
٢٨	تمهيد
٣٣	موقف الإمام علي من هذه البدعة
٣٦	صور من جهل الرافضة
٣٦	وصف الإمام الشعبي للرافضة
٣٧	زعم الرافضة أن علياً قاتل الجن
٣٨	علماء من أهل السنة تركوا أوطانهم بسبب ظهور الرفض
٣٨	منهم الإمام محمد بن جرير الطبري
٣٩	ومنهم العلامة الخرقى صاحب أحمد بن حنبل
٤٠	ظهور بعض دول ساعدت على انتشار الرفض
٤٠	هل تسرب مذهب الرافضة إلى اليمن؟
٤١	من أسباب دخول الرفض اليمن
	ومنها قدوم أشخاص من رافضة العجم إلى اليمن وانتحال مهنة الطب في
٤٢	عصر المصنف وقبله
٤٤	قدوم رافضي عجمي في عصر ابن الأمير
٤٤	نص رسالة الإمام ابن الأمير إلى تلميذه قاطن في ثلا
	في الرسالة تألم ابن الأمير من رافضي عجمي يتربع على كرسي الجامع
٤٨	الكبير بصنعاء يحرق آيات قرآنية ويسيء إلى الصحابة
٥١	انتشار سب الصحابة في عصر المصنف
	رسالة جوابية من القيدروس من عدن إلى الحسن بن القاسم يدافع فيها عن
٥١	الصحابة
٥٢	أشخاص يجترئون على سب الصحابة في أشعارهم
٥٧	بدعة سب الصحابة في عصر الإمام الشوكاني
	تأكيد الشوكاني أن الرافضي لا يتسورع عن محرمات الدين وأمثلة على
٥٨	ذلك

الصفحة	المحتوى
٦٠	صور من سوء الخاتمة لبعض الرافضة
٦٠	منهم الرافضي إسماعيل بن محمد بن ربيعة
٦٠	ومنهم أمير الموصل مقلد بن المسيب
٦٠	ومنهم رجل طوقت على عنقه حية أثناء غسله بعد موته
٦١	ومنهم الشاعر حسن الهبل
٦١	ومنهم رافضي عجمي بصنعاء
٦٢	أعلام من الرافضة أعلنوا توبتهم من مذهب الرافضة
٦٢	منهم الشاعر سبهندوست الديلمي
٦٤	عالم الشيعة في الكوفة أبو طالب بن عمر يتوب من سب الصحابة ويندم على ذلك والسبب العجيب في توبته
٦٤	وأعلام من الرافضة تابوا في هذا العصر
	الفصل الثاني: سيرة المصنف يحيى بن إسماعيل
٦٥	تمهيد
٦٦	حياته
٦٨	صفاته الخلقية
٦٩	نسبه
٦٩	تحصيله العلمي ورحلاته
٦٩	مذهبه الفقهي وعقيدته
٧٠	أسـرته
٧٠	والده
٧١	والدته
٧١	أخوه الأكبر
٧٢	أولاده
٧٤	شعره
٧٦	وفاته
٧٧	عيشه
٧٨	نصحه لولاة الأمر
٨١	ثناء العلماء عليه
٨٤	إنصافه واتباعه الدليل
٨٦	زهده وورعه
٩٠	نبوغه وبلوغه مرتبة علمية عالية
٩١	مشايخه

الصفحة	المحتوى
٩١	منهم العلامة إبراهيم بن يحيى الشجري السحولي
٩١	ومنهم العلامة المحدث عبد الرحمن بن محمد الحيمي
٩٧	ومنهم العلامة أحمد بن علي الشامي
٩٧	ومنهم العلامة أحمد بن صالح العنسي
٩٨	ومنهم القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري
٩٨	ومنهم القاضي الحسن بن يحيى حابس
٩٨	ومنهم العلامة محمد بن علي قيس
٩٨	ومنهم الشيخ عبد الرحيم شاه اللاهوري
٩٨	ومنهم العلامة الحسين بن محمد التهامي
٩٩	تلامذته
١٠٠	مؤلفاته
	الفصل الثالث : الحياة السياسية
١١٤	تمهيد
١١٨	أسباب قوة الدولة القاسمية في أول حكمها
١٢١	حكم الإمام المتوكل إسماعيل بأن أهل اليمن الأسفل كفار تأويل
١٢١	علماء من كبار الهادوية ينصحون المتوكل بالرجوع عن حكمه
١٢٥	رأي الإمام الشوكاني في دعوى المتوكل السابقة
١٢٦	مظالم ماحقة انتشرت في عهد الإمام المتوكل إسماعيل
١٢٩	تحامل الأديب عبد الله بن علي الوزير على المصنف
١٣١-١٣٠	رسالتان من المصنف ينصح فيهما إمامين في عصره
	الفصل الرابع : الحياة العلمية والأدبية
١٣٤	من أسباب الازدهار العلمي والأدبي في عصر المصنف
١٣٦	شواهد دالة على النهضة العلمية
١٣٧	الازدهار الأدبي
١٣٨	من ألوان الشعر: المعارضة بمثله
١٣٩	ومنه الإخوانيات، ومثال على ذلك
١٤٢	ومنه الوصف، ومثال على ذلك
١٤٣	ومنه المدح، ومثال على ذلك
١٤٤	ومنه الغزل
١٤٤	قصيدة غزلية رائعة، للقاضي محمد بن إبراهيم السحولي

الصفحة	المحتوى
١٤٦	من ألوان النشر، ومثال على ذلك الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية
١٤٧	تمهيد
١٤٨	ظهور الشعوذة والتنجيم
١٤٨	الإمام المؤيد والمنجمون
١٤٩	رجل ينتحل النسب الهاشمي
١٥٠	ورجل كذاب في شبام يدعي نزول الوحي عليه
١٥٠	وكذاب آخر في موزع
١٥٠	كاهنة وخادمها الذي يأتي بماء زمزم في ساعة
١٥١	رجل آخر يقصده عوام الناس
١٥٢	ظهور رجل مقذي
١٥٣	شجرة يتبرك بها عوام الناس
١٥٣	انتشار الصوفية
١٥٥	مسألة منع زواج الفاطمية من غير الفاطمي
١٥٧	ظهور بعض مظاهر الترف
	الفصل السادس: رسالة الإيضاح لما خفا
١٥٨	قيمة الرسالة
١٥٩	التفاوت في عناوينها
١٦٠	تنبيه: خطأ بعض الباحثين باعتبار الرسالة رسالة أخرى
١٦١	لماذا التفاوت في عناوينها؟
١٦٣	منهج المصنف
١٦٤	عملي في تحقيق الرسالة
١٦٥	وصف المخطوطة
	تقريظ ثري وشعري، للعلامة لطف الله بن علي بن لطف الله شرف الدين يمدح
١٦٧	بها مصنف الرسالة
١٧٠	خطبة الكتاب
١٧١	ما جاء في النهي عن سب الصحابة
١٨٢	إنصاف العلامة إبراهيم بن محمد الوزير صاحب البسامة
١٨٤	ترجمة الإمام يحيى بن حمزة
١٨٧	دفاع زيد بن علي وجعفر بن محمد عن الصحابة

الصفحة	المحتوى
١٨٨	فرقة الجارودية
١٩١	عبارة في نهج البلاغة ونظر المصنف فيها
١٩٢	الاختلاف في مسألة تقديم أبي بكر وعمر على علي <small>عليه السلام</small>
١٩٣	قصة طريفة مع أبي العباس السفاح وأحد العلويين في مسألة (فدك) ...
١٩٦	من ثناء الإمام علي على أبي بكر <small>عليه السلام</small>
١٩٧	أقوال العلماء في أن النص خفي في علي <small>عليه السلام</small>
١٩٩	ثناء الحسن بن علي على الثلاثة <small>عليهم السلام</small> أجمعين
٢٠٠	سبب نشأة وتسمية الرافضة
٢٠٠	الإمام علي يتألم من قتل عثمان <small>عليه السلام</small>
٢٠١	من خطبة وردت في نهج البلاغة
٢٠٢	قصة أخرى لعلي يوم قتل عثمان <small>عليه السلام</small>
٢٠٣	قصة أخرى وردت في كتاب (مجمع الزوائد) للهيتمي
٢٠٤	توضيح لقول عن قتل عثمان وردت في النهج
٢٠٥	دفع شبهة وردت عن ابن أبي الحديد في شرح النهج
٢٠٥	ثناء الإمام يحيى بن حمزة على الشيخين
٢٠٦-٢٠٧	أقوال منسوبة لعلي في نهج البلاغة في مدح عمر <small>عليه السلام</small>
٢٠٨	جمهور الزيدية لم ينقل عنهم الوقوع في الصحابة
٢٠٩	من مناقب الصحابة أن الله امتدح أهل الشجرة
٢١١	مسألة فدك وكلام المصنف فيها
٢١٢	رد المصنف على الحسن بن بدر الدين
٢١٤	رأي صاحب الشفاء في الإمامة
٢١٤	كلام حسن للعلامة المقراني في ذلك
٢١٥	كلام لجماعة من علماء الزيدية في ذلك
٢١٧	النظر في قول منسوب للقاسم العياني
٢١٨	الإمام الناصر يأمر كاتبه بكتابة الترضي عن الصحابة
٢١٨	من عقيدة الزيدية موالة الصحابة
٢١٩	قصة حكاها أبو الفرج الأصبهاني عن عائشة وما نسب إليها من قول عند موت علي <small>عليه السلام</small> ، وضعف سند القصة

الصفحة

المحتوى

٢٢١	ظهور الوضع في قصة عائشة أنها تمثلت بيت شعر حين بلغها موت علي عليه السلام
٢٢٣	النظر في قول ورد في كتاب لأحد الزيدية في تقسيم فرقة الاثني عشرية عند بعضهم
٢٢٥	أقوال لبعض علماء الزيدية المنصفين في الشيخين
٢٢٧	رجوع عالم كبير من علماء الزيدية إلى الترضي عن الصحابة
٢٣٠	تفسير آية الشجرة من كتاب الثمرات مع نقول أخرى
٢٣٣	أقوال أخرى لبعض أئمة الزيدية
٢٣٥	من كلام الإمام جعفر الصادق
٢٣٦	توضيح ما يقال عن العلامة حميدان
٢٣٧	دفع أوهام في كتاب شرح أنوار اليقين
٢٣٧	ثناء زيد بن علي على الصحابة نقل متواتر
٢٣٩	أعلام أهل البيت وترضيهم على الصحابة
٢٤٠	شبهة في أن علياً وادع الثلاثة مكرهاً ورد المصنف
٢٤١	تعجب المصنف من تناقض الرافضة
٢٤١	من كذب الرافضة على عمر في الاعتداء على بيت علي وعلى فاطمة والانتحال في الخطبة الشقشقية
٢٤٣	هل تصح رواية الرضي لنهج البلاغة؟
٢٤٤	الكلام على ما قيل من إغضاب أبي بكر فاطمة عليه السلام
٢٤٦-٢٤٥	قصة أي بكر أنه ندم من ثلاث في مرض موته وضعف سند القصة
٢٤٧	ما ورد في كتاب (الإمامة والسياسة) من دعوى الاعتداء على بيت علي وإغضاب فاطمة، وبطلان نسبة الكتاب لابن قتيبة
٢٥٠	رأيان وجيهان للإمام يحيى بن حمزة في دعوى إغضاب فاطمة حين أراد علي النكاح فكرهت
٢٥١	من مناقب أبي بكر عليه السلام
٢٥٣	الصحابة في مقدمة السابقين المذكورين في سورة الواقعة
٢٥٤	رد المؤلف لمطاعن قيلت في عثمان عليه السلام
٢٥٥	من مواقف أكابر الزيدية في الثناء على الصحابة
٢٥٧	فرقة الطرفية
٢٦٠	الرد على القاسمي في زعمه أن الإمام يحيى بن حمزة خالف إجماع العترة في الترضية عن الصحابة، ويبان أنهم مجمعون على الترضية

الصفحة	المحتوى
٢٦٢	الإمام زيد يرد الرافضة
٢٦٢	حديث «الرافضة قوم نبز»
٢٦٤	جواب المصنف على اعتراض من متعصب
٢٦٦	آيات كريمة فيها الثناء على الصحابة
٢٦٧	أحاديث وآثار عن علي عليه السلام في فضائل الثلاثة
٢٧٦	ما جاء في الصحيفة المنسوبة لعلي بن الحسين عليه السلام
٢٧٧	أحاديث في فضائل أهل بيعة الرضوان
٢٨١	العشرة المبشرون بالجنة
٢٨٣	قصة الإمام علي عليه السلام والجاثليق
٢٨٥	رد على معترض
٢٨٧	كتاب نسبته إلى الغزالي غير صحيحة
٢٨٩	كلام منسوب للتفتازاني
٢٩١	رسالة الإمام يحيى بن حمزة في الذب عن الصحابة
٢٩٤	جمهور علماء الإسلام ينهون عن اللعن
٣٠١	خاتمة سوء لرجل سب الصحابة
٣٠٢	أبو عبد الله الداعي وثناؤه على الصحابة
٣٠٤	السبب في تأليف هذا الكتاب
٣٠٤	أبيات للشاعر بهاء الدين زهير
٣٠٤	أبيات في الثناء على الصحابة، للعلامة أحمد بن علي المعافي التهامي ..
	أبيات في الذب عن الصحابة، للشاعر ابن سحبان التهامي
	أبيات في الذب عن الصحابة، للعلامة إسماعيل بن محمد صلاح جحاف
٣٠٥
٣٠٩	خاتمة في حب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	الفهارس
٣١٤	فهرس الآيات القرآنية
٣١٦	فهرس الأحاديث النبوية
٣١٧	فهرس الأعلام
٣٢٣	فهرس الأماكن والبلدان
٣٢٦	فهرس المراجع والمصادر
٣٣٠	فهرس الموضوعات

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعَ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

الإيضاح لما خفا

من الألفاظ على طائفة من الأصناف